

المملكة العربيـــــة السعوديـــــة
وزارة التعليم العـــــالي
جامعة أم القـــــرى بمكة
كلية الشريعة ــ قسم الدراسات العليا
التاريخية والحضاريـــــة

الثغور البحرية الحجازية

من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي

(البعثة /٦١١م ـــ ٩٢٣هـ/١٥١٧م)

ـ دراسة تاريخية حضارية ـ

لنيل درجة الماجستير في التاريخ الإسلامي

إعداد

الطالب : محمد بن حسين بن حامد الحارثي

إشراف

فضيلة الدكتور : محمد بن صامل السلمي

١٤٢٢هـ

المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
جامعة أم القرى
كلية الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

بسم الله الرحمن الرحيم

الرقم:........................
التاريخ:........................
المرفقات:........................

نموذج رقم (٨)

إجازة أطروحة علمية في صيغتها النهائية بعد إجراء التعديلات

الاسم رباعي	محمد بن حسين بن حامد الحارثي	كلية	الشريعة والدراسات الإسلامية
قسم	الدراسات العليا التاريخية والحضارية	التخصص	تاريخ إسلامي
الأطروحة مقدمة لنيل درجة :	الماجستير		

عنوان الأطروحة : (الثغور البحرية الحجازية من البعثة النبوية إلى نهاية العصر المملوكي).

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على أشرف الأنبياء والمرسلين وعلى آله وصحبه أجمعين . وبعد..

فبناءً على توصية اللجنة المكونة لمناقشة الأطروحة المذكورة أعلاه ـ والتي تمت مناقشتها بتاريخ ١٤٢٣/٧/١٧هـ بقبولها بعد إجراء التعديلات المطلوبة ، وحيث قد تم عمل اللازم ، فإن اللجنة توصي بإجازتها في صيغتها النهائية المرفقة للدرجة العلمية المذكورة أعلاه .

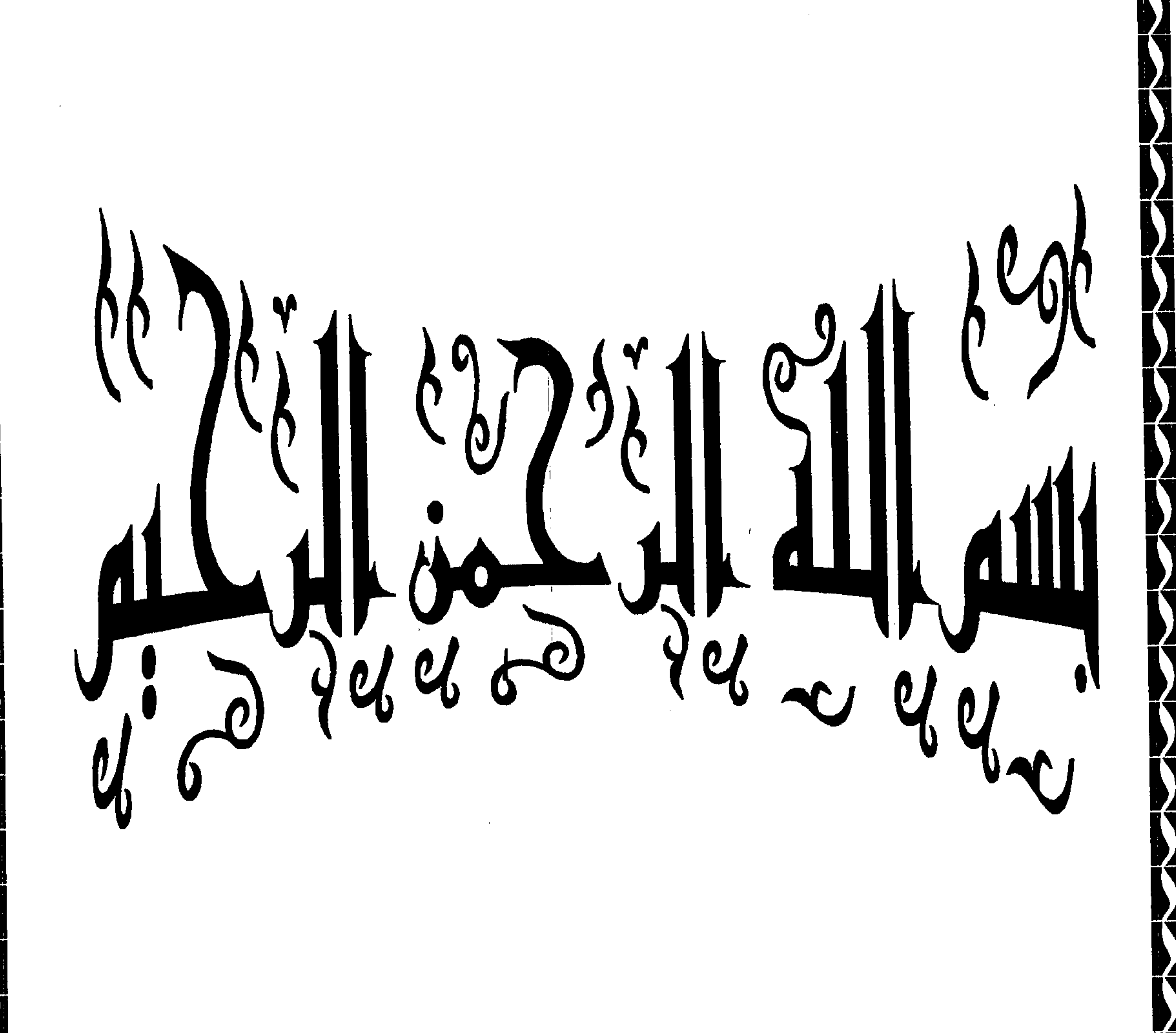
أعضاء اللجنة:

المشرف والمقرر: الاسم: د. محمد بن صامل السلمي/ التوقيع:........
المناقش: الاسم: د. بندر محمد رشيد الهمزاني/ التوقيع:........
المناقش: الاسم: د. عدنان محمد فايز الحارثي/ التوقيع:........

التوقيع:

رئيس قسم الدراسات العليا التاريخية والحضارية

أ . د . يوسف بن علي الثقفي


بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة:

الحمد لله رب العالمين الذي جعل الحجاز ومكة البلد الأمين موطناً وسكناً لنا ولأجدادنا الأقدمين، والصلاة والسلام المباركان العاطران الدائمان إلى يوم الدين على شفيع الأمة ونبي الرحمه الذي أرسله الله تعالى رحمة للعالمين نبينا وسيدنا محمد بن عبد الله الأمين خاتم الأنبياء والمرسلين، الذي سعدت الحجاز بوطء قدميه الشريفتين عليها في سهولها وجبالها وبراريها، وعلى آله وصحبه الأكرمين الذين وفقهم الله لاتباع الحق المبين.

أما بعد :

فيقول المولى تبارك وتعالى : {أو لم نمكن لهم حرماً آمنا يجبى إليه ثمرات كل شيء رزقاً من لدنا ولكن أكثرهم لا يعلمون} [القصص، آية ٥٧].

ويقـــول سبحانه وتعالى: {أو لم يروا أنا جعلنا حرماً آمنا ويتخطف الناس من حولهم} [العنكبوت، آية ٦٧]. هذا هو البلد الأمين مكة المكرمة ـــ حرسها الله ـــ سُرّة الحجاز وقاعدته، أما طيبة الطيبة فهي دار هجرة المصطفى وهي حرم آمن، كما قال نبينا محمد عليه أفضل الصلاة وأتم التسليم " إنها حرم آمن "(١) رواه مسلم.

وما أحاط بالمدينتين المقدستين فهو ملحق بهما، بقول الإمام الشافعي رحمه الله في كتابه "الأم" ما نصه: " لا يمنع أهل الذمة من ركوب بحر الحجاز ـ أي على سبيل العبور ـ ويمنعون من المقام في سواحله، وكذا إن كانت في بحر الحجاز

(١) صحيح مسلم بشرح النووي رقم ٤٧٩- (١٣٧٥)، كتاب الحج، باب الترغيب في سكنى المدينة، حققه: عصام الصبابطي وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، دار الحديث، القاهرة، ج٥، ص١٦٢.

جزائر وجبال تسكن، مُنعوا من سكناها، لأنها من أرض الحجاز "[1].

وبما أن ثغور الحجاز منه فقد عقدت العزم على خوض لجـة بحر البحث والدراسة في تاريخ بحر الحجاز، مجـدًّا في طلـب فريد المعلومات، تارة أغوص، وتارة أسبح، لم يقر لي قـرار؛ ولم يقصر عن طرح شباكي ذراع؛ ولا يُطوى لسفينتي شـراع، وكلمـا هاجمني الملل؛ تدافعت عليّ رياح الأمل، حتى دخلـت فـي بحر عجاج متلاطم الأمواج، فاقتحمت هذا المركب الصـعب، وصلت وجلت بين الموانيء والجزائر والشُعب، وفي أذني يتردد قول الرحمن جل وعلا: {وقال اركبوا فيها بسم الله مجريها ومرساها إن ربي لغفور رحيم}[سورة هود، الآية ٤١]. فكـان من تمام توفيق الله لي أن استوت سفينتي على الجودي وانحلـت متاعبـي وهمومي وطفقت مبادراً بطرح شباكي، فإذا هـي قد مُلئت بأصداف الجواهر والدرر واللآلئ، وهآنذا أنثرها أمـامكم، فـإن أصـبت فمن الله وإن أخطأت فمن نفسي ومن الشيطان، والله الموفق والهادي إلى سواء السبيل.

وجعلـت عـنوان بحثي: الثغور البحرية الحجازية من البعـثة النـبوية إلى نهاية العصر المملوكي " دراسة تاريخية حضارية ".

---

[1] محمد بن إدريس: الأم، تصحيح محمد زهري النجار، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ - ١٩٧٣م، دار المعرفة، بيروت، لبنان، ج٤، ص١٧٨،١٧٧.

ـــــ أهمية الموضوع:

ومن دواعي وأسباب اتخاذي هذا الموضوع التالي:

أولاً: الثغور الحجازية منافذ للأراضي المقدسة سياسية واقتصادية واجتماعية. فالثغر يستعمل للمدينة القائمة على شاطئ البحر، كما يعني المنفذ الموضع المتاخم للعدو، والمنفذ جمع منافذ، أي موضع نفوذ الشيء.(١)

وقد كانت ثغور الحجاز البحرية منافذ عبور لنشر الدعوة الإسلامية إلى شرق القارة الإفريقية وغيرها، كما كانت هذه الثغور منافذ أحداث تاريخية متعددة بدءً من تنقل الولاة والأمراء والجيوش، ومروراً بالنزاعات السياسية والأحداث التاريخية، وأيضاً كانت الثغور سداً مانعا بأمر الله عز وجل أمام هجمات الصليبيين وأحفادهم البرتغاليين في القرن العاشر الهجري.

كما كانت لها أهميتها الاقتصادية فعن طريقها تُجبى إلى الحرمين الشريفين ثمرات كل شيء مما ينفع الناس. أما في الجانب الاجتماعي فالثغور ملتقى حجاج بيت الله الأول إلى الأراضي المقدسة، ومعبراً ومستقراً لعدد من العلماء والأدباء والرحالة على مدار التاريخ الإسلامي.

ثانياً : الثغور الحجازية تعتبر حلقة وصل مهمة بالقارتين الإفريقية والأوروبية، وكذلك بالبلاد الأسيوية المطلة على المحيط الهندي.

١ـ لويس معلوف وآخرون ، المنجد في اللغة والأعلام ، الطبعة الثامنة والعشرون ، دار المشرق ، بيروت ، ص٧٠.

فمن ثغور الحجاز عبرت الهجرات الأولى إلى الحبشة، ومن ثغوره يعبر الحجاج قادمين إلى الحرمين الشريفين وعائدين إلى أوطانهم في إفريقيا وأوروبا وآسيا، ومن ثغوره عبر أبناء الحجاز والجزيرة العربية إلى أفريقيا وآسيا وأوروبا دعاة وفاتحين وحكاماً وعلماء وطلاباً للعلم وتجارا.

ثالثاً : قال تعالى في كتابه الكريم : {وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طريا وتستخرجوا منه حلية تلبسونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله، ولعلكم تشكرون .. } [النحل، آية ١٤].

فللبحر الأحمر بجزره التي تقدر بنحو ثلاثمائة وتسع وسبعين جزيرة[١] [حسبما ورد في الخريطة التفصيلية التي أعدتها الادميرالية البريطانية في عام ١٩٥٢م]، وموانئه المتعددة أهمية كبيرة في إمكانية قيام ملاحة بحرية لصناعة رجال البحر وفرسانه، وقيام صناعة لسفنه وأدواته المختلفة، وإعداد جيل من أبناء المسلمين يجيدون التعامل مع البحر، ويتمرسون على ذلك لحماية الأراضي المقدسة وخدمتها والذود عنها وخدمة حجاجها وزوارها ومعتمريها.

ولمزيد من تبيان أهمية الموضوع اقتطع بعض العبارات من كلمة لصاحب السمو الملكي الأمير سعود الفيصل وزير خارجية المملكة العربية السعودية التي ألقاها في افتتاح ندوة البحر الأحمر بتاريخ ١٤٠٥/٨/١٤هـ مايبين الأهمية القصوى

---

(١) مصيلحي، محي الدين محمد: الوجود العربي والأفريقي في جزر البحر الأحمر عبر التاريخ، ١٩٩١م، مكتبة الأنجلو المصرية، ص٧.

للبحر الأحمر بموانئه الشرقية والغربية حيث قال: (إن أهمية البحر الأحمر تمتد جذورها إلى فجر التاريخ حيث نشأت على جنبات

هذا الطريق المائي أقدم الحضارات البشرية وأعرقها، كما انطلقت من المنطقة المحيطة به مشاعل النور والهداية الإلهية فكانت مهبط الرسل والأنبياء، ثم صارت مركز الإشعاع الحضاري والديني للمجتمع البشري بأسره. وترتب على جوهرية موقعه الجغرافي كطريق ملاحي يتوسط الشمال والجنوب والشرق والغرب أن اتجهت إليه الأنظار من كافة أرجاء المعمورة فأضحى عامل جذب للتنافس والتدخل الخارجي على مر العصور، وموقعاً للتنافس والصراعات الاقليمية والدولية، خاصة بين القوى السياسية التي تسعى إلى الهيمنة وبسط النفوذ)[١]. راجياً أن تكون هذه الأسباب والآراء قد أوضحت أهمية دراسة ثغور الحجاز تاريخياً وحضارياً.

وبعد اطلاعي على عدد من المصادر والمراجع التاريخية والجغرافية التي تحدثت عن تحديد الحجاز تبين لي أن هناك تفاوتاً كبيراً في تحديد الحجاز جغرافيا من جهاته الاربع، إلا أنها تكاد ترجح: (أن الحجاز يمتد من أيلة شمالاً إلى ما بعد السّرين جنوباً.)

لذا سوف أقتصر في دراستي للثغور الحجازية على الثغور الواقعة بين هذين الحدين. ولأجل هذه الاسباب. أخترت الكتابة في موضوع الثغور الحجازية البحرية.

---

(١) ندوة البحر الأحمر: المملكة العربية السعودية، وزارة الخارجية السعودية، معهد الدراسات الدبلوماسية، طبع في ربيع الأول، ١٤٠٦ هـ، ص٧.

الدراسات السابقة :

تتركز أهم الدراسات السابقة حول موضوع الثغور الحجازية البحرية ثلاثة أنواع:

النوع الأول: كتب الرحلات والمعاجم المحلية وبعض الدراسات والبحوث عن كل ثغر على حده.

النوع الثاني: الكتب والابحاث التي تحدثت عن البحر الأحمر وجغرافيته وتاريخه.

النوع الثالث: الرسائل الجامعية حول بلاد الحجاز بعامة في مختلف الجوانب.

وقد برز في ميدان الرحلات والمعاجم الجغرافية محلياً في بلادنا الغالية، وعلى مستوى ثغور الحجاز كُلٌّ من الباحث عاتق بن غيث البلادي الذي صنف الكثير من الكتب العلمية القيمة في تاريخ الحجاز وجغرافيته ومنها:

- معجم معالم الحجاز: "عشرة أجزاء".
- ومجموعة: من رحلات هامة مثل (بين مكة وحضرموت) و(بين مكة واليمن) و(رحلات في بلاد العرب "في شمال الحجاز والاردن").
- كتابا "قلب الحجاز" و"على طريق الهجرة".

وكذا العلامة حمد الجاسر ـــ رحمه الله ـــ الذي صنف الكثير في جغرافية المملكة العربية السعودية، وكذلك عدد من كتب الرحلات، ومنها

كتابه القيم في "شمال غرب الجزيرة ـ نصوص ومشاهدات وانطباعات" تحدث فيه عن مينائي الشعيبة والجار.

ومن كتبه كتاب "بلاد ينبع"، وكذلك عدد من الابحاث الهامة وردت متفرقة في أعداد مختلفة في مجلته "العرب".

ثم الاستاذ عبدالقدوس الانصاري ـ رحمه الله ـ الذي أعد موسوعة هامة عن مدينة جده. وله رحلة لميناء الجار عرضها في أحد اعداد مجلته "المنهل".

كما أن اتحاد المؤرخين العرب قد عقد ندوة بعنوان "الحضارة الإسلامية وعالم البحار بحوث ودراسات"، اطلعت في دوريته تلك على بحثين هامين عن مينائين من موانئ الحجاز، هما السّرين والجار، وكان الأول للاستاذ الدكتور أحمد بن عمر الزيلعي، والآخر للأستاذ الدكتور ضيف الله بن يحى الزهراني.

<u>النوع الثاني:</u> الكتب التي تحدثت عن البحر الأحمر جغرافيته وتاريخه. ويغلب على هذه الكتب التحدث عن البحر الأحمر في التاريخ الحديث منذ الغزو البرتغالي حتى انتهاء الحرب العالمية الثانية مروراً بالصراع العربي الاسرائيلي.

وعدد كبير من الكتب تحدثت عن الإمكانات الجغرافية والملاحية والمناخية والبيئية والثروات المختلفة في البحر الأحمر.

ولعل أقرب هذه الكتب إلى دراستي هو كتاب بعنوان "الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر" تأليف الرائد وليد محمد جرادات، نشر وتوزيع دار الثقافة بالدوحة، تحدث في الربع

الأول من كتابه عن ماضي البحر الأحمر بدء من التاريخ الفرعوني ومروراً بالفترة الإسلامية، ثم تحـدث تفصـيلاً عن الأحداث التاريخية في العصر الحديث.

<u>النوع الثالث:</u> الرسـائل الجامعية حول بلاد الحجاز في مختلف الجوانـب (السياسـية والاقتصـادية والثقافـية والاجتماعية).

وجمـيعها يبحث في الأوضاع الداخلية للحجاز والعلاقات الخارجية أو الحياة الثقافية في المدينتين المقدستين، دون التركيز المباشر على دور الثغور والموانئ الحجازية.

<u>وفيما يلي: قائمة بأسماء الرسائل الجامعية التي لها صلة بالموضوع:</u>

١ ـ الحـركة العلمية في الحجاز من ظهور الإسلام حتى قيام الدولـة العباسـية / لطيفة البسام، ماجستير، جامعة الملك سعود، الآداب، التاريخ، ١٤٠١هـ.

٢ ـ تـاريخ الحج منذ عهد الرسول صلى الله عليه وسلم حتى نهايـة العصـر العباسـي/ إلهـام محمـد هاشم الدجاني، ماجستير، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية التربية للبنات بجدة، التاريخ، ١٤٠٢هـ.

٣ ـ النشـاط التجاري في مكة المكرمة في العصر المملوكي/ سـعاد إبراهيم الحسن، ماجستير، أم القرى، كلية الشريعة، تاريخ، ١٤٠٦هـ.

٤ ـ الرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين/ عواطف نواب، ماجستير، أم القرى، الشريعة، تاريخ، ١٤١٢هـ.

٥ ــ مجتمع الحجاز في العصر الأموي بين الآثار الأدبية والمصادر التاريخية/ عبد الله الخلف، دكتوراه، الإمام محمد بن سعود، اللغة العربية، الأدب، ١٤٠٧هـ.

٦ ــ المحاولة الصليبية لغزو الحجاز في نهاية القرن الثاني عشر الميلادي/ محمد راجح حمدي، ماجستير، الملك عبد العزيز، آداب، تاريخ، ١٤٠٩هـ.

٧ ــ تجارة مصر في البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة: ٧٨٤ ــ ٩٢٣/ يوسف حمد التويم، ماجستير، الملك عبد العزيز، آداب، تاريخ، ١٤١٤هـ.

٨ ــ الحياة الاجتماعية في مكة منذ ظهور الإسلام حتى نهاية العصر الأموي/ إلهام أحمد أبا بطين، دكتوراه، الملك سعود، الآداب، التاريخ، ١٤١٨هـ.

٩ ــ الحياة الاقتصادية والثقافية في جدة في العصر المملوكي ٦٤٨ ــ ٩٢٣/ سلوى عبد القادر السليمان، دكتوراه، الرئاسة العامة لتعليم البنات، كلية الآداب للبنات بالدمام، التاريخ ١٤١٥هـ.

١٠ ــ الحياة العلمية في الحجاز خلال العصر المملوكي: ٦٤٨ ــ ٩٢٣/ خالد محسن الجابري، ماجستير أم القرى، الشريعة، الحضارة، ١٤١٥هـ.

أهم المصادر:

استغرق مني البحث جهداً ووقتاً كبيراً، في سبيل الوقوف على مصادره، ومراجعه، في مظانها المختلفة، وذلك يعود إلى أمرين، الأول: امتداد فترة البحث والدراسة زمنياً حيث امتدت من العهد النبوي حتى نهاية العهد المملوكي. والأمر الثاني: الامتداد المكاني: حيث سجلت الأحداث التي ارتبطت بالحجاز من العقبة شمالاً حتى السرين جنوباً ومارتبط بذلك داخل الحجاز مكة والمدينة وخارجه بمصر والسودان.

ـ وفي الوقت الذي كنت أتتبع فيه مصادر التاريخ الإسلامي العام، كنت أتتبع فيه أيضاً مصادر التاريخ المحلي، التي تناولت تاريخ مكة والمدينة، وتاريخ مصر والسودان وتاريخ وجغرافية المسالك والممالك والبلدان في العالم الإسلامي، والرحلات إلى الحجاز الشريف. وبالرغم من هذه الصعوبات، فقد يسر الله لي الوقوف على عدد وافر من المصادر الهامة والأساسية، التي كان لها دور في عرض الأحداث التاريخية المرتبطة بثغور الحجاز. هذا ومع اهتمامي بالمصادر الأساسية، فأنني لم أهمل جانب المراجع الحديثة والرسائل الجامعية، وتتبعت مانشر في الدوريات المختلفة مما له علاقة بموضوع دراستي بشكل مباشرٍ وغير مباشر.

وبناء على ذلك، فإنه يمكن لي أن أقسم مصادر دراستي إلى أربعة أقسام:

١ ـ مصادر المسالك والممالك، ومراجع الملاحة.

٢ – مصادر الرحلات.

٣ ـ مصادر التاريخ الإسلامي العام ، والأنساب.

٤ـ مصادر التاريخ المحلي لمكة والمدينة.

ولعل من أهم مصادر القسم الأول:

١ ـ كـتاب المسالك والممالك لابن خرداذبة، وهو أبو القاسم عبـيد بـن عبدالله جغرافي وأديب فارسي، حياته (مابين ٢٠٥ـ٣٠٠) تقريـباً ولـد في أسرة كبيرة خدمت الولاة العباسـيين وكـان جده مجوسياً وأسلم. وقد تضمن كتابه دليلاً للطرق الرئيسية ووصفاً للمدن التي تقع عليها(١).

٢ ـ كتاب المسالك والممالك للإصطخري: أبو إسحاق إبراهيم بـن محمد الفارسي، توفي عام ٣٤٠هـ وقسم في مؤلفه ذلـك ممالك العالم في زمانه إلى أربع، والدولة الإسلامية إلى عشرين قسماً وامتاز كتابه بعنايته بالخرائط(٢).

٣ ـ كتاب: صفة جزيرة العرب للهمداني أبو محمد الحسن بن أحمـد بن يعقوب، جغرافي ومؤرخ وموسوعي يمني توفي في صنعاء عام ٣٣٤هـ، ينتمي مذهبياً إلى الشيعة. ونشأ فـي قبـيلة همدان اليمنية وعمل في "الحمالة" أي في نقل الحجاج من صعدة إلى مكة(٣).

٤- كتاب صورة الأرض لابن حوقل: أبو القاسم محمد بن علي الموصـلي، جغرافـي ورحالـة عراقي، ولد في نصيبين بالعـراق، توفـي في بغداد عام ٣٦٧هـ، ويتهم بتشيعه للفاطميين "العبيديين" وتحامله على غير الشيعة، وكراهيته لحكام الأندلس. واتصف كتابه رغم دعوى أنه انتحل كتاب الاصـطخري ـ بالخـرائط ـ الجغرافـية الرياضـية والوصفية(٤).

١- غليونجى، بول وجلال شوقي وآخرون ، موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين ، مكتبة المعارف بيروت. ص٨٣.
٢- المرجع السابق ، ص ٤٧.
٣- المرجع السابق ، ص١٧٨.
٤- المرجع السابق ، ص ٨١ .

٥ ـ كتاب: معجم البلدان: لياقوت الحموي: أبو عبدالله يعقوب بن عبدالله شهاب الدين البغدادي الحموي الرومي، جغرافي ومؤرخ من أصل رومي أو يوناني، توفي بحلب عام ٦٢٦ هـ،وقد خصص ياقوت معجمه لدراسة أسماء البلدان والأودية والقيعان والقرى والمحال والأوطان والبحار والأنهار والغدران والأصنام والأنداد والأوثان، وقد رتب معجمه على حروف الهجاء وجعل في بدايته مقدمة من خمسة أبواب وتبحث المقدمة في الأرض، والأقاليم، والمصطلحات الجغرافية والفلكية، والبلدان الإسلامية، والممالك، والشعوب. ويلي كل اسم من أسماء المعجم طريقة نطقه، ثم ثلاثة بحوث: لغوي في إرجاع الاسم إلى أصل اشتقاقه العربي، ثم الوضع الجغرافي والمكاني له، ثم التطور التاريخي للمكان. وقد زود ياقوت معجمه بوثائق كثيرة. ويتألف المعجم من ثمانية وعشرين قسماً بعدد الحروف العربية([1]).

ـ وغير ذلك من كتب المسالك والممالك والبلدان.

ومن المراجع الهامة في الملاحة مايلي:

١ـ العرب والملاحة في المحيط الهندي: لـ جورج فضلو حوراني، عالم أمريكي من أصل عربي وكتابه هذا لعله يعد من أهم المصادر لمن يتصدى للكتابة عن الملاحة العربية حتى القرن الخامس عشر الميلادي (التاسع والعاشر الهجريين)، متحدثاً عن الملاحة عند العرب قبل الإسلام وبعده ومتتبعاً النشاط البحري في الجزيرة العربية، مفصلاً في حال السفن العربية التي تمخر عباب البحار العربية شرقيها وغربيها وجنوبيها، مبيناً أهم الطرق التجارية البحرية، وفي الفترة الإسلامية يبين موقف المسلمين من استعمال البحر وانطلاقاتهم المباركة فيه، مشيراً إلى أهم من

١- غليونجى ، موسوعة العلوم الإسلامية ، ص١٨٣ .

تحدث عن الملاحة والبحار والاتجار فيها من الجغرافيين والملاحين العرب والمسلمين، حتى ينتهي في القرن العاشر إلى الحديث عن الغزو البرتغالي، ويقع في خطأ نسبة مساعدة الملاح العربي ابن ماجد لفاسكودجاما حتى تمكن من دخول المياة العربية، وقد بينت خطأ هذه النسبة[١].

٢ ـ كتاب تاريخ الأسطول العربي: لمحمد ياسين الحموي.

٣ ـ كتاب: فن الملاحة عند العرب: لحسن صالح شهاب.

- مصادر الرحلات:

١ ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: للشريف الأدريسي أبو عبدالله محمد بن محمد بن عبدالله بن أدريس الحمودي الحسني (وكان من نسل الأدارسة العلويين). جغرافي وموسوعي مغربي. وتوفي بصقلية مابين ٥٦٠ـ٥٦٤هـ تقريبا[٢].

وقد جمع أثناء رحلاته معلومات كثيرة ودقيقة، ويعد أكبر الجغرافيين العرب وأشهرهم وقد استمد مادته الجغرافية من مصادر مختلفة، وبلغ مكانة مرموقة في البلاط الصقلي وصنع للملك روجر الثاني كرة للأرض من الفضة الخالصة.

٢ـ رحلة ابن جبير: أبو الحسين محمد بن أحمد الكناني رحالة وأديب أندلسي، توفي بالأسكندرية عام ٦١٤هـ، وتعد رحلته من أفضل كتب الرحلات عند العرب، فقد تميز ابن جبير بدقة الملاحظة وضبط القول، وقد أخذ عنه رحالة كثيرون، وقد عاصر ابن جبير الحروب الصليبية[٣].

١- أنور عبد العليم ، الملاحة وعلوم البحار عند العرب عالم المعرفة، المحرم/صفر ١٣٩٩هـ-يناير (كانون ثاني)١٩٧٩م، الكويت، ص٥٥.
٢- غليونجى وآخرون ، موسوعة ..، ص٤٠.
٣- المرجع السابق ، ص٧٣ .

٣ ــ كتاب "تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار" لابن بطوطة وهو أبو عبدالله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي، رحالة وجغرافي مغربي، توفي في مراكش بالمغرب مابين عامي ٧٧١ــ٧٧٩هــ تقريباً. كان ولعاً بالرحلات والأسفار فخرج في الثانية والعشرين من عمره في رحلته الأولى، وبدأت رحلاته الطويلة التي زار فيها كل بلدان العالم الإسلامي في آسيا وشرقي أوروبا. والتي قيل أنه قد قطع فيها ١٢٠,٠٠٠كم وأمضى فيها ٣٨ سنة، وفي رحلته أبدى اهتماماً ببعض المزارات البدعية، ويورد بعض القصص الخرافية([1]).

٤ ــ كتاب "مرآة الحرمين" لإبراهيم رفعت باشا المتوفي عام ١٣٥٣هــ، مؤرخ مصري، من أمراء الحج العسكريين، ولد في أسيوط، وتخرج بالمدرسة الحربية بالقاهرة، ولي إمارة الحج ثلاث مرات، ومنح رتبة "لواء" وهي رتبة عسكرية([2]).

ــ وغير ذلك من كتب الرحلات الهامة إلى أرض الحجاز الشريف، التي أفدت منها في نواحي عدة منها تحديد حدود الحجاز وطرق الحج ، وأوضاع محطات الحجاج.

ــ ومن أهم مصادر القسم الثالث:(مصادر التاريخ الإسلامي العام ، والأنساب):

١ ــ تاريخ الأمم والملوك للطبري: أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، مؤرخ وفقيه طبرستاني (٢٢٤/٣١٠هــ) وضمن مؤلفه تاريخ الأمم والملوك أو "أخبار الرسل والملوك" تاريخ العالم منذ بدء الخليقة حتى عصره. وهو يسير على النظام الحولي بدءً من السنة الأولى للهجرة حتى سنة٣٠٢هــ([3]).

١-غليونجي وآخرون، موسوعة العلوم..، ص ٥٩.
٢- الزركلي ، خير الدين ، الأعلام ، الطبعة الرابعة عشر،١٩٩٩، دار العلم للملايين ، بيروت ،ج ، ص ٣٩ .
٣-السلمي ، منهج كتابة التاريخ الإسلامي ، ص٥٣٦.

٢ ــ الكامل في التاريخ لابن الأثير: عزالدين أبو الحسن علي بن محمد، مؤرخ وأديب عراقي، توفي بالموصل في عام ٦٣٠هـ، وكتابه هذا من أهم كتبه، واعتمد فيه على الطبري في الأجزاء السبعة الأولى، وفي الخمسة الباقية على مؤلفين مختلفين، ويتناول "الكامل" من تاريخ بدء الخليقة حتى عام ٦٢٦هـ، وأفضل ماتعرض له من أحداث زمانه، نهايات الحروب الصليبية وبداية الغزوات المغولية للتتار([1]).

٣ ــ كُتب المقريزي: أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي بن علاء الدين بن محي الدين بن تميم الحسيني، مؤرخ وموسوعي مصري توفي عام ٨٤٦هـ، ومنها:

(١) اتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء.

(٢) السلوك في معرفة دول الملوك.

(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار.

ومصنفات أخرى له([2]).

وغير ذلك من كتب التاريخ الإسلامي العام الهامة أيضاً.

وفي مجال الأنساب:

١ ــ الأنساب: للسمعاني: الإمام أبي سعد عبدالكريم بن محمد ابن منصور التميمي السمعاني، المتوفي ٥٦٢هـ، وهو كتاب مهم في مجاله، وقد لخصه عزالدين أبو الحسن علي بن محمد بن الأثير الجزري المتوفي سنة ٦٣٠هـ زاد فيه أشياء واستدرك على مافاته وسماه "اللباب" وانتهى منه سنة ٦١٥هـ. ولخصه السيوطي وجرده عن المنتسبين

١-غليونجى وآخرون ، موسوعة العلوم ..، ص٤٠ .

٢- المرجع السابق ، ص١٦٥ .

وزاد عليه أشياء وسماه "لب اللباب" وفرغ منه في سنة ٨٧٣هـ([1]).

٢ ـ كتاب "البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب" للمقريزي (ت٨٤٦). وغير ذلك من المصادر والمراجع الهامة في مجال الملاحة والأنساب.

٣ـ كتاب "سبائك الذهب في معرفة قبائل العرب" للشيخ أبي الفوز محمد أمين البغدادي الشهير بالسويدي من علماء العراق، ولد ببغداد، وتوفي في بريدة (بنجد) عائداً من الحج حوالي عام ١٢٤٦هـ([2]).

وقد أفدت من كتب الأنساب في معرفة القبائل العربية ومواطنها في شرق إفريقية.

ـ ومن أهم مصادر التاريخ المحلي لمكة والمدينة:

١) ـ كتب الفاسي: وهو الإمام تقي الدين أبي الطيب محمد بن أحمد الفاسي الحسني المكي، إمام الحرم، المتوفى ٨٣٢ هـ، ويعد كتابه العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين من أوفى المصادر لتراجم وأعيان أهل مكة، ومن سكنها أو مات بها من الصحابة والرواة والفقهاء والولاة والأعيان وغيرهم، في مدة ثمانية قرون ([3]).

٢) ـ كتاب ابن فهد: (إتحاف الورى بأخبار أم القرى) وهو محمد بن محمد بن محمد بن فهد القرشي

١- الباroudي ، عبد الله عمر ، محقق كتاب الأنساب للسمعاني ، (المقدمة)، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ-١٩٩٨م ، دار الفكر ، بيروت ، ص٩.

٢- الزركلي ، الأعلام ،ج٦ ، ص ٤٢.

٣- عطا ،محمد عبد القادر أحمد ، محقق كتاب (العقد الثمين ..للفاسي) " المقدمة" ، الطبعة الأولى ، ١٤١٩- ١٩٩٨، دار الكتب العلمية ، بيروت، ص٣ .

الهاشــمي المكي، وقد اشتهر بعمر، وترجمته كتب التراجم ضــمن من اسمه عمر المتوفى ٨٨٥هـ، ومن منهجه في هــذا الكــتاب ترتيب الحوادث على السنين من مولد النبي صــلى الله عليه وآله وسلم مع الاهتمام ببيت الله الحرام، وكل مايحدث بشأنه منذ واقعة الفيل حتى سنة ٨٨٥هـ ، وهو مطبوع[١].

٣) ـ كــتاب السمهودي: (وفاء الوفاء بأخبار دار المصطفى) وهــو: العلامــة نورالديــن علــي بــن أحمد السمهودي المصــري، نزيل المدينة المنورة، المتوفى عام ٩١١هـ ، وهو مطبوع [٢].

وكتــب أخــرى فــي تاريخ مكة والمدينة حرسهما الله جل جلالــه. وقــد أفــدت مــنها في مجريات الأحداث الداخلية في الحجاز.

وكذلــك عــدد مــن الرسائل العلمية القيمة والدوريات النافعة ذات الأبحاث الجادة.

١- شلتوت ،فهيم محمد ، محقق كتاب (إتحاف الورى بأخبار أم القرى – لابن فهد)، جامعة أم القرى ، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي ، كلية الشريعة ، مكة المكرمة ، ص٨.

٢- عبد الحميد ، محمد محي الدين ، محقق كتاب (وفاء الوفاء للسمهودي) ،الطبعة الرابعة ،١٤٠٤-١٩٨٤ ، دار إحياء التراث العربي ، بيروت، ص٢ .

خطوات البحث ومنهجه

أولاً : القيام بالقراءة الأولية حول الموضوع بصفة عامة، وذلك من خلال الجمع والاطلاع على عدد وافر من المصادر والمراجع المختلفة.

ثانياً : الدراسة الميدانية، فهي الوسيلة لمن يتصدى لدراسة مثل هذه المناطق، ولاستكمال نقص المادة العلمية، وبرفقتي أدوات البحث الميداني:

أ) ـ خطاب الجامعة إلى من يهمه الأمر لتسهيل مهمتي.

ب) ـ كراسة لتدوين الملاحظات والمشاهدات والتعليقات.

جـ) ـ خريطة للموانىء المزارة.

د) ـ آلة تصوير فوتوغرافي.

وكانت الخطة كمايلي:

(١) ـ زيارة ميدانية لمواقع الموانىء التالية:

أـ العقبة ب ـ ينبع ج ـ الجار دـ جدة هـ ـ الشعيبة دـ السرين

(٢) ـ السفر إلى خارج المملكة العربية السعودية لجمع المادة العلمية.

أ) ـ السفر إلى مصر وتمت فيه زيارة الجهات العلمية والرسمية التالية:

١ ـ جامعة عين شمس ٢ـ جامعة القاهرة ٣ـ معهد المخطوطات ٤ـ المعهد الفرنسي للدراسات الشرقية ٥ـ الهيئة العامة للمساحة المصرية.

ب) ـ السفر إلى الأردن وتمت فيه زيارة الجهات العلمية والرسمية التالية:

١ـ الجامعة الأردنية ٢ـ إدارة متحف قلعة العقبة (المملوكية)

٣ـ الوقوف على مدينة أيلة الإسلامية الأثرية.

(٣) ـ التنقل داخل المملكة العربية السعودية:

أ) ـ السفر إلى المدينة المنورة: زيارة مكتبة الملك عبدالعزيز العامة.

ب) ـ السفر إلى مدينة ينبع والاطلاع وتصوير بعض المواقع التاريخية في ينبع النخل.

جـ) ـ ومن ينبع توجهت إلى ميناء الجار، وصورت موقعه الأثري.

د) ـ السفر إلى الرياض ومراجعة الجهات العلمية والرسمية التالية:

١ـ مركز الملك فيصل للبحوث والدراسات الإسلامية. ٢ ـ مكتبة الملك فهد الوطنية. ٣ـ مكتبة الملك عبدالعزيز العامة. ٤ـ مدينة الملك عبدالعزيز للعلوم والتقنية. ٥ـ جامعة الملك سعود. ٦ـ جامعة الأمام محمد بن سعود. ٧ـ دارة الملك عبدالعزيز. ٨ـ وزارة البترول والثروة المعدنية. ٩ـ وزارة المواصلات. ١٠ـ وزارة الخارجية.

هـ) السفر إلى جدة:

١) ـ جامعة الملك عبدالعزيز. ٢) ـ دار الوثائق الوطنية التابع لأمانة مدينة جدة.

و) ـ التوجه إلى الشعيبة:

والوقوف على ميناء الشعيبة التاريخي وتصويره فوتوغرافياً.

ز) ـ التوجه إلى السرين:

والوقـوف علـى موقع ميناء السرين التاريخي وتصويره فوتوغرافياً.

(٤) ـ زيارة مراكز البحث في مكة البلد الأمين:

كانـت الـزيارات متكررة من بداية البحث والدراسة حتى نهايـتها بفضـل الله. ومنها: ١ ـ جامعة أم القرى. ٢ـ مكتـبة الحرم المكي. ٣ـ مكتبة مكة المكرمة. ٤ـ مكتبة نادي مكة الأدبي.

ثالـثاً : مرحلة: فرز وتصنيف المادة العلمية التي جمعت على أشـكال عـدة علـى رأسها البطاقات، وكذلك المصورات، والملخصات.

رابعاً : مرحلة التحليل والتفسير وكتابة متن الرسالة:

وكـان الهـدف مـن هـذه المرحلة الختامية توضيح دور الموانـىء والثغور الحجازية خلال الفترات التاريخية المتعددة كمنافذ ومعابر للدعوة والحج والهجرات والجهاد في سبيل الله، والملاحة والتجارة، ونقل مؤن عمارة الحرمين الشريفين.

ونظراً لطبيعة هذه الدراسة التاريخية الحضارية المتشعبة، فقـد فرض موضوع البحث استخدام أكثر من منهج علمي، فقد اسـتخدمت المنهج التتبعي الاستقرائي، والمنهج الوصفي لبيان وصـف وتطـور الأحـداث المرتـبطة بالموانئ والربط بينها، والمنهج التحليلي متبعاً في ذلك سمات المنهج العلمي الإسلامي المتمثل في:

١ـ استعمال الدليل والوثيقة بعد التأكد من صحتها.

٢ـ حسـن الاستدلال باتباع التنظيم والترتيب الملائم مع حسن العرض وتحرير المسائل.

٣ــ الإيمان بكل مادل عليه الكتاب والسنة.

٤ــ الأمانـــة فـــي استقصـــاء الأدلـــة مع الجمع والترجيح بين الـــروايات المخـــتلفة وفقـــاً للقواعد المقررة مع الاستعانة بأقوال العلماء الثقات.

٥ــ بـــيان المصادر والمراجع التي آخذ عنها مع الضبط المتقن في نقل الأقوال ونسبتها لأصحابها.

٦ــ الاعـــتماد على النصوص الشرعية والحقائق العلمية وعدم الارتباط بالأوهام والطلسمات والظنون والتحرر من ذلك.

٧ــ التجرد من الهوى والميل الذاتيين.

٨ــ تحكيم اللغة والالتزام بقواعدها وبدلالة الألفاظ.

٩ــ عدم قبول المتناقضات، وتقديم المباديء على الرجال.

١٠ــ حســـن الأدب مع كلام الله سبحانه وتعالى، ومع الأنبياء والعلمـــاء، والابتعاد عن التجريح الشخصي، والاقتصار في النقد على بيان الأخطاء[١].

---

(١) محمد بن صامل السلمي: منهج كتابة التاريخ الإسلامي، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ، ١٩٩٨م، مكة المكرمة، دار الرسالة العلمية، ص ١٣٩.

خطة البحث

قسمت الرسالة إلى مقدمة وأربعة فصول وخاتمة وملاحق، وحيث أن موضوع الدراسة واسع ويشمل منطقة كبيرة وزمناً طويلاً، فقد اجتهدت أن أسير على طريقة تجمع شتات الموضوع وهي الوحدة الجغرافية لثغور الحجاز. وللحديث عن ثغور الحجاز اقتضت طبيعة البحث أن أجعل الفصل الأول عن حدود الحجاز الجغرافية والتاريخية وآراء الفقهاء القدامى والمحدثين في حدود الحجاز التاريخية، وبيان فضل الحجاز وساكنيه في العصور الأولى من البعثة المحمدية على صاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم، ثم بيان أهمية البحر الأحمر الذي تقع عليه ثغور الحجاز التي هي موضوع الدراسة.

أما الفصل الثاني: فقد عالج النقاط التالية:

١ـ تعريف الثغر. ٢ـ الموقع الجغرافي والنشأة التاريخية لكل ثغر على حدة (مع ذكر أبرز من انتسب إليه من العلماء والمحدثين). ٣ـ عرض لأهم الأحداث السياسية والعسكرية عرضاً تسلسلياً حسب ترتيب السنوات بدءً من [البعثة النبوية (والهجرة إلى الحبشة تحديداً) حتى سقوط دولة المماليك عام ٩٢٣هـ] والتي ارتبطت بالثغور الحجازية، ورأيت من الأنسب أن أتبع في الدراسة أسلوب الوحدة الجغرافية؛ وعرض الأحداث عرضاً تسلسلياً زمنياً مع ملاحظة أنني تعمدت تأجيل الحديث عن الوضع الاقتصادي إلى الفصل الثالث لارتباطه به بشكل مباشر إلا ما قد يرد بشكل غير مباشر.

أما الفصل الثالث: فقد عالج أخبار الملاحة وعقباتها في البحر الأحمر، وأهم الأهوال التي تعرض لها الحجاج في هذا البحر خلال الفترة الإسلامية، مع بيان مدى ارتباط المسلمين بالبحر الأحمر حتى نهاية العهد العباسي وانتهاءً بالحديث عن التجارة الشرقية التي ازدهرت في العصور عبر البحر

الأحمـــر التي شكلت العماد الاقتصادي والركيزة الأساسية للأحداث الاقتصادية للبلاد الإسلامية المطلة على ساحلي البحر الأحمر شعوباً وحكومات، كان ذلك في المبحث الأول.

وفـــي المبحث الثاني تمت معالجة نشأة صناعة السفن عند المســلمين، وأهم سفن البحر الأحمر، وماتميزت به عن السفن الأخرى، وذكر طاقم السفينة العربية، وانتهاء بأهم أنواع السفن العربية التي أبحرت في البحر الأحمر.

وقـــبل اختـــتام الفصـــل رأيت أنه من المناسب أن أعرض بشيء من الإيجاز للتاريخ الملاحي للمسلمين حتى نهاية القرن العاشر بهدف تكامل العرض التاريخي للملاحة وصناعة السفن في البحر الأحمر.

أمـــا الفصـــل الـــرابع: فقـــد عالجت في المبحث الأول أهم الهجـــرات العربـــية وخاصـــة قبائل الحجاز إلى شرق أفريقية وخاصة (وادي النيل ـــ مصر والسودان ـــ) ودور هذه القبائل في نشر الإسلام واللغة العربية، ودورها في السياسة والتجارة.

وفـــي المبحث الثاني تمت معالجة رحلة الحج عبر الثغور مبيـــناً رأي الـــرحالة العـــرب فـــي موانىء الحج على الساحل الأفريقـــي، ثـــم الحديث عن رحلة الحاج المصري من الفسطاط (القاهـــرة فـــيما بعد) إلى مكة المكرمة مبيناً أهم محطات هذه الـــرحلة ومن ثمَّ ربط رحلة الحاج المغربي من أقاصي المغرب العربـــي والأندلســـي برحلة الحاج المصري لتشكل خطاً واحداً يـــربط المغـــرب بالمشـــرق في رحلة مباركة هدفها تلبية نداء إبراهـــيم الخلـــيل علـــيه الصلاة والسلام للحج آتين من كل فج عميق، لإقامة شعيرة من شعائر الدين الإسلامي.

وفـــي المبحث الثالث: رأيت من المناسب الحديث عن إمرة قافلة الحاج ربطاً بالمبحث السابق وامتداداً للحديث عن المحمل وما اختلف حوله من

آراء في نشأته وما التف حوله من تجاوزات شرعية جعلته مثار خلاف على مدى الأيام والسنين، ومنه للحديث عن دور الثغور الحجازية في نقل مؤن عمارة الحرمين الشريفين، وبالرغم من الاستفاضة عند المؤرخين عن مناحي عمارة وترميم وتجديد الحرمين الشريفين إلا أن المعلومات تقل وتتضاءل بل وتكاد تندر عند الحديث عن دور موانئ الحجاز في كونها معابر وجسور هامة للمؤن ولكسوة البيت الشريف، ولكن بالرغم من ذلك فقد وفقت بفضل الله عز وجل إلى الوصول إلى المعلومات التي ألقت الضوء على هذا الدور، مما سيفتح الباب للباحثين لمزيد من البحث والتقصي في هذا الجانب، لما أراه أنه جانب خصب يستحق البحث والدراسة رغم ندرة معلوماته، مما سيشكل تحدياً للباحث الجاد.

واختتمت هذا الفصل بالحديث عن كسوة الكعبة الشريفة نشأة وعبوراً إلى الحجاز ودور العباسيين والفاطميين والأيوبيين والمماليك والحكومات الإسلامية الأخرى في كسوة بيت الله العتيق.

أما الخاتمة، فقد تم استعراض أهم النتائج التي توصلت لها في دراستي. هذا وقد أرفقت هذه الدراسة بعدد من الملاحق احتوت على عدد من الخرائط الجغرافية عن ثغور الحجاز والبحر الأحمر، وعدد من الصور الفوتوغرافية الملتقطة من المواقع التاريخية للثغور الحجازية، وصوراً لبعض السفن القديمة التي مخرت عباب البحر الأحمر، وكذلك لبعض محطات طريق الحاج المصري.

والله سبحانه وتعالى أسأله التوفيق والسداد، وأن ينفع بدراستي هذه طلاب العلم والمعرفة في أقطاب المعمورة، إنه ولي ذلك والقادر عليه.

شكــــر وتقديـــــر

الشـــكر أولاً لله عـــز وجل على نعمه التي لاتعد ولاتحصى، وفي صـــدارتها نعمـــة الإيمـــان والإسلام، وشرف الانتساب إلى طلب العلم الشـــرعي علـــى مـــنهج أهل السنة والجماعة، وخاصة في مكة البلد الأمين، وفي هذه الجامعة المباركة، فلله الحمد من قبل ومن بعد وعملاً بقول المصطفى الحبيب محمد عليه وآله الصلاة والسلام: "لا يشكر الله من لا يشكر الناس"[١].

أتوجـــه بالشكر والتقدير لأستاذي القدير،فضيلة الدكتور/محمد بن صـــامل السلمي الذي تعهدني بمحض النصح والتوجيه، واكتسبت منه إضـــافة إلى أصول البحث والدراسة، القدرة على الصبر والأناة وحسن الخلق، فجزاه الله عني خير الجزاء.

وســـيظل جميلـــي موفـــوراً لزوجتـــي أم الحسين على دعمها لي وصـــبرها ومجاهدتهـــا، وتوفيرها لي الوقت والجهد والراحة في سبيل بحثي ودراستي، سائلاً المولى القدير أن يجزيها عني خير الجزاء.

ولدائـــرة الأهـــل والأحباب والمعارف والزملاء ممن وقفوا ورائي دائمـــاً بكل المحبة والتكريس أرفع شكري وعرفاني. والشكر موصول لكـــل العلمـــاء والباحثين الذين زرتهم أو اتصلت بهم هاتفياً أو بريدياً ووجـــدت منهم كل التجاوب. وكذلك كافة الجهات الرسمية والعلمية في مصر والأردن، وفي وطننا الغالي المملكة العربية السعودية.

كمـــا أتقـــدم بالشـــكر أيضاً للجنة المناقشة الموقرة التي تفضلت مشـــكورة بقـــبول دراسة وتقويم هذه الرسالة، وأسأله سبحانه وتعالى التوفيق والسداد إنه سميع مجيب.

---

(١) رواه أبو داود (٥/١٥٧ـ١٥٨ح ٤٨١١) وسكت عليه الترمذي (٤/ ٣٣٩ح ١٩٥٤م) وقال: "حسن صحيح" والطيالسي في مسنده (ص ٣٢٦)، وأحمد "المسند (٥/٢١٢) وابن حيان في صحيحه "الإحسان (١٧٣/٥) والبيهقي في الكبرى) (١٨٢/٦) وإسناده صحيح: تخريج المشكاة رقم (٣٠٢٥) وصحيح الجامع، رقم (٦٦٠١).

الفصل الأول

- تحديد إقليم الحجاز
- الحجاز ـ مكانته وفضله ـ
- الثناء على أهل الحجاز
- البحر في القرآن والسنة
- أهمية البحر الأحمر

الحجـــــــــاز

مدخـــــــل :

ما أن يذكر الحجاز إلا وتتوق النفوس شوقاً إلى تلك الديار المقدسة. فهو عند المسلمين في موقع القلب من الجسد؛ وموقع النون من العين، ففيه بيت الله الحرام وكعبته المشرفة، ومشاعر الحج، منى وعرفات ومزدلفة، وفيه مسجد المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم ومرقده الشريف.

وفي الجاهلية سارت بين شعابه وفي بطون أوديته رحلتا الشتاء والصيف، وفي الإسلام كان الحجاز محور الاهتمام ونقطة الارتكاز لكثير من الأحداث.

فأرضه استقبلت رسالة الإسلام الخالدة فنزلت آيات الذكر الحكيم، وترددت أحاديث النبي الكريم وجرت غزوات وسرايا نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم.

ومن الحجاز انطلقت رايات أصحاب محمد صلى الله عليه وآله وسلم لنشر دين الله الحق المبين، وإلى الحجاز يأرز الإسلام وأهله كما تأرز الحية إلى جحرها.

وسوف نتناول الحديث في هذا الفصل عن الحجاز من حيث تعريفه؛ وتحديده، وبيان مكانته، وفضله، وعن بحر الحجاز الذي تقع على شواطئه ثغور الحجاز التي هي موضوع الدراسة.

تحديد إقليم الحجاز:

التعريف اللغوي:

في مادة حجز من "لسان العرب" قال: الحجز: الفصل بين الشيئين، حَجَز بينهما يحجز حجزاً فاحتجز؛ واسم ما فصل بينهما الحاجز. وقيل: الحجز أن تحجز بين متقاتلين، والحجاز الاسم، وكذلك الحاجز. ومن ذلك قول الله تعالى: {أمن جعل الأرض قراراً وجعل خلالها أنهاراً وجعل لها رواسي وجعل بين البحرين حاجزاً أءله مع الله بل أكثرهم لا يعلمون}(١) الآية

حاجزاً أي بمعنى حجازاً بين ماء مالح وماء عذب لا يختلطان. ويعنى الحجاز أيضاً في لغة العرب الحبل الذي يلقى للبعير من قبل رجليه ثم يناخ عليه ثم يشد به رسغا رجليه الى حقويه وعجزه، فيقال منه حجزت البعير أحجزه حجزاً، فهو محجوز.(٢)

ويرى ياقوت أن الحجاز بكسر الحاء وآخره زاي، وينقل عن الانباري أن في الحجاز وجهين يجوز أن يكون مأخوذاً من قول العرب حجز الرجل بعيره يحجزه إذا شده شداً يقيده به، ويقال للحبل حجازاً، ويجوز أن يكون سمي حجازاً يحتجز بالجبال، يقال: احتجزت المرأة إذا شدت ثيابها على وسطها واتزرت.(٣)

ومن هذا يتبين أن المعنى اللغوي للحجاز عند العرب يعني الفصل بين الشيئين، وهي كما ترى لا تختلف في مجملها

---

(١) سورة النمل آية رقم (٦١).

(٢) أبي الفضل جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي المصري: مادة حجز، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت، ج٥، ص٣٣١-٣٣٣

(٣) أبو بكر ابن يعقوب بن عبدالله شهاب الدين البغدادي الحموي الرومي: معجم البلدان، المجلد الثاني، دار صادر، بيروت، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص٢١٨-٢١٩

ومؤداها عن الحجز والمنع والفصل وذلك ماينطبق جغرافياً على الحجاز.

التحديد الجغرافي:

نعرض فيما يلي جملة من الآراء لعدد من الفقهاء والجغرافيين والمؤرخين من المتقدمين والمتأخرين والمعاصرين. التي تحدد المقصود من الحجاز جغرافياً.

يرى الأمام الشافعي رحمه الله (ت ٢٠٤) أن الحجاز مكة والمدينة واليمامة ومخاليفها كلها، ولا يحب دخول مشرك بلاد الحجاز، ولا يقيم الذمي أكثر من ثلاث ليال، لكنه لايرى مانعاً من أن يركب أهل الذمة بحر الحجاز، ويمنعون من المقام في سواحله، وكذلك إن كانت في بحر الحجاز جزائر، وجبال تسكن منعوا سكناها لأنها من أرض الحجاز.[١]

ويذكر عرام السلمي (المتوفى في القرن الثالث الهجري) أن الحجاز من معدن النقرة[٢] إلى المدينة، فنصف المدينة في رأيه حجازي ونصفها تهامي.[٣]

وهو يشير بذلك إلى جزء من الحد الشرقي للحجاز في رأيه.

(١) الأم، ج٤، ص١٧٧-١٧٨.

(٢) معدن النقرة: من منازل درب الحاج العراقي وتقع بين الحاجر ومغيثة الماوان والربذة. انظر: البلدان لليعقوبي ص,٣١٢ والمسالك والممالك لابن خرداذبه ص١٢٧، ، والإدريسي: نزهة المشتاق، ج١، ص١٦٣، والمغانم المطابة في معالم طابه للفيروز أبادي، ص١٥١ تعليق حمد الجاسر.

(٣) كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها: تحقيق عبدالسلام هارون، الطبعة الأولى، ١٣٧٣، مطبعة أمين عبدالرحمن، القاهرة، ص٥٢.

أما الهمداني (ت٣٣٤هـ) فيرى أن جبل السراة من أعظم جبال العرب ويمتد من قعرة اليمن حتى أطراف بوادي الشام لذا أسماه العرب حجازاً لأنه حجز بين الغور (أي تهامة) وبين نجد، فصار ماخلف ذلك الجبل في غربيه إلى أسياف البحر من بلاد الأشعريين وعك وحكم وكنانة وغيرها، ودونها إلى ذات عرق[١] والجحفة، وما صاقبها وغار من أرضها، وأما ما احتجز به في شرقيه من الجبال وانحدر إلى ناحية فيد وجبلي طيء إلى المدينة وراجعاً إلى أرض مذحج من تثليث وما دونها إلى ناحية فيد حجازاً.[٢]

ويحدد الإصطخري (ت٣٤٠هـ) الحجاز بأنه ماكان من حد السرين على بحر فارس[٣] إلى قرب مدين راجعاً في حد المشرق على الحجر إلى جبلي طيء ممتداً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس فمن الحجاز.[٤]

---

(١) ذات عرق: عرق الجبل المشرف على ذات عرق، وهو الحد بين نجد وتهامة، وتقع ذات عرق في الضريبة، انظر البلادي: معجم معالم الحجاز، ج٥، ص١٩٩، ج٦، ص٧٧.

(٢) الحسن بن أحمد بن يعقوب : صفة جزيرة العرب، تحقيق محمد بن علي الأكوع، مكتبة الارشاد، صنعاء، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م، ص ٨٥.

(٣) إطلاق تسمية بحر فارس على البحر الأحمر من جملة تسميات أطلقت على البحر الأحمر عند الاصطخري وابن حوقل والمقدسي؛ ويرى الأخير أن سببها أن أكثر صناع المراكب وملاحيها فيه كانوا فُرساً. مع العلم أن الجغرافيين الثلاثة من الذين عاشوا في القرن الرابع الهجري "العاشر الميلادي"، انظر المقدسي: أحسن التقاسيم، ج١، ص١٨.

(٤) ابن إسحاق إبراهيم بن محمد : المسالك والممالك، تحقيق محمد جابر الحسيني، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ - ١٩٦١م، ، ص١٩-٢١.

ونفس التحديد يراه ابن حوقل (ت٣٦٧هـ) بالنص.(١)

وينقل البكرى (ت٤٨٧هـ) جملة من الآراء حول تحديد الحجاز ومنها أن ذات عرق فصل مابين تهامة ونجد والحجاز، والحجاز: ماحجز فيما بين اليمامة والعروض، وفيما بين اليمن ونجد، كما أن الحجاز اثنتا عشرة داراً: المدينة، وخيبر وفدك، وذو المروة، ودار بلي، ودار أشجع ودار مزينة، ودار جهينة، ودار بعض بني بكر بن معاوية، ودار بعض هوازن، وجل سُليم، وجل هلال. وحد الحجاز الأول بطن نخل وأعلى رُمة وظهر حرة ليلى. والثاني مما يلي الشام: شغب وبدا. والثالث مما يلي تهامة وبدر والسقيا ورُهاط وعكاظ. والرابع ممايلي ساية وودان، ثم ينعرج إلى الحد الأول بطن نخل وأعلى رُمة. ومكة من تهامة، والمدينة من الحجاز.(٢) وهو يشير بذلك إلى السراة. كذلك الحال بالنسبة لياقوت (ت٦٢٦هـ) الذى يرى أن الحجاز يمتد من تخوم صنعاء من العبلاء وتباله إلى تخوم الشام، كما يذكر قولاً آخر أن فلسطين من الحجاز.(٣)

ولابن المجاور (ت٦٩١هـ) رأي في تحديد الحجاز يلتقي فيه مع الاصطخري من أنه يمتد من السرين على بحر فارس إلى قرب مدين إلى حد الشرق على هجر إلى جبلي طيء ممتداً على ظهر اليمامة إلى بحر فارس من الحجاز.(٤)

أما الفاسي فإنه يناقش الآراء حول تحديد الحجاز ويفند بعضها مثل القول أن نجران من مخاليف مكة مشيراً إلى أن

(١) وانظر أبي القاسم النصيبي: كتاب صورة الأرض، الطبعة الثانية، القسم الاول، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨م، ص١٩-٢٠.

(٢) أبي عبيدالله عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي: معجم ما استعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق مصطفى السقا، الطبعة الأولى، ١٣٦٤هـ - ١٩٤٥م، القاهرة، ج١، ص٩-١١.

(٣) معجم البلدان، ج٢، ص٢١٩.

(٤) جمال الدين أبي الفتح يوسف بن يعقوب بن محمد الشيباني الدمشقي: صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز المسماة "تاريخ المستبصر"، طبع في ليدن، إبريل ١٩٥١م، تحقيق أو سكر لوفغرين، ص٤٠.

نجران ليست من الحجاز وإن كانت من مخاليف مكة وينفي أيضاً أن تكون بلاد بجيلة[١] من الحجاز. ويؤيد رأي الإمام الشافعي في تحديد الحجاز.[٢]

ولا يختلف رأي الحميري (ت٩٠٠هـ) في تحديد الحجاز عن الهمداني أو البكري أو ياقوت بل هو تكرار ونقل لأقوالهم.[٣]

ويؤكد العياشي الذي حج عام (١٠٧٤هـ) في رحلته أن العقبة هي (أول أرض الحجاز ... فإن من هنالك تخالف الأرض ماقبلها وتباين الجبال ماسواها ويشتد شبهها بجبال الحجاز السود ويتقوى الحر وتسترمل الأرض)[٤].

ويقدم السنجاري (ت١١٢٥هـ) تحديداً عاماً غير دقيق مدخلاً اليمامة واليمن ومخاليفها في الحجاز.[٥]

من خلال العرض السابق لأهم آراء المتقدمين من الفقهاء والجغرافيين والمؤرخين. في تحديد إقليم الحجاز، ورغم التفاوت الظاهر بين بعض الآراء في دقة التحديد الا أن من المتفق عليه بينهم أن جبال السراة، تمثل الحجاز من حيث الوصف الجغرافي وتمتد من بادية الشام إلى تخوم اليمن، وينحصر مسمى الحجاز التاريخي من جنوب الطائف في السراة، والسرين في الساحل حتى العقبة وجبال الشراة في

---

(١) بلاد بجيلة: السراة الواقعة جنوب الطائف إلى تربة وتسمى ديار بني مالك، انظر البلادي: معجم قبائل الحجاز، الطبعة الثانية، دار مكة، ١٤٠٣هـ، ص٣٥.

(٢) تقي الدين محمد بن أحمد: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة نزار الباز، ج١، ص٦٩-٧٢.

(٣) محمد بن عبدالمنعم : الروض العطار في خبر الاقطار، تحقيق احسان عباس، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، مكتبة لبنان، بيروت، ص١٦٣-١٦٤.

(٤) عبدالكريم كريم: بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة، مجلة التاريخ العربي، العدد الخامس، شتاء ١٤١٨هـ - ١٩٩٨م، تصدر عن جمعية المؤرخين المغاربة، ص١٠٥.

(٥) علي تاج الدين بن تقي الدين : منائح الكرم في تاريخ مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق جميل المصري، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، ج١، ص٢٠٥.

تخوم الأردن، وساحل البحر بين العقبة شمالاً والسرين جنوباً يسمى تهامة الحجاز وهو جزء منه وتقع مكة في تهامة والمدينة في الحجاز.

ويظهر الاختلاف كثيراً في الحد الشرقي الا أن الرأي المتفق عليه أن شرقي السراة وما سال من ذات عرق شرقاً يسمى نجداً.

وفيما يلي عرض لأهم آراء المؤرخين والجغرافيين والفقهاء المتأخرين والمعاصرين:

يذكر فؤاد حمزة أن جبال السراة هي التي تقسم جزيرة العرب إلى قسمين شرقي وغربي، وهي محاذية لساحل البحر الأحمر من شمال مدين إلى اليمن، وقد سميت حجازاً لأنها حجزت بين ساحل البحر الأحمر وهو هابط عن مستواها وبين النجاد الشرقية المرتفعة بالنسبة إلى الساحل الغربي، وقد سمى القسم الهابط عن مستوى الحجاز إلى الغرب بتهامة، وسمي القسم الشرقي منه نجداً.(١)

ويستعرض عمر رضا كحالة مجموعة من التعاريف والآراء حول تحديد الحجاز جغرافياً.

فيقول: الحجاز يقع في الناحية الشمالية الغربية من شبه جزيرة العرب وهو إقليم مستطيل اختلف في حدوده السياسية باختلاف العصور والدول كما تعددت الأقوال في حدوده الطبيعية" وينقل رأياً لحافظ وهبه من أن الحجاز يمتد من معان ماراً برأس خليج العقبة إلى نقطة بين الليث والقنفدة على شاطئ البحر الأحمر كما ينقل عن شرف البركاتي الذي يحدد الحجاز غرباً بالبحر الأحمر وشرقاً بالبادية الكبرى وجنوباً بلاد قبيلة بني مالك بجبل السراة ووادي دوقة على الساحل، وشمالاً من جهة البحر الأحمر العقبة.

---

(١) قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ، مكتبة النصر الحديثة، الرياض، ص١٧.

أما أمين الريحاني فيوضح حدود الحجاز في جهة الغرب بالبحر الأحمر وفي الشمال بالعقبة وفي الجنوب بالقنفذة وجبال عسير، أما في الشرق فيرى أنها مختلف عليها وغير معروفة تماماً في رأيه.(١)

ويرى صالح العلي أن القول بأن السراة هي الحجاز غير وافٍ ولا دقيق، فمن المعروف أن بعض أقسام السراة وخاصة ما كان فيها في الجنوب والشمال لاتسمى حجازاً وإن مسمى الحجاز يتركز في وسط السلسلة، وبعد عرض ونقاش لآراء المؤرخين والجغرافيين المتقدمين ينتهي إلى أن الرواة العرب أدركوا الأسس الجغرافية لتحديد الحجاز فاعتبروه الحد الفاصل بين تهامة ونجد غير أن التوسع في الجهة الشرقية كان متأثراً بالتنظيمات الإدارية في زمان كل مؤلف.(٢)

ويقدم أحمد الشريف تحديدًا للحجاز لعله أكثر وضوحاً حيث يرى أن الحجاز في العرف لايقتصر على الجبال الممتدة من خليج العقبة إلى عسير بل يشمل تهامة. ويقدر المسافة من الشمال إلى الجنوب بـــ سبعمائة ميل طولاً، ومائتين وخمسين ميلاً عرضاً. إلا أنه ينبغي الإشارة إلى أن هذه الأطوال قد تتفاوت من موقع إلى آخر بحسب قرب الجبال وبعدها عن البحر، ويشمل القسم الشمالي من الحجاز في رأيه أرض مدين "وحسمي"، وهي الجبال الواقعة شمال تبوك مما يلي أيلة "العقبة".(٣)

ويرى الباحث المعاصر عاتق البلادي أن أوسط الأقوال في تحديد الحجاز أنه يمتد من الشراة في الأردن إلى حَلِي، وتثليث،

---

(١) جغرافية شبه جزيرة العرب، راجعه أحمد علي، الطبعة الثانية ١٣٨٤هـ/ ١٩٦٤م، مكتبة النهضة الحديثة، مكة، ص١٢٩-١٣١.

(٢) انظر: الحجاز في صدر الإسلام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠ م، مؤسسة الرسالة، بيروت، ص٦١-٧٣.

(٣) الحجاز قبيل ظهور الإسلام، بحث في ندوة دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث، الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدون، جامعة الملك سعود، ١٩٨٩/١٤١٠، ج١، ص١٩.

وجرش جنوباً، وتدخل فيه تهامة الممتدة من حلي إلى العقبة، ومن الشرق ينتهي إلى أن خير الأقوال من حدد الحجاز بالقرب من الحناكية.[١]

وفي مقدمة كتابه "معجم معالم الحجاز" يقول: (أما المعالم التي تناولها الكتاب فهي من جنوب الليث جنوباً إلى العقبة والمدورة "سرغ" شمالاً ومن الشرق على الخرمة والموية وحرة كشب ورحرحان ـ شرق الحناكية ـ ثم شرق تيماء إلى الطبَّيق "جوش")[٢] فهذه حدود الحجاز عنده.

وبعد استعراض دقيق لآراء المؤرخين والجغرافيين حول تحديد الحجاز ينتهي بكر أبو زيد[٣] إلى أن الحجاز بالجملة مكة، والمدينة، ومخاليفهما، وتلك الحرار، وما انحاز عنها غرباً إلى ساحل البحر الأحمر.[٤]

---

(١) بين مكة وحضرموت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨٢م، دار مكة، ص ١٦٣ـ١٦٤.

(٢) معجم معالم الحجاز، ج١، ص٩.

(٣) (عضو هيئة كبار العلماء بالمملكة العربية السعودية والفقيه المعروف).

(٤) خصائص جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٤١٨/١٩٩٧، دار ابن الجوزي، الدمام، ص٢٦.

وبعد عرض آراء الباحثين والجغرافيين والفقهاء مبتدأ برأي الإمام الفقيه الشافعي رحمه الله ومنتهياً برأي الشيخ بكر أبو زيد الفقيه المعاصر يتضح لنا أن المدينتين المقدستين مكة والمدينة، ومخاليفهما وحرارهما، وساحل البحر الأحمر من أيلة " العقبة" حتى ميناء السرين جنوب الليث وما يقابل الساحل شرقاً ويسامته من جبال السراة جنوب الطائف هو المقصود بالحجاز. وأما الاختلاف من جهة الشرق فإن للتقسيمات الإدارية عبر العصور أثراً في هـذا الاختـلاف حيث تتسع في زمن وتضيق في زمن آخر، فقد اعتبر الإمام الشافعي اليمامة من الحجاز لأنها كانت في عصره تابعة لوالي الحجاز.

الحجاز "مكانته وفضله"

المكانة: المنزلة ورفعة الشأن، كذلك الفضيلة: تعني الدرجة الرفيعة في الفضل وهي المزية خلاف الرذيلة والنقيصة.

وقد قال تعالى: {وربك يخلق مايشاء ويختار ما كان لهم الخيرةُ سبحان الله وتعالى عما يشركون}(١) فالله وحده يختار من الأماكن والبلاد مايشاء سبحانه، ولا شك أن من الأماكن المختارة والمفضلة أرض الحجاز وقد ثبت عن النبي صلى الله عليه وسلم قوله: " إن الاسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً كما بدأ، وهو يأرز بين المسجدين، كما تأرز الحية في جحرها "(٢) أي بين مسجدي مكة والمدينة.

وحديث جابر أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: "غلظ القلوب والجفاء في المشرق والايمان في أهل الحجاز".(٣)

وقال القاضي عياض: "جدير بمواطن عمرت بالوحي والتنزيل، وتردد بها جبريل، وميكائيل، وعرجت منها الملائكة والروح، وضجت عرصاتها بالتقديس والتسبيح، واشتملت تربتها على جسد سيد البشر، وانتشر عنها من دين الله وسنة رسوله ماانتشر، مدارس آيات، ومساجد وصلوات، ومشاهد الفضائل والخيرات، ومعاهد البراهين والمعجزات، ومناسك الدين، ومشاعر المسلمين، ومواقف سيد المرسلين ومتبوأ خاتم النبيين، حيث انفجرت النبوة، و فاض عبابها، ومواطن مهبط

---

(١) سورة القصص، آية (٦٨).
(٢) صحيح مسلم، بشرح النووي، حديث رقم ٢٣٢ (١٤٦) كتاب الإيمان، باب بيان أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود.، ج١، ص٤٥٣.
(٣) مسلم: رقم ٩٢ (٥٣)، ص٣٠٧، ج١، كتاب الإيمان، باب فضائل أهل الإيمان.

الرسالة، وأول أرضٍ مس جلد المصطفى تُرابها: أن تعظم عرصاتها، وتُنَسَّمَ نفحاتُها".(١)

ومع أن مكة المكرمة والمدينة المنورة هما أهم مدن الحجاز وحواضره إلا أنه يوجد في الحجاز في عهد النبوة وما بعده حواضر أخرى كالطائف وخيبر ووادي العلا. وأقيمت على البحر الأحمر موانئ وثغور ومرافئ عدة لعل من أهمها العقبة وينبع، والجار، وجدة، والشعيبة، والسرين، وعلى امتداد التاريخ الإسلامي ومع توالي الأحداث والأيام، كانت تتقدم مدينة أو ميناء أو مرفأ ويتأخر آخر تبعاً لأحوال العمران، والأحداث التي ارتبطت بالمدينة أو الميناء.

ومكة هي عاصمة الحجاز خاصة، والعالم الإسلامي كافة، وقد اختارها الله عز وجل مكاناً لبيته المحرم فقال تعالى: {إن أول بيت وضع للناس للذي ببكة مباركاً وهدى للعالمين فيه آيات بيناتٌ مقام إبراهيم ومن دخله كان آمناً...}(٢) وقال تعالى على لسان إبراهيم الخليل: {ربنا إني أسكنت من ذريتي بوادي غير ذي زرع عند بيتك المحرم ربنا ليقيموا الصلاة فاجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم وارزقهم من الثمرات لعلهم يشكرون}(٣)

وقال تعالى: {وكذلك أوحينا إليك قرآناً عربياً لتنذر أم القرى ومن حولها...}.(٤)

فسمى مكة أم القرى أي أن القرى كلها ترجع إليها فهي أمها. وقد جعل الله مكة بلداً آمناً وحرماً محرماً فقال تعالى: {أو لم نـمكن لهم حرماً آمناً يُـجبى إليه ثمرات كل شيء رزقا من

---

(١) الشفا بتعريف حقوق المصطفى: تحقيق علي محمد البجاوي، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢، ص٦٢٢-٦٢٣.
(٢) سورة آل عمران، آية ٩٦، ٩٧.
(٣) سورة إبراهيم، آية ٣٧.
(٤) سورة الشورى، آية ٧.

لدنا ولكن أكثرهم لايعلمون}[١] وقال: {أو لم يروا أنا جعلنا حرماً ءآمناً ويتخطف الناس من حولهم...}.[٢]

[وعن أبي شريح أنه قال لعمرو بن سعيد([٣]) وهو يبعث البعوث إلى مكة ائذن لي أيها الأمير أحدثك قولاً قام به النبي صلى الله عليه وسلم الغد من يوم الفتح، سمعته أذناي، ووعاه قلبي، وأبصرته عيناي حين تكلم به: حمد الله، وأثنى عليه، ثم قال: إن مكة حرمَّها الله، ولم يحرمها الناسُ، فلا يحل لامرئ يؤمن بالله واليوم الآخر أن يسفك بها دماً، ولا يعضد بها شجرة، فإن أحدٌ ترخص لقتال رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها فقولوا له: إن الله قد أذِنَ لرسولهِ، ولم يأذن لكم، وإنما أذِنَ لي فيها ساعةً من نهارٍ، ثم عادت حرمتها اليوم كحرمتها بالأمس، وليبلغ الشاهد الغائب. فقيل لأبي شريح: ماقال [لك] عمرو؟ قال: أنا أعلم [بذلك] منك ياأبا شريح! إن مكة (وفي رواية: إن الحرم) لاتعيذ عاصياً، ولا فاراً بدمٍ، ولا فاراً بخُرْبةٍ.[٤]]

[وعن أبي سعيد وأبي هريرة رضي الله عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: لاتُشَدُّ الرحالُ إلا إلى ثلاثة مساجد،

---

(١) سورة القصص، آية ٥٧.

(٢) سورة العنكبوت، آية ٦٧.

(٣) عمرو بن سعيد بن العاص الأموي، أبو أميه الأشدق، أمير أموي كان والي مكة والمدينة لمعاوية وابنه يزيد بُعث لقتال ابن الزبير في سنة ٦٠هـ في مكة وذكره ابن شريح بحرمة مكة، فأبي، وقال: نحن أعلم بحرمتها منك أيها الشيخ. وقتله عبدالملك بن مروان في خلافته عام ٧٠هـ.
انظر الطبري: تاريخ الأمم: ج ص٢٧٤,٣،وانظر الزركلي: الأعلام، ج٥، ص٧٨.

(٤) البخاري: حديث رقم١٠٤، ج١، ص٦٠، كتاب العلم، باب ليبلغ الشاهد الغائب مراجعة وضبط الشيخ محمد علي القطب، والشيخ هشام البخاري، الطبعة الأولى، ١٤١٧، ١٩٩٧، المكتبة العصرية، بيروت.
وخُرْبةٍ تعني: الثقب المستدير، وأيضاً الفساد في الدين، وفي الحديث يراد بها الذي يضر بشئ ما ينفرد به ويغلب عليه مما لاتجيزه الشريعة. انظر لسان العرب، ج١، ص٣٤٩.

المسجد الحرام، ومسجد الرسول صلى الله عليه وسلم، والمسجد الأقصى].(١)

[وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: قال النبي صلى الله عليه وسلم يوم افتتح مكة: لا هِجرَة، ولكن جهادٌ ونيَّةٌ، وإذا استنفرتم فانفروا، فإن هذا بلدٌ حَرَّمَه اللهُ يوم خلق السموات والأرض، وهو حرامٌ بحرمةِ الله إلى يوم القيامة، وإنه لم يحلَّ القتالُ فيه لأحدٍ قبلي [ولا لأحد بعدي] ولم يحل لي إلا ساعة من نهارٍ، فهو حرامٌ بحرمة الله إلى يوم القيامة، لايُعضَدُ شوكهُ، ولا ينفر صَيده ولا يلتقط لقطتهُ، إلا من عرفها، [وفي رواية: إلا لمعرفٍ وفي أخرى: إلا لمنُشِدٍ]. ولا يختلي خلاها. قال العباس: يارسول الله إلا الإذخِرِ؛ فإنه [لابد منه] لِقَينهم ولبيوتهم (وفي طريق آخر فإنه لصاغتنا ولقبورنا، وفي رواية: ولسقف بيوتنا) [فسكت ثم]، قال: إلا الإذخر. [قال عكرمة: هل تدري ما (ينفر صيدها)؟ هو أن تنحيه من الظل وتنزل مكانه].(٢)

[عن جابر رضي الله عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول: "لايحلَّ لأحدكم أن يحمل بمكة: السلاح".(٣)]

أما مدينة المصطفى صلى الله عليه وسلم طيبة الطيبة فقد ورد في فضائلها الكثير من الأحاديث منها على سبيل المثال، [عن أنس رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: المدينةُ حرم، من كذا إلى كذا، لايقطع شجرها، ولايحدث فيها

---

(١) الألباني: مختصر صحيح البخاري: كتاب الصلاة في مسجد مكة والمدينة، باب فضل الصلاة في مسجد مكة والمدينة، حديث رقم ٦١٣، ج١، ص٢٨١.

(٢) الألباني: مختصر صحيح البخاري: كتاب جزاء الصيد، باب لا يحل القتال بمكة، حديث رقم ٨٨٧، ج١، ص٤٢٩.

(٣) المنذري: مختصر صحيح مسلم: تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، كتاب الحج، باب في تحريم مكة وصيدها وشجرها ولقطتها، حديث رقم ٧٦٧، ص٢٠١.

حدثٌ، من أحدث فيها حدثاً [أو آوى محدثاً] فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين.[1]]

[وعن أبي هريرة رضي الله عنه قال: رسول الله صلى الله عليه وسلم: أُمِرْتُ بقريةٍ تأكلُ القُرى، يقولون: يثرب، وهي المدينةُ، تنفي الناس كما ينفي الكير خبث الحديد.[2]]

[عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: إن الإيمان لَيَأرزُ إلى المدينة كما تأرز الحية إلى جحرها.[3]]

[عن سعد رضي الله عنه قال: سمعت النبي يقول: لايكيد أهل المدينة أحدُ إلا أنماع كما ينماعُ الملحُ في الماء.[4]]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: ليسَ من بلدٍ إلا سيطؤهُ الدجال؛ إلا مكة والمدينة، ليس لهُ من نقابها نَقبٌ، إلا عليه الملائكة صافين يحرسونها، [فلا يقربها الدجال ولا الطاعون إن شاء الله] (وفي رواية يجئ الدجال حتى ينزل في ناحية المدينة) ، ثم ترجف المدينة بأهلها ثلاث رجفاتٍ، فَيُخرجُ اللهُ كل كافرٍ ومُنافق.[5]]

(١) الألباني: مختصر صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة، باب حرم المدينة، حديث رقم٩٠١، ج١، ص٤٣٦.

(٢) المصدر السابق: كتاب فضائل المدينة، باب فضل المدينة وأنها تنفي الناس، حديث رقم٩٠٣، ج١، ص٤٣٦.

(٣) المصدر السابق: كتاب فضائل المدينة، باب فضائل المدينة، حديث رقم ٩٠٦، ج١، ص٤٣٧.

(٤) المصدر السابق: كتاب فضائل المدينة، باب : ثم من كاد أهل المدينة، حديث رقم٩٠٧، ج١، ص٤٣٨.

(٥) الألباني: البخاري، كتاب فضائل المدينة، باب لايدخل الدجال المدينة، حديث رقم٩١١، ج١، ص٤٣٨/٤٣٩.

[عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال: مابين بيتي ومنبري روضة من رياض الجنة، ومنبري على حوضي.[1]].

[عن عائشة رضي الله عنها قالت: لما قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة، وعك أبو بكر وبلالٌ [رضي الله عنهما، قالت: فدخلت عليهما، فقلتُ: يا أبت كيف تجدك؟ ويا بلال كيف تجدك؟ قالت] فكان أبو بكرٍ إذا أخذته الحُمىَّ يقولُ:

كل امرئٍ مصبَّحٌ في أهلهِ ... والموت أدنى من شراك نَعلِهِ

وكان بلال إذا أقلع عنهُ الحمى يرفعُ عقيرته يقول:

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلةً ... بــــوادٍ وحولي إذخرٌ وجليلُ

وهــــــل أردن يوماً مياه مجنةٍ ... وهل يبدون لي شامة وطفيلُ

قال اللهمَّ العن شيبة بن ربيعة وعتبة بن ربيعة وأمية بن خلفٍ كما أخرجونا من أرضنا إلى أرض الوباءِ. [قالت عائشة: فجئتُ رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته] قال: اللهم حبب إلينا المدينة، كحبنا لمكة أو أشدَّ اللهم بارك لنا في صاعنا، وفي مدِّنا، وصححها لنا، وانقل حُمَّاها إلى الجحفةِ. قالت: فكان بطحانُ يجري نجلاً تعني ماء آجناً.[2]]

[عن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم "إني أحرم ما بين لابتي المدينة أن يقطع عضاهُها أو يقتل صيدُها وقال: المدينة خيرٌ لهم لو كانوا يعلمون، ولا يدعها أحد رغبة عنها إلا أبدل الله فيها من هو

---

(١) المصدر السابق: كتاب فضائل المدينة، باب لا يدخل الدجال المدينة، حديث رقم٩١٤، ج١، ص٤٤٠.

(٢) الألباني: مختصر صحيح البخاري: كتاب فضائل المدينة، حديث رقم ٩١٥، ج١، ص٤٤٠. (والآجن هو ما تغير لونه وطعمه).

خير منه، ولا يثبت أحدٌ على لأوائها وجهدها إلا كنتُ له شفيعاً أو شهيداً يوم القيامة"[١]].

[عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: نظر رسول الله إلى أحدٍ فقال "إن أحداً جبل يحبنا ونحبه"[٢]].

[عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يأتي مسجد قباءٍ راكباً وماشياً فيصلي فيه ركعتين[٣]].

(١) المنذري: مختصر صحيح مسلم: كتاب الحج، باب تحريم المدينة، حديث رقم٧٧٤، ص٢٠٣.

(٢) المصدر السابق: كتاب الحج، باب أحد جبل يحبنا ونحبه، حديث رقم ٧٨٨، ص٢٠٦.

(٣) المصدر السابق: كتاب الحج، باب في مسجد قباء وفضله، حديث رقم ٧٩٢، ص٢٠٦.

ويرى ابن الجوزي ان سبب توقان النفس إلى مكة ثلاثة أمور منها: دعاء الخليل عليه السلام حين قال: {... فأجعل أفئدة من الناس تهوي إليهم}[١] ومنها: أن الله تعالى ينظر إلى الكعبة ليلة النصف من شعبان فتحن القلوب إليها[٢] ومنها: أن الله تعالى أخذ ذرية آدم بأرض نعمان.[٣]

والإمام مالك رحمه الله يرى أن التفاضل بين مكة والمدينة بسبب تشريف المسجدين الا أنه يؤكد على أفضلية مكة على المدينة. ومالك وأكثر المدنيين (أي علماء أهل المدينة وفقهائهم من التابعين) وأهل مكة والكوفة ومنهم أبو حنيفة وأصحابه وأحمد بن حنبل وسفيان الثوري وحماد وعلقمة وأصحاب الشافعي ذهبوا إلى تفضيل مكة. لحديث النسائي وابن ماجه والترمذي وحسنه وصححه عن عبدالله بن الحمراء، قال رأيت رسول الله على الـحَزْوَرَة فقال: والله إنك لخير أرض الله إلى الله تعالى ولولا أني أخرجت منك ما خرجت (وهو قول عطاء) وهو من أكابر التابعين (وابن وهب وابن حبيب من أصحاب مالك وحكاه الساجي). وفي رسالة الحسن البصري رحمه الله إلى أهل مكة أن الدعاء يستجاب في حرمها وعند البيت والركن الأسود والملتزم وتحت الميزاب، ويُذْكَرُ عن الحسن البصري قوله أنه سمع أن عثمان بن عفان رضي الله عنه أقبل ذات يوم فقال لأصحابه ألا تسألونني من أين جئت؟ قالوا من أين جئت

---

(١) سورة إبراهيم، آية رقم (٣٧).

(٢) هذا القول لا أدري ما مستنده فيه؟ وقد ذكر أهل العلم أنه لم يثبت في فضل ليلة النصف من شعبان حديث (انظر المنار المنيف في الصحيح والضعيف لابن القيم)، تحقيق عبدالفتاح أبو غده، ص٩٩.

(٣) الإمام جمال الدين أبي الفرج عبدالرحمن بن محمد بن علي الجوزي: مثير الغرام الساكن إلى أشرف الأماكن، تحقيق أبو عبدالله محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤١٦-١٩٩٦، دار الكتاب العلمية، ص٣٣.

يا أمير المؤمنين؟ قال مازلت قائماً على باب الجنة، وهو يقصد بذلك قيامه تحت الميزاب للدعاء والذكر.[1]

مع العلم أن الميزاب لم يرد فيه حديث صحيح والقاضي عياض يذكر الأحاديث الضعيفة عفا الله عنا وعنه.

وكما كانت مكة حرسها الله مبدأ الوحي والهداية كانت المدينة طيبة الطيبة نهاية الوحي ومنزل الرسول الحبيب ومرقده الشريف.

وبما أن مكة رَبّت النبي صلى الله عليه وآله وسلم صبياً فقد آوته المدينة نبياً.[2]

---

(١) القاضي عياض: الشفا، شرح الفاضل على القاري، ١٣١٦، ص١٦٢ ـ١٦٨.

(٢) محمد بن سليمان: مفاخرة بين مكة والمدينة، تحقيق محمد الشمشتاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٩/١٩٩٩، دار الآفاق العربية، القاهرة، ص١٣ـ ١٤.

الثناء على أهل الحجاز:

نال أهل هذه الديار من ثناء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ماورد في عدة أحاديث شريفة منها:

[عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "قريش والأنصار وجهينة ومزينة وأسلم وأشجع وغفار، مواليَّ؛ ليس لهم مولى دون الله ورسوله".(١)]

[وقد أثنى نبينا محمد صلى الله عليه وآله وسلم على قريش فقال: "الناس تبع لقريش في هذا الشأن، مسلمهم تبع لمسلمهم، وكافرهم تبع لكافرهم".(٢)]

قال الإمام أبو بكر بن أبي عاصم حدثنا أبو بكر بن أبي شيبة حدثنا وكيع عن سفيان عن ابن خُثيم عن إسماعيل بن عبيد الله بن رفاعة عن أبيه عن جده رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم (إن قريشاً أهل صدق وأمانةٍ، من بغاهم العواثر أكبَّهُ الله لوجهه).(٣)

---

(١) أخرجه البخاري في: ٦١ـ كتاب المناقب: ٢ـ باب مناقب قريش. وانظر الألباني مختصر صحيح مسلم، كتاب فضائل الصحابة، باب دعاء النبي الغفار، باب في فضل مزينة وجهينة وغفار، ص٤٦٢ـ٤٦٣

.

(٢) أخرجه البخاري في: ٦١ـ كتاب المناقب: ١ـ باب قوله تعالى {يا أيها الناس إنا خلقناكم من ذكر وأنثى}، انظر: اللؤلؤ والمرجان في ما اتفق عليه الشيخان، كتاب الأمارة، باب الناس تبع لقريش، حديث رقم ١١٩٣، ج١، ص٢٣٩. وانظر: المنذري: مختصر صحيح مسلم: كتاب الأمارة، باب الخلفاء من قريش، حديث رقم ١١٩٥، ص٣٢٦.

(٣) رواه الأمام أحمد في مسنده (٣٤٠/٤) عن وكيع به. والبخاري في الأدب المفرد(٧٥) والحاكم في مستدركه ٧٣/٤. انظر: لذة العيش في فضائل قريش (عبدالعزيز الراجحي)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، ص ٧٢ـ٧٣. وانظر: السنة لابن أبي عاصم: الطبعة الأولى، ١٤٠٠، تحقيق محمد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت، ج٢، ص٦٣٥.

[وعن أنس رضي الله عنه: أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم رأي صبياناً ونساءً مقبلين من عُرسٍ، فقام نبي الله مُمثلاً، فقال: "اللهم أنتم من أحب الناس إليّ، اللهم أنتم من أحب الناس إليّ" يعني الأنصار.[1]]

[عن زيد بن أرقم رضي الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم "اللهم أغفر للأنصار، ولأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار".[2]]

ذلك يسير من كثير مما ذكره المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم في الثناء على بعض قبائل الحجاز خاصة والجزيرة العربية عامة، وهذا مما يدل على مكانة العرب في الإسلام وأنهم أفضل من غيرهم، وأن محبتهم سبب قوة الإيمان فالذي عليه أهل السنة والجماعة كما يقول ابن تيمية رحمه الله ــ اعتقاد أن جنس العرب أفضل من جنس العجم وأن قريشاً أفضل العرب وأن بني هاشم أفضل قريش، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أفضل بني هاشم فهو أفضل الخلق نفساً وأفضلهم نسباً. وليس فضل العرب، ثم قريش، ثم بني هاشم: بمجرد كون النبي صلى الله عليه وآله وسلم منهم، وإن كان هذا من الفضل، بل هم في أنفسهم أفضل. وبذلك ثبت لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أنه أفضل نفساً ونسباً، وينقل ابن تيمية رحمه الله قول الكرماني صاحب الإمام أحمد في وصفه للسنة التي قال فيها: هذا مذهب أئمة العلم وأصحاب الأثر، وأهل السنة المعروفين، المقتدى بهم فيها، بل يرى أن من خالف شيئاً من هذه المذاهب أوطعن فيها أو عاب قائلها فهو مبتدع خارج عن الجماعة زائل عن منهج السنة، وسبيل الحق، ويرى أن الله تعالى خص العرب ولسانهم بأحكام تميزوا بها، ثم خص قريشاً على سائر العرب بما جعل فيهم خلافة النبوة، ثم

(١) المنذري: مختصر صحيح مسلم: كتاب فضائل أصحاب النبي باب في فضائل الأنصار، ص٤٦١.
(٢) المصدر السابق: ص٤٦١.

خص بني هاشم بتحريم الصدقة واستحقاق قسط من الفيء إلى غير ذلك مما فصله ابن تيمية رحمه الله.(١)

فهذا الحجاز بأرضه وسكانه كان وما زال وسيبقى بإذن الله ذا أهمية بالغة، فقد كان في الجاهلية شرياناً رئيساً من شرايين التجارة العالمية من طرق برية أو بحرية، كما كان الحجاز ذا أهمية كبيرة في الإسلام من عدة نواحٍ أبرزها المكانة الدينية والعلمية ثم الناحية العسكرية والاقتصادية لكونه جسراً يصل مابين بلاد الشام وحوض البحر المتوسط وبين بلاد اليمن والمحيط الهندي، وما يقع على سواحله من مناطق غنية بالمعادن الثمينة، حتى صارت موانئه منازل للتجار وملاجئ لسفنهم المحملة بالخيرات.(٢) وقد تسابقت وتنافست الدول الإسلامية على مدار التاريخ من عهد بني أمية وبني العباس والعبيديين في مصر والأيوبيين والمماليك في جعل الحجاز من ولايتها والاستفادة من موانئه تجارياً، حيث أن قيام دولة الإسلام منح العرب بعامة وسكان الحجاز خاصة الفرص الملائمة تماماً للسيطرة على تجارة البحر الأحمر فأصبح بحراً عربياً خالصاً حتى القرن العاشر الهجري، وانعكس ذلك على ازدياد أهمية مكة والمدينة تجارياً لأنهما احتاجتا إلى منافذ بحرية تصلهما بالعالم المجاور عبر البحر الأحمر.(٣) كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقاً.

فإذا كان الحجاز أساس تاريخ العرب والإسلام ومحوره الذي يدور عليه لذا فإن معرفة مكانته ومكانة الجزيرة العربية أصل من أصول الملة كما يرى العلاّمة بكر أبو زيد، فهي دار

---

(١) انظر اقتضاء الصراط المستقيم: مطبعة الحكومة، ١٣٨٩هـ، مكة المكرمة، ص١٤٨-١٥٤.

(٢) أحمد إبراهيم الشريف: دور الحجاز في الحياة السياسية في القرنين الأول والثاني الهجري، دار الفكر العربي، ص٣ - ٤.

(٣) محمد أحمد الرويثي: التطور المكاني والتاريخي لموانئ شبه الجزيرة العربية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م، المدينة المنورة، ص٧٦.

النصرة والقبلة وحبيبة المسلمين وعدوة الكافرين، فدين الإسلام هو قدر الله في هذه الجزيرة؛ وقاعدة انطلاقاته إلى كل الخليقة في المعمورة، فإذا سلمت الجزيرة العربية والحجاز من الأمراض والعلل بقى الإسلام في حضانة أهله مزدهراً مشعة أنواره؛ ظاهرة شعائره، مؤمنة سبله، وتبقى الجزيرة مركزاً للإسلام، ودار قيادة للأمة الإسلامية، وأهلها قدوة للمسلمين، من ذلك يتضح أهمية هذا الأصل العقدي وضرورة معرفة ما هُجر من خصائصه.(١)

(١) خصائص جزيرة العرب، ص٥-٧.

البحر في القرآن الكريم والسنة مع بيان أهمية البحر الأحمر

البحر في اللغة: الماء الكثير ملحاً كان أو عذباً، وهو خلاف البَرِّ، سمي بذلك لعمقه واتساعه، وقد غلب على الملح حتى قل في العذب.

وسمي البحر بحراً لسعته وانبساطه وقد أجمع أهل اللغة على أن اليم هو البحر.[1] وقد يطلق على النهر بحراً.

وقد وردت لفظة البحر في القرآن الكريم إحدى وأربعين مرة، ولفظ اليم ثمان مرات.

وكان ورودها في آية أو عدة آيات لغرض أو دلالة أو فائدة معينة ومن هذه الأغراض:

أولاً: في سياق الحديث عن النعم التي أنعم الله بها على بني البشر التي لا حصر لها ومن جملتها ما أنعم الله به من خيرات البحار، ففي البحر اللحم الطري كالسمك، وغيره، والحلية التي يلبسها النساء، كالجواهر النفيسة، واللؤلؤ والمرجان، والفلك التي تسير في البحر بأمره سبحانه وتعالى تشق عباب البحر وتحمل الامتعة، والأقوات، كل ذلك مسخر للإنسان ابتغاء فضل الله من الانتفاع بالنعم السابقة والشكر لله وحده، وبيان ما أحله الله له من طعام البحر حتى لو كان مُحرماً "من الإحرام".[2]

فالبحر مصدر هام من مصادر قوت الانسان، وكذلك توفير الطاقة له، فبالنظر لثلاثة مظاهر أبدية في البحر هي حركة أمواج البحر، وفروق درجات الحرارة بين طبقات مياهه ثم لظاهرة المد والجزر فيه. بل أصبح البحر في العصر الحديث

(١) انظر ابن منظور: لسان العرب، مادة بحر، ص٤١-٤٧، ج٤.

(٢) محمد علي الصابوني: صفوة التفاسير، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢-١٩٨١، دار القرآن الكريم، بيروت، ج٢، ص١٢١، ج١، ص٣٦٥.

مصـــدراً للماء العذب بعد تحليته. ولا تقتصر ثروة البحار على الأسماك والأعشاب البحرية كالطحالب بل توجد حيوانات أخرى نافعة للإنسان، وقد يستفيد الإنسان من هياكل تلك الحيوانات أو قشورها أو أصدافها.

والإسفنج في البحر من الكائنات الغريبة التي تعيش حياتها مغمــورة تحت سطح الماء، وتنتشر حقول الإسفنج على القاع لمســافات طويلــة تتراوح مابين ١٥ـــ٥٠م. ويُعرف الاسفنج الـــتجاري بلونه الأسود؛ والمخاطي الملمس أثناء الحياة، ويتم تصنيعه بتنظيفه وتبيضه.

كما أن مياه البحار والمحيطات مصدراً من مصادر الأملاح والمــواد الخام. وقد قدرت كميات المعادن الموجودة في البحار والمحيطات من معدلات تركيزها، فوجد أنها تبلغ نحو ١٥ مليار طــن مــن النحاس، ونحو ٧ تريليون طن من البورون، وعلى نحو ١٥ مليار طن من خام المنجنيز، وعلى نحو ٢٠ مليار طن مــن اليورانيوم اللازم لصناعة القنابل الذرية وعلى نحو ٥٠٠ ملــيون طن من الفضة، وعلى نحو ١٠ ملايين طن من الذهب ويقدر المخزون البترولي بنحو ٤٠٠,٠٠٠ مليون برميل تحت ســطح البحر.(١) تلك بعض نعم الله التي عرفها البشر، ومازال العلم الحديث وسيبقى إلى أن يشاء الله يكتشف ما قدر الله لبني البشر اكتشافه من النعم في ملكوت الله الواسع، ومنها البحار، وما البحر الأحمر إلا واحد من هذه البحار التي تعج بنعم كثيرة لاحصر لها.

ومن هذه الآيات:

قولــه تعــالى: {أحــل لكــم صيد البحر وطعامه متاعاً لكم وللســيارة وحرم عليكم صيد البر ما دمتم حُرماً واتقو الله الذى إليه تحشرون}(٢)

---

(١) انور عبدالعليم: ثروات من البحار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م، ص١٤٨ـ٢٥٥.

(٢) سورة المائدة: آية (٩٦).

وقـــال تعالى: {الله الذي خلق السموات والأرض وأنزل من السـماء ماءً فأخرج به من الثمرات رزقاً لكم وسخر لكم الفلك لتجري في البحر بأمره وسخر لكم الأنهار}[١]

وقال تعالى: {وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً وتسـتخرجوا مـنه حلـية تلبسـونها وترى الفلك مواخر فيه ولتبتغوا من فضله لعلكم تشكرون}[٢]

وقال تعالى: {ربكم الذي يُزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً}[٣]

وقال تعالى: {ولقد كرمنا بني آدم وحملناهم في البر والبحر ورزقـناهم مـن الطيـبات وفضـلناهم علـى كثير ممن خلقنا تفضيلا}[٤]

وقـــال تعـــالى: {ألـــم ترى أن الله سخر لكم مافي الأرض والفلـك تجـري في البحر بأمره ويمسك السماء أن تقع على الأرض إلا بإذنه إن الله بالناس لرؤوف رحيم}[٥]

وقال تعالى: {ألم ترى أن الفلك تجري في البحر بنعمت الله ليريكم من آياته إن في ذلك لآيات لكل صبار شكور}[٦]

وقـــال تعالى: {وما يستوي البحران هذا عذب فرات سائغ شرابه وهذا ملح أجاج ومن كل تأكلون لحماً طرياً وتستخرجون حلية تلبسونها وترى الفلك فيه مواخر لتبتغوا من فضله ولعلكم تشكرون}.[٧]

---

(١) سورة ابراهيم: آية (٣٢).
(٢) سورة النحل: آية (١٤).
(٣) سورة الاسراء: آية (٦٦).
(٤) سورة الاسراء: آية (٧٠).
(٥) سورة الحج: آية (٦٥).
(٦) سورة لقمان: آية (٣١).
(٧) سورة فاطر: آية (١٢).

ثانياً: في سياق الحديث عن دلائل قدرةالله عز وجل والبراهين الدالة على وحدانيته وصفاته القدسية، وعظمته وجلاله وسائر صفات الجلال والجمال، وترد معظمها في سور مكية، تدور موضوعاتها حول العقيدة والتوحيد والرسالة والبعث.[١]

فمشهد الفلك في بحر متلاطم الأمواج ورياح عاتية يمثل أحرج اللحظات لركاب السفينة، ويلف الانسان شعور طاغ بقدرة الله وحده على تسيير الأمور وإنقاذه من هذا الهلاك. فيهتز قلب الإنسان ويتذكر الله ويلجأ إليه ويطلب رحمة الله به.[٢]

كما أن الجَوَار وهي السفن الجارية في البحر كأنها الجبال السائرة في خضم الأمواج المتلاطمة تمخر عبابها وتصل إلى مرادها كل ذلك من دلائل قدرة الله سبحانه وتعالى:

ومن الآيات الدالة على ذلك.

قوله تعالى: {إن في خلق السموات والأرض واختلاف الليل والنهار والفلك التي تجري في البحر بما ينفع الناس وما أنزل الله من السماء من ماء فأحيا به الأرض بعد موتها وبث فيها من كل دابة وتصريف الرياح والسحاب المسخر بين السماء والأرض لآيات لقوم يعقلون}.[٣]

وقال تعالى: {قل من ينجيكم من ظلمات البر والبحر تدعونه تضرعاً وخُفية لئن أنجانا من هذه لنكونن من الشاكرين} [٤]
وقال تعالى: {وهو الذي جعل لكم النجوم لتهتدوا بها في ظلمات البر والبحر قد فصلنا الآيات لقوم يعلمون}[٥]

---

(١) الصابوني: صفوة التفاسير، ج١، ص٣٩٥ـ٣٩٦.
(٢) سيد قطب: في ظلال القرآن، الطبعة العاشرة، ١٤٠٢ـ١٩٨٢، دار الشروق. ج٤، ص٢٢٤٠.
(٣) سورة البقرة: آية (١٦٤).
(٤) سورة الأنعام: آية (٦٣).
(٥) سورة الأنعام: آية (٩٧).

وقال تعالى: {هو الذي يسيركم في البر والبحر حتى إذا كنتم في الفلك وجرين بهم بريح طيبة وفرحوا بها جاءتها ريح عاصف وجاءهم الموج من كل مكان وظنوا أنهم أحيط بهم دعوا الله مخلصين له الدين لئن أنجيتنا من هذه لنكونن من الشاكرين}(١).

قال تعالى: {أمن يهديكم في ظلمات البر والبحر ومن يرسل الرياح بشراً بين يدي رحمته أءله مع الله تعالى الله عما يشركون}(٢)

قال تعالى: {ومن آياته الجوار في البحر كالأعلام}(٣)

وقال تعالى: {وله الجوار المنشآت في البحر كالأعلام}(٤)

ثالثاً: وفي مواضع أخرى تعبر الآيات عن سعة علم الله وإحاطته بما لم يحط به بشر، فالعلم البشري محدود بالقياس إلى العلم الإلهي الذي ليست له حدود، ولذا يورد الله عز وجل في كتابه أمثلة لبني البشر محسوسة، من مثل ماء البحر الذي يراه الإنسان واسعاً وغزيراً، ولكنه على سعته وغزارته محدود، وكلمات الله تمثل العلم الإلهي الذي لاحدود له، والذي لايدرك البشر نهايته.(٥)

كما أن العلم البشري لم يدرك الا مؤخراً وباستخدام تلسكوبات دقيقة أن أعماق البحار تموج بأمواج وتيارات أظلم وأكثف مما بسطحه وهو ما تقرر في الآية التي تتحدث عن ظلمات البحر اللجي.

وكذلك ورد في كتاب الله استحالة انتشار الأملاح من البحار إلى الأنهار العذبة بفضل خاصة الانتشار الغشائي "الأسموزي"

---

(١) سورة يونس: آية (٢٢).
(٢) سورة النمل: آية (٦٣).
(٣) سورة الشورى: آية (٣٢).
(٤) سورة الرحمن: آية (٢٤).
(٥) سيد قطب: في ظلال القرآن، ج٤، ص ٢٢٩٩٦.

التـــي تدفع جزيئات الماء العذب إلى الانتشـــار في اتجاه الماء الملـــح لا العكس في الآية التي تشير إلى مرج البحرين.[1]

ومـــن الآيـــات الدالة على ذلك قوله تعالى: {وعنده مفاتح الغيـــب لايعلمها إلا هو ويعلم ما في البر والبحر وما تسقط من ورقة إلا يعلمها ولا حبة في ظلمات الأرض ولا رطب ولا يابس إلا في كتاب مبين}[2].

وقوله تعالى: {ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام والبحر يـــمده مـــن بعده سبعة أبحر مانفذت كلمات الله إن الله عزيز حكيم}[3]

وقوـــله تعـــالى: {أوكظلمات في بحر لجي يغشاه موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور}[4]

وقوـــله تعـــالى: {مـــرج البحريـــن يلتقيان؛ بينهما برزخ لايبغيان}[5]

وقوـــله تعـــالى: {وهو الذي مرج البحرين هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج وجعل بينهما برزخاً وحجر محجورا}[6]

رابعـــاً: ترد لفظه البحر في آيات متعددة في سياق الحديث عـــن قصـــة نبي الله موسى عليه الصلاة والسلام وقومه بني إســـرائيل مـــع فـــرعون مصـــر. وكيف أن الله امتن على بني إسرائيل بنعم كثيرة، وأنجاهم من عدوُهم وأغرقه في اليم ومكن لهم في الأرض.

(١) نبيل عبد السلام هارون: ماهو بقول بشر، مكتبة ابن سيناء، القاهرة، ص٢١-٢٢.
(٢) سورة الأنعام: آية (٥٩).
(٣) سورة لقمان: آية (٢٧).
(٤) سورة النور: آية (٤٠).
(٥) سورة الرحمن: آية (١٩، ٢٠).
(٦) سورة الفرقان: آية (٥٣).

كذلك ترد في سياق قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع الخضـــر عليه السلام التي تدل على أن فوق كل ذي علم عليم وأن الله وحده علام الغيوب. ومنها قوله تعالى: {وإذ فرقنا بكم الـــبحر فأنجيـــناكم وأغرقنا آل فرعون وأنتم تنظرون}[1] وقال تعـــالى: {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتوا على قومٍ يعكفون على أصنام لهم لهم قالوا ياموسى اجعل لنا إلهاً كما لهم ءالهة قال إنكم قوم تجهلون}[2]

وقال تعالى: {وجاوزنا ببني إسرائيل البحر فأتبعهم فرعون وجـــنوده بغياً وعدوا حتى إذا أدركه الغرق قال آمنت أنه لا إله إلا الذي آمنت به بنو إسرائيل وأنا من المسلمين}[3].

وقـــال تعـــالى: {فاتـــبعهم فرعون بجنوده فغشيهم من اليم ماغشيهم}[4] وقال تعالى: {وأوحينا إلى أم موسى أن أرضعيه فـــإذا خفت عليه فألقيه في اليم ولا تخافي ولا تحزني إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين}[5] وقال تعالى: {وإذ قال موسى لفتاه لا أبرح حتى أبلغ مجمع البحرين أو أمضى حقبا، فلما بلغا مجمع بينهما نسيا حوتهما فأتخذ سبيله في البحر سربا}[6]

قـــال تعالى: {أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان وراءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا}[7]

وغـــير ذلك من آيات في كتاب الله الكريم تحدثت عن قصة موسى عليه الصلاة والسلام مع قومه بني إسرائيل، وعن بني إســـرائيل فـــي قريتهم التي على البحر فلما عصوا الله مسخهم قردة وخنازير.

---

(١) سورة البقرة: آية (٥٠).
(٢) سورة الأعراف: آية (١٣٨).
(٣) سورة يونس: آية (٩٠).
(٤) سورة الأعراف: آية (١٣٦).
(٥) سورة القصص: آية (٧).
(٦) سورة الكهف: آية (٦١،٦٠).
(٧) سورة الكهف: آية (٧٩).

خامساً: كما تشير الآيات التي وردت فيها لفظه البحر إلى حال الكافرين وقدرة الله على تعذيبهم، وكيف أن أعمالهم كالسراب بل هم يعيشون في ظلمات متكاثفة متراكمة بعضها فوق بعض، ومصيرهم يوم القيامة إلى ظلمات النار، فهم يتخبطون في ظلمات الكفر والضلال، ويمثل ذلك بظلمات البحر اللجي، لأن الكفر ظلمة منقطعة عن نور الله، وضلال لايهتدي فيه الإنسان إلا بهدي الرحمن إذ شاء سبحانه.(١)

كذلك من الأسباب الموجبة للمحنة والابتلاء الكفر وانتشار المعاصي وكثرة الفجور والموبقات.(٢)

قال تعالى: { أو كظلمات في بحر لجي يغشاه، موج من فوقه موج من فوقه سحاب ظلمات بعضها فوق بعض إذا أخرج يده لم يكد يراها، ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور }(٣)

وقال تعالى: {ظهر الفساد في البر والبحر بما كسبت أيدي الناس ليذيقهم بعض الذي عملوا لعلهم يرجعون}(٤)

سادساً: وفي مواضع أخرى ورد فيها ذكر البحر ترد في سياق عرض مشاهد يوم القيامة وأهوالها وما يصاحبها من انقلاب كوني هائل كالبحر المسجور الموقد ناراً يوم القيامة، والبحار التي تتأجج ناراً وتضطرم وتلتهب، والبحار التي فُتحت وفجرت على بعضها البعض وبالتالي لا يمكن تصور حجم هذه النيران الهائلة التي تنطلق من هذه البحار الواسعة مهما وصل الإنسان بعلمه المحدود.(٥)

---

(١) الصابوني، صفوة التفاسير، ج٢، ص٣٤٢.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٤٨١.
(٣) سورة النور: آية (٤٠).
(٤) سورة الروم: آية (٤١).
(٥) سيد قطب؛ في ظلال القرآن، ج٦، ص٣٨٣٦ ـ ٣٨٣٩.

ومن ذلك قوله تعالى: {والبحر المسجور}[1]
وقوله تعالى: {وإذا البحار سجرت}[2]
وقوله تعالى: {وإذا البحار فجرت}[3].

سابعاً: وفي الحديث الشريف وردت لفظة البحر في مواضع متعددة قد لاتشير إلى البحر بمعناه المعلوم ولكنها تشير إلى مايشبهه من مثل وصف الحصان الذي رَكِبَه رسول الله صلى الله عليه وسلم بالبحر لسعته، وفي حديث آخر عندما سأل أعرابي عن الهجرة في صحيح مسلم بين له الرسول مدى عِظم شأن الهجرة، وأنه يمكنه العمل من وراء البحار، والمقصود بها القرى. كما ورد الحديث عن القسط البحري وهو العود الهندي. وورد الحديث عن البحر عند ذكر علامات الساعة.

(١) سورة الطور: آية (٦).
(٢) سورة التكوير: آية (٦).
(٣) سورة الانفطار: آية (٣).

ولكن الذي يهمنا هو البحر الحقيقي الذي تمثل في الحديثين التاليين ونص فيهما على أمرين هامين هما:

١ ــ دور البحر في الجهاد، ونبوءة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بأن المسلمين سيجاهدون في البحر.

٢ ــ بيان حل طعام البحر وميتته.

ــ ففي حديث أنس بن مالك رضي الله عنه، قال: كان الرسول صلى الله عليه وسلم يدخل على أم حرام بنت ملحان فتطعمه، وكانت أم حرامٍ تحت عبادة بن الصامت، فدخل عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فأطعمته، وجعلت تفلي رأسه، فنام رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم استيقظ وهو يضحك. قالت: فقلت وما يضحكك؟ يارسول الله! قال: " ناس من أمتي عرضوا علي غزاة في سبيل الله يركبون ثبج هذا البحر، ملوكاً على الأسرة" أو "مثل الملوك على الأسرة " قالت فقلت يارسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم. فدعا لها رسول الله صلى الله عليه وسلم. ثم وضع رأسه، ثم استيقظ وهو يضحك. فقلت: ما يضحكك؟ يارسول الله! قال: "ناس من أمتي عُرضوا على غزاة في سبيل الله" كما قال في الأول. قالت: فقلت يارسول الله! ادع الله أن يجعلني منهم، قال: "أنت من الأولين". فركبت البحر، في زمان معاوية بن أبي سفيان، فصُرِعَتْ عن دابَّتِهَا، حين خرجت من البحر فهلكت[١].

---

(١) البخاري: كتاب الجهاد والسير، باب الدعاء والشهادة للرجال والنساء.

– وعــن جابر بن عبدالله رضي الله عنه، قال: بَعَثَنَا رسول الله صــلى الله علــيه وســلم ثلاثمائة راكب، أميرنا أبو عبيدة بن الجــراح، نرصد عير قريش، فأقمنا بالساحل نصف شهرٍ، فأصابنا جــوعٌ شــديدٌ حــتى أكلنا الخبط، فسمى ذلك الجيش جيش الخبط. فألقى لنا البحر دابة يقال لها العنبر، فأكلنا منه نصف شهر، وادهنا مــن وَدَكِهِ، حتى ثابت إلينا أجسامُنا ... فأخذ أبو عبيدة ضلعاً من أضلاعه فنصبه، فعمد إلى أطول رجلٍ معهُ ، وأخذ رجلاً وبعيراً فمر تحتهُ.

قال جابر: وكان رجلٌ من القوم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر ثم نحر ثلاث جزائر. ثم إن أبا عبيدة نهاه[١].

(١) البخاري: كتاب المغازي: ٦٥ ـ باب غزوة سيف البحر.

أهمية البحر الأحمر

تحديده عند الجغرافيين المتقدمين:

يرى ابن رسته (ت بعد ٢٩٠هـ) أن البحر الأحمر جزء من البحر الهندي الممتد من أقصى أرض الحبش إلى أقصى الهند، واصفاً إياه بأنه يخرج خليج من عند أرض الحبش يمر إلى ناحية البربر، ويسميه الخليج البربري ويقدره بخمس مائة ميل وعرض طرفه مائة ميل، ويخرج منه خليج آخر نحو أيله طوله ألف واربع مائة ميل، وينتهي إلى القول أن بين خليج أيله وخليج فارس تقع أرض الحجاز واليمن وسائر بلاد العرب(١).

أما الهمداني (ت٣٣٤هـ) فإنه عند حديثه عن جزيرة العرب وما يحيط بها من بحار يشير إلى أن عنقاً من البحر مال إلى حضر موت وناحية أبين وعدن ودهلك، فاستطال ذلك العنق في رأيه حتى مر ببلاد فرسان وجده والجار وساحل الطور وخليج أيله وساحل رآية حتى يصل إلى القلزم(٢).

والاصطخرى (ت٣٤٠هـ) يصف البحر الأحمر كجزء من بحر فارس، رغم ما يعدد له من تسميات حسب المدينة أو الميناء الذي يطل على ساحله، فقد يُسَمَّى بحر القلزم، أو بحر جُدة، أو بحر الجار، أو بحر اليمن، أو بحر الحبش، فيرى أن بحر القلزم جزءً من بحر فارس(٣)، ويقدره بنحو ثلاثين مرحلة طولاً، وعرضه مسير ثلاث ليال ثم لايزال يضيق حتى يرى من بعض جنباته الجانب الآخر، ويرى أن أخبث(٤) مافيه جزر تاران بين خليجي القلزم وأيلة(١).

---

(١) أبي على أحمد بن عمر : الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، طبع في مدينة ليدن المحروسة، بمطبع بريل، ١٨٩١م، ص٨٤.
(٢) صفة جزيرة العرب، ص٨٤.
(٣) أي متصلاً به.
(٤) المقصود بالخبث وجود الشعب المرجانية، والنتوءات الحادة، والدوامات البحرية مما يعرض السفن المارة بهذا الجزء لمخاطر

أمـــا المسعودي (ت ٣٤٦هـــ) فيسمى البحر الأحمر بالبحر الحبشـــي ويذكـــر أنه ينتهي إلى مدينة القلزم من أعمال مصر، وعلـــيه مدينة أيله والحجاز وجُدة واليمن وفي الطرف المقابل بلاد مصر وأرض البجة وأرض الحبشة(٢).

وابن حوقل (ت ٣٦٧هـــ) يذكر تقريباً ما يذكره الاصطخري من أن بحر فارس وهو ما يحيط بديار العرب ولكنه يؤكد على تســـميته ببحر القلزم إلى ان يحاذي بطن اليمن، فإذا قابل بطن اليمن يسمى بحر عدن.. وهكذا(٣).

والإدريســـي (ت ٥٦٠هـــــ) يجعل البحر الأحمر جزءًا من الـــبحر الصـــيني، فيتشـــعب منه خليج القلزم، ومبدؤه من باب المندب وحيث انتهى البحر الهندي فيمر في جهة الشمال مغرباً قلـــيلاً فيتصل بغربي اليمن ماراً بتهامة والحجاز ثم إلى مَدْين، وأيلة، وفاران(٤) حتى ينتهي إلى مدينة القلزم واليها ينسب كما يـــرى ثم ينعطف ريفه راجعًا في جهة الجنوب. مشيراً إلى أنه يمر ببلاد مصر والسودان مروراً بعيذاب حتى جزيرة سواكن(٥) وزالع منتهياً إلى بلاد الحبشة(٦).

شديدة.انظر عطية القوصي :تجارة مصر في البحر الأحمر،دار النهضة العربية ، ص١٣.

(١) المسالك والممالك، ص٢٩ ـ ٣١).

(٢) أبي الحسين علي بن الحسين بن علي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق قاسم الشماعي الرفاعي، الطبعة الأولى،١٤٠٨ـ ١٩٨،دار القلم،بيروت،ج١، ص١٠٧.

(٣) صورة الأرض، ص ٤٤ ـ ٤٦.

(٤) فاران المقصودة: هذا جبل أو بلدة في سيناء، وليست من جبال الحجاز، وانظرها في معجم البلدان ج٤، ص٢٢٥.

(٥) جزيرة سواكن: على الساحل السوداني يقابلها ميناء سواكن الذي استخدم كميناء طيلة الفترة الاسلامية ثم استبدل بميناء بور سودان في الوقت الحاضر، انظر ص٣٢٨ من البحث.

(٦) أبي عبد الله محمدبن عبدالله ابن ادريس الحموى الحسني (الشريف الادريسي): نزهة المشتاق في اختراق الأفاق، الطبعة الأولى،١٤٠٩ـ١٩٨٩م،عالم الكتب، بيروت،ج١،ص١٠.

وقد نتساءل عن سبب تسمية هذا البحر بالبحر الأحمر؟ فقد يذهب البعض إلى الاعتقاد بأن لون مياهه حمراء، وبالتأكيد ليس هذا الاعتقاد صحيحاً. ويرجح الدكتور القوصي أن سبب التسمية نسبة إلى اسم قديم باسم "بحر الملك الأحمر" ثم اختصر إلى البحر الأحمر(١). وهناك من يرى أنها نسبة إلى لون الشعب المرجانية التي تكثر فيه(٢). وقد وردت في كتاب العهد القديم كلمة Redsea تحت اسم (يم سوف) أي بحر سوف، وكلمة سوف تعني في العبرية النبات المعروف باسم نبات البردي الذي كان ينمو على أطراف الأنهار والبحيرات ويعرف بالانجليزية بـ Reed ، لذا فإن تسميته بـ Redsea هي تحريف لكلمة Reed أي بحر البردي(٣).

تحديده ووصفه عند الجغرافيين المعاصرين:

ولايختلف تحديد الجغرافيين المعاصرين عن السابقين كثيراً إلا بكونه أكثر دقة وتوضيحاً فالبحر الأحمر يفصل بين شبه جزيرة العرب وقارة أفريقيا ويمتد من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي بين خطي عرض ٣٢ شمالاً، ١٢,٣٠° شمالاً لمسافة ٢١٠٠ كيلو متر ويبلغ اقصى اتساع له بين جازان ومصوع حوالي ٣٥٠كم ويشتمل على شعب مرجانيه تشكل

---

(١) عطيه: تجارة مصر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، ص١٠.

(٢) نخبة من الأساتذة المختصين: تاريخ البحرية المصرية، جامعة الأسكندرية، ١٩٧٣، ص٥٩٥.

(٣) برج، محمد عبد الرحمن: البحر الأحمر عبر التاريخ، بحث في كتاب ندوة البحر الأحمر التي عقدت في معهد الدراسات الدبلوماسية بالرياض - وزارة الخارجية، ١٤٠٥هـ، طبع ١٤٠٦هـ، ص٢١.

شــواطئ مرجانية مرتفعة، وعلى امتداد البحر الأحمر. ويتفرع فــي شماله إلى فرعين تفصل بينهما شبه جزيرة سيناء، ويقع غــربها خليج السويس والفرع المقابل في شرقها خليج العقبة، وطــول الأخير ٩٧ ميلاً وهو أعمق من خليج السويس إذ يصل عمقه في بعض مناطقه إلى ١٤٦٠م[١].

وخلــيج السويس المقابل لخليج العقبة منخفض وممتد بين خطي عرض ٢٧، ٢٩ إلى الشمال، ويقدر طوله بـــ مائتي ميل، وعرضــه بـــ عشرين ميلاً في المتوسط وقد يضيق عند نهايته إلى حوالي ١٨ ميلاً.

أمــا مدخل البحر الأحمر الجنوبي فهو بلا شك باب المندب الذى يشكل ممراً ضيقاً وهاماً وتقسمه جزيرة بريم (ميون) إلى ممرين، فالممر الشرقي يقل عرضه عن ميلين ويبلغ عمقه ٨٥ قــدم، والممــر الغربي ١٦ ميلاً ويصل عمقه إلى ٩٩٠ قدماً، ويمثل الممر الوحيد الصالح للملاحة[٢].

وفــي الجزء الشمالي للبحر الأحمر عند مدخل خليج العقبة تقع مضائق نيران، ويصبح الممر المائي الصالح للملاحة شديد الضــيق لاعــتراض جزيرتــي تيران وصنافير، وتتسببان في تقسيمه إلى ثلاث قنوات، القناة الأولى عرضها حوالي ٣ أميال بين ساحل سيناء وجزيرة تيران، والقناة الثانية عرضها قرابة المــيل ونصــف الميل بين الجزيرتين أما القناة الثالثة فتنحصر بيــن الجزيرتيــن والساحل الحجازي، وتعتبر القناة الأولى هي الوحــيدة الصالحة للملاحة أما القناتين الأخرتين فغير صالحتين

---

(١) العرفج، ناصر عبد العزيز: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر (بحث ضمن كتاب ندوة البحر الأحمر) ص ٣٦ ـ ٤٨.

(٢) السلطان، عبد الله عبد المحسن: البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، بيروت، مركز دراسات الوحدة العربية، الطبعة الأولى، ١٩٨٤، ص٢٨ـ٣٠.

لاعـتراض الجـزر المرجانـية ذات النتوءات الحادة وضحالة المياة فيهما[1].

مع العلم أن القناة الثالثة يبلغ عرضها ثلاثة أميال، ولكنها لا تصـلح لعـبور السـفن لكثرة الصخور والشعاب المرجانية فيها.[2]

كمـا توجد جزر أخرى عند مدخل خليج العقبة مثل جزيرة شوشـة، وجزيرة برقان، أما الجزر الواقعة بالقرب من مدخل خلـيج السويس فهي جزيرة شاكر، وجزيرة الأخوين، وجزيرة أبـو الكـيزان[3]. وفـي المدخـل الجنوبي للبحر الأحمر، باب المندب" تقع عند مدخله وفي وسطه عدة جزر منها جبل الطير، وجزر الزبير، وجزيرة الذكور، وجزيرة حانيش، وجزيرة بريم، وجـزر فرسان وسجيد اللتان تقعان غرب مدينة جازان. وكذلك مجموعـة جـزر دهلـك في مواجهة جزر فرسان بالقرب من الساحل الغربي للبحر الأحمر وأهمها جزيرة دهلك الواقعة على بعـد ٤٠ كيلو إلى الشرق من مصوع، وجزيرة قمران الواقعة إلـى الشـمال الغربي ورأس البياض إلى الشمال الغربي من الحديدة[4].

وعلى كلٍ فإن البحر الأحمر تكثر فيه الجزر حيث يقدر عدد جـزر البحر الأحمر بحوالي ٣٧٩ جزيرة معظمها جزر صغيرة جداً، ويوجد في كل ميل مربع من المسطح المائي ٢,١ جزيرة، وتـتركز غالبيـتها في الجزء الجنوبي للبحر الأحمر، وتقل في

---

(١) جرادات، الرائد وليد محمد، الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة، ص٢٤.

(٢) العرفج: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر: ندوة البحر الأحمر، ص٤٨.

(٣) المصدر السابق: ص٥١ ـ ٥٢.

(٤) العرفج: أهمية الممرات المائية في البحر الأحمر، ص٣٧ ـ ٣٨.

المناطق الشمالية، وبعض الجزر بركانية، وبعضها مرجانية غير مسكونة[1].

أهمية البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي:

تبرز أهمية البحر الأحمر في عدد من العناصر هي:

١ ــ وسطيته وتميزه:

سبق الحديث بشيء من التفصيل عن امتداد البحر الأحمر وجغرافيته وممراته وجزره، ومن خلاله يتضح لنا أهمية الموقع المتميز للبحر الأحمر فإنه يقع تقريباً في منتصف الكرة الأرضية سواء من الشمال والجنوب أو من الشرق أو الغرب، يمر مدار السرطان ينصفه، وفي شماله البحر المتوسط وفي جنوبه بحر العرب والمحيط الهندي. وهو في منتصف المسافة بين القارات الثلاث (آسيا وأفريقيا وأوربا).

كما يمتاز باستطالته، واتصاله بعدد من بحار العالم وله خليجان مستطيلان في شماله متخذان ــ بقدرة الله عز وجل ــ شكل رقم (٧) هما خليج العقبة وخليج السويس"[2].

٢ ــ الأهمية الدينية:

كان ومازال وسيبقى البحر الأحمر ــ بإذن الله عز وجل ــ طريقاً ومعبراً من معابر الدعوة الإسلامية، فمنذ انبثاق نور

---

(١) السلطان، عبدالله عبد المحسن، البحر الأحمر والصراع العربي الإسرائيلي، ص٣٠.
وعن جزر البحر الأحمر خاصة انظر: الوجود العربي الأفريقي في جزر البحر الأحمر عبر التاريخ (الدكتور محي الدين محمد مصيلحي،ص٧. وانظر: فارسي، زكي محمد علي: دليل الطرق السعودية ودليل السياحة، الطبعة الأولى، ١٤١٥/١٩٩٥ خرائط رقم ب١٢، ب١٤، ب١٨، ب٢٢، ١، ٢٢، ٢٦، ٣٢.
وانظر خريطة جزيرة العرب: ١ : ٢٠٠٠,٠٠٠، وزارة البترول، الثروة المعدنية، الرياض، طبعة عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، وخريطة جمهورية مصر العربية: ١: ٢٠٠٠,٠٠٠، الهيئة العامة للمساحة المصرية.

(٢) محمد: عبد الغني عبد الرحمن: مكة أم القرى .. لماذا؟، الطبعة الأولى ١٤١١ ـ ١٩٩٠، دار الفكر العربي، القاهرة، ص ١٠٧ ـ ١٠٨.

الإسلام بمبعث المصطفى محمد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: استخدم البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية فانطلقت عبره أول هجرة في الإسلام إلى بلاد الحبشة[١]. كما انطلقت عبره هجرات القبائل العربية إلى البلاد الإفريقية لنشر الدعوة والاستقرار في تلك المناطق.

وسارت قوافل الحجيج ومراكبه تمخر عباب البحر الأحمر عبر موانئه الشرقية والغربية ذهاباً وإياباً مشتملة على حجاج افريقية واوربا "الأندلس" ملبية لنداء ربها "وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامرٍ يأتين من كل فج عميق"[٢]. ولم يقتصر دور البحر الأحمر على نقل الحجاج بل نقلت مراكبه وسفنه واستقبلت موانئه الحجازية مؤن عمارة الحرمين الشريفين وكسوة الكعبة الشريفة من فترات مبكرة في التاريخ الإسلامي.[٣]

٣ - <u>الأهمية التجارية:</u>

اشتهرت قريش بالتجارة وفي ذلك يقول الله تعالى: "لإيلاف قريش * إلافهم رحلة الشتاء والصيف * فليعبدوا رب هذا البيت * الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف".[٤]

وذلك لأن موقع مكة في ملتقى طريقين تجاريين عالميين من قبل الإسلام وهما طريق اليمن والشام، وطريق اليمن والعراق وفارس مما صنع منها نقطة إلتقاء تجاري هام، ومحطة سير القوافل التجارية إلى مختلف أرجاء شبه الجزيرة العربية.

وبسقوط دولة الفرس في الفتح الإسلامي: استعاد البحر الأحمر سابق ازدهاره وتجدد نشاطه التجاري، وانطلق النشاط التجاري الإسلامي بقناة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي

---

(١) سيأتي الحديث عنها تفصيلاً في الفصل التالي عند الحديث عن ميناء الشعيبة.

(٢) سورة الحج: آية رقم (٢٧).

(٣) كما سيأتي تفصيل ذلك في الفصل الرابع.

(٤) سورة قريش.

الله عــنه بين البحر الأحمر ونيل مصر وازداد الاهتمام التجاري بالــبحر الأحمر في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه بإتخاذ جــدة ميــناءًا، ثــم توالى الاهتمام الاموي بتجارة البحر الأحمر، وحاربوا قراصنة البحر الأحمر، إلا أن الاهتمام التجاري في العهد العباســي تقلص إلى حد ما في البحر الأحمر وتحول إلى الخليج العربي (الفارسي) لقربه من عاصمة الخلافة العباسية بغداد، وفي العهد العبيدي "الفاطمي" في مصر عاود النشاط التجاري في البحر الأحمر دورته وازدهرت تجارة الشرق من وإلى مصر عبر البحر الأحمر لوجود طريق منافس يحمل تجارة الشرق إلى الغرب[١].

٤ ــ <u>الأهمية السياسية والعسكرية:</u>

كان البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية وقوافل الحجيج، وطريقاً تجارياً هاماً بين الشرق والغرب، إلا أن هذه التجارة لم تــبق حــرة بــل استغلت سياسياً وحوصرت ومنعت عن أهالي الحجــاز فــي فترات متقطعة للضغط السياسي والاقتصادي كما حصــل فــي عهــــد العباسيين إزاء ثـــورات العلويين في الحجـــــاز وكــذلك في العهـــد العبيدي " الفاطمي "، والعهــد الأيوبي، والعهد المملوكي للضغط على أشراف الحجاز للحــد من بعض تصرفاتهم، أو كسب ولائهم في ظل الصراعات السياســية فــي العــالم الإسلامي. وتسببت الضغوط السياسية والإجتماعية والإقتصادية في هجرة عدد من القبائل العربية عبر الــبحر الأحمر من الجزيرة العربية إلى القارة الإفريقية وخاصة شرق أفريقيا ووادي النيل على وجه الخصوص، وساهمت هذه الهجرات بدور فاعل في الأحداث السياسية والعسكرية في شرق إفريقــية بــل وبناء إمارات إسلامية في بلاد السودان والحبشة عاشت ردحاً من الزمن.

وفي القرن السادس الهجري (في نهاية القرن الثاني عشر المــيلادي) تعــرض الــبحر الأحمــر للغــزو الصليبي، وهدد

---

(١) كما سيأتي توضيح ذلك في الفصل الثالث.

الصليبيون الحجاز عبر موانئ وثغور البحر الأحمر، حتى حفظ الله عز وجل الحجاز على يد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله.
وفي القرن العاشر الهجري(السادس عشر الميلادي) غزا البرتغاليون العالم الإسلامي وسعوا إلى الوصول إلى الحجاز عبر البحر الأحمر وتصدى لهم المماليك، وبالرغم من دفعهم عن الحجاز إلا أن استعمارهم واحتلالهم لبلاد عربية وإسلامية أخرى إستمر فترة من الزمن[١].

(١) وسيأتي تفصيل ذلك في الفصل الثاني والرابع.

الفصل الثاني

نشأة الثغور الحجازية

أ) - تعريف الثغر

ب) - الثغور البحرية

١ - العقبة " أيلة "
٢ - ينبع
٣ - الجار
٤ - جُدة
٥ - الشعيبة
٦ - السرين

جـ) - أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي ارتبطت بالثغور الحجازية.

سيتم الحديث في هذا الفصل إن شاء الله على النحو الآتي:

١ ــ تعريف الثغر.

٢ ــ الموقـــع الجغرافي والنشأة التاريخية لكل ثغر على حده (مع ذكر أبرز من انتسب إليه من العلماء والمحدثين).

٣ ــ عرض لأهم الأحداث السياسية والعسكرية التي لها ارتباط بالـــثغور الحجازيـــة عرضاً تسلسلياً حسب ترتيب السنوات بدءاً من : [البعثة النبوية " ومن الهجرة إلى الحبشة تحديداً" حـــتى سقوط دولة المماليك عام ٩٢٣هــ] نظراً لما تشكله الـــثغور الحجازية من وحدة جغرافية؛ فكان الأنسب عرض الأحداث عرضاً تسلسلياً زمنياً ..).

وقـــد تم تأجيل الحديث عن الأحداث الأقتصادية للفصل الثالث لارتباطها به بشكل مباشر.

تعريف الثغر :

الــثغر بالفتح ثم السكون كل موضع قريب من أرض العدو يســمى ثغراً، والثغرة الفُرجةُ في الحائط[١]. وكل فُرجة في جبل أو بطن وادٍ أو طريق مسلوك.

والثغرة : الثلمة ، يقال ثغرناهم أي سددنا عليهم ثلم الجبل. والــثغر مايلــي دار الحــرب، وهو موضع المخافة من فروج الــبلدان، وأيضــاً يوصف الفم بالثغر، وكذلك توصف الأسنان، وثغَرهَ أي كسر أسنانه[٢].

كما يستعمل للمدينة القائمة على شاطئ البحر[٣].

والمرابطة والرباط تعني ملازمة ثغر العدو، حتى صار لزوم الــثغر رباطــاً، والمرابطون يُسمون المَسْلَحة واحدهم مَسْلَحِي والجمــع المسالح، وهم الموكل بهم مراقبة العدو لئلا يغزوهم على غفلة منهم؛ فهم يتجسسون خبر العدو؛ وسموا بذلك لأنهم كــانوا ذوي سلاح أو لأنهم يرابطون في المسلحة، وهي الثغر والمرقب[٤]. وورد عن عمر بن الخطاب رضي الله عنه قوله : (لاتجمروا الجيش فتفتنوهم) وتجمير الجيش: جمعهم في الثغور وحبسهم عن العودة إلى أهليهم[٥].

---

(١) ياقوت الحموي: معجم البلدان: ج٢، ، دار الفكر، بيروت، ص٧٩.
(٢) ابن منظور: لسان العرب: ج٣، ص١٠٣.
(٣) معلوف: المنجد في اللغة والاعلام: ص٧٠.
(٤) ابن منظور: لسان العرب: ج٢، ص٤٨٧.
(٥) المصدر السابق: ج٤، ص١٤٦.

ومن أسماء الثغور البحرية، الكَلأّءُ : أي مرفأ السفن وهو عـند سيبويه فعال مثل جبار لأنه يكلأ السفن من الريح والمكلأ بالتشديد: شاطئ النهر، ومرفأ السفن[1].

وكذلك الميناء: مرفأ السفن يمد ويقصر والمد أكثر وسمي بذلك لأن السفن تني فيه أي تفتر عن جريها[2].

وأيضـاً يسـمى الـثغر أو الميناء المرفأ من رفأ السفينة: أدناهـا مـن الشط[3]. ويسمى الميناء الفُرّضَةً والجمع فُرَض، وفـراض وهـي الـثُّلمة التي تكون في النهر، وفرضة البحر: محطة السفن[4].

---

(١) ابن منظور، لسان العرب: ج١، ص١٤٦.
(٢) المصدر السابق: ج١٥، ص١٤٦.
(٣) الفيروز آبادي: محمد بن يعقوب: القاموس المحيط، ج١، ص٥٢.
(٤) ابن منظور: مصدر سابق، ج٧، ص٢٠٦.
وانظر كتاب المصباح المنير: احمد بن محمد المغربي الفيومي، المكتبة العلمية، بيروت، ج١، ص٨١ مادة ثغر، ج١، ص٢١٥.
وانظر العين: الفراهيدي: تحقيق د/ مهدي المخزومي، د/ ابراهيم السامرائي، ج٣، ص١٤٢، مادة المسلحة، ومادة ثغر ج٤، ص٤٠٠.
وفي الاصطلاحات الجغرافية الحديثة يوجد ثمة فارق بين المرفأ والميناء فالمرفأ هو موقع ساحلي نشأ نتيجة عوامل جغرافية وجيولوجية وطبيعية مختلفة، ويظهر في الغالب في صورة منطقة مائية مقفلة جزئياً ومثال ذلك الشرم أو الخلجان الصغيرة، وتقدم مرسى لحماية وتأمين السفن، ومن خصائصها عمق المياه إلى حد ما تكفى لرسو السفن الصغيرة. وقد يكون المرفأ طبيعياً مثل الخلجان ومصبات الانهار الخليجية. أو صناعياً من فعل الانسان كبناء حواجز الامواج.
أما المينا فهو المرفأ الذي تتوفر فيه الاستعدادات والتسهيلات لنقل البضائع أو المسافرين من السفن وإليها بصفة مستمرة، ويلحق به عدد من الارصفة ومخازن الشحن والتفريغ. انظر لمزيد من التفاصيل، د/ محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص١٨١ـ١٨٢.

نشـــأة الـــثغور البحرية الحجازية وتطورها:

سوف نعرض للثغور البحرية الحجازية متدرجين من شمال الحجـــاز إلى جنوبه بدءً بثغر وميناء العقبة " أيلة " ثم ينبع ثم الجار ثم جُدة ثم الشعيبة ثم السرين. ونعرض لكل ميناءٍ أو ثغرٍ علـــى حـــده : بمقدمـــة جغرافية وتاريخية عن موقعه ونشأته. وفـــي مبحث آخر يتم عرض الأحداث السياسية والعسكرية التي ارتبطت بهذه الثغور من بعثة النبي صلى الله عليه وآله وسلم (٦١١م) (١٣ق هـــ) إلى نهاية العصر المملوكي (٩٢٣هـــ ـــ الموافق ١٥١٧م).

١ ــ أيلة "العقبة"[١] :

في مادة أيل في لسان العرب، أيل اسم من أسماء الله عز وجل عبراني أو سرياني، لأن إيلا لغة في إل وهو الله عز وجل[٢]، وفي رأي آخر أيلة مشتقة من (أيل) الواردة في نص " جلجاميش " بمعنى الله وكان (أيل) إله الأكاديين والكنعانيين والعبرانيين فهي بالتالي سامية وتعني (الله) وبهذا تتفق مع تفسير علماء اللغة العربية[٣]. وتقع أيلة في رأس خليج العقبة على ساحل البحر الأحمر في الركن الشمالي الشرقي بين خطي العرض (٢٩ْ ــ ٣١) شمالاً، وخط طول (٣٥) شرقي غرينتش[٤].[٥]

وذكرت أيلة في عدة مصادر تحدثت عن جزيرة العرب وبلاد الشام ومصر وطرق الحج، ومن أقدم المصادر الجغرافية العربية التي تم الاطلاع عليها كتاب اليعقوبي (ت٢٨٤) الذي ذكر أنها مدينة جليلة على ساحل البحر المالح (أي البحر الأحمر) وبها يجتمع حاج الشام ومصر والمغرب، وبها التجارات الكثيرة، وأهلها أخلاط من الناس، مضيفاً أنه وجدبها قوماً يذكرون أنهم موالي عثمان بن عفان رضي الله عنه، ورأى بها بُرْد حِبَرة يُقال إنه بُرْد رسول الله صلى الله عليه

---

(١) انظر الخرائط والصور عن أيلة والعقبة وآثارها في الملاحق، ص ٣٧٢-٣٧٧.

(٢) ابن منظور:لسان العرب، ج١١، ص٤٠.

(٣) يوسف حسن درويش غوانمه: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، دار هشام، أربد، ص١٣-١٤.

(٤) رائد رزق محمد الشرع: مدينة أيلة وتخطيطاتها في الفترة الإسلامية المبكرة "دراسة معمارية مقارنة" رسالة ماجستير، جامعة اليرموك، ١٤١٤هـ ، ١٩٩٤م، ص١٨.

(٥) انظر خريطة جزيرة العرب: ٢٠٠٠,٠٠٠١، وزارة البترول والثروة المعدنية، طبعة عام ١٤٠٣هـ. وخريطة جمهورية مصر العربية: ١: ٢٠٠٠,٠٠٠١، الهيئة العامة للمساحة المصرية.

وسلم وأنه وهبه لرؤبة بن يُحنَّه[1]، أو يُحنّه بن رؤبة ، وهو الأرجح([2]).

وذكرها ابن خرداذبه (ت٣٠٠) في عدة مواقع من كتابه على أنها ملتقى للحاج من مصر والمغرب والشام إلى الأراضي المقدسة[3].

وكذلك ذكرها كل من الاصطخري[4] (ت٣٤٠)، وابن حوقل (ت٣٦٧)[5] على أنها مدينة صغيرة عامرة وبها زرع يسير، ويشيران إلى سكن اليهود بها الذين حرّم الله عليهم صيد السبت. أما البكري (ت٤٨٧) فيصفها بأنها مدينة على شاطئ البحر في منتصف الطريق ما بين مصر ومكة.[6]

قال الحافظ بن كثير في تفسيره عند قوله تعالى :
{واسألهم عن القرية التي كانت حاضرة البحر إذ يعدون في السبت إذ تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شُرعاً ويوم لا يسبتون لا تأتيهم كذلك نبلوهم بما كانوا يفسقون}[7] هي بسط لقوله تعالى {ولقد علمتم الذين اعتدوا منكم في السبت}[8] يقول تعالى لنبيه عليه الصلاة والسلام (واسألهم) أي واسأل هؤلاء اليهود الذين بحضرتك عن قصة أصحابهم الذين خالفوا أمر الله فانتقم منهم الله على صنيعهم واعتدائهم واحتيالهم في المخالفة، وفي المقابل حذرهم من كتمان صفتك التي يجدونها في كتبهم لئلا يحل بهم ماحل بإخوانهم وسلفهم، ويؤكد ابن كثير أن القرية

---

(١) البلدان: الملحق بكتاب الأعلاق النفيسة لابن رسته، ص٣٤١،٣٤٠.
(٢) انظر ابن هشام : السيرة النبوية ، ج٤، ص١٢٥،والطبري : الأمم والملوك ،ج٢،ص١٨٥ ، وابن الأثير : الكامل ،ج٢،ص١٩١.
(٣) المسالك والممالك: ص٨١، ٨٣، ١٤٩.
(٤) المسالك والممالك: ص٣١.
(٥) صورة الأرض: ص٤٨.
(٦) معجم ما استعجم، ج١، ص٢١٦.
(٧) سورة الأعراف: آية (١٦٣).
(٨) سورة البقرة: آية (٦٥).

المذكورة هي أيلة الواقعة على شاطئ بحر القلزم ويذكر أن ابن عباس رضي الله عنهما قال : هي قرية يقال لها أيلة بين مدين والطـور .. وقولـه تعالى : {إذ يعدون في السبت} أي يعتدون ويخـالفون أمر الله فيه لهم بالوصاة بهم إذ ذاك تأتيهم حيتانهم يوم سبتهم شرعاً) قال الضحاك عن ابن عباس أي ظاهرة على المـاء مـن كـل مكان. وقوله (ويوم لايسبتون لاتأتيهم كذلك نـبلوهم) أي نختـبرهم بإظهار السمك لهم على ظهر الماء في اليوم المحرّم عليهم صيده وإخفائها عنهم في اليوم الحلال لهم صـيده (كذلك نبلوهم) نختبرهم بما كانوا يفسقون) بفسقهم عن طاعـة الله وخـروجهم عـنها وهؤلاء قد احتالوا على انتهاك محـارم الله بمـا تعاطوا من الأسباب الظاهرة التي معناها في الباطن تعاطي الحرام.[١]

وكـان قـد حرم الله عليهم العمل والصيد يوم السبت فزين لهم إبليس الحيلة وقال إنما نُهيتم عن أخذ الحيتان يوم السبت، فـاتخذوا الحـياض فكـانوا يسوقون الحيتان إليها يوم الجمعه فتـبقى فـيها فلايمكنها الخروج منها لقلة الماء فيأخذونها يوم الأحد، وتلك حيلة نهتهم عنها طائفة أخرى من بني إسرائيل إلا أنهم أصروا على ارتكاب المحظور فقسموا القرية بجدار، وفي يوم من الأيام والطائفة التي نهتهم وحذرتهم في مجالسهم وإذا بالمعتدين لايخرجون كعادتهم، فشعروا أن في الأمر شأن جديد، فعلوا ذلك الجدار وإذا بالمعتدين قد مسخهم الله قردة وخنازير، فدخلـوا عليهم فعرفت القردة أنسابها من الأنس فجعلت تأتيهم فتشـم ثيابهم وتبكى، فيقول المنذرون لهم والذين حذروهم الم نـنهكم فـتقول برأسـها نعم، فصارت الشباب قردة والشيوخ خـنازير، فما نجا منهم إلا الذين نَهَوْا، وهلك سائرهم. وقيل أن ذلك كان في زمن نبي الله داود عليه السلام.[٢]

---

(١) ابن كثير: تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى ١٤٠٠-١٩٨٠، دار الفكر - دمشق، ج٢، ص٢٥٧، ٢٥٨.
(٢) المقريزي: الخطط، ج١، ص١٨٤-١٨٥.

ويذكر المقريزي[١] والحميري[٢] أن أيلة أول حد الحجاز.

وتصفها الباحثة سوسن الفاخري بأنها تحتل موقعاً استراتيجياً بالغ الأهمية، وإنها حلقة وصل بين طرق المواصلات البرية والبحرية بين كل من البحر الأحمر والقارات الثلاث أسيا وأفريقيا وأوربا، وذات مناخ دافئ ومياه عذبه، وبرز مجد أيله الإسلامي في عهد الخليفه عثمان بن عفان رضي الله عنه وانتهاءاً بالعصر الفاطمي "العبيدي"[٣].

وقد زالت هذه المدينة فلم يبق من بنائها القديم إلا آثار مطمور بعضها.

– وينسب إلى أيلة عدد من المحدثين والعلماء منهم:

١ – عقيل بن خالد الأيلي (ت١٤١) مولى عثمان بن عفان رضي الله عنه يصفه ابن سعد[٤] بأنه صاحب الزهري وكان ثقة. روى عن أبيه وعمه نافع مولى ابن عمر، وعكرمة والحسن وسعيد بن أبي سعيد الخدري، وسعيد بن سليمان بن ثابت، ومسلمة بن كهيل، وغيرهم. كان من حفاظ الحديث، وهو كبير أسرة عقيل الأيليين الذين برزوا في علم ورواية الحديث[٥].

---

(١) المقريزي: الخطط، ج١ ، ص١٨٤.
(٢) الروض المعطار في خبر الاقطار: ص٧٠.
(٣) "أيلة": مجلة آثار الاردنية، العدد الثاني، أيلول ١٩٩٨م، عمان، الاردن، ص٥٤.
(٤) الطبقات الكبرى، ج٧، ص٥١٩.
(٥) الامير الحافظ ابن ماكولا: الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب، ج١، ص١٢٧، وانظر ابن حجر العسقلاني: تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت، ج٧، ص٢٥٥، ٢٥٦، وانظر الغوانمة، أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، ص١١١.

٢ ـ يونس بن يزيد بن أبي النجاه الأيلي (ت١٥٢)، يصفه ابن سعد[١] بأنه كان حلو الحديث، وليس بحجة وربما جاء بالشيء المنكر ويذكر أنه مولى معاوية بن أبي سفيان، وروى عن أخيه أبي علي بن يزيد والزهري، ونافع مولى ابن عمر وهشام بن عروة وعمارة بن غزية وعكرمة وغيرهم. وروى عنه جرير وعمر بن الحارث، وابن أخيه عنبسة بن خالد بن يزيد الأيلي والليث والأوزاعي وسليمان بن بلال وطلحة بن يحى الزقي وابن المبارك وابن وهب والقاسم بن مسرور ومفضل بن فضالة وشبيب بن سعيد الحبطي وبقية بن الوليد وحسان بن إبراهيم الكرماني، وعبدالله بن رجاء المكي، وأبو صفوان عبدالله بن سعيد الأموي، وعبدالله بن عمر النميري وعثمان بن عمر وآخرون، ويورد بعض الآراء التي اختلفت فيه من حيث الحفظ والثقة، فهناك من وثقه، وهناك من اتهمه بسوء الحفظ وإيراد الأحاديث المنكرة[٢].

٣ ـ عبدالحكم بن أعين بن الليث القرشي الأيلي (ت١٧١هـ):

مولى عثمان بن عفان، وقيل مولى عفيرة: إمرأة من موالي عثمان، وهو والد بني عبدالحكم الأسرة التي انتقلت من أيلة إلى مصر، وسكنت الإسكندرية، وعرفوا بالعلم والمعرفة[٣].

٤ ـ سلامة بن روح بن خالد بن عقيل الأيلي: (ت١٩٨هـ)

---

(١) الطبقات، ج٧، ص٥٢٠.

(٢) ابن حجر: المصدر السابق، ج١١، ص٤٥٠،٤٥١، والغوانمة، ص ١١٢.

(٣) الغوانمة: أيلة (العقبة)، ص١١٢-١١٣.

روى الحديث عن عمه عقيل بن خالد، وروى عنه محمد بن عزيز الأيلي[١].

٥ ـ عنبسة بن خالد بن يزيد بن أبي النجاه الأيلي: (ت١٩٨).

روى الحديث عن عمه يونس بن يزيد الأيلي السابق ذكره[٢].

٦ ـ خالد بن نزار بن المغيرة بن سليم الغساني الأيلي: (ت ٢٢٢هـ): ويكنى أبا يزيد روى عن ابراهيم بن طهمان، وعن مالك والقاسم بن مبرور، والأوزاعي، ونافع بن عمر الجمحي، وابن عينيه، وابن أبي الزناد، ومحمد بن ادريس الشافعي، ويذكر ابن حجر أن خالد بن نزار من أقران الشافعي، ووصفه بأنه ثقة ويخطئ. وروى عن خالد بن نزار كلٌ من أحمد بن صالح المصري وأبو الطاهر بن السرح وابنه طاهر بن خالد ومحمد وعبدالله بن عبدالحكم، وهارون بن سعيد الأيلي وجماعة[٣].

٧ ـ هارون بن سعيد بن الهيثم الأيلي السعدي مولى بني سعد بن بكر (ت٢٥٣هـ): أبو جعفر، روى عن ابن عينيه وابن وهب، وأبي ظمرة، وخالد بن نزار، وآخرون، وروى عنه مسلم وأبو داود والنسائي وابن ماجه وأبو حاتم ومحمد بن وضاح، ووصفه ابن حجر بالثقة، وأنه كان فقيها من أصحاب ابن وهب، وانه كان مقدماً في الحديث فاضلا[٤].

---

(١) ابن ماكولا: الإكمال، ج١، ص١٢٨، وابن حجر: المصدر السابق، ج ٩، ص٣٤٥، والغوانمة، ص١١٣.

(٢) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٨، والغوانمة، ص١١٣.

(٣) ابن ماكولا: الإكمال، ج١، ص١٢٥، وابن حجر: تهذيب التهذيب، ج ٣، ص١٢٣.

(٤) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٣٠، وابن حجر: المصدر السابق، ج١١، ص٧، والغوانمة، ص١١٤.

٨ ــ محمــد بــن سعيد الأيلي (ت٢٥٨) محدث روى عن أخيه هارون بن سعيد[١].

٩ ــ إسحاق بن إسماعيل بن عبد الأعلى بن عبدالحميد الأيلي: (ت٢٥٨) أبويعقــوب، روى عــن ســفيان بــن عينــيه وعبدالمجيد بن عبدالعزيز بن ابي رواد، وسلامة بن روح وغيرهم، وروى عنه النسائي وابن ماجه ومكحول. توفي بأيلة[٢].

١٠ــ عبدالجــبار بن عمر الأيلي: (ت٢٦٠ــ٢٧٠هــ) : يصفه ابــن سعد بأنه ثقة، وابن ماكولا يصفه بأنه منكر الحديث، وروى عــن محمــد بن المنكدر وابن شهاب، وروى عنه إســماعيل بــن عــياش وغيره، ووصفه كلٌ من البخاري والــترمذي وابــن أبــي حــــاتم وأبــو داود والدوري بالضعف[٣].

١١ــ محمــد بن سلام بن عبدالله بن عقيل بن خالد الأيلي: (ت ٢٦٣هــ) من أسرة عقيل الأيليين رحل إلى العراق واستقر بسامراء، روى الحديث عن يونس بن يزيد الأيلي، وروى عــنه أبوبكــر محمد بن يزيد وخالد بن نزار، وطاهر بن خالد، والطبري[٤].

١٢ــ محمــد بــن عزيز بن عبدالله بن زياد بن خالد بن عقيل الأيلــي (ت٢٦٧هــــ): مولــى بني أميه، روى عن عمه سلامة بن روح وسليمان بن سلمة الخبائري، وروى عنه النسائي وابن ماجه وأبو داود في غير السنن، ومحمد بن عبدالله بن عبدالحكم، ويصفه ابن حجر نقلاً عن المحدثين

(١) الغوانمة:المرجع السابق، ص١١٤.
(٢) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٩، وابن حجر: المصدر السابق، ج١، ص٢٢٦.
(٣) الطبقات، ج٢، ص٥٢٠، والإكمال، ج١، ص١٢٨.
(٤) الغوانمة: أيلة..، ص١١٥.

مـــرة بأنه لابأس به، ومرة بأنه ليس بثقة وضعيف، ومرة صدوقاً. توفي بأيلة[١].

١٣ــ عبدالرحمـــن بـــن هارون بن سعيد بن الهيثم الأيلي (ت ٢٧٨هــ): اشتغل بتدريس الحديث وروايته[٢].

١٤ــ حســـان بن أبان بن عثمان الأيلي (ت٣٢٢هــ) من رهط خالد بن نزار توفي بدمياط[٣].

١٥ــ إبراهــيم بـــن عـــون الأيلي حدث عن عثمان بن المهلب الأيلي، وحدث عنه عبدالحكم بن عبدالله بن عبدالحكم[٤].

١٦ــ إبراهــيم بن عقيل الأيلي: من أسرة علمية محدثه، روى عن أبيه، وروى عنه ابنه عقيل، وعلي بن القاسم[٥].

١٧ــ أيــوب بـــن سليمان بن عبدالواحد بن أبي حجر الأيلي: روى عن بكر بن صدقه وروى الحديث عن والده[٦].

١٨ــ إسماعيل بن صخر الأيلي: روى عنه محمد بن جعفر بن أبي كثير[٧].

١٩ــ أبوعلـــي بـــن يـــزيد الأيلي: أخو يونس، روى عن أخيه يونس[٨].

٢٠ــ الحكـــم بن محمد السعدي من آل هارون بن سعيد الأيلي، روى عن إبراهيم بن مرزوق وغيره[٩].

---

(١) تهذيب التهذيب، ج٩، ص٣٤٤، ٣٤٥.
(٢) الغوانمة: المرجع السابق، ص١١٦.
(٣) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٣٠.
(٤) ابن ماكولا، الإكمال، ج١، ص١٢٨.
(٥) المصدر السابق، ج١، ص١٢٨.
(٦) المصدر السابق، ج١، ص١٢٩.
(٧) المصدر السابق، ج١، ص١٢٧.
(٨) المصدر السابق، ج١، ص١٢٧.
(٩) المصدر السابق، ج١، ص١٣٠.

٢١ــ الحكم بن عبدالله بن سعد بن عبدالله الأيلي: يقال مولى الحارث بن الحكم بن أبي العاص، يكنى أبا عبدالله، سمع أنس بن مالك، ويصفه ابن ماكولا بأنه منكر الحديث(١).

٢٢ــ حكيم بن رزيق بن حكيم الأيلي حدث عنه ابن المبارك(٢).

٢٣ــ حسين بن رستم الأيلي: أمير أيله في خلافة عمر بن عبدالعزيز الأموي، روى عن عطاء بن يسار ومحمد بن المنكدر وهشام بن عروة، روى عنه مالك بن أنس وسعيد بن أبي أيوب، وهمام بن نافع(٣).

٢٤ــ خالد بن يزيد بن عبدالله الأيلي مولى قريش حدث عن أبيه عن الحكم بن عبدالله بن سعد، ابو يزيد(٤).

٢٥ ــ خالد بن يزيد بن محمد الأيلي أبو الوليد، روى عن والده يزيد بن محمد الأيلي(٥).

٢٦ــ داود بن أيوب بن سليمان بن عبدالواحد الأيلي حدث عن أبيه، وعن هشام بن عمار وإبراهيم بن المنذر(٦).

٢٧ــ رجاء بن جميل بن ثوبان الأيلي، روى عن المسيب والقاسم بن محمد وسالم والزهري، وحدث عنه عنبسه بن خالد وضمرة بن ربيعة(٧).

---

(١) المصدر السابق، ج١، ص١٢٧.
(٢) المصدر السابق، ج١، ص١٢٧.
(٣) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٧، ص٥٢٠، وابن ماكولا: الإكمال، ج ١، ص١٢٨.
(٤) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٩.
(٥) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٣٠.
(٦) الغوانمة: أيلة..، ص١١٨.
(٧) ابن ماكولا: المصدر السابق، ص١٢٧.

٢٨ـ رزيق بن حكيم أبو حكيم الأيلي، يصفه ابن سعد بأنه كان ثقـة، روى عن سعيد بن المسيب، وروى عنه عمرو بن الحارث، وسفيان ابن عينيه وابنه حكيم[١].

٢٩ـ زيـاد بـن عقيل الأيلي، يروي عن أسماء بنت أبي بكر، وروى عنه ابن أخيه عقيل بن خالد[٢].

٣٠ـ زهـير الأيلي يروي عن ابن عباس، وروى عنه يحى بن أبي عمرو السيباني[٣].

٣١ـ سعد بن عبدالله بن سعد الأيلي، روى عن محمد بن كعب القرظي، والقاسم بن محمد، وروى عنه ضمرة بن ربيعة، ويـنقل ابن حجر وصف المحدثين له بأنه لابأس به وأنه ثقة[٤].

٣٢ـ سـعيد بـن عبدالله بن سعيد الأيلي: يروى عن عقيل بن خالد، وروى عنه عمر بن طلحة[٥].

٣٣ـ سعيد يزيد الأيلي روى عنه أخوه يونس[٦].

٣٤ـ سـعدان بن سالم الأيلي أبا الصباح روى عنه القاسم بن أبي أيوب وبكر بن مضر وابن المبارك وضمرة وخالد بن نـزار، وينقل ابن حجر عن صفته أن أبا داود أثنى عليه، وذكره ابن حيان في الثقات[٧].

---

(١) الطبقات: ج٧، ص٥٢٠، ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٧

(٢) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٩.

(٣) المصدر السابق، ج١، ص١٢٦.

(٤) تهذيب التهذيب، ج٣، ص٣٧٦.

(٥) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٩.

(٦) المصدر السابق، ج١، ص١٢٨.

(٧) ابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص١٢٨، وتهذيب التهذيب، ج١، ص٧.

٣٥- طلحة بن عبدالملك الأيلي، يصفه ابن سعد بأنه ثقة وروى عنه مالك بن أنس وغيره[١].

٣٦- عقيل بن ابراهيم بن عقيل بن خالد الأيلي روى عن أبيه عن جده، وروى عنه يحيى بن عثمان بن صالح[٢].

٣٧- عمر بن سعد الأيلي، حدث عنه عمر بن زبان الأيلي[٣].

٣٨- عمر بن زبان الأيلي، روى عن عمر بن سعد الأيلي، وروى عنه حسن بن علي الحلواني[٤].

٣٩- يحيى بن صالح الأيلي، روى عن اسماعيل بن أميه، وروى عنه يحيى بن عبدالله بن بكير[٥].

٤٠- يزيد بن عبدالله الأيلي، روى عن الحكم بن عبدالله بن سعد، وروى عنه ابنه خالد بن يزيد[٦].

٤١- يزيد بن محمد الأيلي، روى عن يونس بن يزيد وابن لهيعة، وروى عنه الفسوي، وإسماعيل بن عبدالله الاصبهاني (سمويه)[٧].

٤٢- يزيد بن يونس الأيلي: روى عن أبيه، وروى عنه ابن وهب ومحمد بن مهدي الاخميمي[٨].

٤٣- يزيد بن أبي سميه الأيلي أبا صخر يصفه ابن سعد بأنه صالح الحديث. روى عن ابن عمر وعمر بن عبدالعزيز وأبي بكر بن عبدالرحمن وهشام بن إسماعيل، وروى عنه

(١) الطبقات، ج٧، ص٥١٩.
(٢) ابن ماكولا: الإكمال، ج١، ص١٢٩.
(٣) المصدر السابق، ج١، ص١٢٨.
(٤) المصدر السابق، ج١، ص١٢٨.
(٥) المصدر السابق، ج١، ص١٢٨.
(٦) المصدر السابق، ج١، ص١٢٩.
(٧) المصدر السابق، ج١، ص١٢٩.
(٨) المصدر السابق، ج١، ص١٢٩.

هشــام بــن ســعد المدني وأبوالصباح سعدان بن سالم، وعبدالجبار بن عمر وحسين بن رستم الأيليون، وينقل ابن حجـر قول أبو زرعه بأنه ثقة، وقول الواقدي أنه كان من العباد[1].

وقــد تــم بحمــد الله الوقــوف على موقع آثار مدينة أيلة الإسلامية وتصويره فتوغرافياً بتاريخ ١٤٢٠/٤/٦هـ الموافق (١٩٩٩/٧/١٩).

وقد أجريت على الموقع دراسات آثارية وأعمال تنقيب في الفــترة الواقعــة مــا بين ١٩٨٦ـ١٩٩٣م قام بها فريق تابع للمعهد الشرقي التابع لجامعة شيكاغو بإشراف الأستاذ الدكتور دونــالد ويتكومب، حيث أسفرت الدراسة والتنقيب عن اكتشاف بقــايا مدينــــــة تتخذ شكلاً مستطيلاً تقدر أبعادها ١٦٠ × ١٢٠م . وقــدِّر تــاريخ الإنشاء بناء على اللقى الفخارية إلى (القــرن الأول الهجــري) منتصــف القــرن السابع الميلادي، واستمرت السكنى إلى نهاية القرن الثاني عشر الميلادي أي إلى نهاية القرن السادس الهجري تقريباً.

ويتخذ شكل المدينة مستطيلاً ينحصر في مساحة تقدر بـ(١٩٢٠٠م٢) وســمك الجــدران المحــيطة بها والمشيدة بكتل حجرية مابين (١,٥ـ٢,٦م) وما تزال قائمة إلى اليوم بإرتفاع يتراوح مابين (٣ـ٤,٥م).

وللمديــنة أربــع بوابات هي باب مصر في منتصف السور الشمالي الغربي ويقابل باب الحجاز في منتصف السور الجنوبي

(١) الطبقات، ج٧، ص٥١٩، وابن ماكولا: المصدر السابق، ج١، ص ١٢٦. وتهذيب التهذيب، ج١١، ص٣٣٤، والغوانمة: المصدر السابق، ص١٢٢.

الشرقي، وباب البحر في السور الجنوبي الغربي وباب الشام في منتصف السور الشمالي الشرقي، وعلى كل بوابة برجان يتخذان شكلاً بيضاوياً.

وأظهرت الدراسة بيتاً يُستدل من موقعه وزخرفته أنه بيت الوالي أو دار الإمارة. كما بينت الدراسة والتنقيبات بمحاذاة السور مرور بنائه بثلاث مراحل تاريخيه:

١ – الإسلامية المبكرة الأولى (الراشدية والامويين) ٦٥٠–٨٠٠م.

٢– الإسلامية المبكرة الثانية (العباسية المبكرة) ٨٠٠–٩٥٠ م).

٣– الإسلامية المتوسطة الأولى (العباسية المتوسطة والفاطمية) ٩٥٠–١١٠٠م.

وبُنيت الأبراج في أركان المدينة على امتداد الاسوار المحيطة، وتم الاستفادة منها عسكرياً وتجارياً، وفي الجانب التجاري لخزن السلع حيث تخزن السلع وتعرض على القوافل التجارية بيعاً أو نقلاً بطريق البر أو البحر.

وبرزت أهمية أيلة التجارية خلال القرنين الرابع والخامس الهجريين حيث عثر على جرار السيلادون والأواني الخزفية المزججة والأسرجة والقدور والدنانير الفاطمية.

كما أن النشاط التجاري الذي عاشته أيلة خاصة التجارة البحرية خلال فترة الخلافة العباسية والفاطمية "العبيدية" انعكس على التغيرات التي طرأت على بوابة مصر مما يدل على أن باب البحر كان قد أصبح المدخل الرئيسي والهام بالمدينة.

وأما عن مسجد المدينة فيقع في المنطقة التي تتوسط بوابة الشام وبيت الإمارة. كما تم الكشف عن عدد من البيوت السكنية في عدة مناطق من المدينة[1].

وقد كان مسجد المدينة بجانب مهمته الأساسية ـ مكاناً لإقامة الصلوات ـ ساهم في خدمة الاجتماعات السياسية والقضائية، وكان ملتقى لتدريس العلوم الشرعية.

ويرى بعض الباحثين أن مخطط المدينة قد استفاد من التخطيط البيزنطي للجدران والأبراج والشوارع، وبالتالي أصبحت مدينة أيلة الإسلامية مزيج من الخبرات البيزنطية والاتجاهات الإسلامية المتمدنة[2].

---

(١) رائد رزق محمد الشرع: مدينة أيلة، رسالة ماجستير، ص٥٥-٨٤.
(٢) سوسن الفاخري: "أيلة" مقال، مجلة آثار الاردنية، العدد الثاني، ص ٥٥.

أما اسم العقبة فبرز في العصر المملوكي، حيث كانت المدينة تذكر بأيلة أو عقبة أيلة ردحاً طويلاً من الزمن، حتى غلب اسم العقبة عليها في العصر المملوكي(١).

العقبة في اللغة:

الطريق الوعر في الجبل والجمع عقب، وعقاب، وعقبات(٢). وكأن الطريق إلى أيلة يمر عبر عقبات، فأخذت الإسم من ذلك. ويشرف على خليج العقبة شرقاً جبال عالية هي جبال "الشرف" وجبل "اللوز" وجبال "حسمى" وقمم "رم"، ومن الغرب تشرف عليه جبال تحول بينه وبين صحراء سيناء هي جبال "طور سيناء"(٣).

وقد قامت العقبة على أنقاض أيلة، وقد كانت منسوبة إلى العقبة فيقال: "عقبة أيلة" حتى طغى اسم العقبة وتوسعت المدينة فأصبحت أيلة نفسها جزء من العقبة.

وتملك العقبة عدة آثار تاريخية هامة مثل القلعة المملوكية التي شاهدها الباحث (بتاريخ ٦/٤/١٤٢٠هـ الموافق ١٩/٧/١٩٩٩م) وتجول في جنباتها والتقط عدة صور فتوغرافية لها خاصة النص المبرز لاسم السلطان المملوكي قانصوه الغوري(٤) في القرن العاشر الهجري، وهذه القلعة أو خان العقبة كما يسميها الغوانمة الذي يؤكد بالأدلة التاريخية أن القلعة لم تبن في عهد السلطان قانصوه الغوري ٩٠٦هـ ـ

---

(١) يوسف غوانمة: (أيلة والبحر الأحمر ...)، ص١٦.
(٢) ابن منظور: لسان العرب، ج١، ص٦٢١.
(٣) حمود القثامي: معجم المواضع والقبائل والحكومات، "شمال الحجاز"، ج٢، ص١١.
(٣) سلطان مملوكي جركسي ،مستعرب ،خدم السلاطين ،وبويع بالسلطنة في القاهرة ، بنى الآثار المتعددة ، هزم في معركة مرج دابق بالشام أمام العثمانيين ، ومات قهراً وضاعت جثته ٩٢٢هـ. انظر الزركلي :الأعلام ،ج٥، ص١٨٧.

٩٢٢هـــ كما يشير بذلك النص[١] المنقوش على مدخل القلعة بـــل بُنيت في فترة سابقة في العهد المملوكي، ويرجح أن الذي أمر بإنشائها السلطان الملك الظاهر بيبرس ٦٥٨ــ٦٧٦هــ[٢]، لأن بيـــبرس ومن أتى بعده من السلاطين اهتموا ببناء الأبراج في جميع بلاد الشام وكانت هذه الابراج عبارة عن قلاع صغيرة أســتهدف مــنها تدعيم الدفاع عن الساحل، فبرج العقبة يقوم بمهمتيــن خاناً للتجار والمسافرين وأيضاً برجاً حصيناً لحماية الـــتجار والحجـــاج مابيـــن مصر والأراضي المقدسة، وتأمين الـــتجارة البحرية. ومن الأدلة رنك بيبرس (أي خاتمه وتوقيعه أو علامته) الأسد الذي يشاهد على البرج الشمالي الشرقي من القلعـــة، وكذلـــك الإشارات التي وردت لدى عدد من المؤرخين مـــثل أبـــي الفدا والمقريزي التي تقطع بسبق بناء القلعة لفترة حكـــم قانصوه الغوري، واقتصر دور السلطان قانصوه الغوري علـــى ترمـــيمه وتجديده وتدعيم بنائه لمواجهة القوة البحرية البرتغالـــية في القرن العاشر الهجري، ولحماية قوافل الحجاج من هجمات الاعراب[٣].

---

(١) انظر صورة النص ص ٣٧٦.

(١) سلطان مملوكي بويع بالسلطنة عام٦٥٨هـ وتلقب بالظاهر ، صاحب فتوحات وآثار ، وكان شجاعاً جباراً وفي أيامه انتقلت الخلافة للديار المصرية وتوفي بدمشق٦٧٦هـ، وأقيمت حوله المكتبة الظاهرية .انظر الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص٧٩.

(٣) أيلة (العقبة) والبحر الأحمر: ص١٢٩ ، ١٣٠.

ومــن المعالم التاريخية أيضاً التي قد تسجل للعقبة قلعة جزيرة فــرعون وهذه الجزيرة حاليا تحت السيادة المصرية، وتقع هذه الجزيرة[1] في خليج العقبة جنوب طابا وعلى مسافة (٨) أميال (١٢كــم) إلــى الجنوب الغربي من العقبة وتبعد ٢٥٠ متراً من ســاحل ســيناء، وقلعتها تعرف باسم قلعة فرعون وتتكون من مبانــي قلعتيــن تامتين تماماً بحيث تستطيع أن تعمل كل منهما بمفــردها إذا ماحوصــرت إحداهمــا أو استولي عليها، ويطلق عليها سكان المنطقة القلعة أو القليعة أو "القريّة" بتشديد الياء، ومرجح أنها بنيت في عهد صلاح الدين الايوبي، وكان لها دور في الحروب الصليبية[2].

---

(١) انظر خريطة الجزيرة ص ٣٧٧.

(٢) احمد رمضان احمد: شبة جزيرة سيناء، ١٣٩٧هـ - ١٩٧٧م، ص ١٦٦ ، ١٦٧، وانظر الغوانمه: المرجع السابق، ص١٢٥.

ومـــن الجدير ذكره أن مدينة إيلات التي أنشأها اليهود بعد أن احتلوا القرية العربية "أم الرشراش" بتاريخ ١٠/٣/١٩٤٩م، وأطلقوا عليها اسم "إيلات" ليست أيلة الإسلامية التاريخية التي تقع داخل حدود مدينة العقبة الحالية.

وأم الرشـــراش تقع بجوار العقبة وكلاهما على رأس خليج العقبة والمسافة لاتذكر بينهما. وقد تمكن ـ أعداء الله ـ بذلك مـــن بـــناء ميـــناء لهم على البحر الاحمر وبالتالي عزل سكان الجزيـــرة العربـــية من الذهاب براً إلى سيناء، بل وأطلقوا على خليج العقبة إسم خليج إيلات[١].

---

(١) حمود القثامي: معجم المواضع والقبائل والحكومات (شمال الحجاز)، ص٩ ، ١٠.

ينبع[1] :

ينبع بالفتح ثم السكون وضم الموحدة، وعين مهملة، مضارع نبع، ونبع الماء: ظهر. وسميت ينبع بذلك لكثرة ينابيعها. قال الشريف سلمة بن عياش الينبعي: عددت بها مائة وسبعين عيناً[2].

وتقع على خط عرض (٦ـ٢٤) شمالاً، وخط طول ٣ـ ٣٨٠ شرقاً[3]. وتلك ينبع الميناء أو الثغر البحري أو ماتسمى حديثاً "ينبع البحر" التي لاتبعد كثيراً عن "ينبع النخل"، وفي الفترة الإسلامية المبكرة كانت الأحداث ترتبط أكثر بينبع النخل، ومن العهد الأيوبي ومابعده ارتبطت الأحداث بينبع البحر والنخل على السواء حتى نهاية العهد المملوكي. وما إضافة البحر إلا للتفريق وإن كانتا لاتختلفان في القبائل والعادات والتاريخ المشترك، وتمثل بينبع النخل الجزء الاعلى من المدينة، وينبع البحر تشكل الجزء الأدنى منها، وينبع البحر جزء أصيل من ينبع النخل وما المسافة الموجودة بينهما اليوم إلا مناطق العيون التي اندثرت معالمها، ومما يؤكد تلاحمهما وأنهما بلدة واحدة قول العباس بن الحسن للرشيد:

ياوادي القصر نعم القصر والوادي * من منزل حاضر إن شئت أو بادي
تلقى قراقيره بالعقر واقفة * والضب والنون والملاح والحادي

---

(١) انظر الخرائط والصور عن ينبع في ملاحق البحث، ص٣٧٨ـ٣٨٠.
(٢) الفيروز آبادي: المغانم المطابة في معالم طابة، ص٤٤٠، وانظر السمهودي: وفاء الوفاء، ج٤، ص١٣٣٤.
(٣) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص٢٩٨، وانظر خريطة "ينبع" التخطيطية : ٥٠٠,٠٠٠١، لوحة رقم ٧٧ NG٣٧ - S ، طبعت عام ١٤٠٤هـ وزارة البترول والثروة المعدنية، وخارطة طرق المواصلات: ١ : ٣٠٠٠,٠٠٠ وزارة المواصلات.

فجمع الشاعر بين السفن ومرفأها والملاح، وحادي الإبل[1] (والضب صيد البر والنون صيد البحر).

ويحددها عرام السلمي (المتوفى في القرن الثالث) على أنها يمين رضوى الجبل ويصفها بأنها قرية كبيرة غناء، سكانها من الأنصار وجهينة وليث وفيها عيون[2]. ويصفها الاصطخري (ت٣٤٠) بأنها حصن به نخل وماء وزروع، وبها وقوف لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه يتولاها أولاده، ويصف جبل رضوى بأنه أخضر ويرى من ينبع[3].

وقد أقطع النبي صلى الله عليه وسلم علياً رضي الله عنه أربع أرضين في ينبع هي الفقيرين وبئر قيس، والشجرة، وأقطعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينبع مضافة إلى غيرها. وينسب إلى كُثّير قوله:

أهاجتك سلمى أم أجد بكورها * وخفت بأنطاكي رقم خدودها
على هاجرات الشول قد خف خطرها * وأسلمها للضاعنات حضورها
قوارض حفني بطن ينبع خطرها * قواصد شرقي العناقين عبرها

وممن ينسب إلى ينبع أبو عبدالله حرملة المدلجي له صحبة ورواية عن رسول الله صلى الله عليه وسلم[4].

---

(١) وانظر الطبري ، تاريخ الأمم والملوك، ج٥، ص٢١-٢٢. وعبدالكريم محمود الخطيب: تاريخ ينبع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ - ١٩٨٥، مطابع الشرق الأوسط، الرياض، ص١٢.

(٢) أسماء جبال تهامة وسكانها: ص٨.

(٣) المسالك والممالك: ص٢٥، وانظر ابن حوقل: صورة الارض، ص ٣٢.

(٤) الفيروز آبادي: المغانم المطابة في معالم طابة، ص٤٤٠، وانظر السمهودي: وفاء الوفاء، ج٤، ص١٣٣٤.

ومـــن أبـــرز مـــن نسب إلى ينبع من التابعين عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو محمد تابعي من أهـــل المدينة كان ذا عارضه وهيبة ولسان وشرف، وكانت له منزلة عند عمر بن عبدالعزيز، ويقول الخطيب البغدادي مارأيت أحـــداً مـــن علمائنا يكرمون أحداً مايكرمون عبدالله بن حسن، وعنه روى مالك الحديث، ويضيف أن لعبدالله بن الحسن رواية عن أبيه وعن أمه فاطمة بنت الحسين، ويروي عنه سوى مالك عبدالعزيز بن محمد الداراوردي والمنذر بن زياد الطائي.

وكـــان واصـــل بن عطاء، وعمرو بن عبيد شيخا المعتزلة يأتـــيان إلـــيه في بلدته (سويقة) يتلقيان عنه العلم، وأنجب من الأبـــناء مـــن كان لهم أثر بارز في العالم الإسلامي أمثال محمد (الـــنفس الزكية) وأخوه ابراهيم، (مع العلم أن ابراهيم هذا هو جد الأشراف أهل "ينبع").

وكذلـــك مـــن الأبـــناء يحيى الذي خرج في عهد الرشيد، وســـليمان الـــذي قـــتل بفـــخ وإدريس الذي هرب إلى المغرب وموسى الذي حبسه المنصور.

وقد ولد عبدالله بن الحسن سنة ٧٠، وتوفي في سجن أبي جعفر المنصور في الكوفة سنة ١٤٥هـ[1].

ومـــن الشـــعراء العباس بن الحسن من أهل القرن الثاني الهجـــري ومحمـــد ابـــن صالح الحسني من أهل القرن الثالث الهجـــري. ومن الجغرافيين مسعر بن مهلهل الخزرجي من أهل القرن الرابع الهجري، وكذلك الشريف قتادة الذي أسس الطبقة

---

(١) أحمد بن علي أبوبكر الخطيب البغدادي: تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت، ج٩، ص٤٣١-٤٣٢، وانظر الأعلام للزركلي، الطبعة الرابعة عشر، ١٩٩٩، دار العلم للملايين، بيروت، ج٤، ص ٧٨، وانظر حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص١٣٧ ، ١٣٨.

الرابعة من الأشراف أمراء مكة في القرن السادس الهجري حتى الرابع عشر الهجري[١].

ومن علماء ينبع "محمد بن أبي بكر بن عبدالعزيز بن محمد أبوعبدالله عزالدين الكناني" ولد في ينبع عام ٧٤٩هـ، وعُرف باسم "ابن جماعة" من تلاميذ ابن خلدون وأشتهر بعلم اللغة والبيان والأصول[٢].

ويتوسع عبد الكريم الخطيب في الحديث عنه نقلاً عن ابن خلدون الذي التقاه في ينبع عام (٧٨٩هـ) والمقريزي والسيوطي بأن ابن جماعة عالم متفنن متكلم جدلي نظار نحوي لغوي بياني أخذ عن السراج الهذلي والضياء القرحي، وابن خلدون والتاج السبكي وأخيه البهاء وغيرهم، وله من المؤلفات الكثير، وبرز في الحكمة والطب وصناعة النفط والكيمياء، وكان يجله كثيراً ابن خلدون، وتوفي بالقاهرة عام ٨١٩هـ ذلك هو محمد بن جماعة الينبعي[٣]. وممن ينسب إلى ينبع مولداً تقي الدين ابن دقيق العيد (محي الدين أبي الحسن علي بن وهب بن مطيع بن أبي الطاعة القشيري النسب، المنفلوطي الأصل الينبعي المولد، القصصي المربي القاهري المنزل) وكان مولده بينبع في الخامس والعشرين من شعبان سنة ٦٢٥هـ، وتوفى سنة ٧٠٢هـ. اشتهر بمعرفته الواسعة للفقه والأسانيد والمتون، وتولى الافتاء في المذهبين المالكي والشافعي وأقرأ الحديث بالكاملية، وتولى قضاة الشافعية بمصر[٤].

---

(١) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص١١.

(٢) حمد الجاسر : بلاد ينبع، ص١١٨.

(٣) تاريخ ينبع، ص٩٢ ، ٩٣، (وقد عاش ابن جماعة في ينبع ٤٠ عاماً وتلقي العلم فيها واتجه لمصر لمزيد من التعلم والتعليم حتى توفي بالقاهرة).

(٤) القاسم بن يوسف التجيبي السبتي: مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب ليبيا، ١٩٧٥م، ص١٦-٣٧.

أمـــا قـــرى ينبع فقد ارتبطت بكثير من الأحداث التاريخية الهامة على مدار الفترة الإسلامية خاصة المبكرة منها.

ومن أهم هذه القرى:

١ ـ البغيـــبغه : بإعجام الغينين تصغير البغبغ، وهي البئر القريبة الرشـــاء، ولمـــا صارت ينبع لعلي رضي الله عنه جعل عيون البغيـــبغات صدقه على المساكين وابن السبيل، وارتبطت بهذه القرية أحداث سياسية في عهود مختلفة.

٢ ـ البليدة: قرية لآل علي.

٣ ـ ســـويقة : تصـــغير ساق، يسكنها آل علي بن أبي طالب رضي الله عنه وهي أيضاً عين عذبة كثيرة الماء. وارتبطت أيضـــاً بأحداث سياسية عرّضتها لكثير من الاضطرابات بل إلى الحرق في عدة مرات وعقر نخلها وتخريب منازلها.

٤ ـ العشـــيرة: تصـــغير عشـــرة من العدد، أو تصغير عُشَرَة واحـــدة العشر للشجر المعروف، وهي حصن صغير يُفضل تمره على سائر تمور الحجاز، وفي هذا المكان كانت غزوة العشـــيرة على زمن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم. وفـــي الوقـــت الحاضـــر تغير اسمها إلى القرية أو "القريّة" تصغير قرية.[١]

---

(١) الفيروز آبادي: المغانم المطابة ص ١٩٤/١٩١/٦٥/٥٩ والسمهودي: وفاء الوفاء، ج٤، ص١١١٥/١١٥٥/١٢٣٩/١٢٦٦، وحمد الجاسر: بلاد ينبع، ص١٢ـ١٩، وانظر أحمد عبدالحميد العباسي: عمدة الاخبار في مدينة المختار، ص ٢٨٠/٣٢٠/٢٢٥/٢٢١.

٥ ــ العلقمــية[١]: ارتبطت هذه القرية بأنها كانت موطن قتادة أمــير مكة ومؤسس الطبقة الرابعة من الأشراف أمراء مكة من القرن السادس إلى الرابع عشر الهجري[٢].

وقــد تــم الوقوف على بعض هذه القرى والمواقع الأثرية والتقطت بعض الصور الفوتوغرافية لمسجد العشيرة[٣] المرتبط بغــزوة العشــيرة وجبل رضوى ومواقع أخرى بتاريخ ٣/٢٧/ ١٤٢٠هــ. ورغم اندثار بعض هذه القرى لقلة الماء ولنضوب الآبــار إلا أنه لاتزال هناك بعض الآثار في ينبع النخل كالنقوش الكوفــية القريــبة مــن ســويقة، ونقوش جبل لؤلؤة، وبقايا الحصــون القديمــة. وكذلــك مانُسب إلى ينبع من آثار نبوية (شــعرات مــن شــعر رســول الله صلى الله عليه وآله وسلم، ومكحلــة ومرود وقطعة من قميص للنبي صلى الله عليه وآله وســلم وسيف من سيوفه ومصحف لعثمان بن عفان رضي الله عنه وآخر لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه نقلت إلى القاهرة في القرن السابع الهجري اشتراها الصاحب بهاء الدين بن حنا الوزيــر المملوكــي[٤] من أسرة بني إبراهيم من بني الحسن بن علــي بن أبي طالب رضي الله عنهما من سكان مدينة ينبع[٥].

---

(١) انظر صورة بقايا قرية العلقمية، ص ٣٨٠.

(٢) الفيروز آبادي: المغانم المطابة ص ١٩٤/١٩١/٦٥/٥٩ والسمهودي: وفاء الوفاء، ج٤، ص١١١٥/١١٥٥/١٢٣٩/١٢٦٦، وحمد الجاسر: بلاد ينبع، ص١٢-١٩، وانظر أحمد عبدالحميد العباسي: عمدة الأخبار في مدينة المختار، ص ٢٨٠/٣٢٠/٢٢٥/٢٢١.

(٣) انظر الصورة، ص ٣٨٠.

(٤) هو علي بن محمد بن سليم المصري (٦٠٣-٦٧٧) كان من أكابر رجال عصره حزما وعزما ، ولد وتوفي بمصر وعين وزيرا في عهد الظاهر واستمر في عهد ابنه سعيد ختى توفي . انظر الزركلي : الأعلام ،ج٤،ص٣٣٣.

(٥) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص١٤٥ ـ ١٤٦.

واستقرت هذه الآثار الآن في مسجد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما المزعوم وجوده قبره بمصر(١).

أما ينبع البحر، فيضاف البحر للتفريق بينها وبين ينبع النخل ولأنها تقع على ساحل البحر مباشرة، وهي ميناء المدينة، ورغم ماذكر من أنها قد عُرفت كميناء حتى قبل ميلاد المسيح عليه السلام وأنها كانت تسمى في كتب اليونان القديمة (RANE) أو (NEGRA) إلا أن ميناء الجار سبق ميناء ينبع على الأقل في الفترة الإسلامية المبكرة واكتسب شهرة كبيرة لم يكن لينبع الميناء وجوداً معه ولم يظهر ميناء ينبع إلا بعد انهيار واضمحلال الجار في أواخر القرن السادس الهجري، وعندما اختاره الأيوبيون عام ٦٢١هـ ميناءاً رئيسياً للمدينة المنورة، ودفعوا ثمنه للأشراف الحسنيين أصحاب ينبع، وعاود الأشراف الاستيلاء عليه وتنقلت السلطة على الميناء مابين الأشراف والأيوبيين والمماليك فيما بعد، وأصبح الميناء الثاني في الحجاز لنقل مؤن الحجاج، ومؤن عمارة الحرمين الشريفين بعد ميناء جُدة(٢)، وقد نشأ الميناء على نقطة تقع بين شرم ينبع في الشمال ومصب وادي الفرعة في الجنوب، ويقدر متوسط مابينهما (١٥كم) وبالتالي يصب في وادي ثمر، وهو بوابة المدينة المنورة، ومنفذ الحجاز الأوسط(٣) ويبعد شرم ينبع عن الميناء بحوالي ١٥كم شمالاً، وهو من المعالم الجغرافية الجميلة في ينبع، ويمتاز بمنظره الخلاب ومياهه الصافية، وتبرز حوله الصخور المرجانية، وهي بالتالي تساعد على حماية الشرم. وخليج ينبع لايزيد عرضه عن ٣ كم، وأضيق أجزائه $\frac{1}{2}$كم، وتنتشر فيه شعاب مرجانية وبينها جزر صغيرة،

(١) انظر: محمد قناوي: (المدينة في رحاب الآثار النبوية بالمسجد الحسيني) جريدة المدينة، العدد (١٣٠٨٣) السبت ١٤١٩/١٠/٢٧هـ، والعدد (١٣٠٨٦) الثلاثاء ١٤١٩/١٠/٣٠هـ.

(٢) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص٤٦ ـ ٥٠.

(٣) محمد الرويثي: الموانئ السعودية، ص٢٩٨-٢٩٩.

وانتشار الشعاب المرجانية في منطقة الميناء المائية ساهم في تمـدد ممـرات ضـيقة نحـو الشمال الشرقي والجنوب. ويتم الوصـول إلـى الميناء عن طريق قنال طوله ١٦٠٩م وعمقه ١٠,٣٦م. وسـاهم الموقـع الطبيعي للميناء على تطور مهمة الميـناء من مرحلة صيد إلى ميناء تجـاري وعسكـري من القـرن السابـع حتى القرن العاشر الهجري(١).

وازدهرت ينبع في عهد سلاطين المماليك الجراكسة نتيجة الإصـلاحات المـتعددة التـي نفذت في طريق الحج ومشاعر الحرمين، وأدت بالتالي إلى زيادة عدد الحجاج، وأصبحت ينبع محطـة برية وبحرية لحجاج مصر والشام، وأضحت سوقاً لبيع وشراء أنواع مختلفة من البضائع وساهمت بالتالي بدور فاعل في تجارة البحر الأحمر زمن المماليك(٢).

---

(١) محمد الرويثي: الموانئ السعودية، ص٣٠٤-٣٠٧.
(٢) علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، الشركة المتحدة للنشر والتوزيع، القاهرة، ١٣٩٣/١٩٧٣، ص١٩٠.

٣ ــ الجار [١]:

الجـــار ما قَرُبَ من المنازل من الساحل[٢]. وبتخفيف الراء هــو الذي تجيره أن يُضام[٣]. ويحدد عرام (المتوفى في القرن الثالــث الهجــري) موقع الجار بأنها على شاطئ البحر "البحر الأحمــر" ومــرفأ السفن القادمة من الحبشة ومصر والبحرين والصين.

ويصفها بأنها قرية كبيرة آهلة، وبها قصور كثيرة، مضيفاً إليها جزيرة في البحر مقابلة لها في الساحل وهي مرفأ الحبشة خاصه هي جزيرة "قراف"[٤].

ولايخــتلف عــنه اليعقوبــي (ت٢٨٤ أو ٢٩٣هــ) الذي يصــفها بأنها ساحل المدينة وتستقبل مراكب التجار والمراكب التــي تحمل الطعام من مصر[٥]. أما الإصطخري (ت٣٤١هــ) فيصفها بأنها فرضة المدينة وعلى ثلاث مراحل من المدينة[٦]. ويضيف الإدريسي (ت٥٦٠)، أن المراكب إليها قاصدة ومقلعة وليس بها كبير تجارات[٧].

ويحددها ياقوت (ت٦٢٦) بأنها تقع على ساحل بحر القلزم وأن بيــنها وبين المدينة يوم وليلة، وبينها وبين أيلة نحو من عشــر مــراحل، وتــبعد عن الجحفة بنحو ثلاث مراحل، وهي فرضــة للســفن القادمـــة من الحبشة ومصر وعدن والصين،

---

(١) انظر خرائط وصور ميناء الجار في الملاحق، ص٣٨١-٣٨٢

(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة جور ص.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٩٢.

(٤) أسماء جبال تهامة: ص٩، ١٠.

(٥) البلدان: الملحق بكتاب الاعلاق النفسية لابن رسته، ص٣١٣.

(٦) المسالك والممالك: ص٢٣.

(٧) نزهة المشتاق، ج١، ص١٤٤.

ويذكر أن شرب أهلها من البحيرة. وقد أصبح البحر الذي تطل عليه الجار يسمى بحر الجار من القلزم إلى جُدة[١].

ويضيف الحميري (ت٩١١) بأنها لها أسواق ومسجد جامع، ولها أحساء خارج المدينة، ولها مواجل لماء المطر، ومنها يصعد من أراد المدينة، ويقدر المسافة بين الجار وبدر بنحو عشرين ميلا[٢].

ويرى البلادي أن التقديرات للمؤرخين السابقين فيها شيء من الوهم والمبالغة، ومنها القول بأن بين الجار والمدينة يوم وليلة والصواب في رأيه بينها وبين المدينة ٢٠٠كم وعلى حساب القوافل القديمة خمس مراحل، من المدينة إلى الفريش أو السيالة متقاربتين ثم الروحاء أو المنصرف لقربهما من بعض ثم الحمراء، ثم بدر، ثم البريكة "الجار".

ويصحح القول بأن بين الجار وأيلة "العقبة" عشر مراحل. والعشر مراحل لاتزيد عن ٤٥٠كم بينما المسافة بين الجار والعقبة تزيد عن (١٠٠٠كم)، مشيراً إلى أن المسافة بين مكة والمدينة ٤٦٠كم أي (١١) مرحلة فقط[٣].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، مادة الجار، ج٢، ص٩٢.

(٢) الروض المعطار، ص١٥٣،

وانظر ناصر خسرو: سفرنامة، ترجمة خالد البدلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣-١٩٨٣، جامعة الملك سعود، ص١١٩.

(٣) معجم معالم الحجاز، ج٢، ص١٠٤.

وتقع البريكة التي هي ميناء الجار القديم على درجة ٣٠/ ٣٨ طول شرقاً، و ٤٠/٢٣ عرضاً شمالاً[١].

وسبب إطلاق اسم البريكة على الجار لعله يعود إلى وجود البحـيرة التي يفيض منها ماء وادي يليل، بالجار، فبعد اندثار الجـار اسـتمر ارتياد البدو رعاة الأنعام لهذه البحيرة، وأخذوا يطلقون عليها "البريكة" تصغير البركة.

وأمـا جزيـرة قـراف فمازالت ماثلة أمام الميناء (خليج الـبريكة) وتحمـل عـند العامة اسم "السلِّجـيَّة" بكسر السين المهملة واللام مع تشديدها وبالجيم المكسورة المشددة بعد اللام فياء مفتوحة مشددة فتاء مربوطة[٢].

وكان حمد الجاسر يرى أن الرائس هي الجار التاريخية إلا أنه بعد الدراسة والبحث وقيامه بجولة على الموقع عام ١٣٩٠ هـــ تـأكد له أن الجار هي البريكة الحالية وشاهد آثارها في مـرتفع من الأرض يحفه البحر من جهتيه الغربية والشمالية، حيـث يظهر رأس بحر ليس بعميق وتمتد البلدة غرباً في البحر لظهـور بعـض أساسات البناء القديم قد طمرتها المياه فشاهد أمكـنة المسـاكن وأكوام الرماد وكسر الزجاج والفخار وبقايا أسس أبنية، وآثار قناة، وأفواه حفر ضيقة[٣].

---

(١) حمد الجاسر: شمال غرب الجزيرة، الطبعة الثانية، ١٤٠١-١٩٨١، دار اليمامة - الرياض، ص١٩٢.
وانظر لوحة الحجاز الجنوبي: أبحاث جيولوجية، خريطة رقم I-210B، وزارة البترول والثروة المعدنية، خريطة جزيرة العرب: ١: ٢٠٠٠,٠٠٠، وخارطة طرق المواصلات ١: ٣٠٠٠,٠٠٠، وزارة المواصلات، وخرائط ميناء الجار بملاحق البحث، ص٣٨١-٣٨٢.

(٢) عبدالقدوس الأنصاري (رحلة الجار): مجلة المنهل، جُدة، جماد الاولى ١٣٩١، س٣٧، ص٤٦٨.

(٣) في شمال غرب الجزيرة، ص١٦٧-١٩١.

ومــن الآثار التي شاهدها الانصاري في رحلته إلى الجار عام ١٣٩١هــ وجود آثار رصيف بحري متآكل ومتداعي بفعل الأمــواج، وهو مبنى بالحجارة المنقبية البيض المنحوتة بناءاً قويــاً، وأكــوام مرتفعة ظهر تحتها حجارة منقبية لعلها أسس قصور ومباني، وآثار سور ممتد من البحر في الجنوب الغربي إلــى الشــمال الغربي ومن الشمال الغربي إلى الشمال الشرقي ومــن الشــمال الشرقي إلى الجنوب الشرقي كما وجدت شظايا الــزجاج الإســلامي متــناثرة وملونة، وقطع الفخار الإسلامي القديــم. ويــرجح الأنصاري أن لسور مدينة الجار عدة أبواب تغلق مساءً وتفتح نهاراً أحدها ناحية المدينة المنورة، وأن في الابــواب أبــراج للحراســة والمراقبة لأن سوقها كانت عامرة بالتجارة والبيع والشراء(١).

ويؤكــد علي غبان في دراسة آثارية أن بيوت الجار مبنية مــن الحجــر المرجانــي المستخرج من البحر أو المقطوع من محاجر الساحل، وأن بعض المستويات السكنية المتتابعة يرجع إلــى عصــر ماقبل الإسلام، وأحدثها يرجع إلى القرن الخامس وبدايــة القرن السادس الهجري، مشيراً أيضاً إلى وجود أنظمة لتصريف المياه المستعملة(٢).

وقــد تم الوقوف على تلال هذه المنطقة التاريخية بتاريخ ١٤٢٠/٣/٢٨هــ، ووجدت كثيراً مما ذكره الباحثون السابقون عــن الموقــع والميــناء والخليج، وبعض الآثار التي طمرتها الرمال الناعمة، ومن بين تلك الآثار قطع الزجاج الملون.

وممــن يُنسب إلى الجار من المحدثين ابوعبدالله سعد بن نوفــل الجــاري، مولــى عمر بن الخطاب وعامله على الجار،

---

(١) رحلة الجار، مجلة المنهل (سبق ذكره)، ص٤٧١-٤٧٤، (الحجار المنقبية: الحجار البحرية المستخرجة من الشعاب المرجانية وتميل إلى اللون الداكن).

(٢) الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى ١٤١٤هـ/١٩٩٣م، ص١٨-٢١.

وروى عــنه ابــنه عبدالله بن سعد. وعمرو بن سعيد الجاري، وروى عــن ابن عمر رضي الله عنه وأبي هريرة، وروى عنه زيــد بــن أســلم، وعــبدالملك بن أعين. ومن المحدثين أيضاً عــبدالملك ابــن الحسن الجاري الأحول مولى مروان بن الحكم يروى كما يذكر السمعاني المراسيل والمقاطيع، وروى عنه ابو عامــر العقــدي، وعمــر بــن راشــد الجاري القرشي مولى عبدالرحمن بن أبان بن عثمان، يقال له الساحلي يضع الحديث على مالك وابن أبي ذئب وغيرهما من الثقات، ويشير السمعاني إلا أنــه لاينبغي أن يذكر إلا على سبيل القدح فيه، وسليمان بن محمد بن سليمان الأسلمي العساري الجاري المديني، روى عن عبدالرحمــن بــن زيد بن أسلم وإسحاق بن ابراهيم ومالك بن أنــس وابــن أبــي ذئب ونافع بن أبي نعيم، ويحيى بن محمد الجاري يروي عن الداراوردي، روى عنه مؤمل بن إهاب، يذكر السمعاني أنه يقع في المناكير في روايته، ويرى وجوب التنكب عمــا انفــرد بــه من الروايات وإن احتج به محتج فيما وافق الثقات لم أر به بأساً.

وممن نسب إلى الجار الصحابي عبدالله بن سويد الحارثي رضي الله عنه[1].

---

(١) أبو سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني: الأنساب، تعليق عبدالله عمر البارودي، الطبعة الأولى، ١٤١٩ـ١٩٩٨، دار الفكر، بيروت، ج٢، ص١٠.
وانظر ياقوت: معجم البلدان: مادة الجار، ج٢، ص٩٣، والانصاري "رحلة الجار" ص٤٩٤، والجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص ٢٠٨، ٢٠٩.

عوامل اندثار مدينة الجار :

عاشت الجار في عهود ساد فيها الأمن وتوفرت فيها الخيرات التي تجلب للحجاز من مختلف الأقطار، وطوال تلك الفترة ظلت تعتمد على جيرانها في الطعام والشراب، فكان الطعام يُجلب من مصر والماء من الأدوية المجاورة للجار. لكن مما ساهم مباشرة في انهيار الجار من جملة أسباب أخرى هو اختلال الأمن في منطقة الجار وهجوم بعض القبائل العربية على المنطقة والفتك بها، كما حدث في سنة ٢٣٠هـ عندما هاجمت قبيلة بنو سُليم الجار فأوقعوا بناس من بني كنانة وباهلة فأصابوهم وقتلوا بعضهم، وكان على رأسهم عزيزة بن قطاب السلمي، وكان ذلك في خلافة الواثق بالله العباسي(١).

كذلك قد يعتبر الغزو الصليبي لبعض موانئ الحجاز في القرن السادس الهجري، وعدم قدرة ميناء الجار على صد الهجمات والغارات البحرية مما أدى إلى تفرق وهروب سكان الجار سبباً من الأسباب التي أدت إلى اندثار الجار. إلا أن اتخاذ الأيوبيين لينبع ميناءاً رسمياً للمدينة النبوية في عام ٦٢١هـ كان عاملاً مهما في تضاؤل شأن الجار وبالتالي اختفائها كميناء، واستمرت الجار كطريق بري للحاج للتزود بالماء من بحيرتها أو بركتها إلى القرن العاشر الهجري(٢).

وبما أن ميناء الجار ميناء استيراد فقد أدى عدم وصول السفن من مصر أو غيرها إلى انهيار هذا الميناء. فإن انقطاع

---

(١) تاريخ الطبري: المجلد الخامس، الطبعة الثانية ١٤٠٨، ١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٢٧٨، وعزيزة المذكور أحد كبار قادة قبيلة بني سُليم في زمانه كما يصفه الطبري .(وتفصيل الأحداث ص١٤٦).

(٢) انظر الأنصاري: رحلة الجار، ص٤٨٦-٤٩٣، وحمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص٢٠٩. وضيف الله الزهراني: (الجار ميناء ومدينة) بحث في دررية اتحاد المؤرخين العرب (الحضارة الإسلامية وعالم البحار) جمادى الأولى ١٤١٤، ص٢٥١-٢٥٢.

وصول السفن مع انعدام خدمة الظهير يؤدي لا محالة إلى زوال أي ميـــنـاء، فالموانئ لايمكن ان تحيا دون تنظيم حركة وصول البضـــائع والسلع من مراكز الانتاج وبالتالي انتقالها إلى مواقع اســـتهلاكها[١]. فســـاهم كل ذلك مجتمعاً في هجرة أهالي الجار وخاصة طبقة التجار مما أدى في نهاية الأمر إلى زوال واندثار مديـــنة الجـــار وبقيت أثراً بعد عين وأكواماً من التلال وساحلاً خالـــياً مـــن الحـــياة البشرية التى كان يعج بها فسبحان من له البقاء والدوام.

(١) محمد أحمد الرويثي: التطور المكاني والتاريخي لموانئ شبة الجزيرة العربية، الطبعة الأولى ١٤١٥ـ١٩٩٥/٩٤، المدينة المنورة، ص٨٦ـ ٨٧.

جُدة (١):

الجُـدُّ بالضـم : شـاطئ النهر، والجُدة أيضاً وبه سميت المديـنة التي عند مكة جُدة. وجُدة كل شئ : طريقته وجُدَّتُه : علامته، وكل طريقة جُدة وجادة[٢].

ويقـول يـاقوت : جُدة بالضم والتشديد، والجُدة في رأيه الطـريقة[٣]. وذلك موافق لما تبناه الأنصاري؛ وشدد عليه من أن الضبط الصحيح لصيغة جُدة الضم للجيم وتشديد الدال بعدها تـاء مـربوطة، ونقل عدة آراء لعدد من اللغويين والجغرافيين والمؤرخين تؤكد صحة ما ذهب إليه[٤].

وتقع مدينة جُدة عند منتصف البحر الاحمر عند التقاء خط العـرض ٢١، ٢٩ شمالاً والطول ٣٩,٠٧شرقاً[٥]. على السهل السـاحلي "سـهل تهامـة" ويحدها من الشرق مجموعة تلال صـغيرة تليها سلاسل غير متصلة من الجبال الموازية لسلسلة جبال الحجاز[٦].

ويـتأثر مناخ جُدة تأثراً مباشراً بموقعها الجغرافي، فترتفع فيها نسبة الرطوبة غالب أيام العام، وتقل في فصل الشتـاء[٧].

---

(١) انظر خريطة جُدة في الملاحق، ص٣٨٣.
(٢) ابن منظور: لسان العرب: ج٣، ص١٠٨.
(٣) معجم البلدان: ج٢، ص١١٤.
(٤) موسوعة تاريخ مدينة جُدة، المجلد الأولى، الطبعة الثانية ١٤٠١-١٩٨٠م، ص٤٥.
(٥) عبدالقادر بحيري: جُدة والبحر الأحمر "مقال" (جُدة عروس البحر الأحمر تقدم وحضارة)، إصدار من أمانة مدينة جُدة - الدار العربية للموسوعات، القاهرة، ص٦٨.
(٦) حمزه إبراهيم عامر: موقع مدينة جُدة وطبيعة أرضها، الدورية السابقة، ص٦٥.
(٧) أحمد إبراهيم: المناخ، الدورية السابقة، ص٦٧.

وموقعها الجغرافي جعلها ملتقى لعدد من طرق المواصلات البرية والبحرية، فتحقق لهذا الموقع أن يكون رابطاً بين البر والبحر، فتبعد جُدة عن المدينة بـ٤٢٥كم وعن مكة ٧٥كم وعن العقبة ٩٥٠كم، وبذلك أصبحت جُدة بوابة مكة المكرمة[١].

أما الجغرافيون الأوائل فيصفونها بأنها فرضة مكة، يقول اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) أن الخراج والصدقات والميرة تُحمل إلى مكة من مصر عبر ساحلها وهو جُدة[٢]. كذلك يصفها الاصطخري (ت٣٤٠) بأنها عامرة كثيرة التجارات والأموال، وليس بالحجاز بعد مكة أكثر مالاً وتجارة منها، وجل تجارها في زمانه الفرس[٣].

وقد زار ناصر خسرو (ت٤٨١) جُدة في عام (٤٤٢هـ) أثناء إمارة الشريف شكر بن أبي الفتوح الملقب بتاج المعالي، وفي عهد الحاكم العبيدي في القاهرة المستنصر، والقائم بأمر الله العباسي في بغداد، ويصفها بأنها مدينة كبيرة ذات سور حصين، وإن عدد سكانها في زيارته لها يقدرون بنحو (٥٠٠٠) نسمة[٤]. قريباً من هذا يصفها الإدريسي (ت٥٦٠) بأنها عامرة بالتجارة وأهلها مياسير، ولها مراكب كثيرة تتصرف إلى جهات متعددة، وبها مصائد للسمك[٥]. إلا أن ابن جبير (ت٦١١) والذي زار جُدة يتحدث في رحلته الشهيرة عن أوضاع جُدة في زمانه، فيقول أن أكثر بيوتها من أخصاص (بيوت من القصب والشجر) وأهلها يعيشون في شظف من العيش، مشيراً

---

(١) محمد أحمد الرويثي: الموانئ السعودية على البحر الأحمر، ص٢١٤-٢١٧.
(٢) البلدان: ص٣١٧.
(٣) المسالك والممالك: ص٢٣، وانظر ابن حوقل، ص٣١.
(٤) سفر نامة: ص١٣٥.
(٥) نزهة المشتاق في افتراق الآفاق، ج١، ص١٣٩.

إلـــى آثارهـــا ومســـاجدُها[1]. ووافقه أيضاً الرحالة القاسم بن يوســـف التجيبـــي السبتي (ت٧٣٠) الذي زار جُدة سنة (٦٩٦ هـــ) فـــيقول بـــأن أهلها في زمانه من أشد الناس فقراً ومن أكـــثرهم علـــى الجـــوع صـــبراً وقد تهدم أكثر بنائها، وشرب أهلهـــا من جياب منقورة[2].

إلا أن الوضـــع تحســـن كثـــيراً في القرن التاسع الهجري ومابعده، ويصفها الظاهري بأنه ربما يردها كل سنة مايزيد عن مائـــة مركـــب، ومن ذلك مركب بسبعة قلوع وتؤخذ الموجبات والرسوم تحمل إلى أمير مكة ويشاركه فيها السلطان المملوكي الملك الاشرف ابو النصر برسباي([3])، وقد يصل متحصل جمرك جُدة (٢٠٠,٠٠٠) دينار في كل سنة قد يزيد وقد ينقص[4].

ويـــدل ذلـــك علـــى زيادة دخلها بزيادة عدد الحجاج وقوة الحركة التجارية[5].

وممـــا تحـــدث عنه الرحالة السابقون مساجد جُدة وآثارها فـــتحدثوا عن قبر حواء وما بُني عليه من قبة وما قامت حوله مـــن اعتقادات باطلة ما أنزل الله بها من سلطان ..! ومنهم من ذكـــر أنـــه موقـــع مزعوم وهو الصواب، ومن المساجد مسجد منســـوب إلـــى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وقيل لعمر بن عـــبدالعزيز رحمه الله، ومسجد الأبنوس له ساريتان من خشب الأبـــنوس وقـــد نســـب إلى هارون الرشيد، وهو على الأرجح

(١) رحلة ابن جبير: ص٥٣ ، ٥٤.

(٢) مستفاد الرحلة والاغتراب: تحقيق عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، ١٩٧٥م، ص٢١٨ ـ ٢٢٢.

(٢) برسباي الدقماقي الظاهري صاحب مصر ، جركسي الأصل ويصفه ابن إياس بأنه كان ملكاً جليلا ، إلا أنه يطمع في الأموال، وله أعمال في الحرم المكي. انظر الزركلي : الأعلام ، ج٢، ص٤٨.

(٤) خليل بن شاهين: زبدة كشف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس، باريس، المطبعة الجمهورية، ١٨٩٤، ص١٣-١٦.

(٥) علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص١٩٣.

مسـجد عثمان بن عفان رضي الله عنه وبعض السكان يسميه "زوايـة ابـن عفان" ومساجد وزوايا أخرى يذكرها ابن فرج[١] والحضراوي[٢].

وتحقق الأنصاري مما ذكر من أن صنماً يقال له سعد بجُدة فوجـد أن جزيرة مجاورة لساحل جُدة تسمى سعد أو أبي سعد وأمامها سهل أفيح إلى ناحية الشرق فترجح لديه أن الصنم كان في هذا السهل المقابل للجزيرة، وسميت الجزيرة باسمه.

ويورد قصة الراعي الذي ورد بإبله على الصنم ليتبرك به فلما أدناها من الصنم نفرت وتفرقت في كل وجه وأسف وتناول حجراً فرمى به الصنم "سعداً" وقال :

أتينا لسعد ليجمع شملنا * فشتتنا سعد فلا نحن من سعد

وهل سعد إلا صخرة في تنوفة[٣] * من الأرض لا يدعى لغي ولا رشد[٤]

وعـن سـكان جُدة ومن ينسب لها من المحدثين والعلماء يذكـر ياقوت الحموي أن قضاعة وأبناءهم أول من سكن جُدة، بل إن من ولده من يسمى جُدة بن حزم بن ريان بن حلوان بن عمـران بن الحاف بن قضاعة[٥]. وارتبط اسم جُدة بالفرس في فـترات تاريخـية لـم يثبت منها إلا في القرن الثالث والرابع الهجري "العاشر الميلادي" لكثرة ارتياد تجار الفرس وسيطرتهم علـى الـتجارة في الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر حـتى أطلـق كثير من الجغرافيين اسم بحر فارس على البحر

(١) السلاح والعدة في تاريخ جُدة: تحقيق مصطفى الحدري، الطبعة الأولى ١٤٠٨ـ١٩٨٨، دار ابن كثير، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة، ص١٠٢ـ١٠٤.

(٢) الجواهر المعدة في فضائل جُدة: مجلة العرب، ج١١و١٢، ص١٣ (جمادى الثانية سنة ١٣٩٩)، ص١٢٥ـ١٢٧.

(٣) التنوفة : البرية لا ماء فيها ولا أنيس . انظر المنجد ، ص٦٦.

(٤) موسوعة تاريخ جدة ، ص ٧٠ـ٧١.

(٥) ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص١١٥.

الأحمـــر بـــل واستوطنوا جُدة وغلبوا عليها وبنوا بها قصوراً، فأكثر صناع المراكب وملاحيها من الفرس[١].

وممـــن ينســـب إلى جُدة عبدالملك بن إبراهيم الجدي، وقد قال فيه البخاري "حجازي سمع شعبة وسعيد بن خالد ابوعبدالله مولـــى بني عبدالدار القرشي مات ٢٠٥ أو ٢٠٤"، وزاد محمد بن طاهر المقدسي أنه روى عنه عبدالله بن منير المروزي في الشهادات، وذكره الحافظ المزي وقال: روى له البخاري مقروناً بغيره وأبو داود والترمذي والنسائي.

ومـــن المنسوبين إلى جُدة قاسم بن محمد الجدي، وكذلك جابر بن مرزوق الجدي[٢]. ومن العلماء كذلك في القرن التاسع الهجري أبو المعالي عبدالرحمن الشيرازي، وقد حج الحافظ ابن حجـــر العســـقلاني ســـنة ٨٠٦هـــ وعاد إلى جُدة وقرأ بها في المحرم سنة ٨٠٧هـــ على أبي المعالي وعاد إلى بلده مصر[٣].

ويورد بعض المؤرخين الذين كتبوا عن جُدة كابن فرج[٤] والحضـــراوي[٥] عدداً من الأحاديث التي تنسب إلى رسول الله صـــلى الله علـــيه وسلم في فضل جُدة، (وفضل المرابطة بها، ولكن لم يثبت عن رسول الله صلى الله عليه وسلم منها شيء) ومـــنها علـــى ســـبيل المثال ما ورد في الطبقات عن نوفل بن الحـــارث بـــن عبدالمطلـــب أنه لما أسِرَ ببدر قال له رسول الله

---

(١) جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ترجمة د/ السيد يعقوب بكر، مطابع دار الكتاب، مكتبة الانجلو المصرية، ص ٢٢٩-٢٣٠.

(٢) السمعاني: الأنساب، ج٢، ص٣٢، وأنظر مصطفى الحدري: محقق مخطوطة السلاح والعدة لابن فرج، ص٢٢-٢٣.

(٣) الأنصاري: موسوعة تاريخ جُدة، ص١٨٥-١٨٦.

(٤) السلاح والعدة في تاريخ جُدة: ص٧٧-٧٩.

(٥) الجواهر المعدة في فضائل جُدة: مجلة العرب، العدد، ج٥و٦ س١٣، القعدة والحجة، سنة ١٣٩٨، ص٤١٨، العدد، ج٧/٨ س١٣، محرم وصفر، سنة ١٣٩٥، ص٥٤٣-٥٤٧.

صـــلى الله علـــيه وسلم: افد نفسك يا نوفل، قال: ما لي شيء افدي به نفسي يارسول الله، قال: افد نفسك برماحك التي بجُدة، قـــال: أشهد أنك رسول الله. ففدى نفسه بها وكانت ألف رمح. وأسلم نوفل بن الحارث، وكان أسن من أسلم من بني هاشم[1]. كما ناقش محقق مخطوطه ابن فرج جملة من الأحاديث، واشار إلى أنها وردت في سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة[2].

(١) ابن سعد: دار صادر، بيروت، ج٤، ص٤٦.
وقد علق الأستاذ علي رضا بن عبدالله (المختص في علم الحديث) في زاوية له بجريدة المدينة بعنوان فرعي (جُدة على لسان رسول الله صلى الله عليه وسلم) عدد رقم ١٣٠٦٤، وتاريخ ١٤١٩/١٠/٨هـ، على الحديث السابق بأن الحديث ضعيف ولا يصح عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

(٢) مصطفى الحدري: محقق مخطوطة السلاح والعدة في تاريخ جُدة، ص٢٠-٢١.

الشعيبة [١]:

شـــعيبة تصغير شعبة، والشعبة : المسيل من الارتفاع إلى قرارة الرمل. والشعبة: المسيل الصغير، وقيل الشعبة ما انشعب مـــن القلعة والوادي أي عدل عنه وأخذ في طريق غير طريقه فتلك الشعبة، والجمع شُعب وشعاب[٢].

ويـــــرى البـــلادي أن الشـــعيبـــة هي الوادي الذي يعـــــرف الـــيوم بالشعيبــــة ولكن دخل عليه تحريفاً، وفي رأيـــــه أن اسـمه القديـــم الشعبة. والشعيبة الميناء، ولايزال معروفاً بهذا الاسم وشهرته التاريخية تقدمه على الوادي[٣].

وتقـــع الشعيبـــــة بقــــرب الخط ٥٩/٢٠ على الشاطئ في جون من البحر يقع في الشمال الغربي من جبل شداد وعلى الشـــمال مـــن مســـتابه "المصطبة" وهو في موقـــــع "الشعيبة المقفلـــة" لأن الشعيبـــــة الآن موضعان "الشعيبة المقفلـــــة" وغـــربها فـــي داخل الجون البحري "الشعيبة المفتوحة"[٤]. وقد وقف تم الوقوف على الموقعين والتقطت لهما صوراً فوتغرافية بـــتاريخ ٢/٥/١٤٢٠هــــ، ووجـــــدت التسميات المحلية تطلق إمـــا مغلقة أو مسدودة، وكان ذلك بعد الحصول والاطلاع على خريطة جيولوجية[٥] وأخرى تخطيطية[١]، وبعد مراجعة ودراسة

---

(١) انظر خرائط وصور عن ميناء الشعيبة في الملاحق، ص٣٧٨-٣٨٠
(٢) ابن منظور: لسان العرب، مادة (شعب) ج١، ص٤٩٩.
(٣) معجم معالم الحجاز، ج٥، ص٧٢-٧٣.
(٤) الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص١٧٢-١٧٣.
(٥) خريطة رقم I-210B أبحاث جيولوجية، لوحة الحجاز الجنوبي، وزارة البترول والثروة المعدنية. ←

أبحـــاث ودراسات الجاسر والأنصاري اتضحت الصورة للموقع الحقيقي للشعيبة. والمتجه لها من جنوب مكة بحي الكعكية على طــريق الجــنوب الساحلي وبعد ٦٠كم تقريباً ومن نقطة الأمن يُتجه غرباً في حدود ٢٤كم تقريباً ليجد الشعيبة أمامه.

ويذكــر الشــعيبة ابن خرداذبة (ت٣٠٠) في الطريق من عُمــان إلــى مكــة على الساحل مروراً بعدد من المنازل حتى الوصول إلى مكة[٢]. ويرى ابن المجاور (ت٦٩١) أن الشعيبة مرســى قديــم وأنه كان قبل جُدة لأنه في رأيه لايوجد في تلك النواحــي مرسى أدنى منه ولا آمن عاقبه[٣]. ويعلق الأنصاري علــى ذلــك الــرأي بأن من الواقع المشاهد أن جُدة أدنى من الشعيبة إلى مكة ولذلك طلبت قريش من الخليفة الراشد عثمان بــن عفان رضي الله عنه اتخاذ جُدة ميناءاً لمكة، أما عن قدم الشــعيبة على جُدة فلايمكن الإقرار به إلا إذا قُصد به من فترة اتخـــاذ عثمان رضي الله عنه جُدة ميناءاً رسمياً لمكة فبالتالي تعتبر الشعيبة أقدم[٤].

وارتبط ميناء الشعيبة تاريخياً بحادثة تجديد بناء الكعبة قبل مبعــث النبــي صلى الله عليه وآله وسلم بخمس سنوات، تلك

←(إن الموضع المسمى في الخريطة "مستابة Mastabah" صوابه "المصطبة" وأنه يقع شمالاً عن موضعه الذي رسم فيه في هذه الخريطة، وأن موقعه ينبغي أن يكتب فيه (الشعيبة المقفلة) إذ إسم الشعيبة يطلق على موضعين بالشاطئ أحدهما هذا الموضع والآخر غربه في داخل الجون ويدعى الشعيبة المفتوحة ..) عن حمد الجاسر في شمال غرب الجزيرة: ص١٧٢ ولتعليل التسمية: بأن المقفلة يكاد يكون المدخل إليها مقفلاً بخلاف الاخرى، كما تبين الخرائط الملحقة انظرها.

(١) خارطة تخطيطية: ١،٥٠٠,٠٠٠، لوحة رقم NF37 - SE - وزارة البترول والثروة المعدنية (خريطة مكة المكرمة).
(٢) المسالك والممالك: ص١٤٨.
(٣) تاريخ المستبصر: ص٤٣.
(٤) موسوعة تاريخ مدينة جُدة: ص٥٩-٦١.

الحادثة التي أوردها الأزرقي (ت٢٤٤هـ) تقريباً عندما عزمت قريش في الجاهلية على بنيان الكعبة فتصادف أن سفينة للروم أقبلت حتى إذا كانت بالشعيبة وهي يومئذ ساحل مكة قبل جُدة فانكسرت فسمعت بها قريش فركبوا إليها وأخذوا خشبها وروميًا كان فيها يقال له باقوم نجاراً بنَّاء ...)[١].

وعن وهب بن منبه قال: إن سفينة دفعتها الرياح إلى الشعيبة وهو مرفأ السفن من ساحل بحر الحجاز، وقد كان مرفأ مكة ومرسى سفنها قبل جُدة، فاستعانت قريش بخشب تلك السفينة في تجديد عمارة الكعبة[٢].

وبعد اختيار عثمان بن عفان جُدة سنة ٢٦هـ ميناء لمكة بدأت الشعيبة في الضمور ثم الاختفاء من ساحة الأحداث، وإن استمرت لما بعد القرن السادس ميناءً صغيراً للسفن الواردة من اليمن، ماعدا حادثة عمارة المسجد الحرام في عهد الخليفة العباسي المهدي الذي أمر بنقل الأساطين من مصر والشام ونقلت بحراً إلى ميناء الشعيبة. وبعدها بقي الميناء لاترتاده إلا السفن الصغيرة وصيادي الاسماك[٣]. وعلى الرغم من الخصائص الطبيعية لميناء الشعيبة التي تميزه عن ميناء جُدة، حيث انعدام الشعاب المرجانية، وتوفر المياه البحرية العميقة التي تتراوح مابين ١٠٠ــ٢٠٠م، وبالتالي مرساها محمي من الرياح مما يساعد في وصول السفن إلى البر وذلك للاقتراب من خط الساحل، بخلاف جُدة لأن مرساها تقف فيه السفن بعيدة عن البر إلا أنه تم اختيار جُدة ميناء لقربها من مكة وسهولة الطريق بينها وبين مكة وهو مسامت لمكة من جهة الغرب، ولعل ذلك يعود لأسباب عدة منها السياسية والطبيعية، ومن

---

(١) أخبار مكة: تحقيق رشدي الصالح ملحس، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣-١٩٨٣، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة، ج١، ص١٥٧.

(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ٣٥١ (وسيأتي الحديث عن الهجرة لاحقاً).

(٣) الجاسر: شمال غرب الجزيرة، ص١٧٤.

ذلـــك قـــرب جُـــدة لمكة، وكذلك معرفة قريش لميناء جُدة قبل الشعيبة، وقد يكون أيضاً نقل الميناء إلى جُدة من طريق اليمن خشية تأثير الحكم اليمني على ميناء الشعيبة، وبالتالي ضرورة رعايـــة وحمايـــة الـــثغور الإسلامية من قراصنة البر والبحر. وســـاعد علـــى اندثار الشعيبة النجاح الكبير لميناء جُدة وتدفق التجارة والملاحة ورحلات الحجاج[١].

(١) الأنصاري: تاريخ جُدة، ص٦١،٦٠، وانظر: الرويثي: التطور المكاني لموانئ شبه الجزيرة العربية، ص١٠٥-١١١.

٦ ـ السرين[١]:

السرين بلفظ تثنية السر الذي هو الكتمان مجروراً أو منصوباً[٢]. ومن معاني السر: سِرٌ الوادي وهو أكرم موضع فيه، وأرضٌ سِرٌ كريمة طيبة، وقيل هي أطيب موضع فيه[٣].

والسرين بكسر السين المهملة المشددة، وفتح الراء المهملة المشددة أيضاً، بعدها الياء الساكنة المنقوطة بأثنتين من تحتها آخره النون[٤]. ورتقة السرين تسمية يوردها الفيروز آبادي[٥].

ويطلق السكان الآن على موقع السرين تسمية المصنع أو المصنعة[٦]. وفي اللغة الصنع هو الحوض أو شبه الصهريج يجمع فيه ماء المطر. وقال تعالى: {وتتخذون مصانع لكم لعلكم تخلدون}[٧] قال بعض المفسرين : هي أحباس تتخذ للماء واحدها مصنعة ومصنع[٨].

ويتسم وصف الجغرافيين المتقدمين لموقع السرين الميناء والبلدة بالإجمال والتقريب، فيشير إليها اليعقوبي (ت٢٨٤هـ) على أنها من أعمال مكة أي مضمومة إلى عامل مكة[٩].

---

(١) انظر خرائط وصور عن موقع وميناء السرين ، ص٢٨٧-٣٨٩.
(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢١٦.
(٣) ابن منظور: لسان العرب: مادة السر: ج٤، ص٣٥٦-٣٥٩.
(٤) الفقيه: حسن ابراهيم: مدينة السرين الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٢م، ص٣٨.
(٥) القاموس المحيط، ج١، ص١١٤٣.
(٦) الزيلعي: أحمد بن عمر: ميناء السرين (بحث منشور) في مجلة اتحاد المؤرخين العرب، القاهرة، ١٤١٤-١٩٩٤ (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ص١٧٦-١٧٧.
(٧) سورة الشعراء: آية رقم (١٢٩).
(٨) ابن منظور: لسان العرب: مادة صنع، ج٨، ص٢١١.
(٩) البلدان: ص٣١٦.

وفـــي الطريق من عُمان[1] إلى مكة على الساحل يذكر ابن خـــرداذبة (ت٣٠٠) السـرين مابيـن حلي[2] جنوباً وأعيار[3] شـــمالاً[4]. أما الهمداني فيذكر السرين في عدة مواضع مشيراً إلى أنها من ساحل كنانة، ويورد قصيدة لشاعر تهامي يقال له أبـــو الجياش الحجري من الحجر بن الهنو يصف مناطق تهامة ومن ذلك قوله:

(١) عُمان: بضم أوله وتخفيف ثانيه بلد عربي على ساحل بحر اليمن والهند، أنظر ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص١٥٠. والمسمى الحديث سلطنة عُمان إحدى دول الخليج العربي وتطل على خليجي عُمان والخليج العربي.

(٢) حلي: تقع جنوب القنفذة على ساحل البحر الأحمر على بعد ٦٠كم منها. انظر ياقوت ج٢، ٢٩٧، والبلادي: بين مكة واليمن، ص١٧٦.

(٣) أعيار: وادي صغير يأتي من الجبال الواقعة على السفوح القريبة للسراة فيأخذ مياة جبال ذهب، ثم ينحدر بين الليث شمالاً وجبل عفف جنوباً، ومعظم مياهه تأتيه من جبل عفف. انظر البلادي: بين مكة واليمن، ص٥٢.

(٤) المسالك والممالك: ص١٤٨.

فقنونا(١) فأرض دوقة(٢) فالليث(٣) فعشم(٤) السرين فالسراء(٥) والاصطخري (ت٣٤٠) يحدد الحجاز جنوباً بالسرين[٦]، وكذلك ابن حوقل (ت٣٦٧هـ)[٧]. ويصف الادريسي (ت٥٦٠هـ) السرين بأنها مدينة ساحلية بينها وبين حلي الواقعة جنوبها خمسة أيام، وأنها حصن حصين، حسن موضعه كثيرة مياهه، ولواليه جباية شيء معلوم ورسم ملزوم على المراكب الصاعدة

---

(١) الليث: وادي بأسفل السراة يدفع في البحر، وعليه مدينة بحرية نشأت في القرن السابع الهجري تقريباً بعد اندثار السرين تقع على الطريق بين مكة وجازان وتبعد عن مكة جنوباً حدود ١٨٠كم، انظر ياقوت: ج ٥، ص٢٨، والبلادي: بين مكة واليمن، ص٣٠.

(٢) عشم، بالتحريك، جنوب السرين بالقرب من حلي، وتقع آثارها في صدر وادي قرماء في أول سفوح جبال تهامة، وتقع عند منازل قبيلتي كنانة والأزد، ولم تتطرق لها المصادر الجغرافية بتفصيل لموقعها الداخلي من تهامة، وللاستاذ حسن بن إبراهيم الفقيه دراسة حول آثار مدينة عشم. انظر البلادي، بين مكة واليمن، ص٨٤.

(٣) صفة جزيرة العرب، ص٣٣٦.

(٤) قنونا: من أودية تهامة الحجاز، تسيل مياهه من سراة خثعم، وينحدر غرباً ماراً بين وادي الأحبة ووادي يبه، وتصب فروعه شمال وجنوب القنفذة. انظر البلادي: بين مكة واليمن، ص١٣٩.

(٥) دوقة: بلدة جنوب السرين والأصل اسم الوادي محل من أودية تهامة ثم قامت على مصبه قرية، انظر البلادي، بين مكة واليمن، ص٦٧، والآن هي مركز تابع لمحافظة القنفذة.

(٦) المسالك والممالك: ص٢١

(٧) صورة الأرض: ص١٩.

والـــنازلة مـــن اليمـــن بالتجارات والمتاع والرقيق[١]. وعمارة اليمـــنى (ت٥٩٦) يذكـــر السرين عند حديثه عن المساجد التي بـــناها الوزيـــر اليمني حسن بن سلامة في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري في مناطق الساحل إلى مكة[٢]. كما يصف يـــاقوت (ت٦٢٦هـــ) الســـرين بأنها بليد قريب من مكة على ساحل البحر بينها وبين مكة كما يرى أربعة أيام إلى خمسة[٣].

اما ابن المجاور (ت٦٩١هـــ) فيقدر المسافة بين السرين ومكة بحوالـــي (١٧) فرسخاً[٤]. ويصف الحميري (ت٩٠٠) السرين بأنـهـــا مدينة عظيمة في طريق مكة واليمن وبمقربة من يلملم، وفـــيها أسواق ومسجد جامع، وسورها في البحر، وأكثر بنائها بالخشـــب والحشيش، إلا المسجد الجامع فإنه مبنى من المدر، وهي من عمل مكة، وأكثر زروع أهلها الذرة والسمسم[٥]. من ذلك يتضح لنا أن بلدة السرين تقع جنوب بلدة الليث بحوالي (٤٣) كـــم على طريق مكة جازان عند تقاطع خط الطول (٣٣، ٤٠°) شرقا، بدائرة العرض (٥٤، ١٩°) شمالاً تقريباً، ولاتتجاوز مساحتها ($\frac{1}{4}$)كم طولاً و($\frac{1}{2}$) كم عرضاً من الشمال إلى الجنوب، ويعتقد أن طرفها الجنوبي لشاطئ البحر أستخدم رصيفاً لتفريغ البضـــائع المحملـــة بالسفن المرساة بساحل السرين[٦]. ويمكن الوصـــول إلـــيها حالـــياً بعد تجاوز محطة الوسقة الواقعة على

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق: ج١، ص١٣٨.
(٢) تاريخ اليمن (المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد..)، الطبعة الثانية، ١٣٩٦-١٩٧٦، تحقيق محمد بن علي الاكوع، مطبعة السعادة، ص٧٨.
(٣) معجم البلدان: ج٣، ص٢١٩.
(٤) تاريخ المستبصر: ص٥٢-٥٣. (وتقديره للمسافة غير دقيق)
(٥) الروض المعطار في خبر الأقطار: ص٣١٢.
(٦) الفقيه: مدينة السرين الأثرية، ص١٦، وانظـــر خريطـــة جزيرة العرب: ١: ٢٠٠٠,٠٠٠، وخارطة طرق المواصلات: ١: ٣٠٠٠,٠٠٠.

طـريق مكـة جازان الساحلي إلى الجنوب الغربي باتجاه البحر مـاراً بحلة الأشراف "البراكيت" ثم السبخة وإلى الموقع، أو من جنوبي الوسقة باتجاه الجنوب الغربي مباشرة عبر السبخة حتى الوصول إلى تلال رملية مرتفعة تمثل موقع السرين المندثر(١). والموقع محاط الآن بسياج حديدي من عمل إدارة الآثار وعليه تحذير حكومي من التعدي على المناطق الأثرية، وقد تم الوقوف علـى تلـك الـتلال وتتـبع موقع الميناء والتقطت عدة صور فوتغرافية بتاريخ ٨/٥/١٤٢٠هـ(٢).

وعـن نشـأة السرين لم يتوفر في المصادر المطلع عليها تحديد دقيق لنشأة هذه المدينة، عدا ما ذكره ابن المجاور، أنها مـن بـناية الفـرس، إلا أن معلومـات ابـن المجـاور تتسم بالاضطراب وعدم الدقة(٣).

ولعل أول إشارة للسرين في كتب التراث وردت على لسان الشاعر ابو خراش الهذلي (الشاعر الجاهلي الذي أدرك الإسلام ومات في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه) وقد قال:

فـروع الأبـاء مـن عميم ∴ غذَاهُ من السرين أو بطن السوائل حلية

(١) الزيلعي: ميناء السرين، ص١٨١.
وللباحثين حسن بن ابراهيم الفقيه وأحمد بن عمر الزيلعي جهوداً قيمة في مجال البحث والمسح الأثري في ساحل تهامة بعامة ومدينة السرين بخاصة منشورة في كتب ودوريات متخصصة ورسائل علمية.
(وللفقيه رأي في الجزيرة المسماة في الخرائط الحديثة بـ(سرين) وتقع غرب "دوقة" أنها تسمية خاطئة بل أن اسمها "أم علي" أو "جزيرة بَيُّوضَة" وهي من الجزر الواقعة في الشمال الغربي من موقع رأس (محيسن) وليس رأس الحسن كما تذكره بعض المراجع، ص١٠-١١).
(٢) انظر في الملاحق، ص٣٨٩.
(٣) الزيلعي: ميناء السرين، ص١٨٧، الفقيه، مدينة السرين، ص٤٧.

مما يشير إلى أن نشأة السرين كانت قبل الإسلام[١].

كمـــا أن الموقع البحري المناسب في منتصف الطريق بين اليمـــن والحجـــاز جعل للسرين أهمية تجارية وعسكرية، فهي تســتقبل منــتجات السروات، وسهول تهامة من حبوب وتمور وغــيرها، ثــم مايجلب من الحبشة من الرقيق والمتاع، وأيضاً موقعهــا كمحطـــة للحــاج اليمنـــي براً وبحراً إلى مكة. إلا أن الملاحــظ أن الســرين لــم تبرز كميناء هام في القرون الثلاثة الهجــرية الأولـــى، حتى حل القرن الرابع الهجري فبدأت تظهر تباشــير هــذا الميناء، ووصل قمة مجده في القرنين الخامس والســادس الهجريــين، حــتى وصــفها الرحالة والجغرافيون المســلمون كالمقدســي والــبكري والإدريسي والحميري بأنها مديـــنة عظيمة كما سبق عرضه[٢]، ولعل من أبرز أسباب ذلك ظهور أمراء من الأشراف لهذه البلدة عملوا على ازدهارها[٣].

وأشـــارت الــنقوش الشاهدية التي وجدت في موقع مدينة السرين إلى أسماء رجال كان لهم على مايبدو إسهامات علمية، ولعــل أبــرز مـــن ثبــت انتسابه إلى السرين من العلماء هو أبوهـــارون موســـى بن محمد بن محمد بن كثير السريني الذي روى عـــن عـــبدالملك بـــن ابراهيم الجدي روى عنه الطبراني وغيره[٤]، وقد عاش الطبراني من عام ٢٦٠ــ٣٦٠هــ[٥]. مما يرجح أن أبا هارون السريني أيضاً ممن عاش في القرن الثالث

---

(١) الفقيه: مدينة السرين، ص٢٠ـ٢٢، والزيلعي: ميناء السرين: ص١٧٨.

(٢) الزيلعي: المصدر السابق، ص١٨٨ـ١٩١، والفقيه، المصدر السابق، ص٤٩ـ٥١.

(٤) راجع ص١٥٢ – ومابعدها .

(٤) ياقوت: معجم البلدان: ج٣، ص٣١٩، وانظر الفقيه: مدينة السرين، ص٨٥.

(٥) الطبراني: سليمان بن أحمد بن أيوب بن مطير اللحمي الشامي، أبو القاسم، من كبار المحدثين، عاش (٢٦٠ـ٣٦٠هـ)، الزركلي؛ الاعلام، ج٣، ص١٢١.

الهجري[١]. وممن وردت أسماؤهم في النقوش الشاهدية، ويرجح الفقيه أنهم من العلماء الذين عاشوا في السرين وهب بن موسى بن رزق مولى محمد بن عبدالله بن مسافع المعروف بأبي قتوعد الحجبي، من رجال القرن الرابع الهجري ومحمد بن جعفر بن عبدون أيضاً من رجال القرن الرابع، ومحمد بن الحسين بن أحمد الشافعي الذي عاش في النصف الثاني من القرن الرابع الهجري، ومحمد بن عبدالرحمن بن محمد بن خلف النبيت ممن عاش في منتصف القرن الرابع، وكذلك علي بن محمد بن زيد النداف، وقد توفى عام ٣٧٩هـ، ومنصور بن نصر بن منصور، وبالرغم مما تشير إليه الشواهد من لمحات علمية إلا أنها لاتقطع بأنهم علماء. إضافة إلى ماذكر من موت بعض علماء وفقهاء اليمن في السرين أمثال الفقيه محمد بن منصور الجنيد الفتوحي المشيرقي الصمعي الذي توفي آخر ذي الحجة سنة ٥٨١هـ، وكذلك القاضي عمر بن عبدالعزيز بن أبي قرة الذي مات بالسرين أثناء عودته من الحج[٢].

إلا أن هذه المدينة والميناء بدأت تزول من خارطة الأحداث التاريخية الحجازية منذ نهاية القرن الثامن الهجري، ولعل ذلك يعود لجملة أسباب منها، اضطراب الأمن في المنطقة الحجازية وكثرة الحروب بين أمراء مكة في تلك الفترة، وربما تغير مجرى طريق الحج اليمني قليلاً إلى البر شرقاً عن السرين، وأيضاً قيام مينائي الليث شمالاً ودوقة جنوباً، كل ذلك وغيره ساهم في اندثار المدينة والميناء وزوالهما من ساحة الأحداث، وطغى اسم الواديين اللذين هما (حلية، وعُليب) والمعروفين اليوم بالشاقتين الشامية واليمانية على اسم ومنطقة السرين واختفى ذكر السرين نهائياً من كتابات المؤرخين المكيين بعد هذا التاريخ وذلك لاتخاذ بعض أمراء مكة من الأشراف هذين الواديين ملجأ لهم أو مستقراً أو

(١) الفقيه: المرجع السابق، ص٨٦.
(٢) الفقيه: المرجع السابق، ص٨٧-٩٣.

إقطاعـــاً، ومـــازال إلـــى اليوم يسكنهما بعض قبائل الأشراف، وكذلـــك الموقع المجاور مباشرة للموقع الاثري للسرين أشراف من سلالة أمراء مكة السابقين[1].

(١) انظر الفقيه: مدينة السرين الأثرية، ص٩٦ـ١٠٤، والزيلعي: ميناء السرين، ص١٩٩ـ٢٠٠.

أهم الأحداث السياسية والعسكرية التي ارتبطت بالثغور الحجازية من البعثة المحمدية إلى نهاية الفترة المملوكية

العهد النبوي: (من البعثة)

كانت أولى أهم الأحداث التي ارتبطت بأحد الثغور الحجازية ألا وهو "الشعيبة" "حادثة الهجرة إلى الحبشة" وهي أول هجرة في الإسلام، ففي السنة الخامسة لبعثة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم اشتد أذى المشركين لمن أسلم مع رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ورأى أنه لايقدر أن يمنعهم مماهم فيه من البلاء، قال لهم: لو خرجتم إلى أرض الحبشة فإن بها ملكاً لايُظلم عنده أحد، وهي أرض صدق، حتى يجعل الله لكم فرجاً مما أنتم فيه(١).

وخرج الذين هاجروا الهجرة الأولى متسللين سراً، وكانوا أحد عشر رجلاً وأربع نسوة، حتى انتهوا إلى الشُعيبة؛ منهم الراكب والماشي، ووفق الله للمسلمين ساعة جاؤوا سفينتين للتجار حملوهم فيها إلى أرض الحبشة بنصف دينار، وكان ذلك في شهر رجب من السنة المذكورة(٢). فكان جوارهم بها خير جوار، أمنوا على دينهم، وعبدوا الله لم يؤذوا ولم يسمعوا شيئاً يكرهونه.

وكان أول من خرج من المسلمين عثمان بن عفان رضي الله عنه وزوجته رقية بنت رسول الله صلى الله عليه وآله

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص٢٨٠، وابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج١، ص٢٠٤.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت، ج١، ص٢٠٤ ،والطبري: الأمم والملوك، ج١، ص٥٤٦

وسلم رضي الله عنهما، وأبو حذيفة بن عتبة بن ربيعة وامرأته سـهلة بنت سهيل بن عمرو، وآخرون، ثم خرج جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه في الفوج الثاني، وتتابع خروج المسلمين حتى اجتمعوا بأرض الحبشة، فمنهم من خرج بأهله، ومنهم من خرج بنفسه لا أهل معه، وقدّر عدد المهاجرين بـ(٨٢) رجلاً و ١١ إمـرأة[١]. ولكـن هـل كان الخروج من الشعيبة بحراً إلى الحبشـة المسـماة "أثيوبـيا" حالياً، ممكناً؟ وهي بلد داخلي لا سـواحل له ! وإن كانت أرتيريا ضمن ممالك الحبشة فميناؤها مصوع المعروف قديماً باسم "باضع" الواقع على الساحل الغربي للـبحر الاحمـر وهو يقابل جزر دهلك[٢] في عرض البحر التي تقـابل جزر فرسان[٣] القريبة من ميناء جازان[٤] على الساحل

---

(١) الطبري: الأمم والملوك، ج١، ص٥٤٧.

(٢) جزر دهلك وجزر فرسان: في جنوب البحر الأحمر، وكانت في سابق عهدها منفى للفساق والمخالفين للخلفاء والحكام، وتبعد دهلك عن مصوع ٤٠كم شرقاً.

(٣) وجزر فرسان تقع جنوب غرب جازان وتبعد عن الساحل ٢٠,٥كم. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج٢، ص٤٩٢، ج٤، ص٢٥٠، وأنظر ناصر العرفج: أهمية الممرات المائية، ندوة البحر الأحمر، ص٣٥.

(٤) جازان: موضع على طريق حاج صنعاء، وظهرت كفرضة أو ميناء في القرن السابع الهجري، وهي اليوم مدينة مشهورة ومركز لإمارة منطقة جازان. انظر ياقوت: ←

الشـــرقي للبحر الأحمر، ويبعد ميناء جازان عن الشعيبة مسافة برية تقدر بـــ٦٥٠كم تقريباً؟!.

هـــذا سؤال أثاره بعض الباحثين حيث يرجح عبدالله الطيب أن هجـــرة الصحابة لم تكن ناحية الهضبة الأثيوبية، بل إن أول ســـاحل نزلـــه الصـــحابة في رأيه هو ساحل سواكن من أرض الســـودان وأنهـــا أول أرض مستها أقدام الصحابة المهاجرين مشـــيراً إلـــى أن الحبشـــة المقصودة في الهجرة هي السودان الممـــتدة مـــن جـــنوب مصر وتشمل السودان الحالي وأرتيريا والصـــومال والهضـــبة الأثيوبـــية[١]. والموقـــع المقابل لجده والشعيبة في الساحل الغربي من البحر الأحمر هو سواكن، وهو أقـــرب[٢] . إلا أن هـــناك مـــن الباحثين من أشار إلى أن سفن المهاجريـــن رست في ميناء (مصدر) أو (معدر) جنوبي ميناء "عدوليس" الميناء الارتيري القديم المندثر الذي أسسه الأغريق الـــبطالمة ويقع على بعد ٦٠كم جنوب مصوع، ويسميه العرب باســـم (عـــدو لي). ومن (معدر) أو (مصدر) اتجه المهاجرون نحو "أكسوم" الحبشة[٣].

وتوالـــت الأحـــداث بحسب ترتيب السنين فمن ذلك (غزوة ودّان) التـــي وقعـــت في السنة الثانية من الهجرة النبوية على صـــاحبها أفضل الصلاة وأتم التسليم حيث خرج غازياً في شهر

← معجم البلدان، ج٢، ص٩٤، والرويثي: التطور المكاني والتاريخي، الموانئ شبه الجزيرة العربية، ص١٢١-١٢٣.

(١) هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ: بحث في إصدار دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث (الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين)، جامعة الملك سعود، ١٤١٠هـ/١٩٨٩م، ص٩٦-٩٧.

(٢) انظر: خريطة جزيرة العرب: ١: ٢٠٠٠,٠٠٠.

(٣) عبدالشافي غنيم عبدالقادر: البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية: البحر الأحمر في التاريخ والسياسة، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠، ص٧٦، وانظر: ناود: محمد سعيد: العروبة والإسلام بالقرن الأفريقي، ص٣٢، ص١٣٩.

صــفر حــتى بلغ ودان وهي بجوار الابواء، يريد قريشاً وبني ضمرة بن بكر بن عبد مناة بن كنانه فوادعته فيها بني ضمرة، ووادعــه مخشى ابن عمرو الضمري، ثم رجع رسول الله صلى الله علــيه وآلــه وســلم إلى المدينة، ولم يلق كيداً، وهي أول غزوة غزاها[١].

ويذكر عبدالكريم الخطيب أن ودان هذه قرية منورة الغربية مــن ينــبع الــبحر[٢]. كما غزا رسول الله صلى الله عليه وآله وســلم فــي شهر ربيع الاول يريد قريشا حتى بلغ (بواط) من ناحــية رضوى ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً فلبث بها بقية شــهر ربــيع الآخر وبعض جمادى الأولى[٣]. ورضــوى كما ســبق ذكره جبل بينبع[٤]. ومن الرايات التي عقدها رسول الله صــلى الله عليه وآله وسلم لبعض أصحابه باتجاه ساحل البحر الأحمر بهدف اعتراض قوافل قريش، سرية عبيدة بن الحارث، والتــي عدها ابن هشام أول راية عقدها عليه الصلاة والسلام، وسار بها حتى بلغ ماء بالحجاز بأسفل ثنية المرة[٥]، ولقي بها جمعاً كبيراً من قريش إلا أنه لم يكن بينهم قتال، إلا أن سعد بن أبــي وقــاص رضي الله عنه رمى فيها بسهم، فكان أول سهم رُمــي بــه فــي الإسلام[٦]. وتلت هذه السرية سرية حمزة بن عبدالمطلــب رضي الله عنه إلى سيف البحر من ناحية العيص مــن المهاجرين، ولقي أبا جهل في ثلاثمائة راكب من أهل مكة

---

(١) ابن هشام: السيرة النبوية، تحقيق طه عبدالرؤوف سعد، ١٩٧٥، دار الجيل، بيروت، ج٢، ص١٧٠-١٧١.
(٢) تاريخ ينبع، ص١٨٥.
(٣) ابن هشام، السيرة النبوية، ج٢، ص١٧٦.
(٤) مع العلم أن ودان وبواط ليستا بحريتين.
(٥) ثنية المرة بالكسر وتشديد الراء، قرب ماء يدعى الإحياء من رابغ، انظر السمهودي: وفاء الوفاء، ج٤، ص١١٦٧.
(٦) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٢، ص١٧١.

إلا أن مجـدي بـن عمرو الجهني حجز بينهما، وكان موادعاً للفريقين، فلم يقع قتال[1].

غزوة العشيرة:

نـزل الرسول صلى الله عليه وآله وسلم العشيرة من بطن ينبع غازياً، فأقام بها جمادى الأولى وليالي من جمادي الآخرة، مـن السنة الثانية للهجرة وادع فيها بني مدلج وحلفاءهم من بنـي ضـمرة ثم رجع إلى المدينة ولم يلق كيداً في تلك الغزوة وقـال لعلي بن أبي طالب رضي الله عنه مالك يا أبا تراب؟ لما يرى عليه من التراب، فقد حدث عمار بن ياسر رضي الله عنه قـال: كنت أنا وعلي بن أبي طالب رفيقين في غزوة العشيرة؛ فلمـا نـزلها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأقام بها؛ رأينا أناساً من بني مدلج يعملون في عين لهم وفي نخل. فقال لـي علـي بـن أبي طالب: يا أبا اليقظان، هل لك في أن نأتي هـؤلاء القوم، فتنظر كيف يعملون؟ قال: قلت: إن شئت؛ قال: فجئـناهم، فنظرنا إلى عملهم ساعة، ثم غشينا النوم. فانطلقت أنـا وعلـي حتى اضطجعنا في صدر من النخل وفي دقعاء من التراب فنمنا، فوالله ما أهبنا إلا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يحركنا برجله. وقد تتربنا من تلك الدقعاء التي نمنا فيها، وبعـد قوله يا أبا تراب قال: ألا أحدثكما بأشقى الناس رجلين؟ قلنا: بلى يا رسول الله؛ قال: أحيمر ثمود الذي عقر الناقـة، والـذي يضـربك يا علي على هذه ـ ووضع يده على قرنه ـ حتى يبل منها هذه. وأخذ بلحيته[2].

---

(١) ابن هشام، ج٢، ص١٧٤.

(٢) ابن هشام: السيرة النبوية: ج٢، ص١٧٦-١٧٧، إلا أن وصف علي بن أبي طالب رضي الله عنـه بأبي تراب ورد في حديث سهل بن سعد. قال: جاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، بيت فاطمة فلم يجد علياً في البيت. فقال: "أين ابن عمك؟" قالت: كان بيني وبينه شيء، فغاضبني، فخرج، فلم يَقِلْ عندي. فقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لإنسان: "انظر أين هو" فجاء، فقال: يا رسول الله ! هو في

عودة مهاجري الحبشة:

ارتبطت هذه الحادثة بميناء المدينة "الجار"، فلما كان شهر ربيع الاول سنة سبع من هجرة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى المدينة كتب إلى النجاشي كتاباً يدعوه فيه إلى الإسلام وبعث به مع عمرو بن أمية الضمري، فلما قريء عليه الكتاب أسلم وقال لو قدرت أن آتيه لأتيته وكتب إليه رسول الله أن يزوجه أم حبيبة بنت أبي سفيان بن حرب وكانت فيمن هاجر إلى أرض الحبشة إلا أن زوجها عبيدالله بن جحش اعتنق النصرانية بالحبشة ومات عليها، فزوجه النجاشي وأصدق عنه، وكتب إليه رسول الله أن يبعث إليه من بقي عنده من أصحابه، ويحملهم ففعل وأعدلهم سفينتين مع مندوب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم الضمري، فأرسلوا بهم إلى ساحل بولا[١] المحتمل أنه الجار، وقدموا المدينة فوجدوا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم قد فتح خيبر[٢].

وقدم وفد الاشعريين على رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وهم خمسون رجلاً فيهم أبو موسى الأشعري وإخوة له ومعهم رجلان من عك، وقدموا في سفن في البحر وخرجوا بجُدة فلما دنا الوفد من المدينة أخذوا يرددون:

المسجد راقد. فجاء رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مضطجع، قد سقط رداؤه عن شقه، وأصابه ترابٌ. فجعل رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يمسحه عنه، ويقول: "قم أبا تراب! قم أبا تراب" متفق عليه وأخرجه البخاري في كتاب الصلاة باب نوم الرجال في المسجد، انظر محمد فؤاد عبدالباقي: اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، ج٣، ص١٣٣.

(١) يحتمل أنه اسم قديم للجار إلا أنه لم يرد لا في لسان العرب ولا في القاموس في مادة (بول) ولا معجم البلدان، ومعجم ما استعجم، سواء في مادة بولا أو الجار. انظر الأنصاري: رحلة الجار، ص٤٨٧.

(٢) ابن سعد: الطبقات الكبرى: ج١، ص٢٠٧، وانظر الطبري: الأمم والملوك، ج٢، ص١٣٢.

غداً نلقي الأحبة محمدا وحزبه

ثـــم قدمـــوا فوجـــدوا رسول الله في سفره بخيبر ثم لقوه وبايعوا وأسلموا[١].

وارتبطـــت بجُدة أيضاً سرية علقمة بن مجزز المدلجي في الســـنة التاسعة للهجرة من شهر ربيع الآخر عندما بلغ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن أناساً من الحبشة تراياهم أهل جُـــدة فبعـــث إليهم علقمة في ثلاثمائة، ووصل بهم إلى البحر وخاضه إلى جزيرة في البحر فهربوا منهم[٢].

أما أيلة فقد وصل صاحبها يحنة ابن رؤبة إلى رسول الله فـــي تـــبوك في السنة التاسعة للهجرة من شهر رجب وصالح رســـول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وأعطاه الجزية، فكتب رســـول الله صـــلى الله عليه وآله وسلم كتاباً لهم فهو عندهم: ونصه:

(بســـم الله الرحمن الرحيم، هذه أمنة من الله ومحمد النبي رسول الله ليحنة بن رؤبة وأهل أيلة، سفنهم وسيارتهم في البر والـــبحر لهـــم ذمة الله، وذمة محمد النبي، ومن كان معهم من أهـــل الشام، وأهل اليمن، وأهل البحر، فمن أحدث منهم حدثاً، فإنه لا يحول ما له دون نفسه، وإنه طيب لمن أخذه من الناس، وإنـــه لايحل أن يمنعوا ماء يردونه، ولا طريقاً يريدونه، من بر أو بحر.[٣])

ويضـــيف ابن سعد أن الرسول صلى الله عليه وآله وسلم كســـاه بـــردة يمنية وأمر بإنزاله عند بلال، ووضع عليهم من الجزية ثلاثمائة دينار[٤].

---

(١) ابن سعد، الطبقات الكبرى: ج١، ص٣٤٨.
(٢) ابن سعد، المصدر السابق، ج٢، ص١٦٢.
(٣) ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص١٢٥.
(٤) الطبقات الكبرى: ج١، ص٢٨٩-٢٩٠.

مـــن خـــلال النص السابق لكتاب رسول الله لصاحب أيلة يظهـــر مـــدى اهتمام الرسول صلى الله عليه وآله وسلم بموقع أيلـــة البحري الاستراتيجي والاقتصادي على رأس خليج العقبة، فـــأراد أن يأمـــن ذلك الطريق، كما أراد أن يمارس أهلها وهم رواد بحـــر ومن يأتيهم من أهل الشام وأهل اليمن وأهل البحر نشـــاطهم الـــتجاري الـــبحري بكل حرية في التنقل براً وبحراً، وبذلـــك يضـــمن المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم إستمرار دور أيلـــة الاقتصادي في تجارة البحر الاحمر وانتفاع المسلمين مـــن ذلـــك الـــدور فهـــذه المدينة تربط ما بين الحجاز والشام ومصر[١].

وممـــا ســـبق عرضه يتبين الدور الهام الذي لعبته بعض ثغور الحجاز في العهد النبوي سياسياً وعسكرياً.

---

(١) غوانمة: يوسف حسن درويش: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، ص٣٢.

العهد الراشدي : ١١هـ ــ ٤٠هـ

حدثت في العام (١٨هـ) في عهد الخليفة عمر بن الخطاب رضـــي الله عـــنه مجاعة شديدة وسمي ذلك العام عام الرمادة، وكانـــت الريح تسفي تراباً كالرمادة، وقد اشتد الجوع بالناس، وضـــرب الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه أروع الأمثلة فـــي الإيثار وأقسم أن لايذوق سمناً ولا لبناً ولا لحماً حتى يحيا الـــناس، وقـــال: كـــيف يعنينـــي شأن الرعية إذا لم يصبني ما أصـــابهم؟ رضي الله عنه وأرضاه فلقد أتعب من أتى بعده إلى يوم القيامة .! وكتب إلى أمراء الأمصار يستغيثهم لأهل المدينة ومـــن حولهـــا، فحمل الطعام من الشام ومصر[١]، ومن ذلك ما كتـــب إلى عمرو بن العاص رضي الله عنه في مصر أن يبعث إلـــيهم الطعـــام على الإبل، وفي البحر حتى يصل به إلى ساحل الجـــار، فحمل الطعام إلى القلزم في عشرين مركباً (ثلاثة آلاف إردب) حتى وافى الجار، ولما علم عمر رضي الله عنه قدم إلى الجـــار ومعه عدد من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فنظر السفن ثم وكل من قبض ذلك الطعام، وبني قصرين وجعـــل ذلك الطعام فيهما، ثم أمر زيد بن ثابت أن يكتب الناس علـــى منازلهم وأمره أن يكتب لهم صكاكاً من قراطيس ثم يختم أسافلها[٢].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣، ١٩٨٣، دار الكتاب العربي، بيروت، ج٢، ص٣٨٨ـ٣٨٩.

(٢)ابن سعد في الطبقات الكبرى ،ج٣، ص٣١١ اليعقوبي: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر العباسي: تاريخ اليعقوبي ، دار صادر، بيروت، ج٢، ص١٥٤.

من ذلك نلاحظ مساهمة ميناء "الجار" في نقل البضائع والسلع من مصر إلى المدينة، كما ذكرت بعض المراجع أن الخليفة عمر بن الخطاب وافق عمرو بن العاص على حفر قناة تراجان لتربط النيل بالبحر الأحمر منطلقاً إلى الشمال من حصن بابليون بقليل حتى يمر بعين شمس ثم وادي الطميلات إلى موضع القنطرة حتى يتصل بالبحر الأحمر عند مدينة القلزم، وساهمت تلك القناة التي سميت بخليج امير المؤمنين في نقل المؤن من مصر إلى القلزم ومنه إلى الجار ميناء المدينة(١).

ويتواصل دور الثغور الحجازية في حركة الأحداث السياسية والعسكرية في العهد الراشدي.

ولمتابعة حركة الفتوحات الإسلامية في الشام يخرج عمر بن الخطاب رضي الله عنه من المدينة وقد استخلف عليها علياً رضي الله عنه، ومر في طريقه بأيلة "العقبة" فنزل بها ومعه المهاجرون والأنصار، وما أن وصل إلى تلك البلدة ومن طول المسير تمزق قميصه الذي يرتديه حتى تأخر عن قعدته، وقدمه إلى أسقف أيله وطلب منه أن يغسله ويرقعه، فقام الأسقف بذلك وزاد عليه بأن خاط لعمر بن الخطاب قميصاً آخر مثله وذهب به إلى عمر فقال ما هذا؟ قال الأسقف: أما هذا فقميصك قد غسلته ورقعته وأما هذا فكسوة لك مني، فنظر إليه عمر ومسحه، ثم لبس قميصه ورد عليه ذلك القميص، وقال: هذا أنشفهما للعرق(٢).

وعوداً إلى جُدة ميناء مكة وإلى علقمة المدلجي عندما هاجم الأحباش ساحل جُدة للمرة الثانية، وما الأحباش في المرتين إلا قراصنة بحر وليسوا جيشاً من قبل دولة الحبشة، إلا أن جيش علقمة هلك في بحر جُدة في سنة ٢٠هـ للهجرة،

---

(١) سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، الطبعة الثانية، دار المجمع العلمي، جُدة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩، ص٧٥.

(٢) الطبري: تاريخ الأمم والملوك، ج٢، ص٤٨٩-٤٩٠، وانظر بن الأثير: الكامل، ج٢، ص٣٩٣.

ولمـــا علم عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل على نفسه ألا يحمل في البحر أحداً أبداً(١).

وفي عهد الخليفة الراشد الثالث عثمان بن عفان رضي الله عـــنه شجعته قريش على اتخاذ جُدة ميناءاً وبندراً رئيسياً لمكة بـــدل الشعيبة لقربها من مكة، فخرج بنفسه رضي الله عنه إلى جُـــدة واغتسل من البحر وأمر من معه بالغسل منه، وأمر بنقل البـــندر إلـــيه، وكـــان ذلـــك في العام السادس والعشرين من الهجرة(٢).

وقـــد ســـبقت الإشارة إلى أن الرسول المصطفى صلى الله علـــيه وآلـــه وسلم قد أقطع علياً رضى الله عنه أربع أرضين بينبع، ثم أقطعه عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينبع.

---

(١) انظر الطبري: ج٢، ص٥١٧، وابن الأثير: ج٢، ص٣٩٨، وانظر: أبوبكر: علي الشيخ أحمد: معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، الطبعة الأولى، ١٤١٣ـ١٩٩٣، مكتبة التوبة، الرياض، ص٢٤٢ـ٢٤٥.

(٢) الفاكهي: محمد بن إسحاق بن العباس، تاريخ مكة أو (أخبار مكة)، الطبعة الثانية، ١٤١٤، دار خضر، بيروت، تحقيق عبدالملك بن دهيش، ج٣، ص٢٣١، وانظر الفاسي: شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، الطبعة الأولى، ١٤١٧، مكتبة الباز والمكتبة التجارية، ج١، ص١٨٢، وانظر: السنجاري: منائح الكرم في أخبار مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق د/ جميل المصري، ج١، ٥٣٠، وانظر: الأنصاري، موسوعة تاريخ مدينة جُدة، ص٥٩ـ٦١.

فعـــن عمار بن ياسر قال: أقطع النبي صلى الله عليه وآله وســـلم علياً بذي العشيرة من ينبع، ثم أقطعه عمر بعدما تولى الخلافـــة قطيعة، وأضاف علي إليها قطيعة، فكانت أموال علي بينبع عيوناً متفرقة تصدق بها. وسر علي رضي الله عنه بينبع وكـــان أول شيء عمله فيها البغيبغة، ثم قال: هي صدقة على المساكين وابن السبيل وذوي الحاجة الأقرب، واشترط في كتاب له إلا أن يحتاج إليهما الحسن أو الحسين، فهما طلقٌ لهما ليس لأحد غيرهما[١].

ومـــع الأيـــام أصبحت ينبع النخل مستقراً للكثير من أبنائه وســـلالاتهم، وســـكنوا قراها كما تفرقوا على ساحل ينبع البحر يتنقلون في مياهها ومراعيها[٢].

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، ج٤، ص١٣٣٤ وج٤، ص١١٥٠، وانظر: حمد الجاسر، بلاد ينبع، ص٢٣.
(٢) الخطيب: تاريخ ينبع، ص١٩٣.

العهد الأموي : ٤١هـ ـ ١٣٢هـ

واستكمالاً لما سبق الحديث عنه بشأن ينبع وبالذات "البغيبغة" فقد ذكر أن معاوية بن ابي سفيان رضي الله عنه كتب إلى واليه بالمدينة مروان بن الحكم يطلب منه ان يخطب لابنه يزيد ،ابنة عبدالله بن جعفر "أم كلثوم" وكانت أمها زينب بنت علي فأوكل عبدالله أمر ابنته لخالها الحسين بن علي رضي الله عنهما، وكان في ينبع فلما قدم الحسين وأخبر بأمر الخطبة، دخل على إبنة أخته ورغبها في الزواج من القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب وأحقيته بها، ونحلها "البغيبغات"، فلما حضر مروان للخطبة وتحدث برغبة معاوية تكلم الحسين رضي الله عنه وزوجها القاسم بن محمد بن جعفر بن أبي طالب.

فلم تزل هذه الضيعة في يدي عبدالله بن جعفر من ناحية أم كلثوم يتوارثونها، حتى استخلف المأمون فذكر ذلك له. فقال: كلا! هذه وقف علي بن أبي طالب رضي الله عنه على ولد فاطمة رضي الله عنهم، فانتزعها من أيديهم وأبدلهم عنها وردها إلى ما كانت عليه[1].

وبعد موت يزيد بن معاوية وتولى ابنه معاوية الخلافة لمدة يسيره تنازل بعدها عنها، وتمت البيعة لعبدالله بن الزبير بالخلافة في مكة. على إثر ذلك اجتمع بنو أمية وبايعوا مروان بن الحكم خليفة في شهر ذي القعدة من عام ٦٤هـ، وكانت قد سيطرت قوات ابن الزبير على مصر بعد الحجاز، فأرسل مروان ابنه عبدالعزيز في جيش إلى أيلة على أمل أن يدخل مصر من تلك الناحية، واستعد والي مصر من قبل ابن الزبير وهو عبدالرحمن بن عتبة بن جحدم لمقاتلة مروان وابنه، ومن ذلك مابعثه إلى أيلة جيشاً بقيادة زهير بن قيس البلوي ليمنع

---

(١) الفيروز آبادي: المغانم المطابة في معالم طابة: تحقيق حمد الجاسر، ص٥٩ـ٦٠.

عبدالعزيز من المسير إليها والتقى الجيشان ببُصَاق وهي سطح عقبة أيلة، وانهزم جيش ابن الزبير[١].

وفي خلافة عبدالملك بن مروان والصراع مازال مستمراً على الخلافة بين ابن الزبير وبني أمية، كان محمد بن الحنفية بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما بمكة فطلب منه ابن الزبير المبايعة فرفض ابن الحنفية، ثم غادر مكة فعلم بذلك عبدالملك بن مروان وبعث كتاباً إلى محمد بن الحنفية يدعوه إلى جواره، فسار حتى نزل بأيلة ومعه أتباعه ويقدرون بسبعة آلاف رجل وكان ذلك في العام التاسع والستون للهجرة، واستقر به المقام في أيلة حتى أن أهلها أحبوا أبا القاسم حباً شديداً وعظموه وأصحابه، فأمر بالمعروف فيهم ونهى عن المنكر ولايظلم أحد بقربه ولابحضرته، إلا أن هذه المنزلة والمكانة لم تكن لتريح عبدالملك بن مروان، وهو يعلم طموح آل علي رضوان الله عليهم للخلافة، فما كان منه إلا أن طلب من ابن الحنفية المبايعة او الانصراف عنه إلى داخل الحجاز، فقال له في كتاب: (إنك قدمت بلادي فنزلت في طرف منها وهذه الحرب بيني وبين ابن الزبير كما تعلم وأنت لك ذكر ومكان وقد رأيت أن لاتقيم في سلطاني إلا أن تبايع لي فإن بايعتني فخذ السفن التي قدمت علينا من القلزم وهي مائة مركب فهي لك وما فيها ولك الف الف درهم أعجل لك منها خمسمائة ألف والف الف وخمسمائة ألف آتيتك مع ما أردت من فريضة لك ولولدك ولقرابتك ومواليك ومن معك وإن أبيت فتحول عن بلدي إلى موضع لايكون لي فيه سلطان).

فكتب إليه محمد بن الحنفية بكتاب:

(من محمد بن علي إلى عبدالملك بن مروان سلام عليك فإني أحمد إليك الله الذي لا إله إلا هو أما بعد:

---

(١) الكندي: أبي عمر محمد بن يوسف: الولاة وكتاب القضاة، تحقيق رفن كست، مطبعة الآب اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨، ومكتبة المثنى ببغداد، ص٤٢ ـ ٤٣.

فقـــد عرفـــت رأيي في هذا الأمر قديماً، واني لست أسفهه علـــى أحـــد، والله لو اجتمعت هذه الأمة عَليَّ إلا أهل الزرقاء ماقاتلتهم أبدا، ولا اعتزلتهم حتى يجتمعوا، نزلت مكة فراراً مما كـــان بالمدينة فجاورت ابن الزبير فأساء جواري وأراد مني أن أبايعه فأبيت ذلك حتى يجتمع الناس عليك أو عليه ثم أدخل فيما دخـــل فـــيه الـــناس فأكون كرجل منهم، ثم كتبت تدعوني إلى ماقـــبلك فأقبلـــت ســـائراً فنزلت في طرف من أطرافك والله ما عندي خلاف ومعي أصحابي فقلنا بلاد رخيصة الأسعار، وندنوا مـــن جـــوارك ونـــتعرض صـــلتك فكتبـــت بما كتبت به ونحن منصرفون عنك إن شاء الله)[١].

(١) ابن سعد: الطبقات الكبرى، ج٥، ص١٠٦ -١٠٩.

العصر العباسي: ١٣٢ ـ ٦٥٦هـ

لعل أول وأهم الأحداث التي ارتبطت بالحجاز وأحد ثغوره في العهد العباسي "ثورة محمد بن عبدالله ذي النفس الزكية" رحمه الله.

وهو محمد بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب، أبو عبدالله الملقب بالأرقط، وبالمهدي، وبالنفس الزكية، ولد ونشأ بالمدينة، وكان يقال له صريح قريش، لأن أمه وجداته لم يكن فيهن أم ولد،[١].

ولما أعلن ابو العباس السفاح الخلافة عباسية رفض النفس الزكية مبايعته، ولما تولى أبو جعفر المنصور الخلافة لم تكن له همة إلا طلب النفس الزكية والسؤال عنه، واختار أبو جعفر رجلاً من رجاله يقال له عقبة بن أسلم، أعده لمهمة كشف حقيقة ما يخبئه آل علي له، واستطاع عقبة هذا أن يأخذ ما أراد من عبدالله بن الحسن بالحيلة والدهاء وعرف منه أن ابنيه محمد وإبراهيم خرجا لطلب الخلافة، فنقل ذلك لأبي جعفر، وفي رحلة حج للمنصور سجن عبدالله بن الحسن، ولم يكتف بذلك بل بعث عيناً له وكتب معه كتاباً على ألسنة الشيعة، إلى محمد يذكرونه طاعتهم، ومسارعتهم، وبعث معه بمال وألطاف، فقدم الرجل المدينة، فدخل على عبدالله بن حسن فسأله عن محمد فذكر له أنه في جبل جهينة (أي جبل رضوى بينبع) وقال: امرر بعلي بن حسن، الرجل الصالح، الذي يدعى الأغر وهو بذي الإبر، فهو يرشدك، فأتاه فأرشده. ولكن كان لأبي جعفر كاتب على سره متشيعاً، فكتب إلى عبدالله بن حسن بأمر ذلك العين، وما بُعث له، فقدم الكتاب على عبدالله، فارتاعوا وبعثوا أبا هبار إلى علي بن الحسن وإلى محمد ليحذرهم

---

(١) انظر: ابن الأثير: الكامل، ج٥، ص١٢، وابن الطقطقا: محمد بن علي بن طباطبا: الفخري في الآداب السلطانية والدول الإسلامية، دار صادر - بيروت، ١٣٨٦هـ - ١٩٦٦م، ص١٦٥-١٦٦، وانظر الزركلي: الأعلام، ج٦، ص٢٢٠.

الرجل، فخرج أبو هبار حتى نزل بعلي بن حسن، فسأله فأخبره أن قد أرشده اليه، قال أبو هبار: فجئت محمد إلى موضعه الذي هـو بـه، فـإذا هـو جـالس إلى كهف معه عبدالله بن عامر الأسـلمي، وابني شجاع وغيرهم، والرجل معهم أعلاهم صوتاً، وأشـدهم انبساطاً، فلما رآني ظهر عليه بعض النكرة، فجلست مـع القـوم، فتحدثت ملياً، ثم أصغيت إلى محمد، فقلت: إن لي حاجـة فنهض، ونهضت معه فأخبرته بخبر الرجل، فاسترجع، وقال: فما الرأي؟ فقلت: إحدى ثلاث أيها شئت فافعل، قال: وما هـي؟ قلـت، تدعنـي فأقتل الرجل قال ما أنا بمقارف دماً إلا مكرهاً: أو ماذا؟ قلت توقره حديداً وتنقله معك حيث انتقلت قال: وهـل بـنا فراغ له من الخوف والإعجال: وماذا؟ قلت تشده، وتوثقـه وتودعه بعض أهل ثقتك من جهينة. إلا أن هذا الرجل عين أبي جعفر هرب منهم وأبلغ المنصور بأمرهم. واشتد طلب المنصـور لمحمـد بن عبدالله، وخرج إلى محمد النفس الزكية والـي ينـبع من قبل المنصور بالخيل والرجال، فهرب النفس الزكـية مـن جبل رضوى، وأثناء ذلك أفلت له ولد صغير من الجبل فتقطع[1].

ولمـا حج المنصور سنة ١٤٤هـ وفي عودته من الحج أخـذ معـه بنـي الحسن وجعلت القيود والسلاسل في أرجلهم وأعـناقهم، وكـان يراقب هذا الموقف جعفر الصادق من وراء سـتر وهو يبكي ودموعه تجري على لحيته وهو يدعو الله ثم قـال: والله لايحفـظ الله حرميه بعد هؤلاء، وكان محمد وأخوه إبراهـيم يأتيان إلى أبيهما ويستأذنانه بالخروج ويقول لاتعجلا حتى يمكنكما ذلك.

(١) الطبري: الأمم والملوك، ج٤، ص٤٠٢-٤١٢ (أحداث سنة ١٤٤).

وسجنهم المنصور بقصر ابن هبيرة شرقي الكوفة، وأحضر المنصـور محمد بن ابراهيم بن الحسن ـ وكان أحسن الناس صـورة. فقـال له: أنت الديباج الأصغر: قال: نعم قال: لأقتلنك قـتلة لـم أقتلها أحداً ثم أمر به فبنى عليه اسطوانة وهو حي فمـات فـيها، وكان ابراهيم بن الحسن أول من مات منهم، ثم عبدالله بن الحسن. وذكر أن المنصور أمر بقتلهم وقيل بل سقوا سماً[١].

دفعـت هذه الأحداث، وإلحاح المنصور في طلبه محمداً أن يخـرج فخـرج قبل وقته الذي فارق عليه أخاه ابراهيم، فأنكر ذلك، ولكن ابراهيم تأخر عن وقته لجدري أصابه، وقد خرج في أول يـوم مـن رجـب (١٤٥هـ) وفي رواية لليلتين بقيتا من جمادى الآخرة، واستطاع السيطرة على المدينة[٢].

كلـف أبـو جعفر المنصور عيسى بن موسى بقتال النفس الزكـية وقال: لا أبالي أيهما قتل صاحبه، وارسل معه ٤٠٠٠ مـن الجـند وكتب إلى عيسى بن موسى من لقيك من آل أبي طالب فاكتب إلى باسمه ومن لم يلقك فأقبض ماله، فقبض عين أبي زياد "في ينبع"، وكانت لجعفر بن محمد "الصادق"، فلما قدم على أبي جعفر كلمه جعفر، قال: مالي قال: قد قبضه مهديكم[٣].

وأمـر أبو جعفر بالبحر فأقفل على أهل المدينة فلم يحمل إلـيهم من ناحية (الجار) شيء، حتى كان المهدي فأمر بالبحر ففتح لهم[٤].

---

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٤، ص٣٧٤-٣٧٦.
(٢) الطبري: الأمم والملوك، ج٤، ص٤٢٢ - ٤٢٣.
(٣) المصدر السابق، ج٤، ص٤٣٧.
(٤) الطبري: المصدر السابق، ج٤، ص٤٥٠، ولم ترد لفظة "الجار" بل "البحار" وأرى أنها خطأ مطبعي، والأصح "الجار" كما أوردها حمد الجاسر: في شمال غرب الجزيرة، ص٢٠٩، والأنصاري: رحلة إلى الجار، مجلة المنهل، جُدة، جمادى الأولى، ١٣٩١هـ، س٣٧، ص ٤٨٨.

وتـــؤوب مســـيرة الأحـــداث إلى جُدة، حيث أغار في العام ١٥١هـ الأحباش على جُدة في البحر، ولما عاد المنصور من مكة إلى البصرة في العام ١٥٣هـ جهز جيشاً لحرب الأحباش في بحر جُدة[١].

وفـــي عام ١٦١هـ أثناء عمارة المهدي الخليفة العباسي للمســـجد الحـــرام نقلت أساطين الرخام في السفن حتى أنزلت جُدة، ثم جُرَّت بالعجل من جُدة إلى مكة[٢].

ومازالـــت جُـــدة تتعرض لغزو قراصنة البحر من الأحباش ففي سنة ١٨٣هـ هاجم الأحباش جُدة، وخرج أهل مكة للدفاع عـــن جُدة يتقدمهم أميرهم عبدالله بن محمد بن إبراهيم من بني العباس غزاة في البحر[٣].

وفـــي عام ١٨٥هـ استأذن يحى بن خالد البرمكي الرشيد في العمرة، فاعتمر في رمضان وتوجه إلى جُدة مقيماً فيها بنية الرباط إلى وقت الحج[٤].

بعـــد سلســـلة الأحداث التي توالت على جُدة تظهر مدينة الجـــار فـــي خضم الأحداث ففي عام ٢٣٠هـ هاجم بنو سُليم الـــناس حول المدينة، وأوقعوا بناس في "الجار" من بني كنانة وباهلـــة فأصـــابوهم وقـــتلوا بعضهم، وجرى ذلك في جمادى الآخـــرة من العام المذكور، وتزعمهم عُزيزة بن قطّاب السلمي، فوجه اليهم عامل المدينة العباسي حماد بن جرير الطبري الذي

---

(١) الطبري: الأمم والملوك، ج٤، ص٤٩٨-٥٠٤، وانظر: النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى بأخبار ام القرى، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٤، ١٩٨٣م، مكتبة الخانجي، القاهرة، إصدار مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ج٢، ص١٩٠ - ١٩١.

(٢) الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٨٠، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص٢٠٩.

(٣) انظر ابن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٢٣٢.

(٤) المصدر السابق: ج٢، ص٢٣٣.

لقي بني سُليم وأغلبهم من بني عوف من بني سليم إلا أن حماد قــتل وعامة أصحابه، فاستولت بنو سليم على سلاحهم وثيابهم واشتد أمر بني سليم، فاستباحت القرى والمناهل فيما بين مكة والمدينة، فوجه لهم الخليفة العباسي قائده التركي بُغا الكبير أبا موسى في الشاكرية والأتراك والمغاربة، فوصل في شعبان إلى حــرة بنـــي سليم، والتقى بهم وقُتِل منهم خمسون رجلاً وأسِر مثلهم فانهزم من تبقى منهم، فدعاهم إلى الأمان والنزول على حكم الخليفة العباسي الواثق(١).

وفي سويقة بينبع في خلافة المتوكل قُضي على ثورة لآل علـــي، وكان يقودها محمد بن صالح بن عبدالله بن موسى بن عــبدالله بــن حسن بن حسن ابن علي بن أبي طالب رضي الله عنه(٢)، فوجه له المتوكل قائده أبا الساج في جيش كبير فظفر بـــه وبجماعة من أهله، فأخذهم وقيدهم وقتل بعضهم، وأخرب ســويقة وعقر نخلها وخرب منازل بني الحسن، ونُقل محمد بن صالح إلى سامراء(٣).

---

(١) الطبري: الامم والملوك، ج٥، ص٢٧٨، أحداث سنة ٢٣٠، وانظر: الأنصاري: رحلة إلى الجار، مجلة المنهل، سبق ذكره، ص٤٨٩، وحمد الجاسر: شمال غرب الجزيرة، ص٢٠٩.
ولم يرد لفظ "الجار" في الطبعة التي بين يدي للطبري وهي الطبعة الثانية، ١٤٠٨ ـ ١٩٨٨، دار الكتب العلمية، بيروت. ولا شك أنها خطأ مطبعي كما تقدم ذكره. (الخطأ في فترة الأحداث في العهد العباسي، وقد سبق ذكر الجار في مواضع أخرى منها، ج٢، ص١٣٢).

(٢) من أمراء وشعراء وشجعان آل علي رحمهم الله ، ولي المدينة للواثق العباسي٢٢٩هـ ، وعزله المتوكل فخرج عليه ، وحبسه المتوكل في سامراء ثلاث سنين وأطلقه ، ومات في أيام المقتدر العباسي. انظر الزركلي : الأعلام ، ج٦ ، ص١٦٢.

(٣) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٨٦ مادة سويقة. وانظر السمهودي:وفاء الوفاء،ج٤،ص١٢٣٩،وانظر حمد الجاسر، بلاد ينبع،ص٢٤ـ ٢٥.

ويعبر أحد الشعراء عن خراب سويقه بقوله :

إني مررت على دار فأحزنني ∴ لما مررت عليها منظر الـــدار
وحشاً خراباً كأن لم تغن عامرة ∴ بخير أهل، لمعتـــــــد، وزوار
لا يبعد الله قوماً كان يجمعهم ∴ جنباً سويقة أخياراً لأخيار
الرافعين لساري الليل نارهم ∴ حتى يؤم على ضوء من النار
والدافعين عن المحتاج خَلّتَهُ ∴ حتى يحوز الغنى، من بعد إقتار(١)

أمـــا جُـــدة فقد قطعت بنو عقيل طريقها، فقاتلهم أمير مكة وكـــان ذلـــك في العام ٢٥١هـــ، فقتل من أهل مكة نحو ٣٠٠ رجل، وقد أدى قطعهم الطريق إلى غلاء في الأسعار بمكة.

وفـــي هـــذا العام أيضاً خرج بمكة اسماعيل بن يوسف بن ابراهـــيم الحســـني، فاضطر عامل مكة العباسي للهرب، فنهب الحسني أموال بني العباس في مكة وقتل وأحرق واستولى على مـــا فـــي الكعبة من ذهب، وذهب إلى المدينة، ثم عاد إلى مكة فحاصـــر أهلهـــا حتى كادوا أن يموتوا جوعا، وتوجه إلى جُدة وأخـــذ أمـــوال التجار وأصحاب المراكب، ومات سنة ٢٥٢هـــ بالجدري(٢).

أمـــا الجـــار فوقعت بجوارها في المدينة فتنة تركت آثارها عليها، وكانت الفتنة بين بني جعفر وبني علي، وذلك في العام ٢٦٦هـــ، فقد قام إسحاق بن محمد بن يوسف الجعفري بتولية عـــامل مـــن قبله على وادي القرى، فقتله أهل الوادي، وقتلوا أخويـــن لإســـحاق، ولمـــا خرج لهم مرض ومات، فتولى أمر المدينة أخوه موسى، فثار عليه عدد من بني علي فقتل موسى الجعفري، ودخل المدينة أحمد بن محمد بن إسماعيل بن الحسن بـــن زيـــد فضبط المدينة، وكانت قد ارتفعت بها الأسعار واشتد

(١) البكري: معجم ما أستعجم: ج٣، ص٧٦٨ ـ ٧٦٩.
(٢) الطبري: الامم والملوك، ج٥، ص٤٠٥، وانظر ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٣٢٩ ـ ٣٣١.

الغلاء، فوجه الحسني لتجار "الجار" من يطمئنهم على أموالهم، ورفــع الجباية، فرخصت الأسعار وسكنت المدينة[١]. وفي عام ٢٦٨هـــ تعرضت جُدة لمحنة أخرى عندما هاجمها محمد بن عيسى بن محمد المخزومي أثناء ثورة الزنج في العراق، فنهب الطعــام بجُــدة وأحــرق بــيوت أهلها، حتى صار الخبز بمكة الأوقيــتان بدرهــم، حتى تمكن العباسيون من القضاء عليه في ذلك العام[٢].

(١) الطبري: الامم والملوك، ج٥، ص٥٢٥.

(٢) ابن فهد إتحاف الورى بأخبار ام القرى، ج٢، ص٣٤٢ ـ ٣٤٣.
وانظر: السباعي، أحمد: تاريخ مكة، الطبعة السادسة، ١٤٠٤، نادي مكة الثقافي الأدبي، ص١٦٦.

ـ العهد العبيدي "الفاطمي" ٣٥٨ ـ ٥٦٧هـ

للحديث عن أهم الأحداث التي ارتبطت بالثغور الحجازية في العهد العبيدي نشير إلى أن الحكومات التي قامت في مصر وانفصلت عن الخلافة العباسية كانت تهتم بالسيطرة على الحجاز سياسياً واقتصادياً لما له من مكانة دينية وموقع استراتيجي يربط غرب آسيا بأفريقيا،وكذلك رغبة في إعطاء ولايتهم الصبغة الشرعية بإشرافهم على الحرمين الشريفين ؛ والدعاء باسمهم على منابرهما.

وكانت أولى الدول التي انفصلت عن الخلافة العباسية وحكمت مصر الدولة العبيدية منذ سنة ٣٥٨هـ عندما دخل قائدهم جوهر الصقلي مصر، فاهتموا بالسيطرة على الحجاز سياسياً واقتصادياً، وكانوا يرضون من حكام الحجاز الأشراف بإعلان التبعية الاسمية لهم والدعاء لهم في الخطبة بالحرمين الشريفين، ويفعل حكام الحجاز ذلك حتى تصلهم المعونات والمساعدات المختلفة، وتفاوتت هذه السيطرة من ضعف إلى قوة ومن قوة إلى ضعف حسب الأحوال السياسية لحاكم مصر وحاكم الحجاز، واستمر نفوذ حكام مصر على الحجاز بعد الفاطميين في العهد الأيوبي ثم العهد المملوكي ثم العهد العثماني حتى قيام الحرب العالمية الأولى وقيام الثورة العربية الكبرى التي أعلنها الشريف حسين بمكة المكرمة ضد الحكم العثماني.

ولقد كانت الحجاز تتمتع باستقلالها بحكومة محلية من أسر الأشراف إلا أن إشراف حكومات مصر كان واضحاً، ولعل ذلك مرده إلى عوامل سياسية واقتصادية متعددة منها:

١ ـ ضعف الحكومات التي قامت في مكة والمدينة سياسياً وعسكرياً وكثرة الاضطرابات والصراعات فيما بينها.

٢ ـ ضعف الموارد الاقتصادية الداخلية للحجاز مما جعلها تضطر إلى الاستعانة بالخارج، فكانت أقوى الحكومات الإسلامية خارج الحجاز وأقربها حكومات مصر.

٣ ـ قوة الحكومات التي قامت في مصر سياسياً وعسكرياً بدءً من الفاطميين ومروراً بالأيوبيين وانتهاءً بالمماليك، ودخولهم في صراعات سياسية وعسكرية إقليمية وخارجية جعلت منهم في فترات متعددة قوى كبيرة في المنطقة الإسلامية فالفاطميون دخلوا في تنافس وصراع سياسي وديني مع العباسيين نجحوا فيه إلى حد كبير، في حين قابله ضعف سياسي عباسي. ثم خلف الايوبيون حكومة العبيديين في مصر وتمتعوا بقوة كبيرة، وكان اصطدامهم بالصليبيين، الذي حققوا فيه النجاح باستعادة بيت المقدس. وتلا الايوبيين المماليك الذين تربوا على يد الايوبيين وكانوا قوتهم الضاربة، والذين أيضاً دخلوا في صراعات قوية مع المغول ونصرهم الله عليهم، ثم مع الصليبيين وكانت لهم نجاحات بارزة، واستمر حكمهم "٢٧٥" عاماً تقريباً ويدل ذلك على قوة هذه الدولة.

فكانت هذه الدول الثلاث القوية التي توالت على حكم مصر تشرف على الحجاز سياسياً واقتصادياً مع بقاء حكومة الأشراف في الحجاز (مكة والمدينة).

وكان قيام حكومة الأشراف في الحجاز "مكة". بعد موت كافور الاخشيدي الذي حكم مصر باسم العباسيين من ٣٥٥ـ ٣٥٧هـ، فقد قام جعفر بن محمد بن الحسن بإمارة مكة. واختلف المؤرخون في التاريخ الدقيق لقيام جعفر بن محمد بتأسيس إمارته في مكة مابين ٣٥٧ـ٣٥٨هـ، ولكنهم مجمعون على أن قيام أول حكومة للاشراف في الحجاز بعد

موت كافور الاخشيدي. وقد تزامن قيام حكومة الأشراف مع سقوط مصر في يد العبيديين[1].

وهذه الأسرة تمثل الطبقة الأولى من أربع طبقات من الأشراف حكموا مكة وأجزاء كبيرة من الحجاز في فترات متعددة منذ قيام إمارتهم حتى القرن الرابع عشر الهجري، وتسمى الطبقة الأولى "الموسويون" نسبة إلى جدهم (موسى الجون)[2]. كما قام للأشراف الحسينيين إمارة في المدينة أولهم (طاهر بن مسلم الحسيني من سلالة الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما وذلك في سنة ٣٦٠هـ.

---

(١) هو جعفر بن محمد بن الحسين بن محمد الثائر بن موسى الثاني بن عبدالله الثاني بن موسى الجون بن عبدالله المحض بن الحسن المثنى بن الحسن السبط بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه.

(٢) عن أول طبقة من طبقات الأشراف حكام مكة ونسب مؤسسها، انظر الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٧٩، وعزالدين عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد الهاشمي القرشي: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق فهيم محمد شلتوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦ ـ ١٩٨٦م. دار التراث بجُدة، من إصدارات مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي بجامعة أم القرى، ج١، ص٤٨٠، وانظر: أحمد زيني دحلان: خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام، الطبعة الأولى، المطبعة الخيرية، مصر، ١٣٠٥هـ، ص١٦.
وانظر: السباعي: تاريخ مكة، ص١٩١، وانظر: أيوب صبري باشا: مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، الطبعة الأولى ١٤١٩ ـ ١٩٩٩م، دار الآفاق العربية، ص٩٣-١٠١، وانظر محمد جمال الدين سرور، النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، ص١٣ ـ ١٥، وانظر: سليمان عبدالغني مالكي: بلاد الحجاز منذ بداية عهد الأشراف حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد، الرياض، ١٤٠٣-١٩٨٣، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، ص ٣٠ ←

ولاتمدنـــا المصـــادر بكثير معلومات سياسية عن الثغور الـــبحرية الحجازيـــة فـــي العصـــر العبيدي مما ينبئ عن قلة الاهـــتمام بهذه الثغور، وضعف مشاركتها في الأحداث العامة حتى تسجل أخبارها.

لكـــن تبرز مدينة السرين الثغر البحري الحجازي مع قيام حكومـــة الأشراف في مكة، فظهر عدد من الامراء لهذه البلدة حيـــث وجـــدت أســـماؤهم في نقوش شاهديه على القبور في مقـــبرة الســـرين، إضـــافة إلـــى ماذكـــر في بعض المصادر والمـــراجع. فالســـرين فـــي تلك الفترة كانت من موانئ مكة الهامة ومن أعمالها، وهي صلة الوصل بينها وبين اليمن، فقد كانت تستقبل مختلف السلع والأمتعة والرقيق، وكان لصاحب السرين رسم على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن(١).

وقـــد عُـــرف من خلال شواهد القبور التي وُجدت في بلدة السرين أسماء بعض ولاة السرين، وهم من أسر الأشراف التي حكمـــت مكة، حيث وجد نقش باسم يحيى بن علي بن الحسين، ويـــرجح أنـــه أول ولاة الســـرين فـــي عهد حكومة الأشراف الموســـويين، وقد توفى سنة ٣٦١هـ(٢). وتلاه الأمير عبدالله بـــن علـــي بـــن الحسين، ولايعرف على التحقيق تاريخ وفاته، ولكن يرجح أنه مزامناً لوفاة جعفر بن محمد أمير مكة أو بداية

=وص٦٠، وانظـــر المستشرق: ك. سنوك هور خرونيه، صفحـــات من تاريخ مكـــة المكرمة، ترجمة د/ علي عوده الشيخ، صياغة د/ محمد السرياني ود/ معراج مرزا، إصدار دارة الملك عبدالعزيز - الرياض، ١٤١٩هـ/١٩٩٩م، ج١، ص١٤٧ - ١٤٩.

(١) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٢٥.

(٢) انظر الفقيه: مدينة السرين، ص٦١، وأحمد الزيلعي: أضواء جديدة على الأسرة الموسوية من خلال ثلاثة نقوش كوفية من موقع السرين الأثري، بحث بمجلة العصور، المجلد السادس، ج١، ١٦٩-١٨٩ (١٩٩١م)، ص١٧٤، وانظر ابن عنبه: عمدة الطالب: ص١٥٧، والسباعي: تاريخ مكة، ص١٩١-١٩٢.

فـترة حكم عيسى بن جعفر ما بين ٣٨٠ـ٣٨٤هـ[١]. وأعقبه الأمير الحسين بن علي[٢].

وتـلاه الأمير يحيى بن الحسن بن علي بن الحسين الأمير بـن محمد الثائر، واتصف هذا الأمير بالقسوة والعنف حتى أنه قـتل ابـنه. وهو آخر من عُرف من امراء السرين من الأسرة الموسـوية حكام مكة[٣]. ثم ظهر من الطبقة الثالثة من أمراء مكـة الأشـراف "طبقة الهواشم" نسبة إلى أبي هاشم محمد بن جعفـر بـن محمـد حفيد الحسين الأمير وهو بذلك يجتمع في الحسين مع الطبقة الاولى وامتد حكمهم من (٤٥٥ـ٥٩٧) أو (٥٩٨هـ)[٤]. وعُرف واحد فقط من هذه الاسرة حكم السرين، ولا يشترط أن يكون الوحيد فمن المرجح لدى عدد من الباحثين في تاريخ هذه البلدة أن هناك عدد من الأمراء لم تذكر أسماؤهم في المصادر ولم توجد في الشواهـد القبورية، ولعلها اندثرت بشكل أو بآخـر.

فمن أمراء الهواشم الذين حكموا السرين الأمير محمد بن قاسـم بن أبي هاشم محمد فوالده وجده تقلدا إمارة مكة وكذلك أخوه فليته.

---

(١) انظر الفقيه: المرجع السابق، ص٦٢، والزيلعي: المرجع السابق، ص ١٧٤ـ١٧٥، وانظر ابن عنبه، المصدر السابق، ص١٥٧.

(٢) الفقيه: المرجع السابق، ص٦٣، والزيلعي: المرجع السابق، ص١٧٥، وانظرابن عنبه: المصدر السابق، ص١٥٧.

(٣) الفقيه: مدينة السرين، ص٦٣، الزيلعي: تاريخ الأسرة الموسوية، المرجع السابق، ص١٧٥، وابن عنبه: عمدة الطالب، ص١٥٧.

(٤) انظر تقي الدين الفاسي: العقد الثمين، ج٢، ص١٣٣ ـ ١٣٥، وانظر: عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج١، ص ٥٠٩ـ٥١٦، وانظر السباعي: تاريخ مكة، ص٢٠٢.

وهؤلاء الأمراء هم فقط من توصلت اليهم الأبحاث الآثارية فـــي موقـــع السرين الأثري من خلال النقوش الشاهدية او من إشارات بعض المصادر على قلتها عن أمراء السرين(١).

وفـــي عـــام ٤٣٩هــ حج ناصر خسرو الفارسي صاحب رحلـــة "ســفرنامه" منطلقاً من مصر معظماً لحكامها العبيديين لتوافقه المذهبي معهم، فقد رافق كسوة الكعبة التي أرسلت عن طــريق بحر القلزم "البحر الاحمر" حتى وصلت بهم الباخرة إلى ميناء الجار، ثم اتجه بعدها إلى المدينة براً.

وفـــي العـــام ٤٤١هـــ حـــج الرحالة المذكور إلى أرض الحجـــاز، وفـــي هذه الرحلة يصف بعض مالاقاه في البحر من عـــيذاب إلـــى جُـــدة، ويصف جُدة بأنها مدينة كبيرة ذات سور حصـــين، وأن عدد سكانها نحواً من ٥٠٠٠نسمة، وأمير جُدة مـــن مماليك أمير مكة وهو "تاج المعالي بن أبي الفتوح" الذي تمكن من السيطرة على المدينة النبوية في تلك الفترة(٢).

وفـــي العـــام ٤٥٩هــ وقعت زلزلة بالشام والحجاز على مايذكر ابن تغري بردي تأثرت بها الرملة وبيت المقدس، وتأثر بهـــا الحجاز، وانشقت في أيلة الأرض وانفجرت منها عين ماء فأهلكت الناس بها(٣).

---

(١) الفقيه: المرجع السابق، ص٦٣، وانظر الزيلعي: ميناء السرين، مرجع سبق ذكره، ص١٩٧.

(٢) خسرو: سفرنامه، ص١١٩، وص١٣٥ ـ ١٣٦.

(٣) ابن الأثير: الكامل، ج٨، ص١٠٦ في حوادث سنة ٤٦٠هـ، النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة: المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر ـ مصر، ج٥، ص٨٠.

العهد الأيوبي : ٥٦٧ ــ ٦٤٨هــ

الغـــزو الصليبي للثغور الحجازيـة: (في القرن السادس الهجـــري (الثاني عشر الميلادي) من ٥١٠/١١١٦ــ٥٧٨هــ/ ١١٨٢)

كانــت الحــروب الصــليبية علامة فاصلة في حياة الأمة الإسلامية، ومحنة ابتلي بها المسلمون أيما ابتلاء، وجثى على صـــدورهم استعمار بغيض لبلادهم في الشام مايزيد على مائتي عام من ٤٩١هــ/١٠٩٧م إلى ٦٩٢هــ/١٢٩٢م.

وتعرضـــت ثغور الحجاز للغزو حتى كاد يصل الغزو لمكة والمدينة لولا أن حفظهما الله عز وجل.

وللحديـــث عـــن هـــذه المرحلة من تاريخ الأمة الإسلامية سنطرح بشيء من الإيجاز تعريفاً للحروب الصليبية وجملة من أبرز أسباب هذه الحروب كتمهيد للغزو الصليبي للحجاز.

فالحروب الصليبية:

عـــدة حمـــلات شنها نصارى أوروبا على الشرق العربي الإسلامي، بهدف انتزاع الأماكن المقدسة في فلسطين من أيدي المســـلمين، وبالتالـــي اســـتعمار بـــلاد الشـــرق الإســـلامي الغنيــــة بخيراتها، وثرواتها، وذات الموقع الاستراتيجي الهام.

ولعل من أبرز أسباب هذه الحروب مايلي:

١ ــ ضـــعف الدولة الإسلامية في تلك الفترة: والذي تمثل في ضـــعف الدولـــة العباســـية وتفككها وانقسامها إلى دويلات مستقلة متنازعة ومتصارعة فيما بينها.

٢ ــ روح التعصـــب الديني: الذي غلب على النصارى في تلك الفـــترة ضـــد مـــاهو إســـلامي، فأخذوا يرددون مزاعم أن المسلمين يتعرضون للنصارى بالأذى لدى زيارتهم لأماكنهم المقدسة بفلسطين، فأخذ بابا النصارى في روما يؤجج هذه الـــروح الشـــريرة فـــي نفوس المسيحين، ويستحثهم على

تخليص وإنقاذ الأماكن المقدسة لديهم من أيدي المسلمين، وهو يسعى من باب خفي إلى دعم سلطته الدينية، ونفوذه على ملوك أوروبا وأمرائهم في ذلك الحين.

٣ ـ سوء الأحوال الاقتصادية في اوروبا: فقد ساهم النظام الإقطاعي في اوروبا المعتمد على النشاط الزراعي إلى تسلط طبقة من النبلاء والأمراء والملوك على رقاب الشعوب الأوروبية في اضطهادها، وفي المقابل سيطر المسلمون على التجارة خاصة في حوض البحر المتوسط، فوجد تجار اوروبا وخاصة تجار المدن الأيطالية في الحروب الصليبية فرصة سانحة لتأسيس مراكز تجارية لهم وفتح أسواق جديدة لتجارتهم، فكان أن قدم هؤلاء التجار كل المساعدة الممكنة للجيوش الصليبية لغزو الشرق الإسلامي ليحققوا طموحاتهم وأطماعهم.

٤ ـ سوء الاحوال الاجتماعية في أوروبا: فقد كان المجتمع الأوربي يتكون من ثلاث طبقات هي: طبقة رجال الدين برئاسة بابا النصارى، وطبقة النبلاء والفرسان، وطبقة الأقنان (وهم رقيق الارض)، فكانت العلاقة بين هذه الفئات الثلاث تقوم على التسلط والاستعباد والعداء، ولهذا تجاوبت فئات المجتمع الأوروبي مع دعوة البابا رغبة في الخلاص من الآخر.

٥ ـ توغل السلاجقة الأتراك في آسيا الصغرى: فقد كان انتصار السلاجقة بقيادة "ألب أرسلان" على الروم البيزنطيين في معركة "ملاذكرد أو منزكرت" سنة ٤٦٢هـ (١٠٧١م) وتهديدهم للقسطنطينية سبباً في تخوف الامبراطور البيزنطي "الكسيوس كومنين الأول" واستنجاده ببابا روما وملوك أوروبا.

فكانت الحملة الصليبية الأولى عام ٤٩١هـ (١٠٩٧م) بقيادة عدد من الأمراء الذين التقوا في القسطنطينية ثم زحفوا على بلاد المسلمين وانتصروا على السلاجقة، وكونوا

مســتعمرات لهــم فــي بلاد الشام وهي: إمارة الرها، وإمارة أنطاكية، وإمارة طرابلس، ومملكة بيت المقدس[1].

وجديــر بالذكر أن يشار إلى أن أول من رفع راية الجهاد ضــد الصــليبيين وأقام علمه هو عماد الدين زنكي الذي أسس إمارة له في الموصل شمال العراق وتلاه ابنه نور الدين زنكي، ثــم كانــت ذروة جهاد الصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي مؤســس دولــة بنــي أيوب في مصر والحجاز والشام واليمن وفاتح بيت المقدس.

---

(١) عاشور: سعيد عبدالفتاح: الحركة الصليبية، الطبعة الثالثة، ١٩٧٨، مكتبة الأنجلو المصرية ـ القاهرة، ج١، ص١٩ ـ ٩٩.

من هذا التمهيد عن الحروب الصليبية يتعرض البحث لأول ثغر حجازي تعرض للغزو الصليبي الا وهو "أيلة ـ العقبة ـ".

فقد قام بلدوين الأول ملك مملكة بيت المقدس الصليبي بهدف توسعة حدود مملكته الأستعمارية في عام ٥١٠هـ/ ١١١٦م في إحدى حملاته بالإستيلاء على أيلة مسيطراً بذلك على ساحل خليج العقبة، وبنى له في أيلة قلعة حصينة بهدف التحكم في الطريق البري للقوافل بين مصر والشام، كما قام أيضاً ببناء قلعة أخرى في جزيرة فرعون الواقعة أمام أيلة في الخليج. وسقوط أيلة في إيدي الصليبيين مكنهم من قطع طريق القوافل بين القاهرة من ناحية ودمشق وبغداد من ناحية أخرى، كما أسهم في تهديد حجاج بيت الله وهم في طريقهم إلى الأراضي المقدسة، فصار طريق المواصلات مقطوعاً بين مصر والشام، مما أدى إلى انقطاع الصلة بين مصر والشام، ونور الدين في الشام وصلاح الدين في مصر فيمابعد(١)، وزاد الأمر سوءاً عندما تزايدت اعتداءات الصليبيين على القوافل السائرة بين الحجاز ومصر والشام(٢).

ولكن المسلمين تمكنوا من استعادة أيلة بعد ستة وخمسين عاماً من الاحتلال الصليبي، وكان ذلك على يد صلاح الدين الأيوبي عام ٥٦٦هـ بعدما سيطر على مصر في خلافة العاضد الفاطمي العبيدي، وأرسل لنورالدين زنكي أن يرسل أباه نجم الدين أيوب وأهله إليه بالقاهرة، ولما خرجت القافلة بهم من دمشق خاف صلاح الدين عليهم من الصليبيين فخرج في النصف من ربيع الأول سنة ٥٦٦ (١١٧٠م) متوجهاً إلى أيلة فأنشأ المراكب وحملها مفصلة على الجمال إلى أيلة، وعلى مقربة من هذا الميناء أمر صلاح الدين بتركيب المراكب

---

(١) مع العلم أن صلاح الدين دخل مصر مع عمه أسد الدين شيركوه عام ٥٦٠هـ/١١٦٤م. انظر عاشور، المصدر السابق، ج٢، ص٦٦٢ـ٦٦٤.

(٢) عاشور: المصدر السابق، ج١، ص٣١٨ـ٣١٩ وص٣٣٠، وج٢، ص٦٩١.

وشحنها بالمقاتلة وزحف بها على القلعة براً وبحراً، وفي شهر ربيع الثاني استولى على أيلة وقضى على حاميتها الصليبية، وأسكن بها من يثق به وأمدهم بما يحتاجون من السلاح والمؤن، وبقى صلاح الدين بأيلة حتى اجتمع بأهله ثم سار بهم إلى القاهرة التي وصلها في جمادى الاولى من العام المذكور(١).

وقد ورد ذكر أيلة وتحرير صلاح الدين لها من النصارى في قصيدة لمجد الدين محمد بن الظهير الإربلي(٢) يمدح فيها صلاح الدين ويسجل فتوحاته حيث يقول:

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ: ج٩، ص١١٠، أحداث سنة ٥٦٦، وانظر ابن خلدون ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العرب والبربر، المسمى (تاريخ ابن خلدون)، تحقيق خليل شحادة، الطبعة الأولى ١٤٠١ـ١٩٨١، دار الفكر، بيروت، ج٥، ص٣٣٢ـ٣٣٣، وانظر ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة، ج٥، ص٣٨٥ـ٣٨٦، وانظر عاشور: الحركة الصليبية، ج٢٢، ص٦٩٣، وانظر: أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء في العصور الوسطى، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧، ص١٠٨.

(٢) هو محمد بن أحمد بن عمر بن أحمد بن أبي شاكر الإربلي، مجدالدين ابن الظهير، شاعر أديب، من فقهاء الحنفية. ولد بإربل، وتنقل في العراق والشام، ومات بدمشق، ومن مصنفاته (تذكرة الأريب وتبصرة الأديب"، و"مختصر أمثال ← ← الشريف الرضى"، و"ديوان شعر". ويرجح الزركلي أنه حياته امتدت مابين ٦٠٢هـ ـ ٦٧٧هـ. انظر الاعلام، ج٥، ص٣٢٣.

مليك من القوم الذين رماحهم ∴ دعائم هذا الدين في كل مشهد

هم نصروا التوحيد نصراً مؤزراً ∴ به عز في الآفاق كل موحد

وهم قهروا غلب الفرنج ببأسهم ∴ فدانوا لهم بالرغم لا عن تـــودد

وردوا إلى البيت المقدس نوره ∴ وقد كان في ليل من الشرك أسود

وقد ركبت فرسانه بحر أيلـــة ∴ يخوضون في بحر من الكيد مزبد

وهم رجّعوا مصراً إلى دعوة الهدى ∴ بعزم ورأي في العظائم محصد

وهم شيدوا ركن الخلافة بالذي ∴ أعادوه من حق طريف ومتلد[١]

وكانت المحاولـــة الصليـــبية الخطـــيرة التي هـــدفوا من ورائـــها إلى ضرب المدينتين المقدستين مكة والمدينة، بقيادة الأمير الصليبي الذي تسميه المصادر الإسلامية "أرناط" وهو "الأمير رينودي شاتيون"، أحد الأمراء الفرنسيين، وقد اتصف بالغدر وعدم الوفاء بالعهد، وجاء هذا الأمير مع الحملة الصليبية الثانية عام ٥٤٢هـ/١١٤٧م، وتمكن نور الدين زنكي من القبض عليه وسجنه، وبقى في سجنه ١٦ عاماً من (٥٥٦هـ/ ٥٧٢هـ)، فأطلق سراحه، ثم أصبح أميراً على الكرك بعد زواجه من أمـــيرة الكـــرك[٢].

---

(١) أبو شامة: شهاب الدين عبدالرحمن بن اسماعيل بن ابراهيم المقدسي: الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقيق ابراهيم الزيبق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ج٢، ص ١٩٧.

(٢) أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء، ص١١٢-١١٣.

ويصــفه ابن الأثير بأنه كان من شياطين الإفرنج ومردتهم وأشدهم عداوة للمسلمين[1].

فكانــت حملــته الأولى عام ٥٧٧هـ/١١٨١م البرية في فصل الشتاء تلافياً لحرارة الصيف في البرية العربية حتى وصل إلى تيماء بهدف الوصول إلى المدينة، وقد سلب إحدى القوافل الــتجارية، فما كان من نائب صلاح الدين على دمشق عزالدين فروخشــاه إلا أن هــاجم إمارة الكرك ونهبها وخربها واكتسح نواحــيها، مما دفع بأرناط إلى العودة سريعاً إلى إمارته، وقطع مشــروعه بمهاجمة الحرمين الشريفين وبهذا فشلت المحاولة الأولى[2]. إلا أنه استفاد من هذه التجربة الفاشلة بالتعرف على طبيعة البرية العربية ودروبها وممراتها.

ولما علم صلاح الدين غضب مما فعله أرناط، فأرسل إلى ملــك بيــت المقــدس الصليبي يلومه على فعلة أرناط ويذكره بالهدنة المعقودة بينهما، ويطالب برد ماسلبه أرناط من القافلة التجارية من أموال وأسرى، إلا أن أرناط رفض رد المسلوبات ولــم يرضــخ لطلــب بلدوين الرابع ملك بيت المقدس وقابلهم صــلاح الديــن بالاســتيلاء على سفن نصرانية تحمل عدد من النصارى فأسرهم وعرض مبادلتهم بالأسرى المسلمين فرفض أيضــاً أرنــاط، فأضــطر صــلاح الديــن للاحــتفاظ بالأسرى النصارى[3].

---

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ: ج٩، ص١٥٢-١٥٣، حوادث سنة ٥٧٧هـ.

(٢) عاشور: الحركة الصليبية، ج٢٢، ص٧٤٠-٧٤٢، وانظر: حمدي محمد راجح، المحاولة الصليبية لغزو الحجاز: رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، ١٤٠٥-١٩٨٥، ص١٦١-١٦٢، وانظر: أحمد رمضان: شبه جزيرة سيناء، ص١١٦-١١٧.
وانظر: المقريزي: السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ - ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت، ج١، ص١٨٧، حوادث سنة ٧٧٥هـ.

(٣) عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٤٢-٧٤٣.

ثــم كانت المحاولة الثانية لأرناط لغزو الحرمين الشريفين والســيطرة علــى الــبحر الأحمــر هي الغزو بحراً، وقبيل تلك المحاولة توجه صلاح الدين إلى دمشق في سنة ٥٧٨هـ عبر طريق أيلة وأخبر أن الصليبيين يجتمعون بالكرك لقطع الطريق إلــى دمشــق فأرســل إلــى ابن أخيه عزالدين فرخشاه وأمره بمهاجمــة مناطق الصليبيين لإشغالهم عنه حتى يواصل طريقه إلــى دمشــق، ونجــح في ذلك، وتحرك صلاح الدين من أيله بالجــنود، وأخذ يهاجم أطراف بلاد الصليبيين حتى دخل دمشق وفــي هذه الاثناء واستغلالاً لإنشغال صلاح الدين بهجماته في الشــمال(١)، تحرك أرناط باتجاه أيلــة والاســتيلاء عليهــا، وهــــدف كذلك إلى السيطرة على جزيرة فرعون فبنى عدة ســفن حملــت أجــزاؤها مفككة على ظهور الجمال حتى خليج العقــبة وتمكــن من محاصرة الجزيرة، وأوقف أمامها مركبين لمــنع أهالــي القلعة بالجزيرة من جلب ماء الشرب، وواصلت بقية السفن زحفها في البحر الاحمر باتجاه ميناء عيذاب الواقع علــى الســاحل المصــــري المقــابل للســاحــل الحجــازي(٢)، فأحرقــوا في البحـــر ١٦ مركبــاً،

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص١٥٥، أحداث سنة ٥٧٨، وانظر: المقريزي: السلوك، ج١، ص١٨٩ـ١٩٠، وانظر عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٤٣ـ٧٥٥، وانظر: أحمد رمضان أحمد: شبه جزيرة سيناء، ص١١٧ـ١١٨. وانظر أبو شامة: الروضتين، ج٢٣ ، ص١٠٥.

(٢) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، ج٣، ص١٣٤، وانظر: أحمد رمضان أحمد، شبه جزيرة سيناء، ص١١٨ـ١١٩، وانظر راجح: المحاولة الصليبية لغزو الحجاز، رسالة ماجستير، ص١٦٤ـ١٦٧.

وفي عيذاب نفسها أخذوا مركباً آتياً بالحجاج من جُدة، كما استولوا على قافلة برية قادمة إلى عيذاب من قوص، واستولوا على مركبين لتجار قادمين من اليمن، وقتلوا وأحرقوا أطعمة كثيرة على ذلك الساحل كانت معدة لمكة والمدينة(١).

ولم يقف أرناط عند ذلك الحد بل انتقل من الساحل المصري إلى الساحل الحجازي متوجهاً إلى المدينة، وساعده في معرفة الدروب والنواحي بعض البدو، وهذه المحاولة أحدثت رعبا وخوفاً لدى كثير من المسلمين وخاصة أهالي المدينة النبوية، حتى ذكر المؤرخون أنه نزل بساحل الحوراء(٢).

وأكد عدد من المؤرخين على أنه لم يبقى بينهم وبين المدينة سوى مسيرة يوم واحد، وكان أرناط قد أخذ الحيطة من إرسال مدد بري، فأرسل فرقة عسكرية إلى تبوك، فما كان من نائب قلعة أيلة إلا أن أرسل كتاباً إلى صلاح الدين وهو في الموصل يخبره بما جرى على ساحل الحجاز، فأمر صلاح الدين أخاه العادل بمصر بإعداد الأسطول لرد الغزاة، وأعد العادل قائده حسام الدين لؤلؤ لهذه المهمة، وحملت المراكب المفككة على ظهور الجمال إلى مدينة أيلة، وفي البحر قسم أسطوله إلى فرقتين فرقة حاصرت المحاصرين لقلعة أيلة في جزيرة فرعون واستولت على مراكب الصليبيين وقتلت أكثر رجالها إلا من هرب إلى الهضاب أو الشعاب، فتولى العربان تتبع آثارهم وإحضارهم، فلم يفلت منهم أحد، وفريق من الأسطول توجه إلى ميناء عيذاب، فاستطاع أن يُطلق سراح الأسرى، ورد المسلوبات، وتوجه إلى الساحل الحجازي فوجد بعض الصليبيين في ساحل الحوراء، وأدرك الباقين في الطريق إلى

---

(١) ابن جبير: الرحلة: ص٣٤.

(٢) الحوراء: تقع على الساحل الحجازي على بعد ١٠كم شمال مدينة أملج، انظر علي غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، ص ٢٤.

المدينة، فهرب أدلتهم من البدو لما شاهدوا الجيش الأيوبي فما كـان مـن الصليبيين الغزاة إلا أن لجأوا إلى جبل يعصمهم من الجيش الأيوبـي ولكن لا عاصم اليوم من أمر الله، وتساقطوا فاستسلموا وحملوا إلى القاهرة، وأثنان من أعيانهم حملا إلى منى ونحرا هنالك كما تنحر "البدن" هدايا الحجاج، وقد أمر صلاح الدين بقتل أولئك الأسرى ليكونوا عبرة لكل من تحدثه نفسه بالاعتداء على حرم الله وحرم رسوله عليه الصلاة والسلام[١].

ويتبين لنا مدى الجرأة التي بلغت بالصليبيين لمهاجمة الحرمين الشريفين، وقد أشار عدد من المؤرخين إلى أن من أهداف هذا الغزو الصليبي للحجاز السيطرة على البحر الاحمر وتجارته ثم الوصول إلى المدينة ونبش قبر النبي صلى الله عليه وآله وسلم ونقل جثمانه إلى بلادهم، وتدمير الحرمين إن أمكنهم ذلك بما يعتمل في صدورهم من حقد صليبي أسود على الإسلام والمسلمين ومقدساتهم[٢].

وعوداً على الأحداث الداخلية في الحجاز، فإن نجد أثناء الصراعات بين أمراء مكة أن تعرضت جُدة للاعتداء والنهب بجيش من هذيل يقوده الشريف مالك بن فليتة في صراعه مع أخيه الشريف عيسى بن فليته في العام ٥٦٧هـ[٣].

---

(١) المقريزي: السلوك، ج١، ص١٩٠، وانظر ابن الاثير: الكامل، ج٩، ص١٥٩، وانظر أبو شامة: الروضتين، ج٣، ص١٣٣-١٤٠. وانظر: عاشور: الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٥٥-٧٦١. وانظر: أحمد رمضان: شبه جزيرة سيناء، ص١١٨-١٢١، وانظر راجح: المحاولة الصليبية لغزو الحجاز، ص١٦٧-٢٠٠.

(٢) ابن الاثير: المصدر السابق، ج٩، ص١٦٠، وأبو شامة: المصدر السابق، ج٣، ص١٣٩، وعاشور: المصدر السابق، ج٢، ص٧٥٨-٧٥٩، وراجح: المصدر السابق، ص١٦٣-١٦٥.

(٣) السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٢٥٣، وانظر السباعي: تاريخ مكة، ص٢٢٢.

وإن مـن مآثـر السلطان صلاح الدين الأيوبي يرحمه الله إبطـال المكوس على الحجاج في مينائي عيذاب وجُدة في عام ٥٧٢هـ، وكان يؤخذ من كل حاج مبلغ سبعة دنانير ونصف مصرية في عيذاب ومن لم يدفع تؤخذ منه في جُدة عنوة وتحت التعذيب، فأوقف ذلك صلاح الدين وعوض أمير مكة ألف دينار، وألفـي إردب من القمح وإقطاعيات بصعيد مصر وجهة اليمن تحمـل إلـيه كـل عام، بعد أن بين له أمير مكة حاجتهم لهذا المكس واضطرارهم إليه لعدم وجود مورد مادي لمكة غير ذلك، فأبطلت المكوس على الحجاج من ذلك العام(١).

وفي العام ٥٧٩ وصل إلى جُدة الرحالة المغربي الأندلسي ابـن جبـير حاجـاً، وكان ذلك في شهر ربيع الآخر من العام المذكـور، ووصف جُدة بأن أكثر بيوتها من الأخصاص، وأكثر سكانها أشراف علويون (حسنيون وحسينيون وجعفريون) وهم فـي رأيه في شظف من العيش بحال يتصدع له الجماد إشفاقاً مُبدياً حسرة على وضع أهل البيت في جُدة في زمانه(٢).

ومـن قرية العلقمية بينبع ظهر مؤسس الطبقة الرابعة من أمـراء مكـة الأشـراف في العام ٥٩٧هـ (الشريف قتادة بن إدريـس بـن مطاعـن بن عبدالكريم بن عيسى بن حسين بن سليمان بن علي بن عبدالله بن محمد بن موسى بن عبدالله بن موسى بن عبدالله بن الحسن بن الحسن بن علي بن أبي طالب ويكـنى أبـا عزيـز الينبعـي المكي) وكان هو وأهله يسكنون العلقمـية من ينبع، وأصبح في قومه رئيساً، فجمعهم، وأركبهم الخيل، وحارب الأشراف بني حراب، من ولد عبدالله بن الحسن

---

(١) النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى باخبار ام القرى، ج٢، ص٥٣٨-٥٤٠، وانظر ابن جبير: الرحلة، ص٣٠-٣١، وانظر عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج١، ص٥٤٠، وانظر السنجاري: ج٢، ص٢٥٨، وانظر السباعي: تاريخ مكة، ص٢٢٤، وانظر سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج١، ص١٦٥-١٦٦.

(٢) ابن جبير: الرحلة، ص٥٣.

بن الحسن، وبني علي، وبني أحمد، وبني ابراهيم. ومن دوافع توجهه إلى مكة ما وصله من أخبار بني عمه الهواشم بني فليته من انهماكهم في اللهو، وتبسطهم في الظلم، وأعد نفسه وقومه وتوجه إلى مكة وقيل انه لم يذهب بنفسه بل بعث ابنه حنظلة فملك مكة، وخرج منها مكثر بن عيسى بن فليته آخر أمراء مكة من الهواشم (وهم الطبقة الثالثة).

وكان قتادة مهيباً، وقوراً قوي النفس شجاعاً مقداماً، فاضلا وله شعر، ومن شعره عندما طلبه الخليفة العباسي الناصر أن يُقدم عليه ببغداد وافق في أول الأمر ثم تراجع خشية أن يُغدر به:

ولي كف ضرغام أصول ببطشها ∴ وأشرى بها بين الورى وأبيع
تظل ملوك الارض تلثم ظهرها ∴ وفي بطنها للمجدبين ربيع
أأجعلها تحت الثرى ثم أبتغي ∴ خلاصاً لها إني إذاً لرقيع
وما أنا إلا المسك في كل بلدة ∴ أضوع وأما عندكم فأضيع

ويذكر ابن الأثير أن ولايته اتسعت من حدود اليمن إلى المدينة، وله قلعة بينبع،، وأكثر من العسكر والمماليك، وخاف العرب في تلك البلاد منه خوفاً عظيماً، وكان أول ملكه حسن السيرة، فقد أزال عن مكة العبيد المفسدين، وحمى البلاد، فأحسن إلى الحجاج وأكرمهم، إلا أنه بعد ذلك وفي آخر أيامه ساءت سيرته، وتوفي في ٦١٧ أو ٦١٨هـ في شهر جمادى الأولى أو الآخرة(١).

(١) ابن الأثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٤٥ حوادث سنة ٦١٨هـ ،وانظر ابن عنبه: عمدة الطالب، ص١٦٦، وانظر تاريخ ابن خلدون،

وبعد تولى قتادة الحسني أمر مكة، دخلت بعض ثغور الحجاز كجُدة وينبع في جملة من الأحداث السياسية والصراعات المتعددة، وكجزء من طموح هذا الأمير لتوسيع حدود إمارته دخل في صراع مع بني عمه بني الحسين أمراء المدينة أملاً في السيطرة عليها بدءاً من عام ٦٠١هـ حتى وفاته ٦١٧هـ أو ٦١٨هـ، فقد ذكر ابن الاثير في حوادث سنة ٦٠١هـ بدء القتال بين قتادة الحسني وسالم بن قاسم الحسيني أمير المدينة، وكانت هذه الجولة لغير صالح قتادة فقد هُزم فيها وعاد إلى مكة(١).

في سنة ٦١٢هـ وفي خضم الصراع بين الأميرين، وأثناء توجه الأمير سالم الحسيني إلى مكة توفي بالطريق، فتولى ولد أخيه جماز الإمارة وأكمل المسيرة إلى مكة، وخرج له قتادة في وادي الصفراء، فكان الانتصار لأمير المدينة وهرب قتادة منهزماً إلى ينبع فتتبعه المهاجمون وحاصروه في قلعته بينبع(٢). وفي العام الذي يليه، وفي سلسلة الحروب بين أميري مكة والمدينة، قام نواب الكامل الأيوبي بتسلم ينبع من نواب قتادة خشية عليها من قاسم الحسيني، وكان قد استولى

ج٤ ص١٣٤-١٣٦، الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٦٣-٤٧٥، وانظر عبدالعزيز بن فهد، غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج١ ، ص٥٥٠-٥٥٥، وانظر عبدالملك بن حسين وانظر العصامي: النجوم العوالي في أنباء الاوائل والتوالي، ١٣٧٩، المطبعة السلفية، القاهرة، ج٤، ص٢٠٧-٢١٤،وانظر السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٢٦٦-٢٦٩ وانظر: الدحلان خلاصة الكلام، ص٢٣ ،وانظر سنوك: صفحات من تاريخ مكة، ج١، ص١٧٣-١٧٦، وانظر: السباعي: تاريخ مكة، ص٢٢٤-٢٢٧.

(١) ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٢٦٩، وانظر الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤٦٤.

(٢) ابو شامة: تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بـ" الذيل على الروضتين"، الطبعة الثانية، ١٩٧٤، تحقيق محمد زاهد الكوثري والسيد عزت العطار الحسيني، دار الجيل، بيروت، ص٨٩-٩٠.

على مناطــق أخــــرى كان يسيطر عليها قتادة[١]. وفي نفس العــام ٦١٣هــ أغار الشريف قاسم الحسيني على جُدة، فخرج له قتادة وانتصر عليه يوم عيد النحر[٢].

وفي العام ٦١٩هــ توالت الأحداث السياسية والصراعات العســكرية لتــنال الثغور نصيباً منها، فقد وصل صاحب اليمن الملــك المسعود يوسف بن الكامل محمد بن العادل أبي بكر بن أيــوب إلــى مكة، وكان يتولى إمرتها الشريف حسن بن قتادة، الــذي ســاءت ســيرته فــي مكة، وكان برفقة الملك المسعود الشــريف راجــح بن قتادة فوصل في ربيع الاول وقاتل حسن، فأنتصــر عليه، فما كان من حسن إلا أن توجه إلى ينبع ليعاود الكــرة بــالهجوم على مكة واستردادها إلا أن محاولاته باءت بالفشل، ومكافأة لراجح الذي ساعد الملك المسعود ولآه السرين وحلــي ونصــف المخلاف[٣]. إلا أن الزيلعي يرجح أن راجحاً يتولى إمرة السرين قبل تولية الملك المسعود له في عام ٦١٩ هــ، وما كانت هذه التولية إلا منح الصفة الرسمية لراجح لحكم الســرين، مســتنداً إلى رواية ابن الاثير أن راجحاً كان يسكن بظاهر مكة عند الأعراب، ورواية ابن فهد أنه يسكن بالواديين وتطلق على المنطقة المحيطة بالسرين، وبالتالي فسكناه وأهله بالســرين تجعل منه أميراً عليها، ولعل أخاه حسن أقصاه عن الإمارة، فولاه المسعود إمارة السرين أو أعاده إليها، وتلك من الأســباب التي دفعت براجح أن يتعاون مع المسعود ضد أخيه حســن بن قتادة بل وانفرد الزيلعي برأي أن راجح بن قتادة لم يــتولى إمرة مكة وإنما قد يكون حصل له نفوذ بمكة في بعض

---

(١) المصدر السابق، ص٩٢.
(٢) المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٠٥ حوادث سنة ٦١٣هـ.
(٣) ابن فهد: إتحاف الورى: ج٣، ص٣٤-٣٥، وانظر: المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٣٣.

السـنين ولفـترات قصيرة[1]. بالرغم من أن الفاسي وابن فهد يشيران إلى توليه إمارة مكة أوقاتاً متعددة[2].

وفـي العـام ٦٢١هـ وفي خضم التنافس بين حكام مصر وحكـام اليمـن على مكة اشترى الأيوبيون في مصر ينبع من الأشـراف بنـي الحسـن وقصدوا بذلك الإشراف المباشر على ميـناء ينبع، وقدر المبلغ الذي تم دفعه للأشراف بأربعة آلاف مـثقال، ولم تزل بأيدهم إلى سنة ٦٣٠هـ، وأقاموا فيه بعض الإنشاءات، ورغم استعادة الأشراف السيطرة على الميناء إلا أن الأيوبيـن اسـترجعوه وبـنوا فيه قلعة حصينة ووضعوا فيه عسـكراً لحمايته، وبالتالي أصبحت ينبع الميناء سيدة الأحداث القادمـة، أتخذت الميناء الرئيسي للمدينة وأصبحت في المرتبة الثانـية بعـد جُدة[3]. وبالرغم من سيطرة الأيوبيين بقيت ينبع مـلاذاً لأمراء مكة في صراعاتهم الداخلية، فكانت أحياناً تؤوب إلـيها الأحـداث من مكة، وأحياناً تنطلق منها بخروج أمير من بنـي الحسـن مـنها أو بدخول أمير من بني الحسن إليها كما سيتبين من الأحداث التالية أيضاً.

(١) الزيلعي: حاكم السرين (راجح بن قتادة) ودوره في العلاقات المصرية واليمنية في مكة، بحث في مجلة العصور، المجلد الأول، الجزء الأول، ١٩٨٦م، ص٢١-٢٤.
وانظر: ابن الاثير: الكامل في التاريخ، ج٩، ص٣٤٥.

(٢) العقد الثمين، ج٤، ص٧٨، وغاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج١، ص٦١٦، وانظر السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٣١٥، وانظر الدحلان: خلاصة الكلام، ص٣٦.

(٣) المقريزي: السلوك، ج١، ص٣٣٧، والنجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٩. وانظر حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص٤٩.

وعوداً إلى الشريف راجح بن قتادة أمير السرين الذي اتخذ مـــن هذه البلدة قاعدة عسكرية في صراعه مع إخوته في مكة، وأقـــام قريـــباً من هذه البلدة قلعة له يُرجح أنها بقرية الصهوة الواقعة في الطرف الشمالي أسفل وادي عليب حيث يوجد موقع أثـــري يقع شرقاً بمقدار ١٤كم ويوجد به آثار أساسات حجرية ترجح هذه الاحتمال(١).

ومـــن الأحداث السياسية والعسكرية التي ارتبطت بالسرين أو انطلقـــت منها ما كان عام ٦٢٩هـ(٢) عندما شجع الشريف راجح بن قتادة حاكم اليمن عمر بن علي بن رسول الذي أعلن نفســـه ملكـــاً وتلقـــب بالمنصور (مؤسس الدولة الرسولية في اليمـــن)(٣) على دخول مكة وطرد الوالي الأيوبي طغتكين، فلبى دعوته كجزء من الصراع بينه وبين الأيوبيين في مصر ورغبة فـــي ضـــم مكة إلى ملكه، فأعد جيشاً بقيادة ابن عبدان، ومعه خزانة إلى الشريف راجح.

---

(١) الفقيه: مدينة السرين، ص٦٩.

(٢) الفاسي: العقد الثمين: ج٤، ص٧٨-٧٩، وانظر ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٩، وانظر: الزيلعي: حاكم السرين (راجح بن قتادة) بحث في مجلة العصور، سبق ذكره، ص٢٥.

(٢)اسمه (محمد) ابن هارون الغساني التركماني ،أحد الدهاة والشجعان ، ولد بمصر ونشأ أديبا فاضلاً ، دخل مع الأيوبيين اليمن ولما مات الملك المسعود الأيوبي استولى على اليمن وحارب الأيوبيين ودامت الدولة الرسولية ٢٣٢ عاماً. انظر الزركلي : الأعلام ، ج ٥، ص٥٦ .

واستطاع راجح أن يستميل أهل مكة ودخل الجيش اليمني مكـة وخـرج الحاكم الأيوبي فاراً إلى ينبع التي أصبحت قاعدة أيوبـية فتلقى مدداً عسكرياً من الملك الكامل فعاد في رمضان وسيطر على مكة وأخرج منها الجيش اليمني الرسولي وعاقب أهـل مكـة. الا أن راجحاً لم ييأس من تكرار المحاولة، فعاود الكـرة في العام التالي ٦٣٠هـ[١] واستعاد مكة بمدد عسكري مـن الملك المنصور الرسولي حاكم اليمن في شهر صفر، وفر منها الحاكم الأيوبي فخر الدين ابن الشيخ، وفي آخر هذه السنة عـاد الجـيش المصـري للاسـتيلاء على مكة وإخراج راجح والجـيش اليمنـي، وفي سنة ٦٣١هـ[٢] جهز الملك الرسولي جيشـاً بـرفقة الشـريف راجح واستطاع الاستيلاء على مكة وأخرجوا المصريين، إلا أن السيطرة على مكة عادت إلى سلطة الأيوبييـن، وتوجـه راجح إلى اليمن، وعادت المحاولات فعاد الشـريف راجـح سـنة ٦٣٣هـ[٣] بجيش للمنصور الرسولي وعدد من الأعراب من سكان السرين وتهامة وفي الطريق بين مكة والسرين التقى مع الجيش المصري، فانهزم الجيش اليمني والأعـراب الذيـن برفقه راجح، وفي سنة ٦٣٥هـ أو ٦٣٦ هـ[٤] دخل المنصور مكة واستولى عليها، ولكن ما أن حل عام ٦٣٧هـ حتى خرج منها الجيش اليمني ودخلها الشريف شيحه بـن قاسـم بن مهنا الحسيني أمير المدينة في ألف فارس من

---

(١) الفاسي: العقد الثمين: ج٤، ص٧٩، وانظر الدحلان: خلاصة الكلام، ص٢٥، وانظر: الزيلعي: حاكم السرين، المرجع السابق، ص٢٦.

(٢) الفاسي: العقد الثمين: ج٤، ص٨١، وانظر الدحلان: خلاصة الكلام، ص٢٥، وانظر: السنجاري: منائح الكرم،ج٢، ص٢٩٩، وانظر الزيلعي:حاكم السرين، المرجع السابق، ص٢٦.

(٣) الفاسي: العقد الثمين:ج٤، ص٨١، وانظر الدحلان: المصدر السابق، ص٢٦، وانظر: السنجاري:المصدر السابق،ج٢، ص٢٩٩-٣٠٠، وانظر الزيلعي:حاكم السرين، المرجع السابق، ص٢٦.

(٤) الفاسي: العقد الثمين: ج٤، ص٨٢، وانظر النجم عمر بن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٣-٥٥، وانظر: الزيلعي: المرجع السابق، ص٢٧.

مصـــر، إلا أن المنصـــور الرســـولي لم ييأس وكرر المحاولة واسترد مكة، ثم عاود الجيش المصري السيطرة على مكة سنة ٦٣٨هـــ[١] وفي سنة ٦٣٩هـ[٢] بعث المنصور بجيش كبير بـــرفقة الشـــريف راجح إلا أن راجحاً علم بوصول مدد للجيش الأيوبي في مكة فتراجع إلى السرين وطلب المدد من المنصور، فـــتقدم المنصـــور علـــى رأس جيش كبير، ولما علم الأيوبيين خـــرجوا مـــن مكـــة بعد أن خربوا دار السلطنة، فدخلها الملك المنصـــور فـــي نفـــس السنة، وكان برفقة المنصور، علي بن قتادة، وأرسل يستميل صاحب ينبع أبي سعد الحسن بن علي بن قـــتادة واســـتطاع المنصور الرسولي أن يشتري منه قلعة ينبع التـــي يسيطر عليها الأيوبيين، وأمر بهدمها، وعينه والياً على وادي فاطمة وولى مكة مملوكه الأمير فخرالدين الشلاح، وعاد إلى اليمن سنة ٦٤٠هـ[٣].

---

(١) الفاسي: المصدر السابق: ج٤، ص٨٢، وانظر ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص٥٥-٥٧، والزيلعي: المرجع السابق، ص٢٧.

(٢) الفاسي: المصدر السابق: ج٤، ص٨٢، وانظر ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص٥٧-٥٨، وانظر: الدحلان: خلاصة الكلام، ص٢٦، وانظر السنجاري: منائح الكرم، ج٢، ص٣٠٢، وانظر الزيلعي: المرجع السابق، ص٢٧.

(٣) الفاسي: العقد الثمين: ج٤، ص٨٢، وانظر: الدحلان: خلاصة الكلام، ص٢٦، وانظر الزيلعي: حاكم السرين، ص٢٧.

وانتقلـت ولايـة مكـة إلـى ابن المسيب نيابة عن الملك المنصـور، إلا أن أباسعد الحسن بن علي دخل مكة عام ٦٤٧ هـ واسـتولى علـيها وقيد ابن المسيب وصادر أمواله وفر راجحـاً الموالـي للملك المنصور إلى السرين، رغم إعلان أبي سـعد ولاءه للملك المنصور(١). وما كان من راجح بن قتادة إلا أن توجـه إلى المدينة واستعان بأميرها من بني حسين وأعانه بـ ٧٠٠ فارس إلا أن أبا سعد تمكن من قطع الطريق عليه بأن أرسل إلى ابنه أبي نمي في ينبع الذي لم يتجاوز السابعة عشرة من عمره فالتقى أبانمي براجح ورجال المدينة في الطريق بين المدينة ومكة واستطاع التغلب عليهم فغادروا من حيث أتوا(٢). وفي هذه الفترة ينتهي العهد الأيوبي، وتظهر دولة المماليك في مصر وتبسط سلطانها على الحجاز تبعاً لذلك كما سنوضحه في المبحث التالي:

---

(١) الفاسي: العقد الثمين: ج٤، ص٨٢، ج٣، ص٣٩٧-٣٩٩، وانظر: الدحلان: خلاصة الكلام، ص٢٦، وانظر الزيلعي، المرجع السابق، ص٢٨.

(٢) الدحلان: المصدر السابق، ص٢٦، والسباعي: تاريخ مكة، ص٢٣٧.

العهد المملوكي : ٦٤٨ ـ ٩٢٣هـ

واستمراراً للأحداث السابقة وفي عام ٦٥١هـ لم يهنأ أبا سعد الحسن بن علي بن قتادة في الحكم إذ خرج عليه الشريف جماز بن حسن بن قتادة بعد أن طلب العون من الأيوبيين بدمشق فدخل مكة واستولى عليها وقتل الحسن بن علي في شهر شعبان أو رمضان، إلا أنه هو أيضاً لم تستقر له الأمور بمكة إذ خرج عليه صاحب السرين راجح بن قتادة صاحب المحاولات العديدة، فما كان من الشريف جماز إلا أن خرج من مكة وفر إلى ينبع التي تعتبر ملاذاً لبني قتادة في صراعاتهم السياسية[١].

ولم يهنأ الحاكم الجديد لمكة بالأمر، فخرج عليه ابنه الشريف غانم بن راجح وأنتزع منه إمارة مكة ٦٥٢هـ[٢]، فما كان من راجح إلا أن عاد إلى مقره القديم السرين[٣]، ولكن الأمور أيضاً لم تستقر لابنه غانم في مكة فخرج عليه إدريس بن قتادة وابن أخيه أبو نمي في نفس السنة[٤]

---

(١) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٧٤ـ٧٥، وانظر: العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤ ص٢٢٠ـ٢٢١ وانظر الدحلان: خلاصة الكلام، ص٢٧، وانظر الزيلعي: حاكم السرين (راجح بن قتادة) سبق ذكره، ص٢٨.

(٢) ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص٧٥، الزيلعي، ص٢٨.

(٣) الزيلعي: المرجع السابق، ص٢٨.

(٤) ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص٧٦، وانظر المقريزي: السلوك، ج ١، ص٤٨٦، وانظر الدحلان: المصدر السابق، ص٢٧، وانظر الزيلعي: حاكم السرين، ص٢٨.

فلـم يـرق ذلـك لحـاكم اليمن الملك المظفر الرسولي، فاسـتولى علـى مكة بقيادة ابن برطاس في ذي القعدة ٦٥٢ هـــ[١]، فمـا كان من إدريس وأبي نمي إلا أن أعادا المحاولة واسـتعانا بأمـير المدينة جماز بن شيحه الحسيني، واستطاع الـثلاثة دخـول مكة والتغلب على ابن برطاس والقبض عليه فافـتداه الشـريف راجح بن قتادة أمير السرين الموالي لحكام اليمن الرسوليين، وعاد ابن برطاس إلى اليمن عام ٦٥٣هـ[٢] إلا أن الأحـداث لـم تنتهي إلى ذلك فقد تنازع الأميران إدريس وأبونمي على الإمارة، وانفرد أبونمي بالإمارة، وتوجه ادريس إلـى راجح بن قتادة أمير السرين، فتوجه معه إلى مكة وتمكن مـن أن يعقد بينهما صلحاً به يمكنهما حكم مكة اشتراكاً وكان ذلـك في العام ٦٥٤هـ، وكانت تلك السنة هي نهاية الشريف راجح بن قتادة أمير السرين إذ توفي فيها[٣].

وبالرغم من وفاة الأمير راجح بن قتادة أهم أمراء السرين فـي مجـريات الأحداث السياسية والعسكرية في الحجاز إلا أن السرين لم تختفي من الأحداث نهائياً، إلا أنها بدأت في التراجع السياسـي والدخول في ظل الأحداث حتى الأندثار النهائي وبدأ يطغـى علـى اسـم السرين اسم "الواديين" وادي حلية ووادي عليـب اللـذان يصبان عند بلدة السرين ويسميان الآن "الشاقة اليمانـية والشـاقة الشـامية". ويرجح الفقيه أن ابنا أبي نمي

---

(١) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٧٧، الزيلعي: حاكم السرين، ص ٢٨.

(٢) ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص٧٨، وانظر الدحلان: المصدر السابق، ص٢٧، وانظر الزيلعي: حاكم السرين، ص٢٨، وانظر: ريتشارد موتيل، الأحوال السياسية والاقتصادية في مكة في العصر المملوكي، الناشر عمادة شئون المكتبات، جامعة الملك سعود، الطبعة الأولى، ١٤٠٥ـ١٩٨٥، ص٥١ـ٥٣..

(٣) الزيلعي: حاكم السرين، مصدر سبق ذكره، ص٢٩.

حميضـــه أو رميـــثة قد توليا إمرة السرين بعد وفاة راجح بن قتادة ٦٥٤هـ[1].

وفـــي ســـنة ٦٦٩هـ اختلف الأميران إدريس وابن أخيه أبونمي على الإمارة بمكة فتمكن إدريس من السيطرة على مكة، فمـــا كان من أبي نمي إلا أن توجه إلى ينبع وجمع منها جمعاً وعـــاد إلى مكة وتمكن من قتل عمه إدريس والانفراد بمكة[2]. فـــي عـــام ٦٩١هـــ قبض الأمير بكتوت العلائي من مماليك الأشـــرف خليل على الشـــريف راجـــح بن إدريس في ينبع وذهب به إلى مصر[3].

وفي عام ٦٩٣هـ قرر أبونمي أمير مكة التوجه إلى مصر للقـــاء السلطان الملك الاشرف فمر بينبع وهناك التقى بأميرها الشـــريف راجح بن إدريس الذي تنازل له عن إمارة ينبع، وفي أثـــناء ذلـــك وصـــل الخبر بمقتل السلطان الملك الأشرف، فعاد أبونمي من ينبع إلى مكة[4].

وفـــي ســـنة ٧٠٠هـ نال ينبع خيراً عندما نزل بها الأمير بكـــتمر الجو كندرا وأنفق في حجته خمسة وثمانين ألف دينار، فقـــد جهز سبعة مراكب في البحر الاحمر تحمل الغلال والدقيق وأنواعاً من العسل والسكر والزيت والحلوى وغير ذلك، وعند وصـــوله ينـــبع وصـــل من هذه المراكب ثلاثة ففرق كثيراً من محـــتوياتها بين الحجاج الذين يمرون ينبع بحراً أو براً، وكذلك

---

(١) مدينة السرين: ص٧٠.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٩٩، وانظر العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٢٣.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٢٣٧، ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٢.

(٤) المقريزي: المصدر السابق، ج٢، ص٢٥٦، ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص١٢٥.

نال أهل ينبع منها نصيباً، وكذلك فعل في جُدة ومكة، ولم ينسى أيضاً حجاج الشام[١].

وفي عام ٧٠٤هـ قدم الأمير سلار أيضاً إلى الحجاز بأحمال من النفقات والخيرات ليفرقها بين الحجاج والمجاورين في مكة وجُدة ومن لقيه في الطريق، ووصلت مراكبه جُدة، ويصف المقريزي ما فعل سلار من توزيعه الأموال والغلات بأنه لم تبق بمكة امرأة ولا رجل ولا صغير ولا كبير ولا غني ولا فقير، عبد أو حر، شريف أو غير شريف إلا عمه ذلك الخير، وبعث رجاله إلى جُدة ففرقوا فيها كما فرقوا بمكة من الخيرات والغلال والأموال، حتى أصبح الناس في الحرمين يرددون "ياسلار كفاك الله هم النار"[٢].

وحج في هذا العام فقيه يمني يدعي علي بن أحمد العسيل الحبيشي، ولما انتهى من حجته توفاه الله في أواخر شهر ذي الحجة في جُدة[٣].

وفي العام ٧١٨هـ و٧١٩هـ وفي ظل الصراع بين أبناء أبي نمي حميضه ورميثه وعطيفه وأبي الغيث، وفي سلطنة الملك الناصر محمد بن قلاوون تمكن حميضة من السيطرة على الأمور في مكة، وقطع الخطبة في مكة عن الناصر وخطب لأبي سعيد بن خدابندا ملك التتار، مما أثار الناصر فأرسل جيشاً لإحضار حميضه، إلا أن أحد القادة المماليك ويدعى بهادر الإبراهيمي الذي يذكر العصامي أنه من أهل ينبع يبدو أنه تساهل في القبض على حميضة حتى فر وساعده في هذا التساهل رميثة أخو حميضة، فما كان من العسكر إلا أن

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٢، ص٣٤٢، و ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ١٣٢.

(٢) السلوك: ج٢، ص٣٧٨، وانظر علي بن حسين السليمان: العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، ١٣٩٣-١٩٧٣، ص١٣٦.

(٣) ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص١٤٣، وانظر مصطفى الحدري: محقق السلاح والعدة في تاريخ جُدة لابن فرج، ص٤٥.

ألــزموهما واتهموهمــا بــتعمد التغاضــي عن هروب حميضة وقرروا القبض على رميثة، وذهبوا به إلى مصر، ولكنه تمكن مــن الهــرب فأصر السلطان الناصر على إعادته وألزم بعض مشايخ العرب وكتب إلى شيخ آل حرب(١) يلزمه باحضار رميثة وفعــلاً تمكــنوا مــن القبض عليه وهو نائم بالقرب من العقبة (أيلة) وكان ذلك في العام ٧١٩هـ(٢).

وفي هذا العام أيضاً أمر السلطان الناصر محمد بن قلاوون بإصــلاح طــريق الحج في عقبة أيلة من الصخور، حتى أمكن سلوكها بدون مشقة(٣).

وكذلــك حج هذا العام السلطان الناصر محمد بن قلاوون، وحمــل معــه الشــيء الكثير من الغلال والخيرات براً وبحراً، ونُقلت في البحر في مركبين إلى ينبع ومركبين إلى جُدة إضافة إلى ماحمل براً(٤).

وفي بدء عام ٧٣٢هـ وأثناء عودة قافلة الحج إلى مصر توفــي الأمير مغلطاي الجمالي في عقبة أيلة فُصّبر وحمل إلى القاهرة ودفن فيها.

وفــي طريقه للحج قدّم السلطان الناصر محمد بن قلاوون الأمــير أيتمش إلى عقبة أيلة وبرفقته مائة رجل من الحجارين

---

(٣) قبيلة حرب يمانية النسب حجازية الوطن ، كما يصفها البلادي ، فهي : حرب بن سعد بن خولان ، واستوطنت وسط الحجاز في القرن الثاني الهجري ، واصبحت تسيطر على الطريق بين مكة والمدينة، معجم قبائل الحجاز ، ص١٠٧.

(٢) سمط النجوم العوالي: ج٤، ص٢٢٩-٢٣٠.

(٣) أبوالمحاسن ابن تغري بردي: النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، ج٩، ص٦٠، وانظر الغوانمة: أيلة (العقبة)، ص٧٥، وانظر راشد سعد راشد القحطاني: أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ١٤١٤-١٩٩٤، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ص٤٠-٤١.

(٤) المقريزي: السلوك: ج٣، ص١٨.

حتى وسع طريق العقبة وأزال صخورها، حتى سهل صعودها[١].

ولدى وصول السلطان إلى ينبع من العام المذكور استقبله الأشراف وقدم عليه الشريف أسد الدين رميثة من مكة، فأكرمهم السلطان وأنعم عليهم، وساروا معه إلى مكة[٢].

وكما كانت ينبع ملاذاً وانطلاقاً لأحداث هامة في تاريخ الحجاز، كانت أيضاً السرين ملاذاً ومهرباً لمن يختلف من أمراء الأشراف مع إخوته أو بني عمه قبل أن تندثر السرين نهائياً في نهاية القرن الثامن الهجري، ففي عام ٧٣٧هـ اصطلح رميثة وعطيفة على المشاركة في إمارة مكة، ثم انسحبا من مكة إلى الواديين (منطقة السرين) وترك عطيفة ولده مباركاً بمكة، ليستمر التنافس والصراع بين أبناء أبي نمي[٣]، ولعل اختيارهما للسرين يدل على أن لهما بها مقر إقامة، أو أن أميرها في تلك الفترة من ابنائهما، وقد يكون عجلان بن رميثة، وفضلا الابتعاد حسماً للنزاع[٤]. والأمير عجلان بن رميثة تولى إمرة مكة أكثر من مرة ما يقارب ثلاثين سنة، مستقلاً مرة، ومشاركاً لأخيه ثقبة مرة ولابنه أحمد مرة، فقد اشترى وأخاه ثقبة إمارة مكة من أبيهما بستين الف درهم في العام ٧٤٤هـ، وفي عام ٧٤٦هـ أعطى اخويه مغامساً ومباركاً السرين، ولعل ذلك يدل على مكانة السرين لديه، إلا أنه يبدو أنهما لم يبقيا في السرين وشاركا في أحداث خارجها، حتى كان عام ٧٤٩هـ

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٣، ص١٦٠، وانظر: ابوالمحاسن: النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٠٤.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص١٩٩، وانظر ابو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٩، ص١٠٤.

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص١٠٧، و ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٠٨.

(٤) الفقيه: مدينة السرين، ص٧٢-٧٣، والزيلعي: ميناء السرين، بحث منشور في مجلة اتحاد المؤرخين العرب، سبق ذكره، ص١٩٩.

هاجم مبارك مكة منطلقاً من السرين إلا أنه لم يتمكن من دخولها، وكانت هذه الحادثة خاتمة الأحداث السياسية في مدينة السرين، ولم يعد لها ذكر في المصادر المكية[١].

وفي خضم الصراع والتنافس بين أمراء المماليك على السلطنة في مصر والشام ظهرت بوادر ثورة لبيبغاروس في العام ٧٥١هـ وانتهت عام ٧٥٤هـ بمقتله، ونالت أيلة "العقبة" نصيبها من أحداث هذه الثورة وكتب السلطان إلى أمرائه بالاحتراس من بيبغا (والقبض عليه) بعدما وصلته أخبار برغبته في التمرد والثورة عليه، ومن ذلك ما كتبه إلى الأمير طاز وإلى الأمير بزلار يخبرهما بما وقع خاصة بعدما نزل سطح العقبة، وسلم الكتاب إلى بيبغا في العقبة إلا أنه قبل بالأمر، وتحايل للخروج منه بدعوى رغبته في أداء الحج، وزاد الأمر سوءاً عندما كثرت الأراجيف والشائعات بأن الأمير طاز قد تحالف مع الأمير بيبغاروس بعقبة أيلة، فما كان من الأمير فياض وعيسى ابني حسين أمير العائد الا أن خرجا ليقيما على عقبة أيلة خشية بيبغاروس، وكذلك شجع السلطان العرب في منطقة جنوب الأردن وشمال الحجاز بإرسال رجالهم إلى العقبة[٢].

---

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص١٨٩ـ١٩١، وانظر الفقيه: مدينة السرين، ص٧٣ـ٧٥، وانظر الزيلعي: ميناء السرين، ص١٩٩، وانظر النجم ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٢٣٧.

(٢) المقريزي: السلوك، ج٤، ص١٢٦، وانظر النجوم الزاهرة، ج١٠، ص٢٢١ـ٢٢٢.

وفي عام ٧٧٨هـ عاشت (العقبة) جزءاً من أحداث مقتل السلطان الأشرف شعبان بن حسين الذي تولى السلطنة من عام ٧٦٥-٧٧٨هـ، وبدأت محاولة قتله عندما أراد السفر للحج في هذا العام، وخرج برفقة عدد كبير من أمرائه ومماليكه إلا أن هؤلاء الأمراء ولدى وصوله إلى "عقبة أيلة" ثاروا عليه وطالبوه بأموالهم، فرفض، فهاجموه وكاد أن يُقتل في ذلك الهجوم، لكنه فر إلى القاهرة ليلقي حتفه هناك حيث وجد أمامه الثورة قائمة ضده في القاهرة، فأختفى في أحد المنازل إلى أن تم القبض عليه يوم الجمعه الثالث من ذي القعدة عام ٧٧٨ هـ(١).

وبدءاً من عام ٧٨٤هـ قامت دولة المماليك الجراكسة وكان أول سلاطينها السلطان برقوق، ويرى علي السليمان أن العلاقة بين مصر والحجاز أو بين سلاطين الجراكسة وأمراء الحجاز (مكة والمدينة) اتخذت طابعاً مغايراً لأهتمامات من سبقهم في تغليب الجانب السياسي، والتدخل المسلح في كثير من الصراعات بين أمراء مكة والمدينة. أما الجراكسة فقد غلّبوا الجانب الاقتصادي والتجاري بخاصة على الجانب السياسي، ولم يهتم الجراكسة كثيراً بمن يتولى أو يعزل بل انصب اهتمامهم بتأمين الثغور والموانيء الحجازية في البحر الاحمر وسير القوافل التجارية التي تشق الحجاز جيئة وذهابا قاصدة الأراضي المقدسة للمشاركة في مواسم الحج، ووصل بهم الأمر إلى احتكار بعض السلع، فصارت تجمع لهم بشكل مشروع وغير مشروع، حتى أصبحت الرشوة من عوامل العزل والتولية(٢).

---

(١) المقريزي: السلوك، ج٥، ص١٢، وانظر: تاريخ ابن خلدون: ج٥، ص٥٢٦-٥٢٩، وانظر: راشد القحطاني: أوقاف السلطان الاشرف شعبان على الحرمين، ص٥٣.

(٢) العلاقات الحجازية المصرية، ص٤١-٤٣.

إلا أن هذا الرأي يقتصر على جانب العلاقات بين سلاطين الجراكسة وأمراء مكة والمدينة، أما الأحداث السياسية الداخلية في الحجاز فبقيت على حالها تهدأ حيناً وتثوراً أحياناً، فمنذ أن تولـى برقوق السلطنة، كان في مكة الشريف أحمد بن عجلان، فـنازعه الأمارة أبنا عمه الشريف عنان بن مغامس، والشريف حسن بن ثقبه، وفي عام ٧٨٦هـ[١]، توجها إلى مصر يشكوان أمير مكة إلى السلطان أن يشركهما معه في الأموال، ولم يحقق لهما مرادهما، فعادا إلى مكة، وعاد الصراع والتنافس، وعرف الأمـيران أن أحمد بن عجلان يريد بهما أمراً، فهرب عنان إلى ينـبع ولحقـه حسن وأقنعهما أمير الحاج المصري أبوبكر بن سـنقر الجمالي بالعودة إلى مكة ولقاء الأمير أحمد بن عجلان وكـان برفقـته محمـد بن عجلان وشجعه للذهاب مع الإثنتين والـتقوا ثلاثـتهم فـي مكة بالأمير أحمد الا أن الأمير أحمد لم يوافقهـم وقرر القبض عليهم وقيد الثلاثة وسجنهم، وكان ذلك في سنة ٧٨٧هـ[٢]، وحاولوا الهرب من السجن فلم ينجح إلا عنان وفر هارباً إلى ينبع فتزوج بها وأقام عند زوجته ليلة أو أكـثر، ثم سافر إلى مصر في جمادى الأولى عام ٧٨٨هـ[٣]. وتوالـت الأحـداث سراعاً، وقرر السلطان مساعدة عنان على تولـي إمـرة مكة وكان قد مات أحمد بن عجلان، فسيطر على الأمـور بمكة كبيش بن عجلان وبالرغم من أن السلطان أرسل إلـى مكة يوافق على تولية محمد بن احمد بن عجلان، إلا أن عـنان أعـد ليتولى إمرة مكة وصحب الحاج المصري وكان أميره آقبغا الماريديني، في تلك الأثناء فر كبيش إلى جُدة رغبة في ألا يكون بعيداً عن الأحداث، وقتل الأمير محمد بن أحمد بن

---

(١)ابن فهد: إتحاف الورى: ج٣، ص٣٤٣-٣٤٤، وانظر الدحلان: خلاصة الكلام: ص٣٤.

(٢)الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤١٦-٤١٧، و ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٤٧-٣٤٨، الدحلان: خلاصة الكلام: ص٣٤.

(٣)الفاسي: المصدر السابق، ج٥، ص٤١٧-٤١٨، و ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص٣٥١. والسباعي: تاريخ مكة، ص٢٨٥.

عجلان وأعلن عنان أميراً لمكة فما كان منه إلا أن أرسل إلى جُدة من يخرج منها كبيشاً، ورغم هروبه منها إلا أنه عاود الكرة، وجمع جمعاً من الأعراب واستولى على جُدة وسيطر على صهاريج جُدة، فخرج عنان بنفسه لملاقاته وعسكر شرقي جُدة وتعرضوا لعطش شديد، واستمر بقاؤهم ثلاثة عشر يوماً لم يحصل بينهم قتال، وضعف أمر كبيش فقرر الفرار إلى خارج جُدة، ودخلها عنان وعين عليها نائباً عنه محمد بن عجلان وأكرم عَبَيدْ أحمد بن عجلان وجعلهم بجُدة، إلا أنه جعل عليهم عيناً هو مولى أبيه محمد بن بركتي(١). وتوالت الأحداث في السنة التالية ٧٨٩هـ بما يرتبط بجُدة، فقد أنكر مولى الأمير عنان الذي وضعه عيناً على آل عجلان على محمد بن عجلان تقصيره وأبلغ ذلك الأمير عنان، فما كان منه إلا أن زجر وغلظ لنائب جُدة، فكانت الفرقة، وتجمع آل عجلان وسيطروا على جُدة، وحضر كبيش معيناً لهم وبدعوة منهم، ثم نهبت أموال التجار والغلة المخزونة للأمراء المماليك بجُدة، ووصل إليهم على بن مبارك بن رميثة برفقة عدد من الأشراف فما كان من آل عجلان إلا أن أمروه عليهم ومنحوه نصف ماحصلوه من جُدة، وتوجه لمكة لمحاربة عنان إلا أن أمرهم تفرق قبل دخول مكة، وبقي عبيدهم في أطراف مكة يتعرضون للناس وبلغ ذلك السلطان المملوكي برقوق، فأمر بعزل عنان وتوليه على بن عجلان الأمارة، ودخل عنان في صراعات متعددة مع آل عجلان تمكن من الانتصار في بعضها، وبعد سفر الحاج من العام المذكور استولى عنان على جُدة(٢).

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤١٨-٤١٩، وابن فهد: إتحاف الورى، ج٥، ص٣٥٨. وانظر: العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص ٢٤٧-٢٤٩.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٥، ص٤١٩-٤٢٠، و ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٣٦٨. وانظر: العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٤٩-٢٥٠.

ومازال الحديث عن الشريف عنان الذي استمر يصارع من أجل الوصول إلى الإمارة، ففي عام ٧٩٢هـ وفي طريق عودته من مصر يرافقه مندوب تركي من السلطان لتقليده الإمارة بمكة مــر بينبع، فشجعه أمير ينبع وبير بن مخبار على مشاركته في قــتال بني إبراهيم حتى انتصروا عليهم، فتوجه عنان بعد ذلك إلى مكة[١].

وفــي العام ٧٩٤هـ عين الشريف علي بن عجلان أميراً علــى مكــة، لكــن الأشــراف بمكة كانوا على خلاف معه ولم يساندوا إمارته، فتركوا مكة عام ٧٩٥هـ إلى بحرة قرب جُدة فلحقهــم على بن عجلان إلى بحرة فرحلوا إلى جُدة أملاً في أن يســتولوا علــى مركب سلطاني قادم من مصر، فلما علم بذلك اضــطر إلى إعطائهم ٤٠٠ غرارة قمح فلم يرضوا فزادهم مائة أخــرى فرضــوا وخرجوا من جُدة. وأدت هذه الصراعات إلى تضعضــع الامن في مكة وجُدة فما كان من التجار إلا أن نقلوا تجارتهم إلى ميناء ينبع[٢].

---

(١) الفاسي: المصدر السابق، ج٥، ص٤٢١، وابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص٣٧٧.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى: ج٣، ص٣٨٨-٣٨٩، الدحلان: خلاصة الكلام، ص٣٦.

وفـــي ينـــبع وفـــي سنة ٧٩٨هـــ اضطر أميرها وبير بن مخبار إلى تسليم مبلغ ثلاثين ألف درهم مقابل ما استولى عليه مـــن القمح وغيره إلى الشريف حسن بن عجلان الذي قدم من مصر وبرفقته جماعة من الترك ليقلدوه الأمارة في مكة بعد أن هدد أمير ينبع بالحرب(١).

وفي العام الذي يليه شجع الشريف حسن بن عجلان تجار اليمـــن علـــى العودة إلى ميناء جُدة وأسقط عنهم ثلث الجباية، فرحبوا بذلك فتوالى التجار عوداً على ميناء جُدة، ونال الشريف حســـن مكاســـب كثيرة من جراء ذلك، وتمكن أيضاً من إخراج الأشراف من جُدة، فهربوا إلى خليص، ورغم محاولاتهم العودة إلى جُدة إلا أنهم لم يمكنوا منها(٢).

وفي العام ٨٠٦هـــ عين الشريف حسن بن عجلان عاملاً له على جُدة، هو جابر بن عبدالله الحراشي، ومنحه صلاحيات واســـعة في جميع مايصل من جهة الشام واليمن، واهتم بعمله أيمـــا اهتمام وعمر فرضة جُدة أسوة بميناء عدن، وحدد لبني حســـن الرسوم التي يأخذونها من التجار بالإضافة إلى الجباية، فبذلك خفف على التجار(٣).

---

(١)الفاسي: العقد الثمين: ج٣، ص٣٤٩، ابن فهد: إتحاف الورى: ج٣، ص٣٩٨،

(٢)الفاسي: المصدر السابق، ج٣،ص٣٥١ . ابن فهد: المصدر السابق، ج ٣، ص٤٠٤_٤٠٥،

(٣) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٥٨، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٣٥_٤٣٦.

وفي سنة ٨٠٩ تم القبض على عامل جُدة جابر الحراشي بأمر من أمير مكة، فصودرت أمواله وسجن بمكة، ثم أخرج من السـجن بشـفاعة صاحب صنعاء، وأعيد إليه جزء من ماله، وتوجه إلى اليمن، وذكر النجم ابن فهد أن مكاسب أمير مكة من التجار والحراشي بلغت قرابة ٤٠,٠٠٠ مثقال(١).

وفـي نفـس العـام فـي شهر رمضان وصل أميرا ينبع الشـريفان وبير ومُقبل ابني مخبار إلى أمير مكة حسن معلنين ولائهما له، وزال مابينهم من خلاف(٢). وفي عام ٨١٢هـ عاد الحراشـي إلـى الأحـداث وسعى جاهداً للانتقام من حسن بن عجـلان بالذهاب إلى مصر وتشجيع السلطان على عزله إلا أن سعيه باء بالفشل، وأثناء عودته من مصر مع الحاج سكن ينبع وتقرب إلى ولاتها، وبنى لهم بها قلعة وسوراً ورغم ما اكتسبه من مال لكنه ما زال يرغب في العودة إلى مكة(٣).

---

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٥٩، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٥٠-٤٥١.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٦٠، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٥٢.

(٣)الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٦١ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٧٨.

وفـــي العام ٨١٥هــ غضب أمير مكة من جابر الحراشي وسعى إلى إخراجه من ينبعَ لما بلغه من أنه يشجع حاكم اليمن علـــى صرف المراكب من ميناء جُدة إلى ميناء ينبع، فكان أن خـــرج الحراشـــي مـــن ينبع إلى مصر وأخذ يحرض السلطان المملوكـــي على أمير مكة حسن بن عجلان فلم تنجح محاولته وأعـــيد إلـــى الحجاز برفقة الحاج مكبلاً بالحديد فعفا عنه أمير مكـــة، بـــل وفـــوض إليه أمر جُدة مرة اخرى، وساهم ذلك في تحسن العلاقات مع اليمن وبالتالي وفود التجار إلى جُدة. وقبل تولـــية الحراشـــي لأمـــر جُـــدة تواصلت الرسل بين أمير مكة وصاحب اليمن وما استقرت الأمور حتى قبل أمير مكة بأن يدفع مـــبلغاً من المال ثلاث سنوات مقابل ما استولى عليه من تجار اليمن، وبتولية الحراشي استقرت الامور بجُدة[١].

وفـــي نفس هذا العام وقبل تولي الحراشي جُدة وقع خلاف بيـــن أبناء الشريف محمد بن عجلان وعمهم الشريف حسن بن عجـــلان عندما ضرب أحدهم نائب جُدة مسعود الصبحي فغضب مـــنهم الأمـــير، فخـــرجوا إلـــى ينبع ومنها إلى مصر يريدون الأســـتعانة عليه ولما عادوا إلى ينبع منعهم الأمير حسن من دخـــول مكـــة، فاضـــطروا للإقامـــة في ينبع حتى تحين فرصة للعودة[٢].

وعوداً إلى الحراشي الذي كانت نهايته عام ٨١٦هــ، فقد انقلـــب عليه أمير مكة حسن بن عجلان لما بلغه من مساعدة الحراشـــي لابن أخيه رميثه في الثورة عليه وكان الحراشي قد سعى بالصلح بين الطرفين وفشل الصلح فتحمل تبعاته، إضافة

---

(١)الفاسي: العقدالثمين، ج٣، ص٢٦١، ص٣٦٦ ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٩٤ـ٤٩٨.

(٢)الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٦٦، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٤٩٣ـ٤٩٤.

إلـــى ما وقع منه من مخالفات أخرى، فقتل في شهر ذي الحجة من العام المذكور(١).

وقـــد تعرضـــت جُدة في هذا العام لهجمات رميثة ابن أخي أمير مكة حسن بن عجلان وتدخل صاحب ينبع مقبل بن مخبار لمساعدة أمير مكة ضد ثورة أبناء أخيه رميثة واخوته(٢).

وفـــي سلســـلة التجاذب بين حسن بن عجلان وأبناء أخيه تعرضـــت جُدة لعدة هجمات، ومن ذلك ما جرى عام ٨١٨هـــ، عندما تقدم حسن بن عجلان إلى إخراج رميثة من جُدة وتمكن مـــن ذلـــك، إلا أن الأمـــر السلطاني قد وصل بتولية رميثة أمر مكة(٣).

وتوالت هجمات حسن بن عجلان على جُدة واستيلائه على مكـــوس وجبايات المراكب الواردة إليها والمتجهه إلى ينبع(٤). وتواصـــل الصـــراع، وكـــان لسلاطين المماليك دور مخزي في تأجـــيجه، فمن يدفع أكثر من أمراء مكة للسلطان يتولى الإمارة عكس ما كان يجري في العهد الأيوبي وعهد المماليك البحرية، فقد كان ملوك وسلاطين مصر يدفعون لأمراء مكة وأهلها

---

(١) الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٢٦١، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٠٧.

(٢)الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ص٣٦٩، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٥٠٥-٥٠٦.

(٣)والفاسي: العقد الثمين، ج٣، ٣٧٦، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٢٦.

(٤)الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ٣٧٧، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٣١.

ويكرمونهم، ويحدون من تجاوزاتهم، فانقلب الحال وأصبح سلاطين مصر يأخذون من أمراء مكة ما كان ينالهم من نصيب من مكوس وجبايات تجار جُدة ومكة والمراكب التجارية التي تمخر عباب بحر جُدة وينبع، ورغم مايدل ذلك على ازدهار تجارة جُدة، وتجارة البحر الأحمر في هذه الفترة، إلا أن ذلك لا يبرر دعم السلاطين للصراعات الداخلية في مكة لمصلحة من يدفع أكثر. فما تردد السلطان الملك المؤيد أبو النصر شيخ المحمودي الظاهري أن قبل عرضاً مالياً من حسن بن عجلان يقدر بثلاثين الف مثقال فأنعم عليه بإمرة مكة ..!! عام ٨١٩ هـ..![١]

وفي العام ٨٢١هـ نالت جُدة نصيبها من الصراعات السياسية، إلا أن تجار جُدة والمراكب القادمة إليها لم تتعرض لسوء هذا العام وتساهل أمير مكة حسن بن عجلان مع التجار مما انعكس على التجار بالارتياح[٢]. وتوالت الأحداث، ونال جُدة منها نصيباً وافراً لكثرة مايردها من المراكب التجارية مما يجعلها مطمعاً لكل طامح للإمارة، ولسلاطين المماليك، وينال ينبع كذلك نصيباً من هذه الصراعات ومن ذلك ما حصل عام ٨٢٥هـ عندما نزل الأمير جانبك الخازندار ينبع في شهر ذي الحجة لقتال الشريف مقبل أمير ينبع، وبرفقته عقيل بن وبير الحسني الذي منحه السلطان إمرة ينبع، واضطر مقبل بقبول عقيل شريكا له في الإمارة، فما أن غادر الحاج ينبع حتى عاد القتال بين الأميرين،

(١)الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ٣٧٧، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٣١.

(٢)الفاسي: العقد الثمين، ج٣، ٣٧٨، ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص ٥٥٥.

وانتصـــر مقبل على عقيل ابن أخيه، ولما عاد الحاج إلى ينـــبع هـــاجم المماليـــك الأمير مقبل، وقتل في ذلك جماعة من الأشـــراف مـــن بنـــي حسن وكثر السلب والنهب في ينبع في الأشراف وغيرهم، وما إن خرجوا من ينبع حتى عاد مقبل لقتال ابن أخيه عقيل على الأمارة إلا أنه لم يتمكن من ذلك وهزم في عـــام ٨٢٨ وحمـــل الشـــريف مقبل في الحديد إلى الاسكندرية وسجن بها[١].

ومازالت ينبع منطلقاً لبعض الأحداث، فتقبل إليها الأحداث وتدبـــر فـــتحل فـــي مينائها حملات الحجيج ويصطدم امراؤها بأمراء الحج فيسيرون معهم أو يسيرون ضدهم، ومازالت ملاذاً لأمـــراء مكة والثائرين من أشرافها، فلايمر عام دون أن يكون هناك ذكر لينبع في أحداث الحجاز الداخلية وفي العام ٨٢٧هـــ وصـــل أمير الحاج المصري الأمير قرقماس في ربيع الاول إلى ينـــبع يحمل أمراً بعزل حسن بن عجلان وتولية علي بن عنان وأشـــرك معـــه أهل ينبع والصفراء والمدينة فالتقى بهم الأمير الجديـــد في ينبع ودخلوا مكة في جمادى الأولى وتوجه الأمير الجديـــد إلى جُدة لملاطفة التجار القادمين إليها وتشجيعهم على الرسو في ميناء جُدة[٢].

وأصـــبحت جُـــدة هدفـــاً لأنها صارت بندراً عظيماً كما يصفها المقريـــزي فـــي أحداث سنة ٨٢٨هـــ، وبطل بندر عدن، حتى ازداد طمـــع ســـلاطين المماليك في السيطرة على هذا الميناء، وأصـــبح للسطان المملوكي نائباً له على جُدة لتحصيل الرسوم والمكـــوس والجـــبايات الباهظة على التجار والحجاج[٣]. يقول المقريـــزي فـــي أحـــداث سنة ٨٢٩هـــ: (واشتدوا على جميع القادميـــن مـــن التجار والحجاج، واستقصوا تفتيش محايرهم، وأحمالهم، وأخرجوا سائر مامعهم من الهدية، وأخذوا مكسها،

(١) المقريزي: السلوك، ج٧، ص٦٧-٦٨، ص١١٦.
(٢) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٦٠٤.
(٣) المقريزي: السلوك، ج٧، ص١١٢.

حـــتى أخذوا من المرأة الفقيرة مكس النطع [البساط من الأديم الصـــغير عشـــرة دراهـــم فلوساً)[١]. ويؤكد على أن من يجبي المكوس مندوب السلطان وأنها أصبحت وظيفة سلطانية، ويعلق علـــى ذلـــك بتعجـــب شديد: (فجاء للناس مالا عهد بمثله، فإن العـــادة لم تزل من قديم الدهر في الجاهلية والإسلام أن الملوك تحمل الأموال الجزيلة إلى مكة لتفرق في أشرافها ومجاوريها، فانعكست الحقائق، وصار المال يُحمل من مكة، ويلزم أشرافها بحملـــه .... ولعمرى لقد سمعت عجائز أهلنا وأنا صغير يقلن إنه ليأتي على الناس زمان يترحمون فيه على فرعون، فبرغم إن مضـــين وخلفـــت حتى أدركت وقوع ما أنذرنا به قبل، ولله عاقبة الأمور)[٢].

ومازال سعدالدين إبراهيم ابن المرة القبطي المصري ناظر جُدة ومباشر الديوان من قبل السلطان المملوكي يرتاد جُدة في موســـم الحج لأخذ المكوس، وفي عام ٨٣٠هـــ حمل مراسيماً بعمارة الحرم المكي وترميمه، وعمر في جُدة جامعاً، ورتب فيه أربـــاب الوظـــائف من إمام وخطيب، ومؤذن، ووقـــاد وفراش ومكـــبر، وجعـــل رواتبهم من مكوس المراكب، وبدأ في ميضأة للجامع ولم يتمها[٣].

(١) السلوك: ج٧، ص١٢٨، وانظر، ابن فهد: إتحاف الورى ،ج٣، ص ٦٢٢.

(٢) السلوك: ج٧، ص١٢٩، وانظر ابن فهد:المصدر السابق ج٣، ص ٦٢١.

(٣) ابن فهد: المصدر السابق، ج٣، ص٦٣٧-٦٣٨.

وتوالت سيطرة المماليك على المراكب في جُدة، فبمجرد حدوث أمر ما قل أو كثر يصادر كل مايحمله المركب ويملكه صاحبه، ففي عام ٨٣١هـ قتل تاجر هندي راكباً معه، فعُرف خبره في ينبع وجُدة، وصودرت أمواله، وأبلغ السلطان فأمر بجلب كافة محتويات أموال التاجر الهندي، وأنعم على أمير ينبع بخشب المركب، وقتل التاجر الهندي في جُدة شنقاً، ولم يُكتفى بذلك بل أصبحت أموال الراكب المقتول من حق السلطان، وكأنها آلت إليه وراثة[١].

ويظهر ذلك مدى جشع وظلم هؤلاء السلاطين ، ومخالفتهم للقواعد الشرعية في الإرث ، ولكن في رأي المؤرخين وسخريتهما من هذه التصرفات ما يغني عن المزيد من التعليق. وفي عام ٨٣٤هـ وصل إلى مكة حاجاً أو معتمراً المؤرخ تقي الدين أحمد بن علي المقريزي برفقة ناظر جُدة سعدالدين ابراهيم بن المرة[٢].

وباشر جُدة وهو (الموظف الذي يكلف بإدارة العمل) إضافة إلى سعدالدين بن المرة سنقر العزي وداود الكيلاني في عام ٨٣٥ هـ[٣].

وتزايدت ضغوط السلطان الأشرف برسباي على التجار القادمين إلى ميناء جُدة وذلك من أجل تزايد مكاسبه من العشور المتحصلة من التجار، فكان يصدر بين الحين والآخر قرارات تعسفيه لمصادرة بضائع التجار، يراجع في بعضها ويتراجع، وتنفذ الأخرى، وكان ذلك في عام ٨٣٨هـ واستبدل مباشر جُدة ابن المرة بـ نكار الخاصكي[٤].

---

(١) النجم ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٧-١٨.
(٢) المصدر السابق، ج٤، ص٥٥.
(٣) المصدر السابق، ج٤، ص٦٢.
(٤) المصدر السابق، ج٤، ص٨١-٨٣.

وتوالت مصادرة أموال التجار في بحر جُدة بشتى الطرق وبمختلف الاسباب(١).

وفي العام ٨٤٠هـ وقع بجُدة حريق كبير أتلف ممتلكات وأنفس(٢).

ووصل الطمع حداً بالسلطان المملوكي أن أصدر مراسيماً بأن مكوس مراكب التجار القادمين إلى ميناء جُدة ليس لأمير مكة منها إلا الربع فقط والباقي للسلطان وأن جميع من مات بمكة من غير أهلها ليس لأمير مكة من ميراثه شيء بل كله للسطان وأن ليس لأمير مكة إلا ميراث من مات من أهل مكة..!!! كان ذلك في العام ٨٤٣هـ، الذي صدرت فيه فتوى أربعة من قضاة السلطان بجواز أخذ المكوس من التجار، وقرئت الفتوى بالحرم المكي على الناس، ويعلق المقريزي وابن فهد سخريه؛ وتعجباً على هذه الفتوى، بأن الألسن انطلقت بالوقيعة في هؤلاء القضاة الذين اعتادوا اتباع أهواء الملوك خوفاً على مناصبهم، ويريان أن مايؤخذ من التجار مكس لايحل شرعاً تناوله والأكل منه، وأن الآكل منه فاسق لاتقبل شهادته، لسقوط عدالته ..!! ويسخر المؤرخان من تجرؤ القضاة على إعلان فتواهم في الحرم الشريف وعلى رؤوس الأشهاد. ويستشهد المقريزي في حادثة مشابهة في نفس عهد هذا السلطان بقول الشاعر :

إذاجاء الأمير وصاحبـــــاه ∴ وقاضي الحكـم واهـن في القضـاء

فويل ثم ويل ثـــم ويــــل ∴ لقاضي الأرض من قاضي السماء(٣)

وعاشت جُدة في العام ٨٤٦هـ موجة من الصراع بين أمراء مكة على بن حسن بن عجلان والشريف بركات، ونال التجار وأصحاب المراكب جزءاً وافراً من العناء، وبعد شد وجذب انتهى

---

(١) ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٤، ص٩٣-٩٤.

(٢) المصدر السابق ، ج٤، ص١٠١.

(٣) المقريزي: السلوك، ج٧، ص٤٥٠، ص٤٦٥، وابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص١٤٣، ص١٤٦.

الصراع بانتصار على بن حسن علي بركات وفرار الأخير صوب اليمن[١].

وتواصلت أعمال النواب المسئولون عن تحصيل المكوس بجُدة في الإجحاف بالتجار وتتبعهم واللحاق بهم ولو كانوا يطوفون حول البيت الشريف والمصاحف على رؤوسهم[٢].

وفي العام ٨٥٨هـ أصدرت عدة مراسيم عن جُدة منها تولية شادٍ لجُدة (وهو المتولي وظيفة استخلاص ما يتقرر على الطوائف والأفراد من المعاملات المالية)[٣] وكان جاني بك، وتعيين قاض لجُدة هو كمال الدين بن أبي البركات بن ظهيرة خلفاً لابن عمه القاضي أبي الفضل بن ظهيرة[٤].

وكانت ينبع تمارس دور حلقة الوصل السياسية بين مصر ومكة والمدينة وبالتالي هي محطة عبور للأحداث السياسية مابين مصر والحجاز فكانت المراسيم السلطانية وأمراء الحاج ينزلون بينبع ومنها ينطلقون إلى مكة أو المدينة بعد إشراك أمراء ينبع وأهلها في أي حدث سياسي لمعرفتهم بالعلاقة التاريخية الوطيدة بين أمراء مكة من الأشراف وينبع، وبقدر ما قد ينال أهل ينبع من أذى وأضرار إلا أنهم أيضاً تنالهم الخلع السنية السلطانية والهدايا، وإذا وزع على الحجاج في ينبع معونات نالت أهالي ينبع منها نصيباً، ومايكتسبونهم من نزول وارتحال الحاج بمينائهم الهام. إلا أن ميناء جُدة هو الأبرز تجارياً والأحداث السياسية والصراعات المختلفة التي حامت حوله كلها تدور حول السيطرة على تجارة الميناء خاصة في القرنين الثامن والتاسع الهجريين.

(١) ابن فهد: إتحاف الورى ، ج٤، ص١٧٨-١٨١.
(٢) المصدر السابق، ج٤، ص٢٦٦-٢٦٨ أحداث سنة ٨٥١هـ.
(٣) المصدر السابق، ج٤، ص١٦ (الهامش).
(٤) المصدر السابق، ج٤، ص٣٣٨-٣٣٩.

وفي العام ٨٧٢هـ وصلت الأخبار إلى دار السلطنة المملوكية بأن عرب بني عقبة وشيخهم مبارك أخذوا إقامة الحاج (معونته) التي تلتقي به في عقبة أيلة فغضب السلطان، وجرد عسكره في ٢٣ محرم من هذا العام وعين الأمير أزبك والامير جانبك وعدة مماليك لمحاربة مبارك شيخ عرب بني عقبة وتمكن العسكر المملوكي من الإمساك بشيخ بني عقبة ومجموعة الاعراب الذين كانوا برفقته ونقلهم إلى القاهرة، فانتهت فتنته[١].

وفي هذا العام أيضاً عادت ينبع إلى واجهة الأحداث معلنة بداية صراعات مسلحة وأحداث سياسية متلاحقة، عندما قتل سبع وسبّاع ولدى هجار من أمراء ينبع، ويشير ابن فهد إلى أنهما قتلا في صراع مع قطاع طرق للحج، ويذكر ابن إياس أن أمير ينبع خنافر بن وبير قتلهما، فكانت تلك الحادثة بداية سلسلة من الصراعات انطلقت من ينبع[٢].

وفي عهد الشريف محمد بن بركات بن الحسن بن عجلان بن رميثة بن محمد أبانمي الأول الذي تولى الإمارة بعد وفاة أبيه عام ٨٥٩هـ إلى أن توفي عام ٩٠٣هـ عاشت الحجاز فترة من الاستقرار الداخلي بفضل قوة الأمير محمد بن بركات وحملاته المتواصلة على الخارجين على حكمه في جنوب وشمال وشرق مكة وفوض إليه نيابة السلطنة في الحجاز ونيابة المدينة وينبع، وخطب باسمه على منبر المدينة[٣]. ومن ذلك الاستقرار مانال جُدة من تعاقب القضاة والنواب والمباشرين المسئولين عن

(١) ابو المحاسن: النجوم الزاهرة: ج١٦، ص٣٠٠-٣٠١-٣٦٠.

(٢) النجم ابن فهد: إتحاف الورى، ج٤، ص٤٨٥، وانظر: محمد بن أحمد الحنفي: بدائع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الثانية، القاهرة، ١٣٨٣-١٩٦٣، ج٣، ص١٥-١٦.

(٣) العصامي: سمط النجوم العوالي، ج٤، ص٢٧٨، وانظر الدحلان: خلاصة الكلام، ص٤٤، وانظر السباعي: تاريخ مكة، ص٣٠٨، وانظر: ريتشارد موتيل: الأحوال السياسية والاقتصادية بمكة في العصر المملوكي، ص٥٣-٥٤.

تحصيل المكوس دل على شيء من الاستقرار عاشته جُدة في تلك الفترة، وكان مايهم سلاطين المماليك وأمراء مكة بشأن جُدة هو استمرار جباية المكوس وتدفق الأموال عليهم من هذا الميناء الهام، وذلك يتطلب استقرار سياسياً وأمنياً في هذا الميناء يدفع التجار إلى دخوله وإنزال بضائعهم فيه وتسويقها في جُدة ومكة والمدينة، فتحقق لجُدة في تلك الفترة شيئاً من الاستقرار النسبي[١].

وفي عام ٨٧٥هـ أقر السلطان الأشرف قايتباي في إمرة ينبع الشريف سبع بن خنافر[٢]. ونال هذا الشريف أيضاً خِلَع السلطان عام ٨٨٣هـ، وتقرير ما له في إمارة ينبع[٣].

وبما أن العقبة حلقة وصل ونقطة التقاء بين الحجاز ومصر والشام، وملتقى حجيج الشام ومصر المتجهين إلى الأراضي المقدسة، ومحطة استراحة قوافل الحجيج وكذلك استراحة سلاطين المماليك بعد عودتهم من الحج.

فمما ساقه ابن إياس في حوادث سنة ٨٨٥هـ من بعض أعمال وإنشاءات السلطان قيتباي ومآثره أنه له في كل سنة عدة شقادف محملة على جمال تحمل الطعام والماء، تستقبل به الحجاج العائدين من الأراضي المقدسة في العقبة[٤].

(١) ابن فهد: إتحاف الورى: ج٤، حوادث سنة ٨٦٠، حوادث سنة ٩٠١.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور: ج٣، ص٦٠.
(٣) ابن إياس: المصدر السابق: ج٣، ص١٤٧.
(٤) بدائع الزهور: ج٣، ص٨٨٥.

إلا أن هذا الاستقرار النسبي الذي عاشته الحجاز في النصف الثاني من القرن التاسع الهجري، لم يشمل القرن العاشر الهجري، فمنذو بدايات هذا القرن تضعضع الأمن في الحجاز، وعادت الصراعات السياسية الداخلية تعكس انشغال المماليك في صراعاتهم داخل مصر والشام.

ففي ينبع قام الأمير دراج (من نسله الأشراف ذوي هجار القاطنين بينبع النخل إلى الوقت الحاضر). بدور نبيل في حفظ مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم من عبث أميرها حسن بن الزبير الذي تهجم على مخزون الحجرة الشريفة، ودخل المدينة في شهر ربيع الأول من عام ٩٠١هـ وسيطر على الأوضاع بالمدينة واطمأن الناس بوصوله إليها[١].

إلا أن هذا الأمير دراج توفي عام ٩٠٢هـ، وتنازع أبناؤه على إمرة ينبع فبرز منافس قوي من الأشراف لأبناء دراج على الإمارة فتح باباً لصراع سياسي وعسكري فترة من الزمن هو يحى بن سبع، وبالرغم من توليه الإمارة في جمادى الآخرة من عام ٩٠٣هـ إلا أن ذلك لم يصدر من السلطان المملوكي إنما من أمير مكة فحمل هذا الأمير الينبعي على المماليك ودخل معهم في صراع مسلح مستعيناً بقبائل ينبع وماجاورها في قطع طريق قوافل أمراء الحج المماليك[٢].

(١) ابن إياس: وبدائع الزهور: ج٣ ص٣١٨، حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص٥١-٥٢.

(٢) بدائع الزهور: ج٣، ص٣٨٦، حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص٥٣-٥٤.

ودخل في حلبة هذا الصراع أمير مكي خارج على إخوته هو أحمد بن محمد بن بركات المعروف بالجازاني، وعاشت الحجاز فترة من الصراع الحامي حتى هُزم ابن سبع عام ٩١٢هـ[١].

وهذا الاضطراب الأمني لم يقتصر على الحجاز الداخلي بل شمال الحجاز فكانت بعض القبائل العربية تقطع طريق الحاج[٢]، ففي عام ٩٠٨هـ في شهر صفر وعند وصول الحجاج إلى العقبة تصدى لهم جماعة من بني لام وأعاقوهم من صعود العقبة وفرضوا عليهم ٣٠٠٠ دينار فأضطر أمير الحاج لدفعها لهم لإنقاذ الحاج.

وتواصلت الصراعات في مكة وماحولها بسبب الجازاني وابن سبع في هذا العام وما بعده، ونال جُدة منها نصيباً، فما أن يخرج أمير من مكة حتى يهاجم جُدة ليسيطر على تجارتها ويجبي مكوسها ويمول عسكره ورجاله استمراراً للصراع المسلح[٣]. وقتل الجازاني عام ٩٠٩هـ في شهر رجب وهو يطوف بالبيت العتيق[٤].

وواصل أمير ينبع ابن سبع صراعه المرير مع الحجاج والمماليك، فما كان من السلطان قانصوه الغوري إلا أن أعد عدة حملات إحداها إلى مكة لقتال ابن سبع والأخرى إلى الكرك لقتال عرب بني لام حول العقبة والأخرى للهند لقتال البرتغاليين الذين أخذوا يهاجمون بلاد المسلمين في الهند وسواحل شرق أفريقيا ثم زحفاً إلى السواحل العربية في اليمن والحجاز. ويشير ابن إياس إلى البنائين والنجارين الذين توجهوا لجُدة لبناء السور حولها[٥].

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور: ج٤، ص٣٦، وحمد الجاسر: ص٥٦.
(٢) ابن إياس: بدائع الزهور: ج٤، ص٣٨.
(٣) ابن إياس: بدائع الزهور: ج٤، ص٤٧-٤٨، العصامي: سمط النجوم العوالي: ج٤، ص٢٨٤-٢٨٥-٢٨٦.
(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص٦٢، العصامي: سمط النجوم العوالي: ج٤، ص٢٨٨.
(٥) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٨٢، ص٨٤، أحداث سنة ٩١١هـ.

ومن الجدير بالذكر أن نشير إلى مقدمات الغزو البرتغالي لبلاد المسلمين الذين خرجوا من ديارهم بروح صليبية حاقدة مغلفة بدوافع اقتصادية للتعدي على بلاد المسلمين ومصادرة أراضيهم وممتلكاتهم والتحكم في حركة التجارة الدولية فالتفوا حول إفريقية مروراً برأس الرجاء الصالح ما بين عامي ٩٠٣-٩٠٤هـ حتى وصلوا إلى الهند[١].

وقد باركت البابوية الحملات البرتغالية واصفة الإسلام بالطاعون وتواصلت حملاتهم في منطقة المحيط الهندي قتلاً ونهباً، حتى تطلعوا للزحف على الجزيرة العربية من مداخلها البحرية الجنوبية بدءاً من عام ٩١١هـ، فأخذوا يهددون سواحل جُدة رغبة في دخولها ثم الدخول إلى الأراضي المقدسة وضرب مقدسات المسلمين[٢] كما فعل أو حاول أسلافهم الصليبيون في القرن السادس الهجري.

---

(١) فائق بكر صواف، ومصطفى محمد رمضان: أهمية ثغر جُدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، بحث مجلة الدارة، العدد الثاني للسنة السادسة، ربيع أول، ١٤٠١هـ/يناير ١٩٨١م، الرياض، ص٢٠٠.

(٢) فائق صواف ومصطفى رمضان: أهمية ثغر جُدة، مصدر سبق ذكره، ص٢٠١.

وعوداً على الأحداث الداخلية وفي خضم الصراع الذي أحدثه ابن سبع أمير ينبع، أقر السلطان في العام ٩١٢هـ الشريف هجار بن دراج أميراً لينبع. أملاً في الحد من قوة يحى بن سبع[١].

وفي رمضان من نفس العام تمكنت حملة مملوكية من هزيمة يحى بن سبع وجماعته وأتباعه إلا أن يحى بن سبع استطاع الهرب[٢]. وتواصل الصراع وفي شوال وذي القعدة هاجم جيش مملوكي ينبع ودارت رحى معركة كبيرة بين الطرفين كانت الهزيمة على يحى بن سبع، وقد غالى المماليك في الفتك والقتل بأهالي ينبع، ولما وصل الخبر إلى القاهرة احتفل احتفالاً كبيراً بهذا النصر، وحملت رؤوس أشراف ينبع على الرماح يُدار بها في شوارع القاهرة[٣].

وفي حملة أخرى عام ٩١٣ تمكن المماليك من الانتصار على يحى بن سبع وأعوانه من الأعراب وحملت إلى القاهرة ثمانمائة رأس من رؤوس العرب من بني ابراهيم الذين قتلوا في المعركة، وأشهرت على رؤوس الرماح في شوارع القاهرة[٤].

ويرى السيد محمد بن عبدالله الحسيني الشهير بكبريت المدني صاحب "رحلة الشتاء والصيف" أن من أسباب انهيار دولة المماليك، ومقتل قانصوه الغوري مبالغته في قتل أشراف ينبع حتى بنى من رؤوسهم مسطبة، جلس عليها أمراء عسكره[٥].

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص١٠١.
(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص١٠٤.
(٣) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص١٠٦.
(٤) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص١١٦.
(٥) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص٦٤، وانظر: عبدالكريم الخطيب: تاريخ ينبع، ص٢٤٠.

وفي نفس العام توجهت حملة مملوكية إلى عرب بني لام في الكرك ونابلس، وقد كانوا يقطعون طريق الحاج في العقبة، فانتصر عليهم الجيش المملوكي، ففرحت بهذا النصر القاهرة وعلقت فيها الزينات(١).

ولما دخل العام ٩١٤هـ، سعى يحى بن سبع للتقرب من السلطان المملوكي طالباً الصفح فأرسل ابنه، فأعطى الامان، وأخلع عليه، وطلب منه إحضار أبيه. وفي رجب حضر يحى بن سبع، فأرسل إليه السلطان أماناً، فدخل القاهرة، وأخلع عليه السلطان، ومنع من التعرض له(٢).

وخروجاً من هذه الصراعات المسلحة إلى المآثر العمرانية للسلطان قانصوه الغوري، ففي هذا العام كلف السلطان أحد المماليك وهو خاير بك المعماري بالتوجه إلى العقبة برفقة عدد من البنائين والمهندسين، وشُرع في بناء خان بالعقبة وبروج في طريق الحاج، وعمر رصيفاً على البحر عند العقبة وأصلحت العراقيب بالعقبة التي كان يعاني منها الحجيج(٣).

وبما أن هذا المشروع لتسهيل طريق الحاج وتوفير الخدمات الضرورية له إلا أنه أيضاً بسبب الغزو البرتغالي الذي أخذ يهاجم المداخل الجنوبية للبحر الأحمر(٤). كما سبقت الإشارة إلى ذلك.

ولتنامي الخطر البرتغالي في البحر الأحمر، تمت الإشارة فيما تقدم إلى حملة مملوكية للتصدي للزحف البرتغالي في عام ٩١١هـ، وكان هدفها أولاً تحصين جُدة لمواجهة أي خطر أو عدوان مفاجئ عليها.

---

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص١١٧.
(٢) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص١٣٠، وص١٣٨.
(٣) ابن إياس: المصدر السابق، ج٤، ص١٣٣.
(٤) يوسف غوانمة: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، ص٧٦.

فكان عزم السلطان المملوكي على بناء سور حول جُدة لحمايتها من الخطر البرتغالي ويرى بعض المؤرخين إضافة إلى ذلك للتصدي لهجمات الأعراب من بني ابراهيم مع يحى بن سبع أمير ينبع، والجازاني، وقد تقدم الحديث عنهما.

ويشير القطبي إلى الامرين دفع خطر البرتغاليين، وخطر الاعراب عن جُدة الا إنه يختلف مع ابن فرج في أنه بُدءَ في بناء السور في عام ٩١٧هـ، أما ابن فرج فيرى أنه بُدءَ في عام ٩١١ هـ أو ٩١٢هـ وأنتهى في تسعة أشهر، إلا أن أغلب المصادر والمراجع التي أطلع عليها الباحث ترجح أنه تم بناؤه في عام ٩١٧هـ، وقد إشتد حسين الكروي في بنائه، حتى قيل أنه بنى على أحد البنائين جداراً لتأخره عن البناء لفترة وجيزه، وكانت نهاية هذا الأمير وخيمة فقد أغرق في بحر جُدة بأمر من السلطان المملوكي قانصوه الغوري لكثرة مظالمه.

أما عن بناء السور، فقد شارك فيه أهل مكة وجُدة يتقدمهم أميرهم الشريف بركات، الذي أمر بنزع بعض ملكيات البيوت القريبة من منطقة السور فكان الأمير يتابع مع الأهالي عملية البناء ويقف عليها بنفسه مشجعاً ومعينا وبلغ إرتفاع السور ١٢ ذراع، وطول محيطه من ناحية مكة واليمن ٣٠٠٠ ذراع، وعرض جداره ٤ أذرع، وكان عدد الأبراج ستة ومحيط كل برج ١٦ ذراعاً وإرتفاعه ١٥ ذراعاً، ومنها ابراج قبْلية وبحرية ويمانية وشامية، وأحيطت جُدة بخندق من جميع جوانبها[١].

---

(١) عبدالكريم بن محب الدين القطبي: أعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، المدون على هامش كتاب: الدحلان خلاصة الكلام، ص١٦٥-١٦٦، وانظر ابن فرج: ←

وتواصل الخطر البرتغالي، وحاول المماليك التصدي له، فكانت الهزيمة التي تعرض لها الجيش المملوكي في معركة (ديو البحرية) ٩١٥هـ في المحيط الهندي، فتزايد الزحف البرتغالي، وأخذوا يهاجمون السواحل العربية في جنوب الجزيرة العربية، فخربوا ميناء عدن في بداية عام ٩١٩هـ، واستولوا على جزيرة كمران وخربوها، واتجهوا إلى جُدة، ويشاء الله عز وجل ويسلط عليهم ريحاً عاتية صرفتهم عن جُدة، فواصلوا تخريبهم في منطقة جنوب البحر الاحمر. حتى كان عام ٩٢١هـ عادت حملة برتغالية لمهاجمة جُدة، فما كان من السلطان الغوري إلا أن بادر عاجلاً إلى إرسال حملة بقيادة الكردي الذي كان في السويس يعد أسطولاً بحرياً لمواجهة البرتغاليين، فباشر الكردي لدى وصوله إلى تقوية دفاعات جُدة. ويشاء الله ويصرف البرتغاليين عن جُدة بقيام ثورة في جزيرة "هرمز" التى استولى عليها البرتغاليون في وقت سابق في الخليج العربي "الفارسي". فعادت الحملة البرتغالية إلى هرمز وسيطرت على الأوضاع، وعاجلت الوفاة قائد الجيش البرتغالي في الهند، وحفظ الله الأماكن المقدسة(١).

ويذكر ابن إياس من مآثر السلطان الغوري العمرانية عدة مآثر منها إصلاحه طريق العقبة وحفر الآبار في طريق الحاج، وإنشاء سور جُدة، وإنشاؤه على ساحل ينبع سوراً وأبراجاً منيعة(٢).

← السلاح والعدة، تحقيق مصطفى الحدري، ص٨٧-٨٨، وانظر السنجاري: منائح الكرم، ج٣، ص١٧٢، وانظر: سنوك: صفحات من تاريخ مكة المكرمة، ص٢٠٥.

وانظر السباعي: تاريخ مكة، ص٣١٦، وانظر فائق صواف ومصطفى رمضان، أهمية ثغر جُدة، بحث في مجلة الدارة، سبق ذكره، ص٢٠٢-٢٠٣.

(١) ابن إياس: بدائع الزهور، ج٤، ص٣٠٧-٣٠٨، وانظر القطبي: الاعلام على هامش خلاصة الكلام، ص١٦٦-١٦٧، وانظر فائق صراف ومصطفى رمضان، أهمية ثغر جُدة، ص٢٠٤-٢٠٥.

(٢) بدائع الزهور في وقائع الدهور: ج٥، ص٩٥.

وآذنت دولة المماليك بالزوال، وزحف العثمانيون باتجاه بلاد الشام وقبيل هذه النهاية هدأت الأوضاع إلى حد ما في ينبع بعد أن أمر السلطان المملوكي بإطلاق يد الشريف بركات أمير مكة على ينبع يولي من يشاء ويعزل من يشاء، رغم بقاء الإمارة في أبناء الشريف دراج[1].

وقتل السلطان الغوري علي يد العثمانيين في معركة مرج دابق ،وفي شهر ذو الحجة من عام ٩٢٢هـ سقطت دولة المماليك نهائياً في موقعة الريدانية بمصر، ودخل العثمانيون القاهرة بقيادة السلطان سليم الأول مع مستهل عام ٩٢٣هـ[2].

(١) ابن إياس: بدائع الزهور في وقائع الدهور، ج٤، ص٤٥٥.
(٢) ابن إياس: المصدر السابق: ج٥، ص١٤٥-١٤٦-١٤٨.

الفصل الثالث

الملاحة وصناعة السفن وأنواعها بالبحر الأحمر

أ) ـ الملاحة وعقباتها بالبحر الأحمر بين الثغور المصرية والسودانية من جهة والثغور الحجازية من الجهة المقابلة.

ب) ـ صناعة السفن وأنواعها بالبحر الأحمر.

مدخل:

سيتم الحديث في هذا الفصل إن شاء الله عن الملاحة وعقباتها في البحر الأحمر في (المبحث الأول) وأهم الأهوال التي تعرض لها الحجاج في هذا البحر خلال الفترة الإسلامية، مع بيان مدى ارتباط المسلمين بالبحر الأحمر حتى نهاية العهد العباسي وانتهاءً بالحديث عن التجارة الشرقية التي ازدهرت في العصور الوسطى عبر البحر الأحمر والتي شكلت العماد الاقتصادي والركيزة الأساسية للأحداث الاقتصادية للبلاد الإسلامية المطلة على ساحلي البحر الأحمر شعوباً وحكومات.

وفي المبحث الثاني سيتم الحديث عن نشأة صناعة السفن عند المسلمين وأهم سفن البحر الأحمر وما تميزت به عن السفن الأخرى، وذكر طاقم السفينة العربية، وانتهاءً بأهم انواع السفن العربية التي جرت في البحر الأحمر.

وقبل اختتام الفصل رأيت أنه من المناسب أن أعرض بشيء من الإيجاز للتاريخ الملاحي للمسلمين حتى نهاية القرن العاشر بهدف تكامل العرض التاريخي للملاحة وصناعة السفن في البحر الأحمر.

أ ـ الملاحـة وعقـباتها بالبحر الأحمر بين الـثغور المصـرية والسودانية من جهة والثغور الحجازية من الجهة المقابلة:

١ ـ معنى الملاحة :

الملح ما يطيب به الطعام يؤنث ويذكر، والتأنيث فيه أكثر. وماء ملح، ولا يقال مالح إلا في لغة رديئة،

والمَلاَّحةُ: منبت الملح،

والملاَّح : صاحب السفينة لملازمته الماء الملح.

والمِـلاحُ الريح التي تجري بها السفينة وبه سمي المَلاَّحُ مَلاَّحاً. وقيل: سمي السَّقَّان مَلاَّحاً لمعالجته الملح بإجراء السفن فيه[١].

وعلـم الملاحـة البحرية في رأي ابن ماجد والمهري علم "عقلي تجريبي" فمنه ما هو تجريبي بحت، ومنه ما يدرك بنظر العقل وحده، ومنه ما يجمع التجربة ونظر العقل معاً[٢].

---

(١) ابن منظور: لسان العرب، ج، ص٥٩٩ ، ٦٠١.
(٢) شهاب: حسن صالح: فن الملاحة عند العرب، مركز الدراسة والبحوث اليمني، صنعاء، دار العودة، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، ١٩٨٢، ص٧٥. (سيأتي التعريف بابن ماجد والمهري لاحقاً)

كمـــا تفســـر الملاحة البحرية على أنها التي تتم عملياً في البحر بأوصافه الطبيعية والجغرافية والجيولوجية، وتختلف إلى حد ما عن الملاحة الداخلية في الأنهار والقنوات والبحيرات[1].

ويشير ابن ماجد إلى أهمية علم البحر بأنه يدل على معرفة القـــبلة، وأنـــه قـــد درس على يديه عدد من علماء الفرائض لمعرفة القبلة واستحسنوه وعملوا به دون غيره من العلوم[2].

٢) ـ عقبات الملاحة في البحر الاحمر:

والـــبحر الأحمر مجال البحث تبلغ مساحته ١٧٨ ألف ميل مـــربع، ويـــبلغ طـــول سواحله من الشمال من خليجي العقبة والســـويس إلى الجنوب ٣٠٦٩ ميلاً، ومتوسط اتساعه ١٧٠ ميلاً، ويضيق كلما اتجهنا شمالاً أو جنوباً وأكثر مناطقه اتساعاً ١٩٠ مـــيلاً، وتمـــتد بيـــن مصـــوع في أرتيريا على الساحل الافريقـــي، وجازان على ساحل الجزيرة العربية جنوب الحجاز، وأضـــيق مـــناطقه ٤٠ ميلاً بين عصب في أرتيريا والمخا في اليمن، وينتهي جنوباً بباب المندب[3].

---

(١) راشد البكر، حجم التبادل التجاري بين المملكة ودول البحر الأحمر، ندوة البحر الأحمر، ص٨٠.

(٢) شهاب الدين أحمد بن ماجد ابن أبي الركائب النجدي: كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، العلوم البحرية عند العرب، تحقيق إبراهيم خوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م، ص٣ـ٤.

(٣) مدنـي: محمـد عمـر: الـبحر الأحمـر واتفاقـية الأمـم المـتحدة لقـانون البحار، ندوة البحر الأحمر، ص١٦٥.

والساحل الحجازي على وجه الخصوص، وجزئه الشمالي يمثل ساحلاً صخرياً حيث تطل في معظم جهاته الشمالية الحافات الانكسارية الوعرة على مياه خليج العقبة، وتصطدم أمواج البحر بأطرافها السفلى، ورغم ميل الساحل إلى الاستقامة الظاهرية، إلا أنه يضم عدد من الرؤوس، أهمها رأس القلاع ورأس أبو علي، ورأس سويهل الصغير، ورأس سويهل الكبير، ورأس الشيخ حميد، وأيضاً عدد من الشروم والخلجان الصغيرة. ويشتهر هذا الساحل بكثرة شعابه المرجانية التي تشكل خطراً على الملاحة فيه، والبحر الأحمر من أفضل البيئات الصالحة لنمو الشعب المرجانية من حيث ارتفاع درجة الحرارة، والأعماق الضحلة، وصفاء المياه، وارتفاع نسبة الملاحة، وتتركز الشعاب المرجانية في النصف الجنوبي للبحر الأحمر وكذلك في نصفه الشمالي عند مدخل خليج العقبة(١).

ويشير ابن حوقل إلى وجود جبال كثيرة في البحر الأحمر قد علاها الماء، ورغم معرفة طرق السفن بينها، إلا أن ربان السفن لابد لهم من أن يتخللوا هذه الطرق نهاراً، ولا يمكنهم أن يسلكوها ليلاً، رغم صفاء مياه البحر الأحمر وأخطر موقع فيه هي جزر تاران جنوب خليج العقبة، وتتعرض فيه المراكب للمخاطر إلا من سلمه الله(٢).

ويقول ابن ماجد : "بحر القلزم أوسخ بحور الدنيا"، ويعود ذلك الوصف بلا شك إلى كثرة الشعب المرجانية والصخور في هذا البحر ذات الرؤوس الحادة الكامنة تحت مياه البحر، والمتناثرة حول الجزر الصخرية والرملية حتى باتت الملاحة مجازفة ومخاطرة حتى لو كان الملاح ذو خبرة سابقة في معرفة المواقع الخطرة وغير الخطرة،

---

(١) الرويثي: الموانئ السعودية، ص٥٢-٥٧.
(٢) صورة الأرض، ص٤٥ - ٤٦.

ولديه من القدرة والمهارة ما يستطيع تصريف سفينته في أجواء هذا البحر قد يعرض حياته ومن معه للخطر والهلاك، لذا كانت السفن والمراكب الشراعية لا تسير إلا نهاراً فقط(١).

ويصف حوراني البحر الأحمر وخاصة النصف الشمالي منه بأنه ينطوي على عقبات كأداء، مشيراً إلى الشعاب المرجانية الضخمة التي تحف كلا الساحلين؛ وتغوص إلى داخل البحر الأحمر، وتجنب الاصطدام بها يحتاج إلى مهارة وحنكة ودراية من أي ملاح. وكانت الملاحة صعبة أيضاً لهبوب الرياح الشمالية على الساحل الحجازي جنوباً طوال العام، مما أضطر عرب الجزيرة إلى اتخاذ طرق برية للقوافل محاذية للساحل الحجازي تجنباً لمواجهة أهوال البحر الأحمر(٢).

وتهب عليه رياح موسمية دائمة شمالية وشرقية في فصل الصيف متجهة إلى الجنوب الغربي، وتهب في الشتاء من الجنوب الغربي إلى الشمال الشرقي. لذا يفضل الملاحون الإبحار في فصل الصيف في الجزء الجنوبي من البحر الأحمر، لتدفع هذه الرياح السفن إلى باب المندب، ومنه إلى المحيط الهندي، وفي الجزء الشمالي تكون العودة في فصل الشتاء، ما بين شهري ديسمبر وفبراير، وقد اعتاد البحارة والتجار والمسافرون السفر في شهري أبريل ويونيو، والعودة من الجنوب شهري يناير وفبراير، فارتبطت الملاحة في البحر الاحمر بالمخاطرة في العصور الوسطي، ولكن لم تكن العقبات الطبيعية لوحدها التي تشكل خطراً على الملاحة في البحر الاحمر بل هناك أيضاً قراصنة البحر أو "المتجرمة" فقد كانوا يتعرضون للسفن نهباً وقتلاً وسبياً، ويباع من يُسبى في أسواق العبيد نساءاً أو رجالاً(٣).

---

(١) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص٢٢٩.
(٢) جورج فاضلو: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥-٢٦.
(٣) القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص١١-١٤.

٣ ــ أهوال البحر الأحمر والحجاج:

ومما تناقلته بعض كتب الرحلات عن الأهوال التي يتعرض لها الحجاج أثناء عبورهم البحر إلى الديار المقدسة، ماورد في رحلة ابن جبير (ت٦١٤هــ) بتاريخ ربيع الاول من عام ٥٧٩ هــ حيث وصف هذه الرحلة عبر البحر الاحمر بأنها آفة عظيمة للحجاج قل من يسلم منها إلا من سلمه الله، فالرياح تُلقيهم في مراسٍ بصحاري تبعد بهم عن جُدة أو عن عيذاب على الشاطئ المقابل، ويرى أن أكثر هلاك الحجاج بهذه المراسي، فمنهم من تساعده الريح إلى أن ينزل بمرسى عيذاب وهم الأقل عدداً، ومنهم من يرسوا على غير عيذاب فيتعرض لأهوال متعددة واصفاً مراكب أهل عيذاب التي تنقل الحجاج إلى جُدة بأنها ملفقة الإنشاء. وتحوم حولهم في البحر حوت القرش ليبتلع الغرقى فيه، ويزداد الأمر صعوبةً سوء معاملة أهل عيذاب للحجاج لشحنهم اعداداً كبيرة في مراكب صغيرة، كأنها أقفاص الدجاج المملوءة[(١)].

ويصف سيرهم في البحر بريح فاترة المهب بقوله (ونحن قد استبشرنا برؤية الطير المحلقة من بر الحجاز، لمع برق من جهة البر المذكور، وهي جهة الشرق ثم نشأ نور أظلم له الافق إلى أن كسا الآفاق كلها، وهبت رياح شديدة صرفت المراكب عن طريقه راجعاً وراءه، وتمادى عُصوف الرياح واشتدت حُلكةٍ الظلمة وعمت الآفاق فلم ندر الجهة المقصودة منها إلى أسفل الدقل، وهو الصاري، وأقمنا ليلتنا تلك في هول يؤذن باليأس، وأرانا بحر فرعون بعض اهواله الموصوفة، إلى أن أتى الله بالفرج مقترناً مع الصباح. فهدأ قياد الرياح وأقشع الغيم، وأصبحت السماء ولاح لنا بر الحجاز على بعد لا نبصر منه إلا بعض جباله، وهي شرق جُدة، زعم رُبّان المركب، وهو

(١) رحلة ابن جبير: ص٤٦ـ٤٨.

الرائس أن بين تلك الجبال التي لاحت لنا وبر جُدة يومين، والله يسهل لنا كل صعب وييسر لنا كل عسير بعزته وكرمه.

فجرينا يومنا ذلك .. بريح رُخاء طيبة، ثم أرسينا عشية في جزيرة صغيرة في البحر على مقربة من البر المذكور بعد أن لقينا شعاباً كثيرة يكثر فيه الماء ويضحل علينا، فتخللنا أثناءها على حذر وتحفظ. وكان الربان بصيراً بصنعته حاذقاً فيها، فخلصنا الله منها، حتى أرسينا بالجزيرة المذكورة، ونزلنا إليها وبتنا بها ليلة الجمعة ..، وأصبح الهواء راكداً والريح غير متنفسة إلا من الجهة التي لا توافقنا، فأقمنا بها يوم الجمعة المذكور. فلما كان يوم السبت .. تنفست الريح بعض التنفس، فأقلعنا بذلك النفس نسير سيراً رويداً. وسكن البحر حتى خيل لناظره أنه صحن زجاج أزرق. فأقمنا على تلك الحال في جو لطيف صنع الله عز وجل.وهذه الجزيرة تعرف بجزيرة عائقة السفن، فعصمنا الله عز وجل من فأل اسمها المذموم، وله الحمد والشكر.

وفي عشى يوم الأحد أرسينا بمرسى يُعرف بأبحر، وهو على بعد يوم من جُدة، وهو من أعجب المراسي مصنعاً، وذلك أن خليجاً من البحر يدخل إلى البر والبر مُطيف به من كلتا حافتيه فترسي الجلاب منه في قرارة مُكِنّة هادئة. فلما كان سحر يوم الاثنين بعده أقلعنا منه على بركة الله تعالى بريح فاترة، والله الميسر لا رب سواه، فلما جن الليل أرسينا على مقربة من جُدة وهي بمرأى العين منا. وحالت الريح صبيحة يوم الثلاثاء بيننا وبين دخول مرساها، ودخول هذه المراسي صعب المرام بسبب كثرة الشعاب والتفافها. وأبصرنا من صنعته هؤلاء الرؤساء والنواتية في التصرف بالجلبة أثناءها أمراً ضخماً، يدخلونها على مضايق ويعرفونها خلالها تصريف الفارس للجواد الرطب العنان السلس القياد، ويأتون في ذلك بعجب يفوق الوصف عنه. وفي ظهر يوم الثلاثاء .... كان نزولنا بجُدة حامدين الله عز وجل وشاكرين على السلامة

والـــنجاة من هول ما عايناه في تلك الثمانية الايام طول مقامنا علـــى الـــبحر، وكانـــت أهـــوالاً شتى، عصمنا الله منها بفضله وكـــرمه، فمنها ما كان يطرأ من البحر واختلاف رياحه وكثرة شـــعابه المعترضـــة فـــيه. ومنها ما كان يطرأ من ضعف عدة المراكب واختلالها واقتصامها المرة بعد المرة عند رفع الشراع أو حطـــه أو جـــذب مرســـاة من مراسية، وربما سنحت الجلبة بأسفها على شعب من تلك الشعاب أثناء تخللها فنسمع لها هدّاً يُؤذن باليأس فكنا نموت مراراً ونحيا مراراً.)[١]

ويتحدث الرحالة التجيبي السبتي (ت٧٣٠هـ) عن مخاطر وعقـــبات الـــبحر الاحمـــر ومراكبه الضعيفة البنية واصفاً سير الرحلة من عيذاب إلى جُدة بقوله.

(ثـــم كـــان انفصالنا من عيذاب المذكورة في يوم الأربعاء الثالث عشر لشعبان المكرم من سنة ست المذكورة[٢] .... في مركـــب مـــن مراكـــبها يدعونـــه بالسنبوق، مضطرين لركوبه متوكليـــن على الله تعالى في أن يسلمنا ويبلغنا المقصد الأسني بمـــنه وفضله .. فدخلنا بعد مضي نحو ساعة من يومنا مرسى بمقـــربة من عيذاب المذكورة يدعى بالجدير، ومن هذا المرسى يحـــرم الآن أكـــثر القاصـــدين إلـــى الحجـــاز الشريف من هذا الطريق[٣]. وفي الإحرام منه غرر عظيم وخطر، لما يتوقع من عـــدم مســـاعدة الريح لمن يحرم منها، فيطول زمان إحرامه، فـــيلحقه الحـــرج بذلك ولقد بلغني أن بعض المحرمين منه أقام محـــرماً نحو سنة. وليس هذا الموضع بميقات محقق، ولا أعلم

(١) رحلة ابن جبير: ص٥٠ـ٥٢.

(٢) أي في عام ٦٩٦هـ. (في عهد سلاطين المماليك البحرية ـ العادل زين الدين كتبغا، والمنصور حسام الدين لاجين).

(٣) أي في زمن المؤلف، وعيذاب أو الجذير ليستا من مواقيت الحج، وإحرامهم هذا قبل الميقات، كما أجاب الرحالة نفسه في سياق الحديث.

مـــن أهل العلم نص على أنه ميقات، ولا هو محاذ لميقات من المواقيــت المعلومــة، والله أعلــم .... ثــم لجأنا من الجدير المذكور في عشي يوم الأربعاء المذكور صحبة مركب آخر لأحد عظماء التجار من ذوي اليسار .... فجرينا متقاربين في الجري متقاربيــن في السير بريح فاترة مساعدة لنا جميعا. فلما قاربنا التوســط بين بر الحجاز الشريف، وبر عيذاب الوحش عصفت الــريح وجاء منها ما أشفينا به على التلف، وعظم الموج حتى حال بيننا وبين المركب المذكور، فلم نعلم من حيث ذهب، وأظلم الــبحر، وأشــتد سواده وأرانا أهواله الفرعونية سلط الله عليه اليــبس، وأخافــنا ماشــاهدنا من الحال. وأجمع رأي الملاحين وربانهم على أن الرجوع إلى بر عيذاب الوحش أرجأ لسلامتنا، فكــررنا راجعين طائعين وجلين فيسر الله تعالى علينا، ودخلنا مرســى من مراسي بر عيذاب يعرف بالواسعة، فلم ينتفع بفال اســمه، وضاقت علينا الأرض بما رحبت، ولم يكن به ماء ولا ظــل ولا أنس ولا وحش ولا إنش، فأقمنا فيه يوماً وبعض آخر ثــم أقلعــنا منه ملحجين أيضاً فلما توسطنا الطريق مال أيضاً عليــنا الــبحر أشــد من المرة الأولى، وعصفت الريح عصوفاً شديداً، وجاء منها مالا قبل لأحدبه، وعاينا الموت عياناً، وأيقنا بالــتلف لا محالة، وبهت الملاحون من شدة الهول .... وهموا بإســلام المركــب، وإن يلقوا بأيديهم إلى التهلكة، وأجمع رأي الجميع على أن الرجوع إلى بر عيذاب الوحش أرجاء لنا أيضاً، فكــررنا راجعين عوداً على بدء خائفين وعلى الله في سلامتنا متوكليــن، وقد بلغت القلوب الحناجر، وأحاط بنا الموج من كل جهــة ومكــان. ثم تداركنا الله تعالى بلطفه، ودخلنا مرسى من مراســي بــر عيذاب المذكورة على مقربة من جزيرة سواكن يدعــى بالمــربوطة وبعد استقرارنا فيه، وذكر لنا ربان مركبنا وكــان مقدما في صناعته ماهراً فيها إن سلامتنا كانت مما يعد مــن الــنادر، وأن المركــب قد اختلت الواحة ودسره، بما طرأ عليــنا مــن النوء، وأن السفر لايمكن فيه البتة، فأرسينا بهذا المرسى، ولم نرى قط مرسى أشد توحشاً منه كان قريب القعر،

بعـيداً عـن البر، بقي بين المركب وبين البر نحو نصف ميل، وكـان قعـره طيناً. فكان أحد إذا نزل إلى البر كابد مشقة في نزولـه، وسـاخت رجلاه في الطين إلى قرب ركبتيه، ولا يكاد يصـل إلى البر إلا بشق النفس، فإذا وصل إلى البر لم يجد ماء ولا ظلاً ولا عمارة ولا حيواناً يدب على وجه الارض فأقمنا بها أيامـنا أعظم الله بها الأجر، ونفذ أكثر مياه المركب ولم يبق لنا فـي خاصـتنا إلا شـيء نزر فجعلناه تحت نظر من وثقناه من أصـحابنا، وقدمناه على حفظه، وعلى أن يسوي بيننا فيه ففعل ذلـك، وكـان يدفـع لأحدنـا منه جرعة بكرة وجرعة عشية، واستمر حالنا على ذلك، والخوف في كل يوم في ازدياد إلى أن أجمـع رأي أصـحابنا علـى أن استأجرنا أحد ملاحي المركب المذكـور من البجة بعد أن قرر عندنا الربان أنه خبير بالطريق ومـا هو فيها، فكان كذلك عارف بطريق هذه الصحراء صبوراً على رمضائها، فبعثناه إلى عيذاب، وكان بيننا وبينها جملة أيام علـى مـا ذكر البجة، وأصحبناه كتاباً إلى بعض أصحابنا ممن خلفـناه بعـيذاب علـى بعض أسبابنا وذكرنا له أن يكتري لنا مركباً، ويبعثه إلينا. وكتبنا كتاباً آخر لقاضي عيذاب حفظه الله، وكـان مـن أهـل الدين والفضل .. ورغبنا منهم أن يشاركوا أصحابنا في كراء المركب المذكور، وأن يؤكدوا على الربان في الإقـلاع إلينا سريعاً في أقرب وقت ممكن، ووصفنا لهم بعض حالنا فبلغنا أن القاضي حفظه الله وجزاه خيراً لما قرأ كتابنا رق لنا رقة شديدة، وجمع من الناس من قرأه عليهم وبكى وأبكى، فأشفق الجميع من حالنا، ودعوا لنا بخير، واجتمع بالذي كتبنا لـه الكتاب، وشاركه غير المشاركة. وأكد على الربان الإقلاع سريعاً، ففعل ذلك الربان. وما طلع النهار إلا وسنبوق قد وصل من عيذاب بالماء، فاشترينا العديلة بأزيد من دينار عيناً، وهي قـدر قربة أو أزيد قليلا، وبشرنا بوصول المركب إلينا فوصلنا في أثناء النهار وهو المركب الذي اكتري لنا بعيذاب .. وانتقلنا بجملتـنا، وامتـنع المركب الأول من رد الكراء إلينا ظلماً منه وعدوانـا .... ثـم بلغنا مرسى المربوطة في المركب الواصل

مستبشـــرين بالتيسير والتسهيل بفضل الله ورحمته، فكان الأمر كذلــك، وأعطانا الله ريحاً رخاء طيبة .... ولم تزل الحال كذلك إلـــى أن دخلنا مرسى من مراسي الحجاز الشريف يعرف بابحر ولله الحمـــد والشـــكر .... وبيـــن هذا المرسى وبين جُدة نحو ســاعتين مـــن نهار، فبتنا فيه ليلتنا تلك وقد استبشرنا ببلوغ المقصد الأسنى بفضل الله ورحمته، لأن السفر لايمكنهم في هذا الـــبحر لـــيلاً إذا قـــاربوا البر لكثرة شعبه وترشه، وهو أعجب العجـــب في ذلك، ولو لاتردد الملاحين فيه وخبرتهم به ماسلكه أحـــد، فتراهم إذا قاربوا البر أجلسوا أحدهم في مقدم المركب، يبصـــر مالاح أمامه من الترش، ويقول للذي يمسك الخيرزانة جر إليك وادفع عنك. ولولا ذلك ما عبر أحد هذا البحر، وآفاته كثيرة، والأمر فيه فوق ما وصفنا وبسبب كثرة ترشه لا يسافر فيه خوفاً من معاطبة، يرسون به نهاراً، ويقلعون منه نهاراً ... ثـــم أقلعـــنا مـــن مرســـى أبحر غدوة يوم السبت الثامن لشهر رمضـــان المعظم ... فدخلنا ضحى اليوم المذكور جُدة حرسها الله عن عهد أربعة وعشرين يوماً من عيذاب.)(١)

(١) مستفاد الرحلة والاغتراب: تحقيق عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا ـ تونس، ١٩٧٥م، ص٢٠٧ ـ ٢١٧.

٤) ـ مدى ارتباط المسلمين بالبحر الأحمر حتى نهاية العهد العباسي:

ولنا أن نتساءل ما مدى ارتباط المسلمين بالبحر الأحمر شديد الأهوال منذ العهد النبوي حتى نهاية العهد العباسي إجمالاً؟

لقد ارتبط سكان السواحل البحرية على ساحل البحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي بالبحر ذهاباً وإياباً منذ القدم طلباً لرزقهم اليومي، خاصة وأن هذه السواحل كثيرة الجدب لا تتوفر فيها أسباب المعيشة الهانئة بعيداً عن أجواء ومخاطر البحار، زد على ذلك قصر المسافة بين الساحلين العربي والأفريقي في بعض مناطق البحر الأحمر وخليج عدن مما شجع ابناء تلك المناطق على الترحال إلى تلك الديار بالرغم من خطورة البحار المحيطة ببلاد العرب[١].

ولكن ارتباط أهل اليمن بالبحر تجارياً كان أكثر من أهل الحجاز قبل الإسلام، ووصلت تجارتهم إلى السند[٢]، وكونكنام[٣]، ومليبار[٤]، وسيلان[١]، وجاوة[٢]، والصين[٣]، وغيرها من البلدان[٤].

---

(١) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص٢٩.

(٢) السند: بكسر أوله، وسكون ثانيه، وآخره دال مهملة، وهي بلاد بين الهند وكرمان وسجستان، فتحت في أيام الحجاج بن يوسف الثقفي. وهي الآن جزء من جمهورية الباكستان الإسلامية ويخترقها نهر السند الذي يبلغ طوله ٣١٨٠كم تقريباً. انظر ياقوت: معجم البلدان: ج٣، ص ٢٦٧ مادة (السند).

(٣) كونكنام: في بلاد الهند. انظر ياقوت: ج٤، ص٤٨٤.

(٤) مليبار: إقليم كبير في وسط الهند، انظر ياقوت، ج٥، ص١٩٦. وكلمة مليبار تتكون من مقطعين هما: ملي، وتعني أرض الجبل، وبار تعني الساحل، أي سواحل الأراضي الجبلية، وتشمل سواحل غرب الهند من جنوب حتى ساحل جوجيرات شمالاً، ومن أهم موانيء المليبار

إلا أن هـــذا لايعنـــي أن باقي أهل الجزيرة العربية وابناء الحجـــاز خاصة لم يركبوا البحر، وقد دلّ على معرفتهم بالبحر علامات منها بعض اشعارهم ومنها قول: طرفه بن العبد :

كأنَّ حُدُوج المالكيـــــة غُدْوَةً ∴ خلايا سفين بالنواصف من دَدِ

عدوليةٍ أو مـــن سفين ابن يامنٍ ∴ يجور بها الملاح طوراً ويهتدي

والحدوج في البيت كما يشرحها التبريزي جمع حدج وهو مركـــب مـــن مراكب النساء، والخلايا جمع خلية وهي السفينة العظـــيمة، ولايقـــال للســـفينة خلـــية حتى يكون معها زورق. وعدولـــية تنســـب إلى إحدى جزائر الخليج العربي أو العماني، وقـــيل نسبت إلى قوم بهجر، وابن يامن ملاح من أهل هجر أو تاجر، وعدولية من أنواع السفن العربية(٥).

قاليقوط، وكوبلون (كو لم ملي)، وألبي، وبوناي، وتريفندوم، وسيل، وكانور، انظر أحمد عبدالحميد الشامي: العلاقات التجارية بين إقليم الخليج العربي والسواحل الغربية للهند في العصور الوسطى، دورية اتحاد المؤرخين العرب بعنوان (إقليم الخليج على مر العصور) القاهرة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ص١٠٧.

(١) سيلان: بالتحريك آخره نون، جزيرة عظيمة، وبها سرنديب بين الهند والصين، انظر ياقوت: ج٣، ص٢٩٨، وهي الآن تشكل جمهورية سريلانكا الواقعة جنوب آسيا في المحيط الهندي على بعد ٨٠ كم جنوب الهند وعاصمتها كولمبو.

(٢) جاوة: جزيرة ومدينة عاصمة لإندونيسيا الحالية. جنوب شرقي آسيا.

(٣) الصين: بالكسر وآخره نون، بلاد في بحر المشرق مائلة إلى الجنوب وشماليها الترك، وتوسع ياقوت في الحديث عنها كثيراً. انظر: ج٣، ص٤٤٠.

(٤) شهاب: فن الملاحة، ص٢٨.

(٥) الخطيب أبي زكريا يحى بن علي: شرح القصائد العشر، ضبطه وصححه عبدالسلام الحوفي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت، ص٧٥ـ٧٦.

وقال : عمرو بن كلثوم :

ملأنا البر حتى ضــــاق عنا ∴ وظهر البحـــــر نملاه سَفِينا[1]

إضـــافة إلـــى الـــدور التجاري الكبير لقريش في الجاهلية والإســـلام فقـــد قال الله تعالى: { لا إيلاف قريش إلافهم رحلة الشـــتاء والصـــيف * فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف }.

وبالرغم من الريادة البحرية لأهل اليمن وأهل عُمان إلا ان أهل الحجاز أيضاً مارسوا ركوب البحر، واهتموا أكثر بالتجارة البرية،وقد كانت لهم صلات تجارية عبر البحر بمصر والحبشة، ويـــدل علـــى ذلـــك قول الأمام الطبري: (وكانت أرض الحبشة مـــتجراً لقـــريش يتجرون فيها، يجدون فيها رفاعاً من الرزق وأمناً ومتجراً حسناً)[2].

وهـــذا يدل ولاشك على وجود رحلات بحرية لأهل الحجاز بفعـــل النشاط التجاري البارز لقريش حتى أصبحت مكة محطة تجاريـــة هامـــة للقوافـــل الـــبرية القادمة من الشام أو اليمن، وســـاحلها مكانـــاً لرسو السفن، حتى أشرق نور الإسلام على الجزيـــرة العربية منبثقاً من مكة بلد الله الأمين فأتخذ استخدام البحر الأحمر هدفاً آخر إضافة إلى الهدف التجاري ألا وهو نشر الدين والعقيدة، والأمن من أذى مشركي قريش، فكانت الهجرة إلـــى الحبشة عبوراً للبحر الأحمر من الشعيبة الميناء الحجازي إلى الساحل الإفريقي في السنة الخامسة للبعثة النبوية الشريفة، وكانت هذه الهجرة مفتاحاً لدور جديد للبحر الأحمر، فقد أصبح منفذاً ومعبراً للدعوة الإسلامية، فكان أن أسلم النجاشي أصحمة

(١) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص٢٨٨ (يروى وسط البحر، ويروى ونحن البحر)، وانظر غيثان جريس: البحر في كتب التراث الإسلامي، دورية اتحاد المؤرخين العرب (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٩٤. حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢١.

(٢) الأمم والملوك: ج١، ص٥٤٦.

ملـــك الحبشة رحمه الله، ولما مات صلى رسول الله صلى الله علـــيه وآلـــه وسلم عليه صلاة الغائب، ويورد الطبري تفاصيل أخـــرى عن إسلام هذا الملك الحبشي[1]. وكان لصحابة رسول الله صـــلى الله عليه وآله وسلم المهاجرين إلى الحبشة الفضل بعـــد الله في بذر البذور الأولى لانتشار الإسلام في إفريقيا، ثم كـــان كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي يدعـــوه إلـــى الإسلام ففي أحداث السنة السادسة للهجرة يورد الطبري رسالة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم إلى النجاشي (بســـم الله الرحمن الرحيم . من محمد رسول الله إلى النجاشي الأصـــحم ملـــك الحبشـــة، سلمٌ أنت؛ فإني أحمد إليك الله الملك القـــدوس السلام المؤمن الميهمن؛ وأشهد أن عيسى بن مريم روح الله وكلمـــته، ألقاهـــا إلـــى مريم البتول الطيبة الحصينة، فحملت بعيسى؛ فخلقه الله من روحه كما خلق آدم بيده ونفخه، وإني أدعوك إلى الله وحده لاشريك له؛ والموالاة على طاعته؛ وأن تبتغـــي وتؤمن بالذي جاءني؛ فإني رسول الله، وقد بعثت إلـــيك ابـــن عمـــي جعفراً ونفراً معه من المسلمين؛ فإذا جاءك فأقـــرهم، ودع التجبر، فإني أدعوك وجنودك إلى الله؛ فقد بلغت ونصحت؛ فاقبلوا نصحي؛ والسلام على من اتبع الهدى.

---

(١) الأمم والملوك: ج٢، ص١٣٢، وانظر علي الشيخ ابو بكر: معالم الهجرتين، ص١٣٨-١٤٧، وانظر ابن هشام: السيرة النبوية، ج١، ص ٢٩٣.

فكتب النجاشي إلى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: بسم الله الرحمن الرحيم، إلى محمد رسول الله من النجاشي الأصحم بن أجبر. سلام عليك يانبي الله ورحمة الله وبركاته، من الله الذي لا إله إلا هو، الذي هدانا إلى الإسلام. أما بعد فقد بلغني كتابك يارسول الله فيما ذكرت من أمر عيسى، فورب السماء والأرض إن عيسى ما يزيد على ماذكرت ثفروقاً؛ إنه كما قلت؛ وقد عرفنا ما بُعثت به إلينا؛ وقد قَرْينا ابن عمك وأصحابه؛ فأشهد أنك رسول الله صادقاً مصدقاً؛ وقد بايعتك وبايعت ابن عمك، وإن شئت أن آتيك فعلت يارسول الله؛ فإني أشهد أن ما تقول حق، والسلام عليك يا رسول الله.)(١)

من ذلك يلاحظ أن هذه الهجرة المبكرة عبر البحر الاحمر إلى شرق أفريقيا مقدمة لانتشار الإسلام في القارة الأفريقية، وكان البحر الأحمر الجسر الذي عبرت عليه هذه الدعوة الفتية دون أن يرافقها الجيوش والأساطيل، ولم يرافقها إلا ما يحفظه أفرادها رضوان الله عليهم من آيات الكتاب الحكيم، وأحاديث

(١) الأمم والملوك: ج٢، ص١٣٢، وانظر ابن الاثير، الكامل، ج٢، ص ١٤٤-١٤٥. ويرى ابن سعد أن الرسالة كانت في السنة السابعة في شهر المحرم، ويرجح ابن كثير بأن إرسال الرسل إلى الملوك كان في نهاية سنة ست في ذي الحجة. أما عن كتاب أو كتابين ارسلت إلى النجاشي، فقد اختلف المؤرخون في أنها أرسلت دفعة واحدة مع الصحابي عمرو بن أمية الضمري في نهاية السنة السادسة أو بداية السنة السابعة كتابٌ يحمل دعوة إلى الإسلام وآخر دعوة من الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للنجاشي لتزويجه بأم حبيبة رضي الله عنها. وهناك من يرى أنه وجه كتاباً آخر إلى نجاشي غير الذي استقبل جعفر وأصحابه. إلا أن من المرجح أن النجاشي المسلم الذي صلى عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم لم يمت إلا في السنة التاسعة للهجرة. وانظر الطبقات الكبرى، ج١، ص٢٥٨، وانظر ابن كثير، ج٤، ص ٢٦٢. وانظر علي الشيخ أحمد أبو بكر: معالم الهجرتين، ص١٨٨-١٩٢.

المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ولعل العلاقات الحسنة التي بُنيت بين المسلمين والنجاشي حالت دون الغزو العسكري في عهد الرسول صلى الله عليه وآله وسلم للحبشة أو في عهد الراشدين، سوى ما أشير إليه من هجمات القراصنة الأفارقة في البحر الأحمر في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وإيفاده حملة بحرية للقضاء على نشاط القراصنة، وماتم في عهد عبدالملك بن مروان الخليفة الأموي من سيطرة الأسطول الأموي على جزر دهلك التي شكلت موقعاً للقراصنة لمهاجمة سفن المسلمين. كما أن النزاعات التي حدثت بين بني أمية وآل علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والصراعات بين القبائل العربية كالقيسية والكلبية ساهمت في هجرة عدد من أولئك، وعدد من أولئك إلى أفريقيا الشرقية، والتي ساهمت في توطد الإسلام في تلك المناطق، وكل ذلك كان عبر البحر الأحمر، ويشير إلى هذه الهجرة "توماس آرنولد" في كتابه "الدعوة إلى الإسلام" قائلاً: أن من الكتب العربية التي تعرضت لانتشار الإسلام في شرق أفريقية كتابٌ وجده البرتغاليون في مدينة "كلو" حيث اجتاحها دون فرنسيسكو دليدا سنة ١٥٠٥م مبنياً أن هذا الكتاب أشار إلى هجرة عدد من أتباع زيد بن علي زين العابدين بن الحسين رحمه الله خشية ملاحقة الأمويين لهم إلى شرق إفريقيا، كما هاجرت جماعات عربية أخرى إلى هذة المنطقة، فساهمت هذه التجمعات العربية في نشر الإسلام في إرتيريا والصومال والحبشة والسودان. كما ساهمت التجارة والتجار العرب بدور رائد في نشر الإسلام عبر البحر الأحمر في أفريقيا بعامة وشرقها بخاصة، ولابناء جنوب الجزيرة العربية الدور الرائد في ذلك، ومن ذلك ما ذكره المستشرق جيوم من دور الحضارم في نشر الإسلام عبر البحر الأحمر إلى شرق إفريقية، مشيراً إلى أنه مازالت لهم أماكن معلومة في الصومال وأرتيريا في القرن التاسع الهجري (أوائل الخامس عشر الميلادي). ومن أكبر الشواهد على آثار الدعوات والهجرات والرحلات التجارية إلى شرق إفريقيا قيام دول الطراز الإسلامي

التي كانت تشكل على شاطئ البحر الاحمر طرازاً إسلامياً تمثل جوهـرة عقـده مديـنة زيلـع[١] التـي كانت تعج بالمساجد والجـوامع[٢].

مما سبق يتضح لنا أن المسلمين في عهد النبوة لم يتهيبوا ركـوب الـبحر كمـا سبق ذكر الآيات المتعددة والأحاديث عن المصطفى عليه الصلاة والسلام عن البحر، وفضل الجهاد فيه فـي الفصل الأول، وورد في معاهدة المصطفى صلى الله عليه وآلـه وسلم مع صاحب "أيلة العقبة" تأمين المسلمين لأهل أيلة وسفنهم وسياراتهم في البحر والبر، بل ومن كان معهم من أهل الشـام وأهل اليمن، وأهل البحر (ويقصد أهل الحبشة) وانتهت المعـاهدة إلـى أنـه لايحـل أن يمنعوا ماء يردونه ولا طريقاً يـريدونه من بر أو بحر. فهذا الصلح يشير إلى أن سكان أيلة "العقـبة" وأهـل اليمن وأهل الحبشة يرتادون الموانئ الوسطى للحجـاز وباقـي موانـئ الـبحر الأحمر[٣]. وفي عهد الخلفاء الراشدين رضي الله عنهم وأرضاهم انطلقت الفتوحات الإسلامية شـمالاً وشرقاً وغرباً، وتساقطت أمام جيوش المسلمين جيوش الفرس والروم. وكانت غالب فتوحات المسلمين برية لا بحرية، ومع توسع الفتوحات في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه اجـتهد بعـض القـادة في ركوب البحر لمطاردة وتتبع أعداء الإسلام، مع نهي الخليفة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي

(١) زيلـع: أو زالـع تقـع علـى سـاحل الـبحر الأحمـر مـن بـلاد الحبشـة، ويصفها الإدريسي بأنها مدينة صغيرة، لكنها كثيرة الناس والمسافرين إليها كثير، وأكثر مراكب القلزم تصل إليها بأنواع التجارات، ويخرج منها الرقيق والفضة.انظر نزهة المشتاق،ج١، ص٤٤.

(٢) عبدالقادر: عبدالشافي غنيم: البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية، بحث ضمن (البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة)، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠م، ص٧٩-٩٢.

(٣) تاريخ البحرية المصرية: نخبة من المتخصصين بجامعة الاسكندرية، مصر، ١٩٧٣م، ص٢٧٣-٢٧٥.

الله عـــنه لذلك القائد، وهو العلاء بن الحضرمي أمير البحرين الـــذي ركب البحر، مما عرضه لعقاب أمير المؤمنين بعزله عن الإمـــارة وأمـــره باتباع سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه[١]. وكـــان عمر رضي الله عنه يخشى على المسلمين ركوب البحر خشية هلاكهم فيه، وليس لهم في ركوبه خبرة ودراية كأسطول ومحاربين، ومن هذه الحادثة وحادثة عرفجة بن هرثمة الازدي ســـيد بجـــيلة الذي غزا عُمان فبلغ عمر بن الخطاب رضي الله عـــنه غزوه في البحر فأنكر عليه وعنفه. ويرى ابن خلدون أن سبب إحجام المسلمين عن القتال في البحر لبداوتهم، وإنهم لم يكونـــوا أول الامر مهرة في ثقافته وركوبه، والروم والإفرنجة في رأيه لممارستهم احواله وما مر بهم في التقلب على أعواده مرنوا عليه وأحكموا الدراية بثقافته، لذا لما استقر للعرب الملك وقـــوي ســـلطانهم، وصارت أمم العجم تحت أيديهم، وأصحاب الصناعات مستخدمين لهم، واستعانوا برجال البحر في حاجاتهم البحرية، وتكررت ممارستهم للبحر، شرعوا للجهاد فيه وأنشئوا السفن والشواطئ وشحنوا الأساطيل بالرجال والسلاح والعساكر والمقاتلة لمن وراء البحر من أمم الكفر[٢]. ومما دفع بالخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه بالنهي عن ركوب البحر وصف عمرو بن العاص رضي الله عنه لحال الراكبين في البحر الذي كـــان فيه تخويفاً منها قوله: (وهم فيه كدود على عود، إن مال غـــرق، وإن نجا برق) فنهى عمر بن الخطاب عن ركوب البحر المتوسط، ورغم الحاح معاوية رضي الله عنه بغزو قبرص، لم يتم له ذلك إلا في زمن الخليفة عثمان بن عفان رضي الله عنه. ولكـــن لايـــدل ذلك إلا حرص عمر رضي الله عنه على سلامة المســـلمين، لأنـــه لـــم يكن لديهم في زمانه الاسطول البحري المؤهل، والمعد إعداداً جيداً لخوض قتال البحر[٣].

---

(١) الطبري: الأمم والملوك: ج٢، ص٤٩٨، وانظر ابن الاثير، ج٢، ص ٣٧٦-٣٧٧.

(٢) تاريخ ابن خلدون: ج١، ص٢١١.

(٣) تاريخ ابن خلدون: ج١، ص٢١١.

لكـــن هذا القول على أهميته لا يعني إن عمر بن الخطاب رضـــي الله عنه منع المسلمين نهائياً من ركوب البحر والجهاد فيه، وهناك من الدلائل ما يشير إلى أن عمر بعث بحملة بحرية فـــي الـــبحر الأحمـــر إلـــى ميناء باضع "مصوع" على الساحل الإفريقـــي بقـــيادة أبي محجن الثقفي في السنة السادسة عشرة للهجـــرة، للتصدي لهجمات القراصنة الاحباش على سواحـــل تهامـــة الحجاز[1].

(١) الطبري: الأمم والملوك: ج٢، ص٤٧٥.

والدلالـــة الأخرى على اهتمام عمر بن الخطاب رضي الله عــنه بأمر البحر، هو تكليفه لعمرو بن العاص رضي الله عنه أمير مصر بحفر قناة بين النيل والبحر الأحمر[1] تمكن من نقل المـــؤن والطعام إلى الحجاز، خاصة بعد أن أصاب أهل الحجاز مجاعة وقحطاً شديداً في عام الرمادة المشهور.

---

(١) (وهذا الخليج كان قد حفر في عهد الرومان قبل الاسلام، واشتهر باسم "قناة تراجان"، بل يرى بعض الباحثين إلى أنها حفرت فى عهود مختلفة وطُهرت، وقد حُفرت من أيام الفراعنة. وحفرت هذه القناه فى العام (٢٣هـ) وكانت تمتد من بلبيس فبحيرة التمساح فمدينة القلزم (السويس)، واستغرقت مدة الحفر ستة شهور، ونقل عبر هذا الخليج المؤن والطعام إلى الحجاز، وبلغت حمولة المركب الواحد ثلاثة آلاف أردب. وبقى هذا الخليج معبراً للتجار وغيرهم، فكانت السفن تسير فيه إلى البحر الأحمر تريد الحجاز او إلى اليمن او الهند، إلى ان أهمل أمره الولاة بعد عهد الخليفة عمر بن عبدالعزيز الأموى رحمه الله، فتكاثرت فيه الرمال والسوافى، وصار ممشاه إلى ذنب بحيرة التمساح من ناحية الطور والقلزم، حتى ردم سنة ١٤٥هـ في خلافة أبي جعفر المنصور العباسي لقطع الامدادات التي كانت تصل لمحمد ذي النفس الزكية أثناء ثورته على المنصور في المدينة من مصر).

وانظر الحموي: محمد ياسين: تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقي بدمشق، ص١١-١٣. وانظر: القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٢٧-٣١، وانظر سيد إسماعيل كاشف:البحر الأحمر والفتح العربي لمصر،(البحر الأحمر في التاريخ والسياسة..)، جامعة عين شمس، ص٩٨-١٠١. وانظر: حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي: ص١٧٥-١٨١.

ويورد المسعودي أخباراً تشير إلى أنه جرت محاولات في عهـد عمـر بن الخطاب ثم في عهد هارون الرشيد لحفر قناة موصلة بين البحرين الأحمر والمتوسط، كما هي الحال الآن في "قناة السويس" إلا أن السبب الذي أدى إلى امتناع الخليفتين هو الخشـية علـى أرض الحرميـن من غزو البيزنطيين للحجاز وتعديهـم علـى الأراضـي المقدسة(١). وقد مر بنا في الفصل السـابق غـزو الصليبيين في عهد صلاح الدين الأيوبي رحمه الله، وكيف كادوا أن يصلوا إلى المدينة المنورة، لولا فضل الله ثـم تـدارك جـيوش الأيوبييـن لأرض الحرمين وصد الغزاة المعتديـن وعقـابهم عقابـاً شديداً على جرأتهم وتعديهم على المقدسات.

وبالطـبع بعـد الفـتح الإسـلامي المجيد لمصر وانطلاق الفـتوحات فـي القـارة الإفريقـية أصبح البحر الأحمر بحيرة إسلامية شرقاً وغرباً، وأصبح دوره يقتصر على الدور التجاري ونقل الحجاج والمسافرين، أو الهجرات العربية عبر موانئه إثر الصـراعات والنزاعات الداخلية بين المسلمين بعد عهد الخلفاء الراشدين رضوان الله عليهم.

وقد قاوم الأمويون بعض هجمات القراصنة ليصبح طريق الـبحر الأحمر آمناً تجارياً وبحيرة إسلامية، واستمر هذا الدور حـتى قامت دولة بني العباس فتحول الثقل التجاري إلى منطقة الخلـيج وبـلاد الرافديـن، وتـراجع دور الحجاز ومصر، ولم يعدلهما إلا الجزء اليسير من التجارة الشرقية حتى قيام الدولة العبـيدية "الفاطمـية" في مصر والتي أعادت إلى البحر الاحمر نشاطه التجاري(٢).

---

(١) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٢٦٦-٢٦٧.

(٢) حسن: يوسف فضل: الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حـتى القـرن الثامـن عشـر: مجلـة الـدارة، دارة الملـك عـبدالعزيز، الـرياض، العـدد الثالث: السـنة الثامـنة، ربـيع ثانـي وجمـادي الاولـى والآخرة، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، ص١١٠-١١١.

٥) ـ التجارة الشرقية عبر البحر الاحمر:

ومن أشهر الطرق البحرية المرتبطة بالحجاز طريق بحري يمـــتد مـــن الشرق الأقصى إلى البحر الأحمر، وله فرعان يأخذ أحدهما جهة الشمال ويعبر سيناء إلى دمشق حتى يصل موانئ الـــبحر المتوســـط، وفرعه الآخر يتجه عبر صحراء سيناء إلى النيل فالقاهرة ومنها إلى الإسكندرية ومنها إلى أوروبا[1].

وطـــريق آخر ينطلق من الصين بحراً إلى الهند متحداً مع طـــريق الخلـــيج العربـــي، والطريق السابق الممتد من الشرق الأقصـــى إلى البحر الأحمر، ويقع على هذا الطريق عدة موانئ صينية وهندية من أشهرها خانفو (كانتون)، وزيتون، وكينساي بالصين، وهندية مثل الملابار، ومدن جوجيرات، وكمباي، وديد، وكالـــيقوط، وجوا، وكولون وشول، وكانا نور، وسوراث حتى جزيرة سيلان.

وانظر: القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٣٠-٣١. وانظر، سيدة كاشف البحر الأحمر والفتح العربي بمصر، ص١٠١-١٠٢.

(١) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٣م، ص١٢٤.

ووصلت السفن الصينية عبره إلى جُدة في البحر الأحمر مما أدى إلى نشاط التبادل التجاري بين العرب والصين والهند حتى أوائل القرن العاشر الهجري، وازدادت رحلات العرب التجارية إلى الصين[1]. وعرف هذا الطريق باسم (طريق الحرير البحري)[2]. ويصف ذلك الطريق جيانغ زيمين رئيس جمهورية الصين الشعبية الحالي في محاضرة له في مدينة الرياض عن مدى العلاقة بين العرب والصين قائلاً: (هنا قول مشهور للنبي محمد "صلى الله عليه وآله وسلم" "اطلب العلم ولو في الصين"[3]، إن الشعبين الصيني والعربي ظلا يتبادلان التعليم منذ القدم وترجع علاقات الصداقة بينهما إلى عصور قديمة حيث يربطنا طريق الحرير القديم كرابطة الصداقة كما وصلت السفن التجارية الصينية إلى ميناء جُدة في وقت يرجع إلى ماقبل أكثر من ألف سنة وقاد تشنغ خه في عصر أسرة مينغ الملكية في الصين أسطولاً بحرياً إلى مايسمى بالمحيط الغربي آنذاك سبع مرات وزار في طريقه ميناء جُدة ومدينة مكة ...)[4]. ومنذ النصف الثاني من القرن الثالث عشر الميلادي "القرن السابع الهجري" بعد الغزو المغولي لبلاد المسلمين تعطل الطريق التجاري البري عبر أواسط آسيا،

---

(١) نعيم زكي فهمي، ص١٦١-١٦٢، وانظر العبيدي: عبدالعزيز بن راشد ، التجارة والملاحة في البحر الأحمر في عصر المماليك، رسالة ماجستير، جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، ١٤٠٠هـ - ١٩٨٠م، الرياض، ص١٢٦.

(٢) علي لي تشين تشونغ: آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ، المجلة العربية للثقافة، السنة التاسعة عشرة - العدد الثامن والثلاثون، ذو الحجة، ١٤٢٠هـ - مارس (آذار) ٢٠٠٠م، ص١٥٢.

(٣) يشار إلى هذا القول بأنه حديث عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وهو حديث موضوع، والأسلم أن يُشار إليه بقول مأثور.

(٤) جريدة الرياض، العدد ١١٤٥٤٤، الأربعاء ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ ٣ نوفمبر ١٩٩٩م (كانت كلمة الرئيس الصيني من محاضرة ألقاها في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض أثناء زيارته للمملكة العربية السعودية في أواخر شهر رجب من عام ١٤٢٠هـ).

وأصبح طريق البحر الأحمر أكثر أهمية وإقبالاً وتدفقاً تجارياً[1]. وتــزايد عدد التجار العرب إقبالاً على التجارة الشرق آسيوية، واتخذوا من خانفو قاعدة لتبادلهم التجاري وحركتهم التجارية، منطلقيــن من مراكزهم الأساسية على الخليج العربي، ومن ثم انــتقل النشــاط إلى البحر الأحمر مباشرة حيث أصبحت موانئ الــبحر الأحمــر تتصــل مباشرة بموانئ الصين، فكانت تنطلق المراكــب العربية تحمل المنسوجات الحريرية والكافور والمسك والــتوابل[2]. واستوطن كانتون جالية كبيرة من المسلمين من عــرب وفرس[3]. وبعد قضاء الصيف في كانتون تؤوب السفن راجعــة مع الرياح الموسمية الشمالية الشرقية إلى مضيق ملقا وتعبر خليج البنغال ومن كولم إلى عُمان[4].

(١) فهمي: طرق التجارة الدولية، ص١٢٥.
(٢) المصدر السابق، ص١٦٢.
(٣) عبدالعليم: أنور، الملاحة وعلوم البحر عند العرب، ص٧٢.
(٤) المصدر السابق، ص٧٣.
(ولعل من أهم الصادرات والواردات عبر هذا الطريق المتبادلة بين العرب وأهل الصين "اللؤلؤ القطري الجيد الذي يقع ناحية الشحر والعقيق اليمني، والجزع التِشْب اليمني، وحجارة المسنّ وتقع بالحجاز ناحية خيبر، واللبان من بلاد الشحر وحضرموت، واللك، والكندر، والصمغ العربي من شجر الطلح، والمقل باليمن، والسنان (التمر الهندي)، والصبر من جزيرة سوقطرة اليمنية، والقسطل، والورس، وشجر اللبان من الحجاز، وسكر العشر من اليمامة، والسنا الحرمي من مكة، والحراب من صنعاء، والأردية والعمائم العدنية، والأدم الطائفي، والخيل العراب، والحمر الهماليج من مصر، والثياب الرقاق، والزبرجد. تلك أهم صادرات العرب إلى الصين، ومن واردات الصين إلى بلاد العرب، الحرير الصيني، وثياب الكيمخا، والأطلس،والغضار (الخزف)، والفرند،والمسك من"التبت" والسروج، والسّمّور، ← ← والعود، والدارصيني (القرفة) والخولنجان، والذهب، والأبنوس، والكافور، والجوزبوّا، والقاقلة (الهيل)، والنارجيل، والياقوت بألوانه، والألماس، والرصاص القلعي، واللبود، والكاغد، والمداد،

وبقيت سفن التجارة الشرقية من الصين والهند وبلاد العرب تقطع هذا الطريق قروناً طويلة حتى نهاية القرن الخامس عشر الميلادي (أوائل القرن العاشر الهجري)، وبعد سيطرة البرتغال على السواحل العربية الإفريقية والأسيوية تمكنوا من القضاء على الملاحة والتجارة العربية، وفقدت السفن العربية، وبخاصة بعد عام ١٥١٧م (٩٢٣هـ)[١].

وامتداداً لهذا الطريق البحري عبر البحر الأحمر كانت هناك عدة طرق من الناحية الإفريقية، فقد كان طريق عيذاب على ساحل البحر الاحمر الأفريقي يصل إلى قوص ومنها إلى فندق الكارم بالفسطاط في بحر النيل، وكذلك طريق القصير في جهة الشمال من عيذاب، وكانت تصل إليه بعض المراكب لقربه من قوص ومنها تنقل البضائع إلى قوص ثم فندق الكارم بالفسطاط ثم في بحر النيل إلى موانئ البحر المتوسط (الاسكندرية ورشيد ودمياط)، وطريق ثالث يعرف بطريق الطور وهو ساحل جانب الرأس الداخل في بحر القلزم بين عقبة أيلة، وبين بَرّ الأراضي المصرية، ومال إليه أصحاب السفن لقربه من بر الحجاز، وكثرة المراسي فيه.

والطواويس، ومهندسوا الماء، وعلماء الحراثة، والاكارة، وبناة الرخام).

انظر: محمد حُوَّر: العرب والصين تاريخ فن وروابط، المجلة العربية للثقافة، المصدر السابق، ص٩٧-١٠٠.

(١) فهمي: طرق التجارة الدولية، ص١٧٧.

وطـــريق رابع هو طريق السويس بالقرب من بلدة القلزم الخربة، وهو بالتالي أقرب السواحل إلى القاهرة والفسطاط[١].

وأصـــبحت بذلـــك منطقة الحجاز بموانئها ومدنها المقدسة مُســتقطب الــتجارة الشــرقية، وأصبحت مكة والمدينة أسواقاً تجاريـــة، وكذلـــك أصـــبح موســـم الحج موسماً تجارياً كبيراً للمســلمين، واهــتم الخلفـــاء الراشدون بموانئ البحر الاحمر الحجازيـــة كالجـــار وجُـــدة في عهدي عمر وعثمان رضي الله عنهما كما سبق توضيحه وبيانه. ومن الثغور الحجازية اتخذت السفن طريقها إلى مصر واليمن، كما استقبلت هذه الثغور سفناً تجاريـــة من الحبشة والهند والصين إضافة إلى مصر[٢]، على مـــدى الفـــترات التاريخية الإسلامية. فانطلاقاً من العقبة (أيلة) التـــي أمّن المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم تجارتها فـــي الـــبحر الأحمر، فالصادق المصدوق عرف قيمة هذا الثغر الاستراتيجي والاقتصادي باعتباره حلقة وصل ورابط بين الشام والديـــار المصـــرية من جهة والحجاز من الجهة الأخرى وأحد الـــثغور الهامـــة في مجال تجارة البحر الأحمر والملاحة فيه. وبقيت أيلة ممراً ملاحياً يرتبط بالقلزم وعن طريقه تأتي السلع المصـــرية في العهدين الأموي والعباسي، حتى زاد ثراء أهلها، ممـــا دفع بخلفاء بني أمية لزيادة الجزية على أهل الذمة فيها، حـــتى عهـــد عمر بن عبدالعزيز الذي أبطل الزيادة وأبقاها كما كانت على عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وتواصل دور العقـــبة (أيلـــة) الـــتجاري فـــي العهد العباسي والفاطمي "العبيدي" وازدهرت كثيراً في العهد الفاطمي "العبيدي" فقد كانت تُجلـــب لهـــا الســـلع الشـــامية لتصديرها إلى مصر وإلى داخل الحجـــاز والجـــنوب العربي وأفريقيا والهند والصين، فبنى فيها الفاطمـــيون ديوانـــاً للمكوس، بهدف أخذ المكوس على السلع

---

(١) اليوزبكي: توفيق، تاريخ تجارة مصر البحرية في العصر المملوكي، مؤسسة دار الكتب، جامعة الموصل، ١٣٩٥هـ - ١٩٧٥م، ص٧٨.

(٢) السليمان: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية، ص٩٨.

الصادرة والواردة إلى ميناء العقبة. وفي سنة ٥١٠هـ (١١١٦م) احتل الصليبيون أيلة لضعف الحامية الفاطمية فيها، وبذلك أصبح الصليبيون على ساحل البحر الأحمر وسيطروا على ثغر تجاري هام تفد إليه التجارات المختلفة، وأصبح الاحتلال الصليبي مصدر خطر وتهديد لتجارة البحر الأحمر وموانئ الحجاز، حتى حررتها الجيوش الأيوبية عام ٥٦٦هـ، ولكن الأطماع الصليبية ما انقطعت في السيطرة على تجارة البحر الأحمر إضافة إلى أهدافهم الأخرى، فكانت محاولة أرناط الصليبي لغزو الحجاز والسيطرة على البحر الأحمر فمن بين أهدافه السيطرة على تجارة البحر الأحمر باحتلال اليمن، وخضوع البحر الأحمر لنفوذه، وتحويل تجارته إلى العقبة وبالتالي إلى ممالك الصليبيين في الشام، فقد كان من بين أهدافه إنهاك صلاح الدين الأيوبي اقتصادياً مما يعني إنهاكه عسكرياً، لكن الله قيض للجيوش الأيوبية القضاء على أرناط ورجاله بأشد عقاب. وفي العهد المملوكي ازدهرت أيلة "العقبة" تجارياً، وكان ثغر أيلة ولاية تتبع نيابة السلطنة في القاهرة، واهتم المماليك بميناء العقبة وبنوا فيه رصيفاً لرسو السفن التجارية، كذلك ربطت العقبة بخط ملاحي بباقي موانئ الحجاز لنقل الحجاج الشاميين بحراً، وأقام المماليك ديواناً للمكوس، وازدهرت المدينة في عهدهم، وكذلك الحال في دولة المماليك الجراكسة، فقد جدد قانصوه الغوري رصيف العقبة البحري وحصنها، فأعاد ترميم وتجديد قلعتها خاصة بعد ظهور البرتغاليين[1].

---

(١) غوانمة: أيلة (العقبة) والبحر الأحمر، مصدر سبق ذكره، ص٣٢-٥٥

وأمـــا الجار فهو فرضة المدينة، وتأتيه السفن من أرض الحبشـــة ومصـــر ومـــن البحرين والصين، ووصفت بالعمران وكثرة التجارة والأموال في القرن الرابع الهجري، ويصفها ابن المجـــاور فـــي القرن السابع الهجري بأن المراكب الواردة من الديـــار المصـــرية ترســـو فيها[١]، مما يبين استمرار دور هذا الميـــناء رغم بروز دور ميناء ينبع في القرن السابع الهجري، وكان قد ازدهر الجار في القرون الاولى من العهد الراشدي إلى العهد العباسي وتواصل دوره إلى حد ما في العهد الفاطمي، أما فـــي العهـــد الايوبي فقد برز دور ميناء ينبع منذ عام ٦٢١هـــ باتخـــاذ الأيوبييـــن له ميـــناءاً رئيســـياً للمدينة، فاشتروه من الأشـــراف الحسنيين أهل ينبع النخل بأربعة آلاف مثقال وأقاموا فـــيه بعـــض الإنشاءات[٢]. وساهم هذا الميناء في تجارة البحر الاحمـــر، حيـــث تـــرد إليه السفن بالغلال كل سنة، وتقدر قيمة تجارتـــه كـــل عام بحوالي ٣٠,٠٠٠دينار[٣]. وبلغت ينبع أوج ازدهارها زمن سلاطين المماليك الجراكسة نتيجة الاصطلاحات الكثـــيرة التـــي أدخلـــت على طريق الحج، مما أدى إلى تدفق الحجـــاج، فكانت ينبع محطة برية وبحرية في آن واحد لحجاج مصـــر والشـــام، وقامـــت بـــدور تجـــاري هام زمن المماليك، وأصـــبحت ينـــبع الميـــناء الثانـــي في الحجاز بعد جُدة إلا أن الصـــراعات السياسية بين المماليك والأشراف في ينبع ساهمت فـــي الحـــد مـــن دور ينـــبع خاصة السنوات الأخيرة من حكم المماليك في القرن العاشر الهجري[٤].

---

(١) تأريخ المستبصر، سبق ذكره، ص٥٠.

(٢) حمد الجاسر: بلاد ينبع، ص٤٩.

(٣) فهمي: نعيم زكي، طرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص١٤٠.

(٤) السليمان: علي حسين: العلاقات الحجازية المصرية، ص١٩٠ ـ ١٩١ .

أمـــا جُــدة فهي الميناء الرئيسي في الحجاز، وميناء مكة المباشـــر منذ اتخذه الخليفة الثالث عثمان بن عفان رضي الله عـــنه ميناءاً لمكة حتى الوقت الحاضر وأصبحت جُدة من أكبر موانـــئ الشـــرق(١). فهـــو المنفذ التجاري الذي يزود مكة بما تحـــتاجه بـــل معظـــم مناطق الجزيرة العربية من مواد غذائية وموارد اقتصادية يضاف إلى دوره الرئيسي كميناء لحجاج بيت الله الحرام القاصدين مكة المكرمة(٢). وتواصل دور ميناء جُدة في نمو مطرد في العصور الإسلامية المختلفة، وعاشت جُدة في العصـــر الفاطمـــي والأيوبـــي فترة مزدهرة رغم أحداث الغزو الصـــليبي لبلاد المسلمين حتى أصبحت في العهد الأيوبي مركزاً هاماً من مراكز تجارة الشرق، فكان ميناء جُدة يستقبل الحجاج القادمين بطريق البحر فتزدهر أسواق جُدة في موسم الحج كما أن التجار القادمين من بلاد الاندلس والمغرب إذا لم يتوفر لهم نجاحٌ في مصر والشام توجهوا بتجارتهم إلى جُدة ووجدوا فيها السوق الرائجة لتجارتهم(٣). وتواصل نمو جُدة وكثرت تجارتها فـــي العصر المملوكي، مما جعل سلاطين المماليك وأمراء مكة من الأشراف يدخلون في عدة صراعات بسبب عشور ومكوس هذا الميناء، وتغيرت لغة المؤرخين عن جُدة في القرن التاسع، وأصـــبحوا يصفونها بأنها من أعظم المدن وربما يردها في كل ســـنة ما يزيد على ١٠٠ مركب، فأصبحت مركزاً تجارياً هاماً، وخاصة بعد تحول البواخر من ميناء عدن إلى جُدة. ولم يفطن المماليـــك لثراء هذا الميناء حتى الربع الاول من القرن التاسع، فقـــرروا مشاركة أمير مكة في العشور التي كان يدفعها التجار بجُـــدة فاتخذ السلطان المملوكي برسباي قرارات منها مشاركة أمـــير مكة في المتحصل من أموال العشور، كما نظم السلطان طريقة أخذ عشور التجارة بجُدة فعين إضافة إلى نائب الشريف

---

(١) السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص١٩٣.

(٢) الرويثي: التطور المكاني والتاريخي لموانئ شبة الجزيرة العربية، ص١١٢.

(٣) حسنين محمد ربيع: البحر الأحمر في العصر الايوبي، ص١٢٠.

بجُدة موظفاً لتحصيل العشور يسمى (شاد جُدة)، وكذلك يشاركه في جمع العشور والمرتبات القباني والصيرفي والشهود المتواجدون في جُدة إبان وصول السفن الهندية والصينية، فاتبع سلاطين المماليك منذ ذلك الحين سياسة احتكارية تقوم على اجبار التجار على بيع بعض سلعهم بأسعار منخفضة على وكلاء السلطان ثم يقومون ببيعها بأسعار أعلى كثيراً، وبقى الحال على هذا الأمر حتى نهاية الدولة المملوكية. لكن ظهور البرتغاليين في المحيط الهندي وجنوب البحر الأحمر ترك أثراً واضحاً على تجارة جُدة حيث حولت التجارة إلى طريق رأس الرجاء الصالح(١).

أما عن الشعيبة فكما سبق الحديث عنها في الفصل السابق انحصر دورها فيما قبل الإسلام وبعد البعثة النبوية الشريفة على صاحبها أفضل الصلاة والسلام.

وأما السرين فلم يظهر لها نشاط تجاري بارز في القرون الإسلامية المبكرة، حيث يصفها ابن حوقل في القرن الثالث بقوله: (وصاحب السرين فالواصل إليه كفاء مايقوم به وبأهله، وليست بحال تُذكر، وله على المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن رسم يأخذه من الرقيق والمتاع الوارد من التجار)(٢). إلا أن موقعها على الطريق البري والبحري بين اليمن والحجاز ساهم في انتعاشها، وجعلها تسهم في حركة التجارة في البحر الأحمر من وإلى الحجاز وما جاورها، فساهمت في توريد وتسويق منتجات السروات وسهول تهامة من أنواع الحبوب والتمور والعسل والسمن والزيوت والجلود وغيرها، وكذا ما يأتي من موانئ الحبشة من الرقيق والمتاع. وكان نموها التجاري متدرجاً من محطة من محطات طريق الحج إلى مكة إلى أن بلغت قمة ازدهارها التجاري في القرنين الخامس

---

(١) السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص١٩٣-٢٠٢.
(٢) صورة الارض، ج١، ص٢٥.

والسادس الهجريين.[1] ويصفها الادريسي بأنها (حصن حصين حسن موضعه كثيرة مياهه ولواليه وجابيه شيء معلوم ورسم ملـزوم علـى المراكب الصاعدة والنازلة من اليمن بالتجارات والمـتاع والرقيق، وجباياته المحصلة يصل نصفها إلى صاحب تهامة ونصفها الثاني إلى الهاشمي بمكة)[2] ويصفها الحميري بأنها (مدينة عظيمة في طريق مكة من اليمن بمقربة من يلملم وفـيها أسـواق ومسـجد جـامع، وسورها في البحر ..)[3]. والمورد الرئيسي لأهل السرين التجارة كاستيراد الميرة والمتاع والرقـيق وتصـديره، وقـد اشتهرت السرين بوجود مغاصات اللؤلـؤ حتى عد من أشهر الأماكن في البحر الأحمر، لذا يرجح وجـود حركة تجارية لاستخراج وتصدير اللؤلؤ السريني الذي احتل مكانة كبيرة بكبر حجمه مثل اللؤلؤ العماني[4].

وأصبح البحر الأحمر أو "بحر الحجاز" كما كان يطلق عليه مؤرخوا العصور الوسطى[5]. بحيرة إسلامية خالصة، وقد منع الحكـام المسـلمون دخـول غير المسلمين إلى هذا البحر[6]. واهتمـت الدول الإسلامية المتعاقبة على الحجاز ومصر بتجارة الـبحر الأحمـر الذي عاد عليها بازدهار اقتصادي كبير، وكما سـبق الحديـث عـن عهد الراشدين واهتمام عمر بن الخطاب رضـي الله عـنه بميـناء الجـار وجلب المؤن من مصر إلى الحجـاز، كذلـك الحـال بالنسبة للأمويين، فقد ازدهرت تجارة

(١) الزيلعي: أحمد، ميناء السرين، سبق ذكره، ص١٨٨-١٨٩، وانظر الفقيه: مدينة السرين، ص٤٩-٥٠.
(٢) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص١٣٨.
(٣) الروض المعطار في خبر الاقطار: ص٣١٢.
(٤) الفقيه: مدينة السرين، ص٨٠.
(٥) أبو شامة: الروضتين في أخبار الدولتين، مصدر سبق ذكره، ج٣، ص١٣٤-١٤٠. وانظر حسنين ربيع: البحر الأحمر في العصر الايوبي، ص١٠٥.
(٦) حسنين ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص١٠٥.

البحر الأحمر في عهدهم، وخاصة التجارة الشرقية، فعملوا على إنشاء المحطات التجارية على الساحل الشرقي لإفريقية لتأمين مسار هذه التجارة[١]. إلا أن تجارة البحر الأحمر أظهرت تراجعاً واضحاً خلال العصر العباسي الأول ومال العباسيون لاتخاذ الخليج العربي طريقاً تجارياً لهم لجلب تجارة الشرق إلى عاصمتهم، كما أن ثورة محمد ذو النفس الزكية في الحجاز قد أدت إلى إجراءات المنصور القاضية بردم خليج أمير المؤمنين بين النيل والبحر الأحمر، وإغلاق ميناء الجار . وأنحصر الإبحار في البحر الأحمر على عدد محدود من السفن الصغيرة تقوم بنقل البضائع الشرقية من عدن إلى مصر[٢].

إلا أن البحر الأحمر استمر طريقاً للتجارة الشرقية خاصة في العصر العباسي الثاني، وظهر ما عُرف بالتجار اليهود "الرازانية" أو "الراذانية" أو "الرادانية" ويرجح (لومبارد) أن كلمة الرادانية قد اشتقت من نهر رادانو أي نهر الرون[٣].

---

(١) القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٢٥، وانظر السيد عبدالعزيز السالم، البحر الأحمر في التاريخ الاسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، ١٩٩٣م، ص١٣.

(٢) القوصي: المصدر السابق، ص٤٦-٤٧، وانظر السالم، المصدر السابق، ص١٣-١٤.

(٣) موريس: الجغرافيا التاريخية للعالم الإسلامي خلال القرون الأربعة الأولى، ترجمة عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق، ص٢٧٦.

والذيـــن تحـــدث عـــن خط سيرهم التجاري الجغرافي ابن خرداذبة المتوفى في حدود سنة "٣٠٠هـ" قائلاً "الذين يتكلمون بالعربية والفارسية والرومية والإفرنجية والأندلسية والصقلبية، وأنهـــم يســـافرون من المشرق إلى المغرب ومن المغرب إلى المشـــرق بـــراً وبحـــراً يجلـــبون من المغرب الخدم والجواري والغلمـــان، والديـــباج، وجلـــود الخـــز، والفـــراء، والسمور، والســـيوف، ويركـــبون مـــن فِنحْه في البحر الغربي فيخرجون بالفرما ويحملون تجارتهم على الظهر إلى القلزم وبينهما خمسة وعشـــرون فرســـخاً، ثم يركبون البحر الشرقي من القلزم إلى الجـــار وجدة، ثم يمضون إلى السند والهند والصين، فيحملون مـــن الصـــين المسك والعود والكافور والدارصيني وغير ذلك ..."(١).

وقـــد اســـتقر بعض تجار أهل الذمة في الحجاز وأصبحوا حلقـــة وصـــل ووسطاء للتجار المتجولين واشتغلوا بالصيرفة، وكـــره الأمام مالك رحمه الله التعامل التجاري لأهل الحجاز مع هـــؤلاء الـــتجار خشـــية تحكمهـــم بالاسواق ولتعاملهم بالربا واستحلالهم له(٢).

---

(١) المسالك والممالك، ص١٥٣، وانظر جورج حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٢٧، القوصي، ص٣٢-٣٣.

(٢) المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت، ج٤، ص٢٧٠-٢٧١.

وانظر آل سويلم: ابتسام بنت عبدالمحسن، الحياة الاقتصادية والاجتماعية في الحجاز من قيام الدولة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، جامعة الملك سعود، كلية الآداب، قسم التاريخ، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، ص٢٤-٢٥. وقد سبقت الإشارة في الفصل الأول إلى موقف الأمام الشافعي المشابه لموقف الأمام مالك رحمهما الله.

وكانت ثورة الزنج في جنوب العراق، وثورة القرامطة في البحرين من العوامل التي عطلت التجارة عبر الخليج العربي في العصر العباسي الثاني وساهمت في عودة النشاط التجاري المزدهر عبر البحر الأحمر(١).

وظهر دور حكومات مصر جلياً في الإشراف على تجارة البحر الأحمر منذ سيطرة الطولونيين على مقاليد الامور في مصر من عام (٢٥٤هـ)، حتى انهيار دولة المماليك وسيطرة البرتغاليين على تجارة المحيط الهندي في القرن العاشر الهجري.

فاهتم احمد بن طولون بالنشاط الاقتصادي في مصر، وأعد أسطولاً كبيراً لحماية السفن التجارية من قراصنة البحر، فعادت هذه السياسة عليهم بمكاسب كبيرة، وفرضوا الضرائب على التجارة الداخلية والخارجية، وازدهرت الأوضاع في مصر اقتصادياً بسبب التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر، وتمثل ذلك في العملة القوية للطولونيين، وما ظهر في جهاز زفاف ابنة خمارويه من الثراء الكبير والنفقة الباهظة(٢). واستمرت تجارة البحر الأحمر تساهم في ازدهار الأوضاع الاقتصادية في مصر في عصر الإخشيديين (٣٢٣ ـ ٣٥٨هـ)، الذين واصلوا سياسة الطولونيين وازداد توسع نشاط التجار العرب والفرس واليهود زمن الإخشيديين وامتلأت أسواق الفسطاط بالسلع الشرقية وخاصة العنبر(٣). وحل العهد الفاطمي "العبيدي" (٣٥٨ ـ٥٦٧هـ) الذي ازدهرت فيه التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر، وتمتع اليهود بمكانة كبيرة لدى العبيديين، بل يذكر لومبارد أن القائد الفاطمي المشهور جوهر الصقلي يهودي

---

(١) القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٥٦ـ٥٨، وانظر السالم، البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ص١٦.

(٢) القوصي: المرجع السابق، ص٦٩ـ٧١، والسالم، المرجع السابق، ص ١٧.

(٣) القوصي: المرجع السابق، ص٧٩، والسالم، المرجع السابق، ص١٨.

الأصـــل مـــن إيطالـــيا الجنوبية، وكذلك يعقوب بن كلس وزير العزيـــز الفاطمـــي، والتشتري خلال الوصاية على المستنصر، والوزير بن نغريلة اليهودي في الأندلس، مشيراً إلى الطعن في نســـب الفاطميـــن أنفسهم، حيث يذكر أنهم ينحدرون من أصل يهودي[1].

ومما يؤكد على ازدهار التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر مـــا ورد مـــن خطابات ومراسلات في وثائق الجنيزة التي عُثر علـــيها في سيناجوج معبد اليهود بالفسطاط بالقرب من القاهرة ســـنة ١٨٨٩ـــ١٨٩٠م، ومجموعة أخرى في مقبرة البساتين بالقرب من القاهرة في سنة ١٨٩٧، ونقلت معظم هذه الوثائق إلـــى مكتـــبات أوروبـــا وأمريكا، واشتملت على وثائق قانونية وخطابـــات، ومراســـلات، وقوائم حسابات، وسجلات قضائية، وعقـــود إيجـــارات، ومقايضـــة، ومشاركة، واستبدال، ووصايا وهـــبات، وعـــتق وفتاوي، وتعاويذ سحرية، وأجزاء من كتب عربـــية وعـــبرية، وكتب معظم هذه الوثائق بالعربية وبحروف عبرية[2].

مـــع العلـــم أن غالبية هذه الوثائق المتعلقة بتجارة البحر الأحمـــر والمحـــيط الهندي عبارة عن خطابات بُعثت من عدن وجـــدة وغـــيرهما من موانئ البحر الأحمر، وكذلك من موانئ الهـــند إلى مدينة الفسطاط بمصر، ورسائل متبادلة بين موانئ البحر الأحمر[3].

---

(١) موريس: الجغرافيا التاريخية، سبق ذكره، ص٢٧٨.

(٢) حسنين محمد ربيع: البحر الأحمر في العصر الايوبي، سبق ذكره، ص١١٣، وانظر القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص١٤ـ١٥.

(٣) حسنين محمد ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص١١٤، وانظر القوصي في تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٨٥.

وتمثلــت التجارة الشرقية التي تحدثت عنها وثائق الجنيزة فــيما عُرف بتجارة الكارم أو الكارمية، وهم مجموعة من كبار الــتجار عملــوا فــي تجارة الهند والشرق الأقصى في التوابل وغيرها انطلاقاً من المحيط الهندي، وقد اختلف في أصل مسمى الكارمــية، ونشأتهم أيضاً، فمن الباحثين من يشير إلى أن اسم الكــارم اشــتق من الكانم وهي منطقة من السودان الغربي تقع بيــن بحــر الغــزال وبحــيرة تشــاد، فانتشر اسم الكارم بين المتداوليــن لتجارة التوابل، ومنهم من يشير إلى أن مجموعة من هؤلاء التجار عرفوا باسم التكرور نسبة إلى مملكة التكرور الواقعــة شــرقي مالي، ومن التكرور أطلق اسم الدكرور على ميناء بولاق النيلي، فعرفت ببولاق الدكرور نسبة التكرور الذين كانت تصل بضائعهم من قوص عبر النيل إلى بولاق. ومنهم من يعــتقد أن كلمة الكارمية او الكارم اخذ عن نوع من التوابل هو "الحبهان" ويلفظ في اللغة الأمهـــرية (كاراريما Kuararima)، ويــرجح آخــرون أن الكلمــة ليست عربيــة بــل هــنــدية مــن جنوب الهند بلغة "التامل" فقـــد ظهرت كلمة "كاريــام Karyam" التي تعني في مقطعين "كار بمعنى عمل أو حرفة، ويم بمعنى البحر" أي بمعنى "العمل في تجارة البحر"[١].

(١) القوصي: ص١٠١-١٠٣، وانظر السالم: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ص٣٠-٣١.

إلا أن نشأة هذا النشاط التجاري كانت في العهد العبيدي الفاطمي[١]. ويرى القوصي[٢] أن التجار اليهود شاركوا في تجارة الكارم طوال عهد الفاطميين والأيوبيين إلا أن حسنين يعارضه بشدة وينفي اشتراك اليهود والمسيحيين في تجارة الكارم، بل يرى أنها اقتصرت على التجار المسلمين دون سواهم[٣]. ومع انطلاقة القرن السادس الهجري شاعت كلمة الكارم في بيوت المصريين بالقاهرة[٤]، وكما سبقت الاشارة فقد سيطر الكارمية على تجارة البحر الأحمر والمحيط الهندي في مجال تجارة التوابل خاصة وسلعاً أخرى جلبوها من عدن لينقلوها إلى المدن الإيطالية، فكان الفلفل والبهار من أهم سلعهم، وهما من أهم المطالب التجارية في اوروبا، وكذلك الحاصلات الزراعية والملبوسات والحرير الخام، والخشب، والرقيق، والسكر، والأسلحة، وأدوات الزينة، وبقيت التوابل تمثل الصدارة في تجارة الكارمية مثل القرفة والقرنفل والخلنجان والزنجبيل، والراوند والكافور، والعود الهندي وحب الهال "الحبهان" وجوزة الطيب والزعفران، وكذلك من العطور

---

(١) القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٩١-٩٣.

(٢) المرجع السابق، ص٩٢، ص٩٩، ص١٠٠، ص١٧٣-١٧٥.

(٣) البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص١١٥.

كما أن د/ نعيم زكي فهمي: يؤيد وبقوة رأي محمد ربيع حسنين مؤكداً أن (طائفة الكارمية كانت هيئة متماسكة جعلت من الإسلام أساس وحدتها وعصبيتها فلم يوجد بين الكارمية أي يهودي، وإن لم يمنع قبولهم للتاجر اليهودي الذي يعتنق الإسلام ويتوارثه عنه أبناؤه كما يتوارثون التجارة، وليس أدل على ذلك من أن فنادقهم كان بها مساجد تحمل أسماؤهم وينفقون عليها من جهدهم الخاص) طرق التجارة الدولية، ص٣٠٩.

وينقل د/ السيد عبدالعزيز السالم في كتابه البحر الأحمر في التاريخ الاسلامي رأي صبحي لبيب في دراسته "التجارة الكارمية" ما يؤيد الرأي السابق لفهمي وحسنين من أن الكارمية طائفة إسلامية ومن دخل معهم من اليهود اعتنق الإسلام، ص٣٣-٣٤.

(٤) القوصي: المرجع السابق، ص٩٧.

البخور وعود الند والمسك وخشب الصندل والعنبر واللادن والمصطكي، إضافة إلى العاج والحرير والأحجار الكريمة[1].

ومـــن مراكـــز نشـــاط الكارمية التجارية الهامة في العهد الفاطمي عدن، وعيذاب، والقصير. وحقق الكارمية مكانة كبيرة فـــي العصـــور الوســـطى خاصـــة في العهود الثلاثة الفاطمي والايوبـــي والمملوكـــي، وشكلوا طبقات اجتماعية بارزة عُرفت بـــثرائها واتصـــالها بالســـلاطين والحكام، وأسهموا في إقامة المنشآت الدينية والمدنية والعلمية مثل بناء المساجد والمدارس والأربطـــة فـــي مصـــر والحجـــاز وغيرهما، واشتغل بعضهم بالـــتدريس والقضـــاء إضـــافة إلـــى التجارة[2] واستمر نشاط الكارمـــية فـــي العهد الأيوبي، (٥٦٧ـ٦٤٨هـ) فلعل من بين أهـــداف صـــلاح الديـــن الايوبي (رحمه الله) في السيطرة على الحجاز واليمن أهمية موقعهما التجاري في تجارة البحر الأحمر الشـــرقية، ورغبة في استمرار تجارة الشرق إلى عاصمة بلاده القاهرة[3].

وفـــي هـــذا العهـــد تعرضـــت موانئ الحجاز بدءً من أيلة (العقبة) لغزو صليبي تصدت له القوات الايوبية بكل قوة وعاد الـــبحر الأحمـــر بحيرة إسلامية كما سبق الحديث عن ذلك في الفصل السابق.

---

(١) حسنين: البحر الأحمر، ص١١٦، وانظر القوصي: المرجع السابق، ص١٠٣.

(٢) حسنين: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، ص١١٦، وانظر السالم: البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ص٣٢.

(٣) حسنين: البحر الأحمر ، ص١٠٦ـ١٠٧.

واقتفى خلفاء صلاح الدين أثره في الحفاظ على البحر الأحمر بحراً إسلامياً، وقامت موانئ البحر الأحمر الغربية والشرقية مثل عدن وجدة وعيذاب وأيلة (العقبة) بدور رائد في تجارة الشرق[١].

وفي العهد المملوكي (٦٤٨ــ٩٢٣هــ) تنافس على اغتنام مكاسب التجارة الشرقية عبر البحر الأحمر ثلاث قوى سياسية حكام المماليك في مصر وحكام الحجاز "الأشراف"، وحكام اليمن من الرسوليين ثم الطاهريين، وقد كان يفترض أن يتم التعاون والتنسيق بين هذه القوى لتحقيق التكامل التجاري بينهم إلا أن العكس هو الذي حصل، فقد وقعت عدة صراعات سياسية وعسكرية أدت إلى اضطراب حال التجار وتنقلهم في موانئ البحر الأحمر الغربية والشرقية بحثاً عن الميناء الأكثر أمناً واستقراراً، فمن هروب من عدن إلى جدة إلى ينبع إلى عيذاب[٢]. لكن بقيت جدة عاصمة التجارة الشرقية بلا منازع طيلة العهد المملوكي حتى اختفت بجوارها الموانئ الأخرى بل انتهت تماماً مثل عيذاب والقصير[٣]. وللحفاظ على طريق البحر الأحمر وخاصة من بعد محاولة الصليبيين غزو الحجاز مُنع دخول الفرنج للبحر الأحمر حماية للأراضي المقدسة في الحجاز، وخشية من القضاء على تجارة المسلمين عبر البحر الأحمر، وأيضاً خشية من قيام تحالف مسيحي بين الحبشة، وأوروبا، إلا أن حكام مصر وفي فترات معينة سمحوا للإيطاليين بعبور البحر الأحمر بإذن خاص، إلا أنه اكتشف وجود تحالف بين ملك الحبشة إسحاق والفونسو الخامس ملك أراجون للقيام بحملة صليبية عام ٨٣٢هــ، فأغلق البحر

(١) حسنين، المرجع السابق، ص١١١-١٢٠.
(٢) محمد أمين صالح: تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، (البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة)، جامعة عين شمس، القاهرة، ١٩٨٠، ص١٦٠.
(٣) المرجع السابق، ص١٦٥.

الأحمر في وجه الأوربيين، إلا أن محاولات الأوروبيين لدخول البحر الأحمر لم تنقطع حتى قدوم الغزو البرتغالي في القرن العاشر الهجري[١].

أما عن التجارة الكارمية فقد تأثرت كثيراً في عهد المماليك الجراكسة للسياسة الاحتكارية التي اتبعها سلاطين المماليك الجراكسة (٧٨٤ـ٩٢٣هـ) وأجبروا أشراف مكة على إشراكهم في المكوس بميناء جدة مما لم يسبق له مثيل في علاقة حكام مصر بحكام الحجاز، بل استولى السلطان برسباي على مكوس جدة، حتى أصبحت جدة تابعة للسطان، فضيق على التجار وأمراء مكة وألزم التجار بعدم السفر إلى الشام مباشرة قبل المرور على مصر لتحصيل المكس من الجميع، وضاق الجميع بهذه الإجراءات داخل السلطنة المملوكية وخارجها، وأدى ذلك إلى ارتفاع أسعار التوابل وكافة السلع الشرقية، واحتكر السلطان التجارة الشرقية وسار على نهجه كبار رجال الدولة، فاحتكروا لأنفسهم سلعاً واشتروا أخرى وضج حتى تجار الغرب من هذه الاحتكارات الجائرة، وتوالت الاحتكارات حتى وصلت قمة قسوتها في عهد الغوري (٩٠٧ـ٩٢٢هـ) واستولى حسين الكردي نائب المماليك على جدة على عشرة أمثال العشر أي مايعادل قيمة السلعة نفسها[٢]. ونتج عن كل ذلك انهيار التجارة الكارمية ثم انهيارهم أيضاً كطبقة اجتماعية بارزة[٣].

---

(١) محمد أمين صالح: تجارة البحر الأحمر، ص١٦٧.

(٢) السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص١٦٥ـ١٦٨، ص٢٠١ـ٢٠٢.

وانظر الزهراني: عائض محمد عائض: الحجاز في عهد الشريف حسن بن عجلان، رسالة ماجستير، جامعة الملك عبدالعزيز، كلية الآداب، قسم التاريخ، عام ١٤١٢ـ١٤١٣هـ، ص٢١١ـ٢٢٣.

(٣) محمد أمين صالح: تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، ص١٧٥.

وكمـــا كانـــت نهايـــة الكارمـــية تجارياً على يد المماليك الجراكسة كانت نهاية دولة المماليك تجارياً على يد البرتغاليين الصـــليبيين، فـــبدافع صليبي؛ ودافع تجاري للبحث عن أماكن التوابل كان اهتمام البرتغاليين بالكشوف الجغرافية في الشرق، وقـــد قـــام الأمير البرتغالي هنري الملاح برحلة طاف بها رأس باجادور عام ١٤٣٤م (٨٣٨هـــ) وفي عام ١٤٤٥م (٨٤٩هـــ) أثمـــر تجوالهـــم عن اكتشاف الرأس الأخضر، وتواصل البحث بمحاذاة الساحل الإفريقي جنوباً، ففي عام ١٤٧١م (٨٧٦هـــ) مـــر البرتغاليون بخط الاستواء، وفي عام ١٤٨٧م (٨٩٣هـــ) وصلت رحلة برتغالية إلى أقصى الطرف الجنوبي وسماها ملك الـــبرتغال "رأس الرجاء الصالح" استبشاراً بمستقبل هذا الطريق المكتشـــف، وفي عام ١٤٩٧م (٩٠٣هـــ) تحركت رحلة فاسكو دي جاما متجهة إلى الهند الغربية، وفي عام (١٤٩٨م) (٩٠٤ هـــ) تحول طريق التجارة عبر المحيطات مهملاً طريق البحر الأحمر(١).

وتزايد نشاط البرتغاليين التجاري في الهند، وسيطروا على تجـــارة الـــتوابل، ففـــي سنة ١٥٠٢م (٩٠٨هـــ) عادت سفن بـــيروت بأربع بالات من الفلفل، ولم تجد السفن في الاسكندرية ماتحملـــه، ولـــم تعـــد ترى السفن إلا مرة كل عامين، وواصل البرتغالـــيون إستماله الأوروبيين المتعاملين تجارياً مع المماليك كالبندقية وباقي الإيطاليين، وعملوا من جهة أخرى على تدمير الاســـاطيل الـــتجارية للمسلمين من الأمراء الهنود، وترصدوا لسفن المسلمين عند مدخل البحر الأحمر، فما كان من السلطان الغـــوري وبعـــد عـــدة محاولات لاستمالة الاوروبيين "البنادقة" لعـــودة التجارة مع المماليك كسابق عهدها إلا أن أعد أسطولاً حربـــياً بقـــيادة حســـين الكردي الذي وصل إلى جوجيرات عام ١٥٠٧م (٩١٣هـــــ)، فباغـــت الأسطول البرتغالي وهزمه عند

---

(١) السليمان: علي حسين: النشاط التجاري في شبه الجزيرة العربية، ص ٢٨٠-٢٨١.

شـــول[1] عـــام ١٥٠٨م (٩١٤هـ) إلا أن البرتغاليين انتقموا لهزيمـــتهم بهزيمة الأسطول المملوكي وتدمير معظم سفنه عام ١٥٠٩م (٩١٥هـــ)، وانسحب حسين الكردي وتأثر السلطان المملوكـــي، وازداد طغيان البرتغاليين فترصدوا السفن العربية والمملوكـــية علـــى مدخل البحر الأحمر ومدخل الخليج العربي، واستولوا على حمولاتها، وانحصر دور المماليك في الدفاع عن البحر الأحمر بل والدفاع عن جدة فقط بعد هزيمة ديو[2]، وبقى الأمـــر فـــي مناوشـــات حـــتى مقتل السلطان الغوري على يد الســـلطان العثماني سليم الأول عام ١٥١٦م (٩٢٢هـ) ومقتل الكردي في بحر جدة غرقاً على يد أمير مكة من نفس العام[3].

---

(١) شول: ميناء صغير تابع لمملكة الدكن، ويقع جنوب سلطنة كوجران، بالقرب من الساحل الغربي للهند.

(٢) ديو: ميناء على خليج ديو على ساحل بحر العرب في اقليم جوجيرات الذي يقع في الركن الشمالي الغربي للساحل الغربي للهند. انظر: نعيم زكي: طرق التجارة، ص١٧١.

(٣) فهمي: نعيم زكي: المرجع السابق، ص٧١-١١٠، وانظر محمد طه صلاح بكري: الحجاز، (٨٥٩-٩٢٣هـ)، رسالة ماجستير، جامعة أم القرى، كلية الشريعة، عام ١٤١٠هـ- ١٩٩٠م، ص١٦٢-١٦٤.

ب) ـ صناعة السفن وأنواعها بالبحر الأحمر

١) نشأة صناعة السفن عند المسلمين:

قال الله تعالى: {فانطلقا حتى إذا ركبا في السفينة خرقها قال أخرقتها لتغرق أهلها لقد جئت شيئاً إمراً}(١) وقال تعالى: {أما السفينة فكانت لمساكين يعملون في البحر فأردت أن أعيبها وكان ورآءهم ملك يأخذ كل سفينة غصبا}(٢) وقال تعالى: {فأنجيناه وأصحاب السفينة وجعلناها آية للعالمين}(٣).

وورد في كتاب الله عز وجل مسميات أخرى للسفينة كالفلك وذات الالواح والدسر والجوار، والجارية، والجاريات، والسابحات في مواضع متعددة. إن ايراد هذه الأسماء للسفن في كتاب الله ومخاطبة العرب بها دليل على معرفتهم بها واستخدامهم لها في سفراتهم وتجاراتهم وهي من فضل الله على خلقه حيث عرفهم حكمة عمل السفن التي تجري على الماء حتى يستفاد من البحار في النقل والصيد واستخراج المعادن النافعة لهم وغيرها من كنوز البحار وما أودع الله فيها من عجائب خلقه.

وبعد الفتوحات الإسلامية وسيطرة المسلمين على أمم العجم، أصبح تحت أيديهم كل صاحب صنعة، واستخدموا ربابنة لحاجاتهم البحرية، فنقلوا بذلك صناعة السفن عن الأمم الأخرى، إلا أن هذا الأمر اقتصر على السفن الحربية والأساطيل العسكرية، أما صناعة السفن المدنية التجارية فقد ظهرت في بلاد العرب لأبناء السواحل العربية في الخليج العربي وبحر العرب والبحر الأحمر قبل الإسلام، ولعل الشاهد الكبير على ذلك هو الهجرة إلى الحبشة وكذلك الصلات التجارية بين أهل اليمن وأهل الخليج العربي من جهة وأهل الصين والهند من جهة

---

(١) سورة الكهف، آية (٧١).
(٢) سورة الكهف، آية (٧٩).
(٣) سورة العنكبوت، آية(١٥).

أخـــرى[١]. ولكـــن هناك من يذكر ان صناعة السفن انتقلت إلى بـــلاد العـــرب عن طريق المحيط الهندي أي من بلاد الهند لما يتوفر فيها من أخشاب لا تتوفر في بلاد العرب، ولأنها المصدر الأول لأخشـــاب صـــناعة السفن، فكانت تلك الأخشاب من أهم واردات مدن السواحل في شبة الجزيرة العربية[٢].

وقـــد أنشئت في مصر أول دار لصناعة السفن في التاريخ الإســـلامي عـــام ٥٤هـــ/٦٧٤م، وكان مقرها جزيرة الروضة فســـميت "صـــناعة الروضـــة" في عهد الخليفة معاوية بن أبي ســـفيان رضي الله عنه[٣]، ثم توالى إنشاء دور لصناعة السفن فـــي مدن عدة من البلاد الإسلامية في المشرق والمغرب، مثل بـــلاد الشـــام وبلاد المغرب وبلاد الأندلس[٤]. كما ظهرت أيضاً صناعة السفن في موانئ الحجاز، ففي جدة صُنعت السفن ذوات الشـــرع وذوات المجاديف وكذلك السواعي الكبيرة والصغيرة، ويطلق على مصنع السفن "القودي" أي الذي تُبنى فيه المراكب الكبيرة[٥].

---

(١) أحمد الشامي: العرب وصناعة السفن، بحث في دورية اتحاد المؤرخين العرب (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ - ١٩٩٤م، ص١٣٦-١٣٧.

(٢) حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥٢-٢٥٣، وأنظر الشامي: المصدر السابق، ص١٤٢-١٤٣.

(٣) سعاد ماهر: البحرية في مصر الإسلامية وآثارها الباقية، الطبعة الثانية، دار المجمع العلمي بجدة، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م، ص٣١٣.

(٤) الحموي: الاسطول العربي: ص٢٠-٢٤.

(٥) الانصاري: جدة، ص٤٥٦-٤٥٧.

كما عُرفت صناعة المراكب في العقبة، واستثمرت أخشاب جـبال الشـراة ومؤاب من أجل ذلك[١]. ومن بين الحرف التي مارسـها أهالـي السـرين بـناء المراكب البحرية كالفلوكات والهـواري والسـنابيك[٢]. وانتشـرت في ينبع صناعة السفن الشـراعية بمختلف الأحجام بأخشاب مستوردة، وأخرى محلية تُجلب من منطقة بواط والأجرد بمنطقة ينبع[٣].

٢) سفن البحر الأحمر:

تميزت سفن البحر الأحمر بأنها سفن خيطية تخاط بالليف، ولاتستخدم فيها المسامير (حتى نهاية القرن التاسع الهجري)، ونقـل الـرحالة المسـلمون أوصـافاً لهذه السفن تبين طرق وأسـاليب بـناء هذه السفن في موانئ البحر الأحمر، وخاصة ميـناء عـيذاب علـى السـاحل الإفريقي للبحر الأحمر. فيقول الإدريسـي (ت٥٦١ أو ٥٦٢) (ومراكب هذا البحر كلها مؤلفة بالدسـر[٤] ومخروزة بحبال الليف مجلفطة بدقيق اللبان ودهن كلاب البحر المعد لذلك)[٥]

---

(١) غوانمة: التاريخ الحضاري لشرقي الاردن، ص١١٤.

(٢) الزيلعي: ميناء السرين، ص١٩٣، وأنظر الفقيه: مدينة السرين، ص ٨١.

(٣) الخطيب: تاريخ ينبع، ص١٣٠.

(٤) الدُسُر: خيوط تُشد بها ألواح السفينة، وقيل هي المسامير. قال الله تعالى: {وحملناه على ذات ألواح ودسر} ونقل لها ابن كثير في تفسيره عدة معاني منها المسامير وأضلاع السفينة. والدسر الدفع بقوة. انظر مختار الصحاح للرازي، ص٨٦، وتفسير ابن كثير، ج٤، ص٢٦٥.

(٥) نزهة المشتاق في إختراق الآفاق، ج١، ص١٣٦-١٣٧.

وفـــي موضع آخر يقول : (وبالقلزم تنشأ السفن السائرة فـــي هـــذا البحر وإنشاؤها شيء طريف وذلك أن الكلكل ينبسط علـــى الأرض عريضاً ثم لايزال اللوح يتركب منه على مالصق بـــه حـــتى يتهندم ثم يجوز بحبال الليف والدسر ويوصل بينهما بالجســـور الماسكة، فإذا كمل ذلك بأسره جلفط بالشحم المتخذ مـــن دواب الـــبحر ودقاق اللبان، وقيعان مراكبه عراض دون تعميق في تركيبها لتحمل بذلك كثير الوسق ولاتدرس على كبير عمق)[1].

ويصف هذه السفن ابن جبير وصفاً أكثر وضوحاً فيقول : (والجـــلاب التـــي يصرفونها في هذا البحر الفرعوني[2] ملفقة الإنشـــاء لا يُستعمل فيها مسمار البتة إنما هي مخيطة بأمراس مـــن القنـــبار وهو قشر جوز النارجيل يدرسونه إلى أن يتخيط ويفتلون منه أمراساً يخيطون بها المراكب ويخللونها بدسر من عـــيدان الـــنخل، فإذا فرغوا من إنشاء الجلبة على هذه الصفة سقوها بالسمن أو بدهن الخروع أو بدهن القرش، وهو أحسنها وهذا القرش حوت عظيم في البحر يبتلع الغرقى فيه، ومقصدهم في دهان الجلبة ليلين عودها ويرطب لكثرة الشعاب المعترضة فـــي هذا البحر ولذلك لايصرفون فيه المركب المسماري. وعود هـــذا الجلاب مجلوب من الهند واليمن، وكذلك القنبار المذكور، ومـــن أعجب أمر هذه الجلاب أن شُرعها منسوجة من خوص شـــجر المقـــل، فمجموعها متناسب في اختلال البنية ووهنها، فسبحان مسخرها على تلك الحال والمُسلّم فيها لا إله سواه)[3].

(١) المصدر السابق، ج١، ص٣٤٨-٣٤٩.
(٢) البحر الفرعوني: الذي ورد في وصف ابن جبير والتجيبي يُقصد به البحر الأحمر.
(٣) رحلة ابن جبير، ص٤٦-٤٧.

ورغم الوهن الذي يشير إليه ابن جبير إلا أن هذه السفن كانت تحمل أعداداً ليست بالقليلة من الحجاج، وكانت تحمل أيضاً الجمال لتباع في أسواق مكة والمدينة خاصة لأشراف مكة فيذكر ابن بطوطة (ت ٧٧١ أو ٧٧٩) أنه ركب من جدة في مركب يسمى الجلبة، وركب الشريف منصور بن أبي نمي في جلبة أخرى وطلب من ابن بطوطة ان يرافقه لكنه رفض لأن معه في جلبته جمالاً محمولة خاف منها[١]. ويوافق المقريزي في وصفه لسفن البحر الأحمر وصف ابن جبير قائلاً : (وجلباتهم التي تحمل الحجاج في البحر لايستعمل فيها مسمار البتة إنما يخيط خشبها بالقنبار وهو متخذ من شجر النارجيل ويخللونها بدسر من عيدان النخل ثم يسقونها بسمن أو دهن الخروع أو دهن القرش وهو حوت عظيم في البحر يبتلع الغرقى، وقلاع هذه الجلاب من خوص شجر المقل)[٢].

وقد حاول عدد من المؤرخين القدامى والمحدثين إيجاد تفسير لاستعمال الخيط بدل المسمار في هذه السفن، فهناك من يذكر أن هذه الطريقة الخيطية في بناء السفن مستفادة من الهند التي يستورد منها أخشاب الساج واستخدام الحبال والخشب أكثر من المسامير لأن المسامير لم تكن قد صنعت بكثرة بعد، ورغم الضعف الذي أشار إليه عدد من المؤرخين والرحالة في هذه السفن إلا أنها عاشت فترة طويلة من الزمن تمخر عباب البحر الأحمر والمحيط الهندي، إلا أنه كان على أهل صناعة هذه السفن صناعة سفن كبيرة كالسفن الصينية لأنها ستكون عرضة لصدمات الرياح والأمواج العاتية، وظهر سبب تغلب عليه المبالغة نقله عدد من المؤرخين عن كاتب هندي يزعم فيه أن سبب الابتعاد عن المسامير في صناعة السفن في البحر الأحمر هو وجود صخور من المغناطيس تجذب السفن المثبتة

(١) تحفة النظار في غرائب الأمصار وعجائب الأسفار (رحلة ابن بطوطة): تحقيق عبدالهادي التازي، ج٢، ص٩٨.
(٢) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار: ج١، ص٢٠٣.

بالحديد وتغرقها[١]، وحاول المسعودي تقديم سبب آخر بدعوى أن مراكـب البحر الحبشي "الأحمر" لايثبت فيها مسامير الحديد لأن ماء البحر يذيب الحديد، فترق المسامير في البحر فتضعف، لـذا اتخـذ أهلها الخياطة بالليف بدلا عن المسامير[٢]، ورغم مايـبدو مـن منطقيـته إلا أنه علمياً غير مقبول لأن البحرين المتوسـط والأحمر لايختلفان في درجة الملوحة أو غيرها من الخصـائص الكيميائـية إلا بنسبة محدودة جداً، كما عُرف أن ألـواح خشـب السـاج الهندي لاتتلف الحديد كما تتلفه ألواح البلوط في البحر المتوسط[٣]. ويرى حوراني أن هناك سبباً هاماً وهـو الغـلاء النسـبي لبناء سفن الحديد دفع إلى بقاء السفن الخيطـية رغـم وجود الحديد في مناطق متعددة كالهند وإيران ومصـر[٤]. ويستمر البحث عن الاسباب لهذه الطريقة من بناء السـفن فيـنفرد ابن جبير بأن هذه السفن يتم جلفطتها أي سد مابين ألواحها بدسر من عيدان النخل، والآخرون يذكرون فقط أن هـذه السفن كانت تسد بالقار أو دهن الحوت كما سبق ذكر ذلك في نصوص الرحالة.

---

(١) حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٥٢-٢٥٥، وانظر سعاد: البحرية في مصر الإسلامية، ص١٩٤-١٩٥.

(٢) حوراني: المرجع السابق، ص٢٥٦، وسعاد: المصدر السابق، ص ١٩٦، وانظر تفاصيل عن البحر الحبشي: المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٠٥-١١٠.

(٣) حوراني: المرجع السابق، ص٢٥٧، وسعاد: المرجع السابق، ص ١٩٦.

(٤) العرب والملاحة في المحيط الهندي: ص٢٥٧-٢٥٨.
وأنظر عبدالعزيز العبيدي: التجارة والملاحة في البحر الأحمر في عصر المماليك، رسالة ماجستير، ص٢٧٨-٢٨٧.

ومن الباحثين من يشير إلى أن صناعة سفن البحر الأحمر الخيطـية لم تظهر من الهند فقط أو من بنات أفكار أهل موانئ البحر الأحمر فقط بل لعل لها أصولاً مصرية فرعونية مشيراً إلى التشابه الكبير بينها وبين طريقة السفن الفرعونية وخصائصها فكلاهما يعتمد في تثبيت الالواح على الخيوط أو الحبال وعلى الدسر الخشبية وكان يطلق الفراعنة على هذا النوع من السفن اسم "كبنت او كبني" وهو اسم آخر للميناء اللبناني "جبيل" الواقع شمال بيروت بعدة كيلو مترات، ويعود سبب ذلك لاستفادتهم من خشب الارز الذي يستورد من لبنان، كما ظهر من الآثار الفرعونية رسوم لنجارين يخيطون هذه السفن ومكتوب بجوارهم كلمة هيرغليفية تقرأ "سَبَتْ" وتنتهي بحبل ملفوف وكلمة "سبت" تطلق على السلة في هذه الأيام مما يوحى بالتشابه بين الطريقتين صناعة السلال؛ وصناعة السفن الخيطـية، ويؤكد الباحث أن دعوى صناعة السفن الخيطية في مصر الفرعونية لم يكن مجرد استنتاجات بل ثابتة بالأدلة الأثرية، فقد كشفت بعثة حفائر في عامي ١٩٧٦ـ١٩٧٧ عن موقع ميناء فرعوني في منطقة تسمى "مرسى جواسيس" جنوب سفاجة بـ(٢٢كم)، ووجدت مجموعة من الآثار الحجرية المنقوشة بالكتابات الهيروغليفية عليها نصوص تشير إلى تكاليف ميناء سفن على شاطئ النيل لإرسالها إلى ساحل البحر الأحمر الإفريقي وكذلك الإشارة إلى بناء هذه السفن أيضاً على ساحل البحر الأحمر ثم إرسالها عبره[1].

وطريقة بناء هذه السفن سواء في البحر الأحمر أو السواحل العربية الأخرى تتمثل في وضع قاعدة المركب فوق عدد من الكتل الخشبية ذات أطوال وارتفاعات متساوية،

---

(١) عبدالمنعم عبدالحليم سيد: الأصول المصرية القديمة للسفن الإسلامية في البحر الأحمر، دورية اتحاد المؤرخين العرب، سبق ذكره، ص٧٠-٧٤.

وتوضـــع على أرض شاطئ مستوية ليسهل إنزال السفينة إلى البحر بعد صناعتها.

وتـــتكون القاعدة من خشب الساج أو اللبخ او السنط لقوة هذه الأخشاب وتجلب عيدان سبق أعدادها وترقيمها فيحفر لها في القاعدة قواعد او كراسي تعتمد عليها ثم تثبت هذه العيدان بكوابـــيل من الخشب بدل المسامير، بالإضافة إلى ربطها بحبال قويـــة مجدولـــة من شجر جوز الهند (القنب) بعد أن تكون قد سُـقيت هـــذه الحـــبال ونقعت في دهن الحوت أو ماشابهه من الدهون ولمزيد من التثبيت تشد هذه العيدان بأحزمة أفقية تمتد مـــن المؤخـــرة إلـــى المقدمـــة من الألواح الخشبية العريضة والسميكة، ثم يُدعم هذا الهيكل بعارضتين أو ثلاثة إحداهما في المقدمـــة والأخرى في المؤخرة، والثالثة قد تكون في منتصف الســـفينة وتكون في مستوى أفقي واحد. ويأتي بعد ذلك إعداد الألـــواح الخشـــبية التـــي تغطي العيدان وتكسوها من الخارج، ويُقـــدر عرضها مابين ١٤ و١٨سم، وبسمك ٣-٥سم، فتثقب ثقـــوب رفـــيعة على مسافات متساوية عند حافتي اللوح وتعد ممرات عمودية مع هذه الثقوب على الألواح حتى يسهل مرور الحـــبال المتينة عبرها، ثم ينطلق بناة السفينة في تغطية الهيكل مـــن الخـــارج بتثبيـــت هذه الألواح بدءاً بالقاعدة، حتى أعلى الســـفينة مع تزامن عملية الجلفطة، ثم تركب الدفة في مؤخرة السفينة، وتدهن السفينة من الخارج بدهن الحوت منعاً لتسرب المياة بداخل السفينة، وبعد الإنزال البحري يتم تركيب الصواري والشرع، وتعد المجاديف[1]، فتجري في البحر وترسي بسم الله وعلى بركته.

(١) أحمد الشامي: العرب وصناعة السفن، سبق ذكره، ص١٣٩ـ١٤١.

ويجــدر بالذكر ان هذه السفن تتميز بانتهائها بطرف حاد فــي المقدمــة والمؤخرة خلاف ما ظهر فيما بعد القرن التاسع كظهــور المؤخــرة المربعة نتاج التأثير الأوروبي منذو الغزو البرتغالي في القرن العاشر الهجري(١).

كما كانت السفن تحمل فوق ظهرها مراكب صغيرة من مثل القــارب والدويــنج، ويســتفاد مــنها للنجاة أو الملاحة على الشــاطئ، وفــي الأوقات الحرجة تزود بصار وشراع، كما كان العرب يحملون معهم أحياناً مراكب صغيرة للبيع قد تصنع فوق ظهر السفينة(٢).

ومن أهم أجزاء السفن العربية ومعداتها في البحر الأحمر والمحيط الهندي بسواحله العربية:

١ ـ الهــراب: وهــو تلــك الخشبة الأساسية التي تقام عليها السفينة(٣).

٢ ـ القلــع بالكســر "الشــراع" والجمع قلاع(٤)، وتنسج هذه الشرع من أوراق جوز الهند أو سعف النخيل أو من نسيج الأشــرعة القطنــي، وقــد تميزت السفن العربية بالشراع المثلــث الشكل(٥). كما أطلقت تسميات أخرى على الشرع فــي موانــئ الحجــاز مثل "ينبع" "كالكبيري" وهو شراع الســفينة الكبــير و"الفتينــي" وهــو الشــراع المتوســط للسفينة(٦).

(١) حوراني: العرب والملاحة، ص٢٤٢.
(٢) المرجع السابق، ص٢٦٣.
(٣) الخطيب: تاريخ ينبع، ص١٣٠.
(٤) الحموي: تاريخ الأسطول العربي، ص٥٠.
(٥) حوراني:المرجع السابق، ص٢٦٥-٢٦٦.
(٦) الخطيب: تاريخ ينبع، ص١٣١.

٣ ـ الصـــواري: ويسمى الدِّقل أو الدَّقل، ومعناه "جذع النخلة" وبالتالـــي يصـــنع من جذوع النخل أو شجر جوز الهند أو خشب الساج أيضاً وقد يكون للسفينة أكثر من صاري[١].

٤ ـ دفـــة السـفينة (السُـكان) وكانـــت دفـــات السفن تحرك بحبليـــن[٢]. وتوجـــد دفـــة على كل جانب خشية ميل أحد الجانبيـــن بفعل الرياح فترتفع بذلك الدفة عن سطح الماء فينعدم أثرها[٣].

٥ ـ الدســـار أو الدســـر وهـــي الخـــيوط التي تشد بها ألواح السفينة، وتعرف أيضاً بالمسامير[٤]، وقد تسمى أيضاً هذه الخـــيوط بـــ"القلفـــاط" وهي الخيوط العازلة بين أخشاب السفينة بعد مزجها بالزيت أثناء صناعة السفينة[٥].

٦ ـ القَلْـــسُ : وهو حبل السفينـــــة، ويطلـــــق عليه الجمل لضـــخامته، ومكـــون مـــــن ليـــف أو خـــــوص[٦]. وقد يطلـــق عليه "المدة": أي حبال السفينة[٧].

٧ ـ الشلمان: وهي الأخشاب التي تربط الواح السفينة[٨].

---

(١) حوراني: العرب والملاحة، ص٢٦٣-٢٦٤.
(٢) الحموي: الاسطول، ص٥٠.
(٣) حوراني: العرب والملاحة، ص٢٦١.
(٤) الحموي: المرجع السابق، ص٥١.
(٥) الخطيب: تاريخ ينبع، ص١٣١.
(٦) الحموي: المرجع السابق، ص٥١.
(٧) الخطيب: المرجع السابق، ص١٣١.
(٨) المرجع السابق، ص١٣١.

٨ ــ المجداف: أو المجذاف، ومأخوذة من جدف الطائر[١].

٩ ــ النحر : ويطلق على موقع في قلب السفينة[٢].

١٠ــ الجؤجؤ : ويمثل صدر السفينة[٣].

١١ــ الميدة : عبارة عن خشبة كبيرة في قلب السفينة[٤].

١٢ــ الكوثل: ذنب السفينة[٥].

١٣ــ البروسي: عبارة عن الثقالة التي ترسو عليها السفينة[٦]، أو الأنجر (معرب لنكر) أي المرساة الغليظة[٧].

١٤ــ السلوقية: ويطلق على مقعد ربان السفينة[٨].

١٥ــ العقربان: وهي مجموعة من خيوط قماش مزركش ترفع على ظهر السفينة عند عودتها أو في الاعياد[٩].

---

(١) الحموي: الأسطول، ص٥٠.
(٢) الخطيب، تاريخ ينبع، ص١٣١.
(٣) الحموي: الأسطول، ص٥١.
(٤) الخطيب، المرجع السابق، ص١٣١.
(٥) الحموي: المرجع السابق، ص٥١.
(٦) الخطيب: المرجع السابق، ص١٣١.
(٧) حوراني: العرب والملاحة، ص٢٦٢.
(٨) الحموي: المرجع السابق، ص٥١.
(٩) الخطيب: المرجع السابق، ص١٣١.

٣) ـ طاقم السفينة:

سيتبين لنا من المصطلحات الملاحية التالية تأثرها بمسميات فارسية وهندية ولاتينية:

١ ـ اشتيام أو استيام: رئيس ملاحي السفينة[١] أو الملاح والمرشد[٢].

٢ ـ ربان السفينة: القائد أو الريس[٣] أو النوخذا أو الناخذا. وقد تطلق كلمة النوخذا على صاحب السفينة[٤].

٣ ـ الفرادي : مساعد قائدا السفينة[٥].

٤ ـ كراني او قراني : من يقوم بالكتابة ومسك دفاتر السفينة[٦].

٥ ـ المقدم : وهو من يتولى المسئولية عن إدارة الأعمال داخل السفينة من أكل أو شرب[٧].

٦ ـ الصقير : هو من يقوم بخدمة طاقم السفينة[٨].

---

(١) حوراني: العرب والملاحة، ص٢٧٩ (تعليق المترجم)، وانظر أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار، ص٢٨.
(٢) أحمد الشامي: العرب وصناعة السفن، ص١٤١.
(٣) أنور عبدالعليم: الملاحة، ص٢٨.
(٤) أحمد الشامي: العرب وصناعة..، ص١٤١.
(٥) الخطيب: تاريخ ينبع، ص١٣٠.
(٦) أحمد الشامي: العرب وصناعة السفن، ص١٤١.
(٧) الخطيب: تاريخ ينبع، ص١٣٠.
(٨) المرجع السابق، ص١٣٠.

٧ ـ باتيلي أو بنجري : مراقب المركب[١].

٨ ـ ساهانج / رايس : موجه الدفة (السكان) وهم ما بين ٢ـ ٣[٢]. وأما البحارة يقدر عددهم مابين ١٠ــ٢٠ بحاراً على ظهر السفينة[٣].

٤) ـ أنواع السفن العربية:

ظهرت سفن عديدة صالت وجالت في البحر الأحمر والمحيط الهندي في الفترة الإسلامية حتى سقوط السلطنة المملوكية عام ٩٢٣هـ منها ما اختفى قبل القرن العاشر الهجري، ومنها مابقي واستمر ما بعد القرن العاشر الهجري وشمله التطوير والتجديد.

ومنها :

١ ـ جلبة : وتجمع على جلاب وجلب وجلبات، وقد امتطاها أهل مصر والحجاز واليمن في نقل الحجاج والمؤن، وذكرها الرحالة العرب، وتحدثوا عن طريقة بنائها دون مسمار، فكانت تنقل البضائع فيما بين أيلة "العقبة" وعيذاب وبلاد اليمن[٤].

٢ ـ خيطي وخيطية : نوع آخر من الجلاب، وتجمع خياطي، وخيطيات وتصنع من خشب الساج الهندي، ولايدخل المسمار في تثبيت ألواحها.

---

(١) أحمد الشامي: العرب وصناعة السفن، ص١٤١.
(٢) المرجع السابق، ص١٤١.
(٣) المرجع السابق، ص١٤١.
(٤) النخيلي: درويش، السفن الإسلامية على حروف المعجم، جامعة الإسكندرية، ١٩٧٤م، ص٢٢٧. الشامي: العرب وصناعة السفن، ص ١٥٢، وسعاد: البحرية في مصر الإسلامية، ص٣٣٨.

وتقـوم بمهمـة نقـل المسافرين والبضائع والتجارات المختلفة من وإلى الهند والصين كما استخدمها المماليك في أسطولهم الحربي[1].

٣ ـ الهوري : والجمع هواري، ويعتقد أن أصل الكلمة هندي، وتطلق على القوارب الصغيرة، وتتراوح أطولها مابين ١٠ ـ٢٠ قدمـاً، وتسـتخدم في نقل البضائع لمسافات قصيرة، وله شهرة كبيرة في السواحل العربية[2].

٤ ـ السنبوك أو البنوق أو الصنبوق:

وهـو مـن أكـبر وأشهر السفن العربية في السواحل العربـية فـي الـبحر الأحمر وبحر العرب والخليج العربي والمحـيط الهـندي، وكان يصنع في الخليج العربي والبحر الأحمـر ويستخدمه أهل الحجاز في نقل المواد التجارية بين موانـئ الحجـاز بخاصة وموانئ البحر الأحمر بعامة، وقد يحمـل مـن تسـعين طـناً إلى مائة طن، ويساهم في نقل المنـتجات المحلـية في الحجاز كالفحم والحنا والتمور إلى موانـئ البحر الأحمر الاخرى كعدن والسويس، إضافة إلى دوره فـي نقل السلع والبضائع من المحيط الهندي والخليج العربي إلى الحجاز[3].

---

(١) النخيلي: السفن الإسلامية، ص٤٣، سعاد: المرجع السابق، ص٣٤٢، الشامي: المرجع السابق، ص١٥٤.

(٢) الخطيب: تاريخ ينبع، ص١٣٠، الشامي: المرجع السابق، ص١٦١، الأنصاري: موسوعة تاريخ مدينة جدة، ص٤٥٨، النخيلي، المرجع السابق، ص١٥٣.

(٣) الخطيب: تاريخ ينبع، ص١٣٠، سعاد: البحرية..، ص٣٤٨، الشامي: العرب..، ص١٥٦، الأنصاري: موسوعة..، ص٤٥٨.

٥ ـ القطـيرة : وجمعهـا قطائر وهي نوع آخر من السنبوك، وتسـتعمل فـي الـبحر الأحمر ونيل مصر، وتستعمل في الشحن من الموانئ القريبة[١].

٦ ـ برعانـي : استعمل في البحر الأحمر، ولبراعة بحارته في استعمال المجاديف وسط أهوال البحر حمل اسم برعاني[٢].

٧ ـ ترانكـي : من السفن الصغيرة التي استخدمت في سواحل الجزيرة العربية[٣].

٨ ـ جـرم : زورق مـن زوارق اليمـن، ويجمـع بـ جروم وجرومات وعرف في مصر والشام أيضاً[٤].

٩ ـ حـدوج : مـن مراكب النساء، واستخدم في البحر البحر والمحـيط الهندي وعرف قبل الاسلام وورد ذلك في معلقة طرفة بن العبد:

كأن حدوج المالكية غـدوة ∴ خلايا سفين بالنواصف من دد[٥]

١٠ـ داو، وداوة : وتجمـع داوات، وهي ذات الشراع الواحد وتقـدر حمولـتها بـ٢٠٠ طن، واستخدمت في السواحل العربية والهندية والإفريقية في شرق أفريقية، واستخدمت فـي تجـارة العبـيد، كما كانت تنقل التجارة الشرقية إلى موانئ اليمن والحجاز ومصر على البحر الأحمر[٦].

---

(١) الخطيب: تاريخ ينبع، ص١٣٠، الأنصاري: المرجع السابق، ص ٤٥٨، النخيلي: السفن الإسلامية، ص١٢٧.
(٢) سعاد: المرجع السابق، ص٣٣٤.
(٣) النخيلي: المرجع السابق، ص١٩، والشامي: المرجع السابق: ص ١٥٠.
(٤) النخيلي: المرجع السابق، ص٢٢.
(٥) التبريزي: شرح القصائد العشر، ص٧٥.
(٦) النخيلي: السفن الإسلامية، ص٤٥.

١١ـ الذهبية : كانت تستخدم في البحر الأحمر، وتقدر حمولتها ما بين ١٠٠ـ٤٠٠طن، وهي ذات ساريتين وأشرعة، ثم استقر بها المقام أن أصبحت سفينة نيلية بل منازل نيلية تجرها سفينة أخرى إذا أرادت الانتقال من مكان إلى آخر(١).

١٢ـ عشاري أو عشيري : بضم العين المهملة، والجمع عشاريات، استخدمت في البحر المتوسط، إلا أنها أيضاً استخدمت في البحر الأحمر ونيل مصر، واشتهرت في العهد العبيدي "الفاطمي" بمصر، وهي من القوارب الصغيرة(٢).

١٣ـ مسبحية : استخدمت في البحر الأحمر والمحيط الهندي(٣).

١٤ ـ البوت : تقدر حمولتها من ٣ ـ ٥ أطنان فقط(٤).

١٥ ـ القرقور : وهو من السفن الكبيرة، واستخدم لحمل البضائع والسلع التجارية، كما استخدم لنقل الحجاج من شمال أفريقية إلى مصر إلى الحجاز ومن السفن المساندة للأسطول الإسلامي(٥).

---

(١) سعاد: المرجع السابق، ص٣٤٧، والنخيلي: المرجع السابق، ص٥٠.
(٢) الشامي: المرجع السابق، ص١٥٩، النخيلي: المرجع السابق، ص٩٥.
(٣) سعاد: المرجع السابق، ص٣٦٨.
(٤) الأنصاري: المرجع السابق، ص٤٥٨.
(٥) الحموي: الأسطول، ص٣١، والنخيلي: السفن الإسلامية ، ص١٢١، والشامي: المرجع السابق، ص١٦١، وسعاد: المرجع السابق، ص٣٦٢.

١٦ـ الحـــراقة : وتجمـــع على حراقات وحراريق، وهي من السفن الحربية التي استخدمها المسلمون في أسطولهم في العصـــور الوســـطى، واستخدمت في مياه البحر المتوسط والنـــيل خلال الحروب الصليبية، ولكنها أيضاً دخلت مياه البحر الأحمر، وهي عربية المنشأ، فبها مرامي نيران على العـــدو، واسمها أشتق من مهمتها في إحراق سفن العدو بالنفط[١].

تلـــك بعضاً من أشهر السفن والمراكب التي عبرت البحر الأحمر.

وقـــد سبق ذكر أن البحر الأحمر منذ فتح مصر والشام في عهد الراشدين وانتهاءً بعهد المماليك كان بحيرة إسلامية، يمنع غـــير المسلمين من عبوره إلا في حدود ضيقة ولشئون تجارية فقـــط، لـــذا لم تقم في موانئه دور صناعة متخصصة لأساطيل حربـــية، مثل دور الصناعة الحربية التي أنشئت في بعض مدن مصر والشام والمغرب والاندلس، إلا أن ذلك لم يمنع من دخول الاســـاطيل الحربية الاسلامية للدولة الاسلامية إلى موانئ البحر الأحمـــر عـــندما تعرضـــت هذه الموانئ وخاصة موانئ الحجاز للغـــزو الصليبي في القرن السادس الهجري، والغزو البرتغالي في القرن العاشر الهجري. وقد شاركت سفن صنعت في موانئ الـــبحر الأحمـــر الشـــرقية والغربية الأسطول الإسلامي لدولة الأيوبييـــن، ودولـــة المماليك الدفاع عن الأراضي المقدسة كما سبق تبيان ذلك في الفصل السابق.

---

(١) الحموي: الأسطول، ص٣٤، والنخيلي: المرجع السابق، ص٣٢، والشامي: المرجع السابق، ص١٥٣، وسعاد: المرجع السابق، ص٣٣٩

٥) التاريخ الملاحي للمسلمين حتى نهاية القرن العاشر الهجري:

ما إن تدفقت موجات الإسلام تعلوها راياته الخفاقة داخل وخارج الجزيرة العربية حتى تدافع المسلمون فرادى وجماعات للرحلة والبحث والتنقيب بدافع قوي من دينهم الذي حثهم على السير في الأرض والاعتبار بآثار الأمم السالفة[١]، فقد ورد في كتاب الله تعالى في عدة مواضع الأمر بالسير للنظر في عاقبة الغابرين من المكذبين والمجرمين[٢]. فتنوعت الرحلات فمن رحلة فرار بالدين من أرض الشرك إلى أرض إسلام أو أمان على الدين كالهجرة إلى الحبشة، ثم الهجرة النبوية إلى المدينة، والرحلة السنوية إلى الديار المقدسة رحلة الحج[٣]، وقد قال الله تعالى في كتابه الكريم {وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالاً وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق}[٤].

---

(١) حميدة: عبدالرحمن: أعلام الجغرافيين العرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٠ هـ - ١٩٨٠م، دار الفكر، دمشق، ص٣٤.

(٢) الآيات الكريمة في سور يوسف (١٠٩)، الحج (٤٦)، الروم (٩)، فاطر (٤٤)، غافر (٢١-٨٢)، محمد (١٠)، آل عمران (١٣٧)، الأنعام (١١)، النحل (٣٦)، النمل (٦٩)، العنكبوت (٢٠)، الروم (٤٢).

(٣) نواب: عواطف محمد يوسف: الرحلات المغربية والأندلسية، مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض، ١٤١٧هـ - ١٩٩٦م، ص٣٥-٣٦.

(٤) سورة الحج، ص٢٧.

وانطلاق الفتوحات الإسلامية داخل وخارج الجزيرة العربية شرقاً وغرباً حتى وصلت إلى أطراف الصين شرقاً، وأطراف فرنسا غرباً، وكذلك رحلة التجارة[1]. براً وبحراً بشهادة الحق جل وعلا في كتابه الكريم في سورة قريش، وفي آيات أخر منها قوله تعالى: {ربكم الذي يزجي لكم الفلك في البحر لتبتغوا من فضله إنه كان بكم رحيماً}[2]. ورحلات لطلب العلم التي وردت الآيات والأحاديث المتعددة في فضلها إذا قصد بها وجه الله عز وجل فقد قال المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم "...من سلك طريقاً يلتمس فيه علماً سهل الله له به طريقاً إلى الجنة، وما اجتمع قوم في بيت من بيوت الله يتلون كتاب الله ويتدارسونه بينهم إلا نزلت عليهم السكينة وغشيتهم الرحمة وحفتهم الملائكة وذكرهم الله فيمن عنده"[3] وتنوعت الرحلة في طلب العلم من طلب حديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم إلى الرغبة في معرفة بديع صنع الله سبحانه في الأرض والبحار والجبال ومعرفة الطرق والمسالك، وتقدير أبعاد البلاد بالفراسخ والأميال إلى معرفة الأماكن والجبال والأودية والأنهار والقفار، ومعرفة الأنساب، إلى المعرفة الفقهية في حكم البلاد المفتوحة صلحاً أو عنوة وما في حكمها من جزية أو خراج أو فيء، وما ارتبط بالسفر من أحكام شرعية في الصوم والصلاة إلى غير ذلك[4]. فظهرت كتب المسالك والممالك والبلدان والرحلات وخاصة التي اهتمت بالبحر سواء بشكل مستفيض أو بشكل مقتضب، ففي القرن الثالث الهجري ظهر مؤلف ابن خرداذبه أبوالقاسم عبيدالله بن عبدالله الجغرافي والأديب الفارسي "المسالك والممالك" وتضمن كتابه دليلاً للطرق البرية والبحرية، حيث يعتبر من أوائل من تحدث عن الطرق البرية

---

(١) عواطف نواب: الرحلات المغربية والأندلسية، ص٣٦.

(٢) سورة الإسراء: آية رقم (٦٦).

(٣) مسلم: بشرح النووي، ج١٧، ص٢١، وانظر نواب: الرحلات المغربية، ص٣٧.

(٤) حميدة: أعلام الجغرافيين العرب، ص٤٤-٤٥.

والـــبحرية خاصـــة، ثم تلاه ابن رسته ابو علي أحمد بن عمر الجغرافي والمعماري والاديب الفارسي، الذي أشتهر بموسوعته الضـــخمة "الأعـــراق النفسية" التي كتبها حوالي ٢٩١هـــ، ولا يـــتوفر مـــنها إلا الجزء السابع، وذكر أن البحار المعروفة في المعمـــورة خمسة هي بحر الهند، وبحر الروم وبحر الظلمات، والبحر الأسود، وبحر الخزر، كما أشار إلى الأقاليم التي تشرف علـــى هذه البحار متحدثاً عن حالة المد والجزر وأفضل أوقات الملاحـــة. كمـــا ظهر في نفس القرن ابن الفقيه أحمد الهمذاني الجغرافـــي والموســـوعي والأديب العربي. وله "كتاب البلدان" مورداً فيه كثيراً مما ذكره ابن خرداذبه وابن رسته عن البحار، مشـــيراً إلى أن البحار اثنين فقط هما بحر فارس وبحر الروم. ومـــن المؤلفـــات فـــي هـــذا المجال أيضاً "المسالك والممالك" للإصـــطخري، و"صـــورة الأرض" لابن حوقل، و"تقويم البلدان" لليعقوبـــي وهي من أواخر القرن الثالث : وأواخر القرن الرابع الهجـــري، ويعتـــبر مؤلـــف المسعودي، "مروج الذهب ومعادن الجوهـــر" من المؤلفات الجغرافية التاريخية الهامة ففيه فصول عـــن البحار والمد والجزر، كذلك للمقدسي كتابه الهام في هذا المجال "أحسن التقاسيم في معرفة الاقاليم" وقد تناول في كتابه هـــذا أخـــبار البحار والمد والجزر بأحسن ممن سبقوه. وتحدث عـــن الـــبحر كـــل من محمد بن سنان البتاني في كتابه (الزيج الصابي) وسهراب في كتابه (عجائب الاقاليم السبعة) ومحمد بن أحمد البيروني في كتابه (تحقيق ما للهند من مقولة مقبولة في العقـــل أو مرذولة). حتى ظهر الشريف الإدريسي صاحب كتاب "نزهة المشتاق في اختراق الآفاق" أوائل القرن السادس وحقق كتابه شهرة واسعة في المشرق والمغرب، وتميز الكتاب بجمع مـــادة جغرافـــية فلكـــية ووصـــفية واعتمد على عدد كبير من الخرائط توضح الأقاليم التي وصفها، كما عُرف عنه قيامه بعمل مجســـم للكرة الأرضية من الفضة مبيناً عليه مواقع البلدان في الأرض المعمـــورة آنـــذاك، وذلك بطلب من حاكم صقلية روجر الثاني.

وفـــي كـــتابه تقويـــم الـــبلدان "أورد أبو الفدا عماد الدين إســماعيل (٦٧٢ـ٧٣٢) معلومـــات هامـــة عن البحار والمد والجـــزر، مشـــيراً إلى بلادٍ بعيدة زارها مثل بريطانيا وإيرلنده، ويعاصره شمس الدين محمد بن أبي طالب الأنصاري المعروف بالدمشـــقي أو شيخ الربوة، ومن كتبه (نخبة الدهر في عجائب البر والبحر). ويعتبر كتاب ابن بطوطة الرحالة المغربي ابو عبد الله محمد بن إبراهيم اللواتي الطنجي المتوفي ما بين (٧٧١ أو ٧٧٩) "تحفـــة الأنظـــار فـــي غرائـــب الأمصار" من أمتع كتب الـــرحلات، وقد سبقه من الرحالة المغاربة ابن جبير المتوفى (٦١٤هـــــ) فـــي رحلـــته المشـــهورة مـــن الأندلس إلى الديار المقدســـة[1]. وقد وجدت العديد من المؤلفات التي تحدثت عن الـــبحار بشكل أو بآخر، وليس هذا مقام إحصائها، إنما الهدف الإشـــارة إلـــى هـــذا التراث الجغرافي الضخم الذي خلفته الأمة الإسلامية على مر العصور.

---

(١) غيثان بن علي بن جريس: البحر في كتب التراث الإسلامي، بحث في دورية اتحاد المؤرخين العرب "الحضارة الإسلامية وعالم البحار"، ١٤١٤هـ - ١٩٩٣م، ص٩٨ـ١٠٥، وانظر: أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص٤٥ـ٤٨. وانظر موسوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين، ص٧٣، ٨١، ٨٣، ٩٠، ٩٦، ١٤٣.

ومما يجدر ذكره كتب القصص البحري والتي تعتبر مصدراً من مصادر تاريخ الملاحة العربية، والتي ارتبطت بالملاحة في الخليج العربي (الفارسي) منطلقة من "سيراف"[١] مروراً بالهند وانتهاءً بالصين، وهي أخبار مما يتداوله البحارة وربابنة السفن مما تعرضوا له من أهوال وأخطار ومغامرات، ومن تلك "رحلة التاجر سليمان" ويقدر تأليفها بعام ٢٣٧هـ، وتصف الطريق البحري بين سيراف وكانتون، وقد درس هذه المخطوطة كلا المستشرقين الفرنسيين رينو وفران ثم سوف جيه من بعدهما، وهذه الرحلة وكذلك رحلة ابن وهب القرشي التي كانت إلى الصين أيضاً ووافقت ثورة الزنج في جنوب العراق، جمعها أبو زيد حسن بن اليزيد السيرافي من أهل البصرة وقد قابله المسعودي عام (٣٠٤هـ)، ثم تلا هذا المخطوط مخطوط لربان يدعى بزرك بن شهريار الرام هرمزي الفارسي هو "كتاب عجائب الهند" جمع قصصه مما سمعه من الربابنة والتجار في سيراف والبصرة وعُمان قصصاً عن الهند والشرق الأقصى وشرق افريقية، وأخباراً دقيقة عن حياة البحر في زمانه[٢]. ومن الربابنة إلى المعالمة وهم في اصطلاح رجال البحر أمهر الملاحين في قيادة المراكب الشراعية في أعالي البحار أو بمحاذاة السواحل، لذا فإن درجة المعلم في الترتيب المهني البحري أعلى من درجة الربان، وفي أواخر العصور الوسطى خاض المحيط الهندي معالمة من العرب الهرامزة والهنود والشوليان والزنوج[٣]. ومن أشهر من يذكر في هذا المقام من المعالمة العرب "ابن ماجد" و"سليمان المهري".

---

(١) سيراف: على الساحل الإيراني من الخليج العربي (الفارسي) مدينة كبيرة بها تجار مياسير، انظر الحميري: الروض المعطار، ص٣٣٣.

(٢) المسعودي: مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج١، ص١٣٧-١٤٠، وأنظر حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٠٣-٢٠٤، وأنور عبدالعليم، الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص٣٤-٣٥.

(٣) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص٥٣-٥٤.

ـ المعلم ابن ماجد:

هــو شهاب الدين وأسد البحر أحمد بن ماجد بن محمد بن عمــرو بــن فضل بن دويك بن يوسف بن حسن بن حسين بن أبــي معلــق الســعدي ابن أبي الركائب النجدي[١]، "من جلفار بالخليج العربي"[٢] وابن ماجد من أسرة ربابنة فأبوه ربانٌ يلقب بربان البرين (بر العرب وبر العجم) وكذلك جَدُّه، فقد كانا مهرة فــي الملاحة في البحر الأحمر، وسجلا ملاحظاتهما وأثبتها ابن مــاجد وزاد عليه بل أن لوالده منظومة شعرية تزيد على ألف بيــت إســمها "الحجازية" في الملاحة بالبحر الأحمر، ويقر ابن مــاجد لأبــيه فــي هذه الأرجوزة بنجاته هو من أخطار البحر الأحمــر والســير فــيه[٣]. إلا أنه يعترف أيضاً أنه لم يكن أول المعالمــة في المحيط الهندي والخليج العربي والبحر الأحمر بل يذكــر عــن نفسه أنه رابع ثلاثة من المعالمة المشهورين في الــبحر وهم محمد بن شاذوان وسهل بن أبان وليث بن كهلان، الذيــن ألفوا "رهمانج" أو كما يسميه البحارة العرب (رحماني) ويطلــق علــى كل كتاب في القواعد والإشارات الملاحية، لكنه يــرى أنــه يتفوق عليهم، وأن خبرتهم محدودة فهم لم يركبوا الــبحر إلا من سيراف إلى بر "ساحل" مكران، ويقول انه لايعلم لهــم رابعــاً فــي إعداد كتب الملاحة غيره، ويرى أنه عظمهم بذكره أنه رابعهم[٤]،

---

(١) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص٦٢، وانظر أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص١٣٩.

(٢) المرجع السابق، ص٦٢، وأنور عبدالعليم، المرجع السابق، يذكر أنها "ظفار" المدينة العمانية.

(٣) شهاب: فن الملاحة عند العرب ، ص٦٣.

(٤) شهاب: المرجع السابق، ص٦٠.

وبلا شك فقد كان ابن ماجد معلما ماهراً محيطاً بكثير من فنون الملاحة وعلم الفلك والهيئة إضافة إلى شاعريته، فقد كان أديباً مطلعاً على كثير مما توفر له من كتب الأدب والفلك والجغرافيا "فاستفاد واهتدى المعالمة في زمانه ومن بعده بما ابتكره من قياسات، وما صححه من دير، وما وصل إليه من معرفته من النجوم والأرياح والأمواج وعلامات البرور وإشاراتها[1]، إلا أنه لم يعرف على وجه الدقة والتحقيق تاريخ ميلاد هذا المعلم المشهور، ولا تاريخ وفاته، ولكن نشاطه البحري انحصر (في أواخر القرن التاسع وأوائل القرن العاشر الهجري) أي (في القرن الخامس عشر الميلادي)[2].

ويرجح أنور عبدالعليم تاريخ ميلاده على وجه التقريب مابين ٨٣٥ـ٨٤٠هـ بالرجوع إلى قصيدته ضريبة الضرائب[3]. ومن أشهر مؤلفات ابن ماجد كتابه "الفوائد في أصول علم البحر والقواعد" وله منظومات وأراجيز شعرية ومنها "حاوية الاختصار في أصول علم البحار" وهو يعارض فيها أرجوزة والده "المسماة الحجازية"، ويبلغ عدد أبياتها (١٠٨٢) بيتاً، وكذلك "المعربة" أرجوزة من (١٧٨) بيتاً، ومنظومة شعرية أخرى من (٢٩٥) بيتاً وصف فيها القبلة في جميع أقطار العالم القديم انتهى من نظمها عام (٨٩٣هـ).

وأرجوزة "بر العرب في خليج فارس"، وأرجوزة "كنز المعالمة وذخيرتهم" وأرجوزة :القصيدة المكية" في وصف السفر من جدة إلى فرتك، فكالكوت ودابول، وكنكن، وجوزرات، والاطوح، وهرمز، وأراجيز أخرى[4]. ويلاحظ على أراجيز ابن

(١) شهاب: ، المرجع السابق ص٦٤.
(٢) أنور عبدالعليم: المرجع السابق، ص١٤٠.
(٣) المرجع السابق، ص١٤١.
(٤) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص٦٦ـ٦٨.

ماجد عدم تقيده بالوزن والقافية في مواضع متعددة، إلا أن هذا لايقلل من عبقريته وكفاءته الفذة في الملاحة[1].

إلا أن هـــذا الملاح الماهر والعبقري الفذ وأسد البحر شاب تاريخـــه الملاحـــي نقطة سوداء التصقت بهذا التاريخ الناصع، وهي دعوى مساعدته للملاح البرتغالي "فاسكو دي جاما" حتى عـــبر المحيط الهندي إلى الهند بلاد التوابل، فيذكر حوراني أنه فـــي عام (١٤٩٨م ـــ ٩٠٤هـــ) كان هذا الملاح البرتغالي في مُلَنْدي بشرق إفريقية يبحث عن دليل يرشده إلى الهند، ولم يجد إلا ابـــن مـــاجد، فاستطاع اقناعه بقيادة السفن البرتغالية عبر المحيط إلى كلكتا، ويعلق ساخراً (فكان من سخريات التاريخ أن ملاحاً عربياً كبيراً ساعد على القضاء على الملاحة العربية، إذ لـــم يســـتطع العـــرب إبعاد البرتغاليين ومن تبعهم من الشعوب الأوروبية الأخرى أو منافستهم.![2] إلا أن حسن صالح شهاب، وأنور عبدالعليم، ينفيان هذه التهمة ويبرئان ساحة هذا العبقري الفـــذ بحجـــج قويـــة، ومنها تعليق أنور عبدالعليم على وصول داجامـــا إلى ماليندي في كينيا، بأنه أقام علاقة جيدة مع ملكها وطلـــب منه ان يدله على مرشد يوصله إلى الهند، إلا أن الملك تـــردد فـــي ذلـــك فما كان من الملاح البرتغالي إلا أن أسر احد أقرباء الملك كرهينة، فاضطر إلى أن أرسل له رباناً "مسلماً من جوازات" اسمه "كاناكا" كما ذكر ذلك مؤرخ برتغالي يدعى "دي بـــاروش"، واختلفت الروايات حول تفاصيل رحلة دا جاما، فمن بين المؤرخين البرتغاليين من قال اسم الربان كان المعلم "كانا"، ومـــنهم من ذكر أنه "كاناكا" وأيضاً من ذكر أنه "ربان مسلم من جوزات" وكذلك من ذكر أنه عربي من المغرب.

---

(١) أنور عبدالعليم: المرجع السابق، ص١٤٢.

(٢) العرب والملاحة في المحيط الهندي: ص٢٣٧.

ويعتبر المؤرخ "فران" (١٩٢٢م) أول من أوجد علاقة بين من أرشد داجاما وبين ابن ماجد، معتمداً على ماورد في مؤلف لقطب الدين النهروالي بعنوان "البرق اليماني في الفتح العثماني" الذي يرجع تاريخه إلى عام (٩٨٥هـ ــ ١٥٧٧م) يذكر فيها النهروالي أن أحمد بن ماجد دل كبير الفرنج حتى توغل في المحيط الهندي، إلا أن رواية النهروالي عن ابن ماجد ضعيفة ولا يعتبر بها خاصة وانه سجلها بعد رحلة داجاما بنحو ٨٠ عاماً، فاعتمد على الإشاعات المتواترة وقد سبقه في التأليف عن ابن ماجد والمهري، على حسين الربان التركي في كتابه "محيط" (عام ١٥٥٧م ــ ٩٦٥هـ) بعشرين سنة ولم يشر إلى هذه الحادثة بشكل أو بآخر، ولم ينقل عن الربابنة العرب الذين التقى بهم شيئاً يذكر عن هذه الحادثة، كما أشار النهروالي إلى أن ابن ماجد دل داجاما في حالة سكر والقول غير مقبول لما عُرف عن ابن ماجد من الاستقامة والورع مما ورد في كثير من أراجيزه، إضافة إلى أن الملاح البرتغالي لن يقبل رأياً بحرياً من رجل في حالة سكر، كما أن ابن ماجد لم يكن له دراية ولا تجربة حقيقية بالساحل الإفريقي، وأخيراً فإن ابن ماجد نفسه لم يشر من قريب أو بعيد في كتاباته إلى ركوبه مركباً برتغالياً أو إرشاد ملاحيهم أو حتى الالتقاء بملاحي البرتغال رغم أنه عاصر حملاتهم الأولى إلى الهند، وأشار إلى شرورهم وعدواتهم للإسلام والمسلمين. فيقرر المؤلف وبكل ثقة أن ابن ماجد لم يكن هو الدليل أو المرشد الملاحي لمراكب دي جاما ولا لغيره من الأميرالات البرتغاليين[1]. ويشاركه نفس الرأي وبالقوة نفسها حسن صالح شهاب، مؤكداً أن المصادر البرتغالية لا تذكر أن الذي قاد داجاما إلى الهند ملاحاً عربياً وأهم هذه المصادر في رأيه، هو سجل سفينة (داجاما) Logbook وورد فيه أن حاكم (ماليندي) عندما طلب إليه داجاما أن يمده بمرشد إلى الهند أرسل إليه رباناً نصرانياً،

---

(١) الملاحة وعلوم البحار عند العرب: ص١٢٦-١٣٩.

مشـــيراً إلى أن سبب إلصاق هذه التهمة بابن ماجد هو شهرته في الأوساط البحرية، وجرأته في خوض البحار، كذلك كان ابن مـــاجد أثـــناء رحلة دي جاما في سن متقدمة وقد تجاوز (٧٤ عامـــاً) قد لا تسمح له هذه السن بقيادة المراكب وخوض غمار البحر[١].

ننتهي من ذلك إلى أن ابن ماجد كان يوصي المعلم بالعدل وطاعـــة الله، وتقواه[٢]، مما يوحي بأن الرجل كان على درجة من الاستقامة، وفي قصيدته المكية يقول :

(ركبت على اسم الله مجرى سفينتي . وعجلت فيها بالصلاة مبادراً)[٣]

ــ المعلم سليمان المهري:

أما سليمان بن أحمد بن سليمان المهري المعلم الآخر فهو ينتســـب إلـــى مهـــرة إحدى القبائل العربية الجنوبية (مهرة بن حيدان بن عمرو بن الحاف بن قضاعة) وتتحكم هذه القبيلة في بـــلاد الشحر، وتشرف على خفارة القوافل التجارية التي كانت تقصـــد ســـوق الشحر (ومنطقة الشحر تمثل الجزء الغربي من حضرموت حتى ظفار غرباً)، وكان من سكان بلدة "سقطرى"،

(١) فن الملاحة عند العرب: ص٦٨ـ٧١.
(٢) ابن ماجد: كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد، "الفائدة الثانية" تحقيق إبراهيم الخوري، ص٢٩ـ٣٠.
(٣) أنور عبدالعليم: المرجع السابق، ص١٣٣.

ويعـــد من تلاميذ ابن ماجد، وله مؤلفات عدة منها "العمدة المهـــرية فـــي ضبط العلوم البحرية" و"المنهاج الفاخر في علم البحر الزاخر" و"تحفة الفحول في تمهيد الأصول في أصول علم الـــبحر" و"شـــرح تحفـــة الأصول .." و"رسالة قلادة الشموس واســـتخراج قواعـــد الأســـوس"، وقد حقق هذه الكتب ابراهيم خـــوري. والمهري من المعالمة المتأخرين الذين عايشوا الغزو البرتغالي للسواحل العربية، وما تعرض له الملاحين العرب من اعـــتداءات وقتل ونهب على يد الغزاة، وقد أدرك ابن ماجد في ســـنوات عمـــره الأخـــيرة؛ ونقل عنه، لذا يرجح أنه عاش في النصـــف الاول مـــن القرن العاشر الهجري، وكانت وفاته تقدر بنحو عام ٩٦١هـــ تقريباً[١].

والحديـــث عـــن المعالمـــة العرب يجرنا للحديث عن أهم المصـــطلحات الملاحية والمرشدات وآلات الرصد والقياس التي اســـتخدمها واستفاد منها وتداولها الملاحون المسلمون بعامة والعـــرب بخاصة في المحيط الهندي والبحر الأحمر على مدار الـــتاريخ الإسلامي وفي العصور الوسطى على وجه الخصوص وقـــد اســـتفاد الملاحون من التراث الفكري للمسلمين في علوم الفلـــك والنجوم وحساب المثلثات التي ازدهرت كثيراً في العهد العباســـي الأول، وازدهار الترجمة من مؤلفات الأمم والشعوب الأخـــرى، وبـــناء المراصد في مناطق عدة من العالم الإسلامي كـــبغداد ودمشق وجنديسابور وغيرها، وصناعة الإسطرلابات، والبوصـــلة الـــبحرية[٢]. وتأثـــرت المصطلحات الملاحية بلغات شـــعوب عدة، وكان للغة العربية أثر واضح، ومن ذلك كلمات مـــثل جؤجـــؤ السفينة (أي مقدمتها) وكوثلها (أي مؤخرتها)، وكذلـــك إقـــلاع، وإشـــراع، وإرخاء، وإرساء وجذف، وجدف،

(١) الزركلي: الأعلام، ج٣، ص١٢١، وانظر شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص٧١-٧٤، وأنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار عند العرب، ص١٤٦-١٤٧.

(٢) حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص٢٧٥-٢٧٧.

ومجـداف، ومقذاف، وخطف، وصاري، وشحن، وندخ، ونتخ، وأيضـاً دم السـفينة أي طلاهـا بالقار، وقلفط السفينة أي سد خروقها، والحقه أو بيت الإبرة أو البوصلة الملاحية. ومن غير العربـية دخلت كلمات ملاحية من اللغة اللاتينية من مثل أسكله أي رصيف رسو السفن، وأسطول، ونوتي وهو البحار[1]، ومن اللغـة الفارسـية دخلـت مصطلحات من مثل البلنج (بلنك) أي حجـرة السفينة، والبندر أي الميناء أو المرسى، والدفتر وهي الصـحف التـي تتضمن إرشادات ملاحية، والدوينج أي زورق السفينة، والخن: أي النقطة في البوصلة، والناخُداة أو الناخذاة، وجمعه النواخدة أو النواخذة: أي رب السفينة، والرهماني أيضاً دفـتر إرشادات للملاح[2]. واشتيام أي رئيس ملاحي السفينة، وربان: أي قائد السفينة، والجاه قطب الشمال[3]. ومن الكلمات العربية التي دخلت اللغات الاجنبية في مجال الملاحة مثل أميرال وأصلها أمير البحر، وأرسينال أي دار صناعة السفن، ثم عادت إلـى العربية محرفة عن الاجنبية بلفظ "ترسانة"، وكذلك رايس: أي رئيس البحارة، وكابل Cable، أي حبل، وغير ذلك[4].

أما أشهر آلات الرصد والقياس لدى البحارة فهي:

١ـ الإسطرلاب وهو عبارة عن قرص معدني مقسم إلى ٣٦٠ درجـة ويعرف بميزان الشمس، ومن المسائل التي يمكن إنجازها عـن طريق الإسطرلاب معرفة أرتفاع الشمس والأجرام السماوية والميل والبعد وعرض البلد وسعة المشرق إلى غير ذلك.

(١) أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار، ص٢٦ـ٢٧.
(٢) حوراني: العرب والملاحة في المحيط الهندي، ص١٩٨ـ١٩٩.
(٣) أنور عبدالعليم: المرجع السابق، ص٢٨ـ٢٩.
(٤) أنور عبدالعليم: المرجع السابق، ص٣٠ـ٣١.

٢ ــ ربــع الدائرة أو "المربع" وهو قوس قدره ٩٠ درجة من دائـــرة الإســطرلاب مثبــت عليه خيط يتصل بثقل من الرصاص، ويكون هذا الخيط ضلع الزاوية التي تحدد ارتفاع النجم فوق الافق.

٣ ــ القياس بالأصابع.

ويمكـــن بهــذه الطريقة قياس ارتفاع النجم لثمانية أصابع او أكــثر باســتخدام راحتي اليد معاً وبالتناوب تثبت الواحدة وتضاف الأخـــرى فوقهـــا وهكـــذا إلا أن هذه الطريقة بدائية، وأدخل عليها تحسينات فيما بعد عرفت بالخشبات أو الألواح.

٤ ــ آلة الكمال: أو خشبات ابن ماجد وهي عبارة عن خشبة على شكل متوازي المستطيلات يتصل من وسطها خيط مدرج بعقد تخـتلف المســافة بيــن كـــل عقدة وأخرى حسب ظل تمام زاوية الارتفاع، ويوضح ارتفاع النجم بالأصابع، وهي مبنية على حساب مثلثات، وتتفق هذه الآلة مع خطوات الملاحة في المحيط الهندي.

٥ ــ آلـــة البلســتي: وهـــي تشبه الخشبات السابقة غير أنه استبدل بالخيط المعقود مسطرة مضلعة من الخشب.

٦ ــ آلة الاربليت: عصا قياس لرصد ارتفاع النجوم.

٧ ــ بيـــت الإبرة "البوصلة البحرية": وهي كلمة إيطالية تعني الصـــندوق أو الحـــق، وتوضح الاتجاه في البحر بخاصية انجذاب الإبـــرة المغناطيســـية نحـــو الشمال، ويسميها ابن ماجد باسم بين الإبـــرة أو الحقه أو الديرة، ومن المؤكد ان ابن ماجد هو أول من قـــام بتركيـــب الإبرة الممغنطة على محور تتحرك حركة حرة، كما ذكـــر ذلـــك بنفسه في كتابه وأنه لم يسبقه فيها احد، وشاركت أمم أخرى في تطوير البوصلة البحرية[١].

---

(١) أنور عبدالعليم: الملاحة وعلوم البحار، ص١٦٩-١٨٩، وانظر شهاب: المصدر السابق، ص٧٩-١٣٥، لمزيد من التفاصيل انظر سليمان المهري: العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، تحقيق ابراهيم خوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، دمشق ١٣٩٠ هـ - ١٩٧٠م، ص٦-٧.

وكان البحارة قبل البوصلة أو بيت الابرة يصعب عليهم تمييز الجهــة المقصودة من الجهة الاخرى في حالة الليالي غير المقمرة والملــبدة بالغــيوم، وكل اعتمادهم في مساراتهم البحرية ليلاً على رؤيــة النجوم[١]. ومن معارف الملاحين "الدير" وهو مايُعرف اليوم بــالخطوط البحرية الموازية للبر، فإذا مالت السفينة عن هذا الخط إلــى داخــل البحر، ولم يعد يشاهد البر أو مالت السفينة إلى البر ودخلت بين رؤوسه، عُرف عند البحارة بأن السفينة لم تعد تجري في الديرة الحقيقية[٢].

وللمعالمــة ورجــال الــبحر العربي مهارات وقدرات متعددة أبــرزتها بعد توفيق الله رحلاتهم ومغامراتهم وأسفارهم، فمن تلك الإبداعات العلامات والإشارات التي يستدلون بها على الاقتراب من الأماكن التي يريدون الوصول إليها، فهي تماثل الكواكب في الليل، ومــن هــذه العلامــات ثعابيــن البحر، وبعض الحيتان، والطيور والجــبال، والجــــزر، والاعشاب، وطين قاع البحر، ولون الماء، والتيارات، ويشترط لصحة هذه العلامات أن يكون من رآها من أهل الــثقة والمعرفة، وقد أجمل ابن ماجد هذه العلامات والإشارات في أرجوزته الحاوية ومنها قوله:

والطين والحيات والأطيــار ∴ والحوت والحشيش خذ أخباري

لا تعتبر إلا بمــــا جربته ∴ أو يكن الواصف قد حققته[٣]

---

(١) شهاب: فن الملاحة، ص١١٧، وانظر المهري، المصدر السابق، ص ٧ـ١٢.

(٢) شهاب: المرجع السابق، ص١٢٦، وانظر المهري، المصدر السابق، ص٢٨ـ٢٩ عن دير الحجاز..

(٣) شهاب: فن الملاحة عند العرب، ص١٩٣ـ١٩٦.

الفصل الرابع

الهجرات العربية ورحلة الحج وعمارة الحرمين عبر الثغور

أولاً ـ الهجرات العربية عبر الثغور الحجازية

١ ـ مواطـن القـبائل العربية المهاجرة في شرقي إفريقية

٢ ـ دور القـبائل العربـية في نشر الإسلام واللغة العربية

٣ ـ دور القبائل العربية في السياسة والتجارة.

ثانياً ـ رحلة الحج عبر الثغور

١ ـ أهم الثغور على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر التي يرتادها الحجاج ورأي الرحالة العرب فيها

٢ ـ رحلة الحاج المصري

٣ ـ رحلة الحاج المغربي

٤ـ إمـارة قافلة الحج

٥ـ المحمل

ثالـثاً ـ نقل المؤن لعمارة الحرمين الشريفين وكسوة الكعبة عبر الثغور

١ ـ في العهد العبيدي "الفاطمي"

٢ ـ في العهد الأيوبي

٣ ـ في العهد المملوكي

أولاً ـــ الهجرات العربية عبر الثغور الحجازية:

لعل من أهم القبائل العربية التي ارتحلت إلى أفريقيا عامة ووادي النيل "مصر والسودان" وكذلك الحبشة بخاصة، من الحجاز خاصة ومن باقي مناطق الجزيرة العربية عامة هي:

١ ـــ قريش (بفروعها المختلفة). ٢ ـــ جهينة.
٣ ـــ بلي. ٤ ـــ بنو سليم.
٥ ـــ بنو هلال. ٦ ـــ ربيعة.
٧ ـــ جذام. ٨ ـــ الأنصار.
٩ ـــ كنانة. وآخرون أفراداً وجماعات.

وقبل الحديث عن منازلهم الجديدة من وادي النيل والحبشة سنتعرف على أهم دوافع هذه الهجرة، وأهم معابرها ومنافذها.

أ) ـــ دوافع الهجرة:

١ ـــ الدافع الديني:

منذ بعثة المصطفى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم في مكة البلد الأمين دبت روح جديدة في الجسد العربي، فكانوا خير أمة أخرجت للناس، وأعز الله العرب بالإسلام، فكانت أول هجرة في الإسلام بسبب هذا الدين وفراراً به من أذى مشركي قريش، وكانت الهجرة عبر الساحل الحجازي من الشعيبة إلى الساحل الأفريقي إلى الحبشة فكانت أفريقيا أول البلاد خارج جزيرة العرب تستقبل المهاجرين بالدين الجديد، ونصر الله الإسلام في الجزيرة، وقامت دولة الإسلام في المدينة النبوية، ومازال الإسلام هو المحرك للتنقل والهجرة، وتمثل ذلك في الفتوحات الإسلامية الكبيرة التي انطلقت شرقاً وغرباً من عاصمة الإسلام الأولى (المدينة النبوية) مِن عهد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ومن ثم خلفائه الراشدين ومن بعدهم.

ومــن بيــن تلك الفتوحات فتح مصر وبلاد النوبة وباقي أفريقــية فــي عهــد عمر بن الخطاب رضي الله عنه ومن أتى بعده، والتي رافقها انتقال عدد من القبائل العربية التي سرعان ما استقرت في مناطق الإسلام الجديدة[1].

٢ ـ الدافع الاقتصادي:

لعــل قلــة المــوارد الاقتصــادية في جزيرة العرب عامة والحجــاز بــخاصــة، واستقرار الأوضاع بعد فتح مصر، وما تناقلته الأخبار للقبائل من مزايا وخيرات تترى في أرض مصر والسودان، وماتسامع به العرب من وجود المعادن وتبر الذهب فــي جنوب مصر وأرض السودان، كان له أثر في هجرة أعداد من القبائل العربية إلى وادي النيل.

حيث ازدهرت تجارة الرقيق، والعمل بالتعدين في الصحراء الشــرقية، وممارســة التجارة البحرية مع الهند والصين ونقل حجاج بيت الله إلى الأراضي المقدسة ذهاباً وإياباً عبر الموانئ المصرية والسودانية إلى مايقابلها من الموانئ الحجازية[2].

---

(١) المقريزي: البيان والإعراب عما بأرض مصر من الإعراب، تحقيق عبدالمجيد عابدين، الطبعة الأولى، ١٩٦١م، عالم الكتب، ص٩٥ـ٩٩، د. ربيع محمد القمر حاج: انتشار الإسلام في بلاد البجة (رسالة دكتوراة) جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية، الرياض، شعبان ١٤١٨هـ، ص٩٢ـ٩٥. وأنظر: محمد سعيد ناود: العروبة والإسلام بالقرن الأفريقي، ص٢٩.

(٢) يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم، ص٣٦ـ٤٠، وانظر ربيع محمد القمر حاج، انتشار الإسلام في بلاد البجة، ص ١٠٢،١٠١، وناود: العروبة والإسلام، ص٢٩.

٣ــ الدافع السياسي:

ويأتـــي هذا الدافع في الأهمية بعد الدافعين السابقين فبعد فـــتح مصـــر تواصـــلت الفتوحات في عهد الأمويين في شمال أفريقيا، شجع الأمويون وولاتهم في مصر هجرة القبائل القيسية بهدف تدعيم حكمهم فيها، ورغبة في تقليل نفوذ القبائل اليمينة في مصر.

وممــا شـــجــع هجـــــرة القـــبائل العربية من مصر إلى الســـودان سياســـياً العباســـيين ومـــيلهم إلى العنصر الفارسي والتركي، ووصل الأمر بالخليفة العباسي المعتصم بالله أن قطع العطــاء عن العرب وأسقطهم من الديوان، واستبدلهم بعناصر غـــير عربية، مما أدى إلى نفور العرب واستياءهم، وثوراتهم على الحكم العباسي، والانسحاب تدريجياً إلى الجنوب.

كمــا واصـــل الطولونـــيون سياسة العباسيين في تقريب العناصـــر الغير عربية. كذلك ما وقع من صراعات مسلحة بين العـــرب والأيوبييـــن والمماليك، مما دفع بكثير من القبائل إلى الانســـياح إلـــى جـــنوب مضر والسودان والحبشة. حسب رأي بعض الباحثين[١].

---

(١) المقريزي: البيان والإعراب، ص٩٩-١٠٤، وانظر أبو المحاسن: النجوم الزاهرة، ج٢، ص٢٢٣، وربيع حاج: انتشار الإسلام في بلاد البجة، ص٩٥-١٠٠، وانظر محمد صالح ضرار: تاريخ السودان (البحر الأحمر - إقليم البجة)، ١٩٦٥م، مكتبة الحياة، ص٤٠.

ب) ـ معابر الهجرة:

لقد عبرت القبائل العربية من جزيرة العرب إلى وادي النيل (مصر والسودان) والحبشة عن طريق معبرين هامين هما:

(١) المعبر البري: الذي تمثل في اجتياز عمرو بن العاص رضي الله عنه والفاتحين معه شبة جزيرة سيناء لفتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه في سنة عشرين للهجرة وقيل سنة ست عشرة[١]. وماتلا ذلك من هجرات عبر هذا المعبر.

(٢) ـ المعبر البحري: الذي تمثل في انتقال القبائل العربية إلى السودان والحبشة عن طريق البحر الأحمر انطلاقاً من الموانئ الحجازية مثل ينبع وجدة والسرين، ومابينهما من مرافئ أمثال الحوراء وعينونا وصولاً إلى الموانئ السودانية والحبشية مثل عيذاب، وسواكن، ومصوع "باضع"، وزيلع، ودهلك[٢].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية (خلافة عمر بن الخطاب) ترتيب وتهذيب محمد بن صامل السلمي، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ، دار الوطن، ص ٧٩ـ٨٢، والمقريزي: البيان والإعراب، ص٩٥ـ١٠٠.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٣، والمسعودي: مروج الذهب، ج ٢، ص٢٢،٢٣، وانظر ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، مكتبة التوبة، الرياض، ص٩٧. وناود: العروبة والإسلام، ص٢٩، ويوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص٦٤، وربيع حاج؛ انتشار الإسلام في بلاد البجة، ص١٠٣ـ١١١.

١ ــ مواطــن ومنازل القبائل العربية في مصر والسودان والحبشة:

اختلطــت قــريش بالفسطاط حول مسجد عمرو بن العاص رضي الله عنه هم والأنصار وأخذت قريش منذ الربع الأخير من القــرن الأول تزحف نحو الجنوب وتقيم في مدن الصعيد الأدنى مثل حلوان، حتى كان القرن الثالث تكاثرت قريش بصعيد مصر، وتجمعــوا فــي أســوان، وامتلكوا الأراضي في بلاد النوبة في العهــد الأموي والعباسي، حتى أصبحت منطقة الأشمونيين (في مركــز الروضة "محافظة أسيوط") يطلق عليها بلاد قريش ومن أشــهر بطونها في صعيد مصر بنو مخزوم، وبنو تيم بن مرة، وبنو زهرة، وبنو عبدالدار، وبنو أسد بن عبدالعزى، وبنو نوفل بــن عــبد مناف، وبنو المطلب، وبنو أمية وبنو هاشم (من آل علي، وآل جعفر، وآل العباس) وبنو أسامة بن لؤي وبنو عامر بن لؤي، وبنو سهم، وبنو جمح، وبنو عدي بن كعب[(١)].

وزحفــت بطون من قريش باتجاه السودان، إما عن طريق مصــر أو عن طريق البحر الأحمر منتقلة من جدة إلى عيذاب ويؤكــد المســعودي[(٢)] انــتقالهم مــن الحجاز مباشرة بقوله :(وأكــثرهم ناقلة من الحجاز وغيره). ومن هناك انتشرت في الأراضــي السودانية، ومن أوائل من وصل منهم إلى السودان بــنو أمية الذين نزلوا في بلاد النوبة بقيادة عبدالله بن مروان وأخوه عبيدالله بن مروان إلى مملكة النوبة إلا أن آثار الأمويين فُقــدت مــع الأيام وسط سكان المنطقة من البجة، ولم يعد لهم خــبر، حتى كان القرن العاشر الهجري عندما قامت لهم سلطنة حوت معظم أراضي السودان الحالية وسميت بالسلطنة الزرقاء

---

(١) المقريزي: البيان والإعراب، ص٣٣-٤٣، وانظر عبدالله خورشيد البري: القبائل العربية في مصر، ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي، ص٦٩-٩٤.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٢٣.

"الفونج"[١]. ويرجع مؤرخوا السودان المعاصرون أنساب كثير من قبائل السودان الحالية إلى أسر عربية من قريش وغيرها والتي رحلت إلى السودان في فترات مختلفة، وأكبر هذه الأسر العباسيون، ويسمون في السودان إلى اليوم "الجعليون كما يُدّعى، ولهم مكانة كبيرة في تلك البلاد.

ومن الأسر المسلمية ويُذكر أنهم ينتمون إلى أبي بكر الصديق رضي الله عنه، ويعيشون في شرق السودان، ويمتدون حتى داخل إريتريا، ولهم مركز المسلمية المسمى باسمهم، وأسرة الدقناب إحدى قبائل الهدندوة وتسكن في أركويت والمنطقة التي حولها ويرجعون بنسبهم إلى هارون الرشيد الخليفة العباسي، كما يُزعم، وقبيلة الحسناب التي تذكر أنها ذات أصول قرشية وتسكن في سواكن، ومن الأسر القرشية الشادلياب التي استوطنت بين قبائل البجة في شرق السودان، وقبيلة السيقولاب والتي يُذكر أنها من قبائل البجة إلا أن قادتها من أبناء أبي بكر الصديق رضي الله عنه واستوطنت كسلا، وكذلك الملهيتكناب، والعجيلاب، والأفلندة، وماريا، والهدندوة، والنابتاب، وقبيلة ألمدة البجوية أو البجاوية ويذكرون أن زعماءهم من بني أمية، والجعافرة نسبة إلى جعفر الطيار رضي الله عنه، وقد كانت بصعيد مصر فقادت صراعاً مسلحاً ضد المماليك انتهى بهزيمتها، وبالتالي فرار بعضهم إلى داخل الأراضي السودانية ومنهم بطون تسكن كردفان، كما تنتمي قبيلة العليقات أو العقيلات إلى عقيل بن أبي طالب رضي الله عنه، وقبيلة البشارين التي ترجع بأصولها إلى بني أسد من قريش، وقدموا إلى السودان مع أقاربهم من الكواهلة حيث سكنوا حول سواكن، والأمَّارأر أو أبناء عمار ويُدّعى أنهم من سلالة الأسدي وجده الزبير بن العوام رضي الله عنه[٢].

(١) الفونج: سيأتي الحديث عنها لاحقاً في دور العرب السياسي.

(٢) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان (البحر الأحمر ـ إقليم البجة)، ص٣٩ـ٤٢، وضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية إلى وادي

وفـــي الحبشـــة، وإرتريا بوجه خاص تدعي بعض الأسر والقبائل انتسابها إلى قريش مثل بيت الشيخ محمود المنتسبون إلـــى الزبـــير بن العوام رضي الله عنه، وعد الشيخ حامد ودنا مغوتاي المنتسبين إلى أشراف قريش، وقبائل بني عامر والبلو تنتســـب إلـــى بني العباس، وقبائل الحباب المتعددة تنتسب إلى بطون متعددة من قريش، والاساورتا ويُزْعم انتسابهم إلى علي بن أبي طالب رضي الله عنه، والمنيفري ينتسبون إلى عمر بن الخطـــاب رضـــي الله عنه كما يدّعون. والماريا وسنعد قلى في المرتفعات الإرترية وقبيلة طروعه وحذو ومنسع ينتسبون إلى الأمويين، والجبرته يُزّعم انتسابهم إلى عثمان بن عفان رضي الله عـــنه، وقـــبائل العفـــر تدّعى انتسابها إلى زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنه[1]. كما هاجر من قريش إلى القرن الافريقي ود بن هشام المخزومي وجماعة من أسرته في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وكذلك هجرة الزيدية الشيعة سنة ١٢٣هـ في عهد هشام بن عبد الملك بعد مقتل زيد بن علي فرحل انصاره إلى الصومال ونزلوا في موقع مقديشـــو الحالي، وانتشروا على طول ساحل بنادر حتى كونوا لهـــم دولـــة في تلك الديار[2] واتخذت جهينة[3] القبيلة الكبيرة

النيل مصر والسودان، ص٣٤٦-٣٤٧ ومزيد من التفاصيل عن قريش في السودان.، وانظر كذلك عبدالمجيد عابدين: محقق كتاب البيان والإعراب للمقريزي في دراسات حول تاريخ العروبة في السودان، ص١٥٥-١٦٠.

(١) ناود: العروبة والإسلام بالقرن الأفريقي، ص١٥٠.

(٢) غيثان: الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية في العصور الوسطى (المبحث الثالث من كتاب بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية)، ج٢، ص٥٨،٦٣.

(٣) منازل جهينة بالحجاز جبال الأشعر، والأجرد، وقدس، وآروه، ورضوى وأودية ذا خشب، وبندر، والحاضرة، والقفا، والعيص، وبواط، والمصلى، وبدار وجفاف، وودان، وينبع، والوراء. انظر

الواسعة الانتشار منازل لها في مصر في الصعيد في بلاد قريش فأخرجتها قريش بمساعدة عساكر الخلفاء الفاطميين، واضطروا للنزول في بلاد إخميم أعلاها وأسفلها[١] ويذكر ابن خلدون أن جهينة غلبوا النوبة على مواطنهم وملكهم وزاحموا الحبشة في بلادهــم وشاركوهم في أطرافها، وجهينة الذين يقطنون جنوبي أســوان يعــرفون بأولاد الكنز، كان جدهم كنز الدولة[٢]. وعن قبــيلة[٣] بلــي التــي ســبق وان هاجر أعداد منها إلى مصر والســودان قــبل الإسلام، وعند ظهور الإسلام انتقلت في عهد عمر بن الخطاب، وكانت متفرقة في أرض مصر، ثم اتفقت مع جهيــنة، فصــار لبلي من جسر سوهاي غرباً إلى قريب غرب قمولة، وصار لها من الشرق عقبه قاو الخراب إلى عيذاب[٤]

الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٨٦، البلادي: معجم قبائل الحجاز ص٩٥، أو صالح العلي، الحجاز في صدر الإسلام ص١٨٥.

(١) المقريزي: البيان والاعراب، ص٣٢.

(٢) تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص٧.

ولمزيد من التفاصيل عن حال جهينة في السودان "انظر ضرار: هجرة القبائل العربية، ص٣٠٦ ـ ٣٢٣.

(٣) منازل بلي بالحجاز: كانت تسكن في صدر الإسلام حول وادي القرى "وادي العلا حالياً" إلى ديار جذام في الشمال من الحجاز إلى سيف البحر الأحمر، انظر السويدي: سبائك الذهب: ص٨٣، وصالح العلي: الحجاز في صدر الإسلام، ص١٨٢.

(٤) المقريزي: البيان والاعراب، ص٢٩-٣٠.

ولـــم تســـتقر بلـــي بمصر، وتوجهت جماعات منهم إلى معادن التبر في جنوب مصر وبلاد السودان[١]. ويذكر السويدي أن مـــنازلهم بالصعيد ومنهم باداما وهي مادون عيون القصب إلـــى أكـــرى، ويضيف أن عليهم درك الحاج هناك، ومنهم في أخميم وما تحتها[٢].

أما عن وضع بلي في السودان، فإن المؤرخين السودانيين يشـــيرون إلى أن بلي كانت القبيلة العربية الأولى التي هاجرت إلى السودان من الجزيرة العربية عبر البحر الأحمر قبل الإسلام وبعده[٣].

لـــذا يرجح الباحث أن بلي قد تكون استخدمت ميناء الجار أو مرفأ العونيد[٤] أو ينبع فيما بعد في رحلتها باتجاه الاراضي السودانية، ومن المرجح أنهم قد استخدموا عدة موانئ ومرافئ فـــي حدود موطنهم في الحجاز عبوراً إلى منازلهم الجديدة في بـــلاد الـــبجه شرقي السودان. وقد أطلقت البجه كلمة "بلوييت" على اللغة التي يتحدث بها أفراد وقبيلة بلي وهي اللغة العربية، فهي لم تكن معلومة لديهم، ولذلك نسبوها لأول من تكلمها في ديارهم، واعتبر البجه أفراد قبيلة بلي سادة عليهم حتى أصبحت

---

(١) عبدالله البري: القبائل العربية في مصر، ص١٨٥-١٨٧.

(٢) سبائك الذهب، ص٥٤.

(٣) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان، ص٣٠، وضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص٢٨٠، ويوسف فضل حسن، تاريخ السودان، ص٤٥،٤٣.

(٤) العونيد: تقع في مرسى عنتر على بعد ٥٠ كم شمال الوجه، وكانت العونيد مرفأ لمدن بلي الداخلية، وهو مرسى مأمون، واستمر كذلك طوال العهدين العباسي والفاطمي. انظر علي غبان: مراكز الاستيطان بشمال الحجاز، الدارة، العدد الثاني، السنة العشرون، محرم وصفر وربيع أول، ١٤١٥هـ، ص٧١.
ورغم إشارة حمد الجاسر إلى أن العونيد من تحريف النساخ والأصح العويند إلا أن المصادر الجغرافية تقدم النون على الياء. هامش كتاب المناسك، ص٤٠٢.

كلمــة "بلويــون" تعــنى رئيسنا أو سيدنا واختلطوا مع البجاة وصاهروهم[١].

ونزل بنو سليم[٢] مصر سنة ١٠٩هـ وأمير مصر في ذلك الحيــن الولــيد بن رفاعة بن خالد بن ثابت بن طاعن الفهمي، وطلــب عــامل الخراج بمصر عبيد الله بن الحباب من الخليفة الأموي هشام بن عبد الملك أن ينقل إلى مصر بعض قبائل قيس فــألحق ثلاثــة آلاف مــن قيس بديوان مصر وأنزلهم الحوف الشــرقي وفــرقهم فيه، وكان يستقدم مائة أهل بيت من بيوت قــيس مثل بني نصر بن معاوية وبني عامر بن صعصعة، ومن هــوازن، وسليم، فأنزلهم ببلبيس، وأمرهم بالزرع وصرف فيهم الصــدقة حــتى اشتروا إبلاً وخيلاً، وكانوا يحملون الطعام إلى القلــزم، وتتابعت هجرات قيس إلى مصر، وسكن بنو سليم في بــرقة باتجــاه ليبــيا[٣]. وهاجر عدد منهم إلى منطقة العلاقي بالسودان[٤]. وانتشروا حتى صحراء عيذاب[٥].

---

(١) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان، ص٣١-٣٢، ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص٢٨٠-٢٨٤.

(٢) مواطنهم بالحجاز: تمتد ما بين مكة والمدينة متجهة شرقاً إلى الدفينة وحرة كشب وشمالاً جنوب شرقي المدينة، وجنوباً حرة رهاط ونخلة الشامية، ولهم حرة الحجاز، وتسمى حرة سليم. وانظر السمعاني: الأنساب، ج٣، ص٢٧٨، والسويدي: سبائك الذهب، ص٨٣، البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٢٢٦.

(٣) المقريزي: البيان والإعراب، ص٦٥-٦٩، وابن خلدون، ج٦، ص١٨-٢٠.

(٤) عبدالله البري: القبائل العربية في مصر، ص١٠٩.

(٥) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص٤٥.

وبنوا هلال[1] كانوا من أهل الصعيد إلى عيذاب، وبأخميم وبساقية[2].

ويتحدث ابن خلدون عن هجرتهم الشهيرة إلى بلاد المغرب وما احدثوه من فساد ودمار في طريقهم اليها، وربط خروجهم من بلاد الحجاز بقصة تزوج إحدى نسائهم من أمير مكة الشريف ابن هاشم، مشيراً إلى أنها قد التفت عليها كثير من المبالغات والمزاعم، إلا أنه لا يستبعد صحتها[3].

وقد أوردها أيضاً الفاسي المؤرخ المكي عند ترجمته للأمير شكر بن أبي الفتوح الذي توفي ٤٥٣هـ[4].

وبصعيد مصر أيضاً أولا الكنز أصلهم من ربيعه بن نزار، وقد قدِمت ربيعة[5] مصر في خلافة المتوكل على الله العباسي (٢٣٢ ــ ٢٤٧هــ) بأعداد كبيرة، ونزلت طائفة منهم بأعالي الصعيد، وقد كانت البجة تهاجم قرى مصر الشرقية وتخربها فتولت ربيعة التصدي لها بل وزحفت على أراضي البجه واستولت على معدن الذهب بالعلاقي حتى كثرت أموالهم؛ وتحسنت أحوالهم؛ وصارت لهم مرافق في بلاد البجة، واختطوا قرية النمامس، وكانت عيذاب لبني يونس من ربيعة[6].

---

(١) منازلهم بالحجاز: في المنطقة الممتدة ما بين الطائف ورنية وبيشة، وكانت لهم جلذان وتربة، وبيشة، وحرة بني هلال جنوب شرقي الطائف. انظر الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٣٠، والسمعاني: الأنساب، ج٥، ص٦٥٧، والبلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٥٥٢.

(٢) المقريزي: البيان والإعراب، ص.

(٣) تاريخ ابن خلدون، ج٦، ص١٨-٣٥.

(٤) العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين: ج٤، ص٢٦٣.

(٥) مواطنهم بالحجاز: قرن المنازل، وحضن وركبة، وحنين، وغمرة، وأوطاس، وذات عرق، والعقيق، ووقعت بينهم حروب فرقتهم، فهاجرت بطون منهم إلى مناطق عدة في الجزيرة العربية مثل البحرين وهجر ونجد والحجاز. انظر البكري: معجم ما استعجم، ج١، ص١٨، الهمداني: صفة جزيرة العرب، ص٢٤٦-٢٤٧، البلادي: ص١٧٥.

(٦) المقريزي: البيان والإعراب، ص٤٤.

ويتحدث كلاً من المسعودي[1] وابن حوقل[2] عن مكانة ربيعة في بلاد البجه في شرقي السودان ودورهم السياسي ومملكتهم، وسيطرتهم على أرض المعدن وتبر الذهب، كما أورد المؤرخون السودانيون تفاصيل موسعة عن دور قبيلة ربيعة في السودان؛ مشيرين إلى أن من قبيلة ربيعة من قدم من مصر، ومنهم من قدم عبر البحر الأحمر مثل بني يونس عن طريق ميناء ينبع الحجازي إلى ميناء عيذاب[3].

وجذام[4] أول من سكن مصر من العرب فقد جاءوا مع الفتح مع عمرو بن العاص رضي الله عنه، ومن اقطاعاتهم هربيط وتل بسطه ونوب ورم وغيرها وسكنوا أيضاً بالإسكندرية، وكانوا يسكنون الحوف الشرقي الدلتا.

---

(١) مروج الذهب، ج٢، ص٢٠.

(٢) صورة الأرض، ص٥٢-٥٤.

(٣) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان، ص٣٤، يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص٤٠، ص٥٤ - ٦٣، وضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية ص٩٦ - ١٠٥.

(٤) مواطنهم بالحجاز: أشهر مدن جذام أيلة، وقد كان سكانها قبل الإسلام أخلاط، كما أن أيلة سوق لهذه القبيلة، ومن ديار جذام في العهد الأموي، مدين ومقنا، وقيال، وعينونا، وتريم، وسرغ، ومعان، ويذكر المقريزي أن لبنى عقبة من جذام من عقبة أيلة إلى داما قرب عينونه. انظر البيان والاعراب، ص١٩، السويدي: سبائك الذهب، ص١٠٧، البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٨١، وعلى غبان: مراكز الاستيطان الشمالي الحجاز في عصر بني أمية، ص٧٢ - ٧٣. ويورد السمعاني في الأنساب، ج٢، ص٣٣ (حديثاً عن أبي هريرة رضي الله عنه ← ←لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في فضل بني جذام، وعن نصرتهم لله ورسوله صلى الله عليه وآله وسلم).

والعايذ بياء آخر الحروف وذال معجمه بطن من جذام من القاهـرة إلـى عقبة أيلة[١] وفروع من هذه القبيلة هاجروا إلى بـلاد الـنوبة وكـردفان ودارفـور حـتى الـبرقو في أواسط السودان[٢].

وينزل فئة من الأنصار صعيد مصر، ومنهم بنو محمد وبنو عكرمة وديارهم بحرى منفلوط[٣].

أما كنانة[٤] فقد سكنت في مصر بساقية قلته وما يليها[٥]، ومنها فروع توجهت إلى السودان[٦].

---

(١) المقريزي: البيان والإعراب، ص١١ - ٢٠.
(٢) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص١٨٦.
(٣) المقريزي: المصدر السابق، ص٤٧.
(٤) مواطنهم بالحجاز: تهامة الحجاز، فكنانة تخالط في الديار ضمرة وغفار، وخزاعة في الشمال، وهذيل في الجنوب، وكانت معظم الوديان التي تجري من مرتفعات السراة إلى البحر أعلاها وصدورها لهذيل؛ وأسافلها لكنانة، ويذكر الهمداني أن السرين ساحل كنانة. انظر صفة جزيرة العرب، ص٢٣٢ البلادي: معجم قبائل الحجاز، ص٤٤٦ ، صالح العلي: الحجاز في صدر الإسلام، ص١٨٧.
(٥) المقريزي: المصدر السابق، ص٤٧.
(٦) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص١٨٦.

٢ ـ دور القبائل العربية في انتشار الإسلام واللغة العربية:

بعد أن من الله على بلاد وادي النيل (مصر والسودان) وخاصة مصر بدخول الإسلام في الربع الأول من القرن الهجري الأول على يد الفاتحين من الصحابة رضوان الله عليهم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه، حدثت نقله جديدة في حياة المصريين، وبدأ الشعب المصري في التحول التدريجي من النصرانية إلى الإسلام، فتقبلوا الفاتحين العرب، واعتنقوا دينهم في مدة لا تزيد عن قرنين من الزمان، حتى كان عام ٢٣٩هـ إذ أصبحت غالبية الشعب المصري من المسلمين، ومن دلالة ذلك اختفاء الثورات القبطية، كما أن استيطان واستقرار القبائل العربية واختلاطها بالمصريين الذين اعتنقوا الدين الإسلامي بدأ يعمل على صبغ البلاد المصرية بالصبغة العربية، فقد أصبحت مصر داراً كبيرة للقبائل العربية المهاجرة، ومن هذه الدار انطلقت هجرات بعض القبائل جنوباً إلى بلاد النوبة والسودان، وغرباً إلى أفريقيا لنشر الإسلام والثقافة العربية[١]. كما أدى استقرار القبائل العربية في السودان خاصة في المنطقة الشرقية منه على سواحل البحر الأحمر "بلاد البجة" إلى إسلام كثير من البجاويين خاصة القبائل الكبيرة منها مثل الحداربة، حتى أصبح المسلمون الجدد زعماء لمن لم يسلم، وأخذ البجاويون يتأثرون بالثقافة العربية والإسلامية، ويقلدون القبائل العربية في عاداتها ولباسها[٢]، كما ساهمت سيطرة القبائل العربية خاصة ربيعة، وجهينة على مناطق المعادن واستخدامهم للرقيق السوداني في العمل معهم، واستعانتهم بأهالي تلك البلاد إلى إسلام أعداد من أهل السودان لظروف معايشتهم ومخالطتهم للعرب والعمل معهم، بل وصل الأمر أن أصبح أهل السودان الشرقي جنوداً في

---

(١) حسن أحمد محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة، ص٩٣ ـ ١٠١.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٠ ـ ٥١.

إمـــارة ربـــيعة في تلك الديار، إضافة إلى تمكن القبائل العربية المهاجرة من تأسيس مراكز تجارية أصبحت عامل جذب لأهالي الــبلاد للعمــل فيها والتعامل معها، فقد أسس العرب عدداً من مــناطق التعديــن مــثل النمامس[1] وساقية شعبان والمحدثة، وحفرت إلى جوارها الآبار، وأصبحت مدينة صيحة ومدينة هجر البجاويتيــن مركزين لتسويق المعادن. كما ساهم التصاهر بين العرب والبجة في انتشار الإسلام في تلك الديار[2].

ويــرى يوســف فضل حسن أن للقبائل العربية المهاجرة للســودان دور كبــير في نشر الثقافة العربية والإسلامية، وقد اكتملــت عناصــر الحــدث الهــام في رأيه إثر استقرار بعض المجموعــات العربــية واخــتلاطها وتــزاوجها مــع العناصر المحلية[3].

وكــان الرعــيل الأول مــن الدعاة يهتمون بتحفيظ القرآن للناشــئة، وتدريســهم مبادئ الفقه والتوحيد، وانتشر المذهب المالكي في السودان، وتبعت قلة منهم المذهب الشافعي، وسبب انتشــار المذهــب المالكــي يعود إلى أن غالبية من هاجر إلى السودان من القبائل العربية جاء من صعيد مصر الذي ساد فيه مذهــب الإمام مالك رحمه الله[4]. ولم يقتصر الأمر في انتشار

---

(١) المقريزي: البيان والإعراب، ص٤٤.
(٢) ربيع محمد القمر الحاج: انتشار الإسلام في بلاد البجة وآثاره، ص ١١٢ ـ ١١٦.
(٣) دراسات في تاريخ السودان: ص٦٤.
(٤) يوسف فضل حسن: دراسات في تاريخ السودان، ٦٨. ويقطع الدكتور يوسف فضل، وبكل أسف: أن انتشار الإسلام في السودان خضع خضوعاً تاماً للجوالصوفي، بزعم أن الصوفية انتصرت في صراعها الطويل مع أهل السنة في القرن الثاني عشر الميلادي (أي القرن السادس الهجري) ..!!، ص٧٣، بل يورد قصصاً خرافية نقلاً عن طبقات الشعراني لايقبلها العقل المسلم وتطعن في عقيدة التوحيد المحمدية، مما يزعم أنها من مأثور كرامات الأولياء، ومن ذلك ما أورد (أن فاطمة بنت عبيد مرضت حتى أشرفت على الموت فسأل

الإســلام في الحبشة على القبائل العربية كمجموعات كبيرة بل علــى الأفراد والجماعات الصغيرة أيضًا من العرب التي عبرت الــبحر الأحمر إلى أفريقيا في فترات مختلفة خاصة في العصر الأموي، ومن ذلك ماسبقت الإشارة إليه من هجرة اتباع زيد بن علي حفيد الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما إلى الصومال والحبشة بعد مقتل زيد على يد الأمويين، كذلك خروج جماعــات مــن العرب إثر صراعاتها المتعددة مع الأمويين إلى أفريقيا وهم من عرب البحرين، ويتحدث المستشرق جيوم: "أنه في القرن الخامس عشر "الميلادي" هاجر من حضرموت جماعة مــن العــرب المسلمين من أربعة وأربعين للدعوة إلى الإسلام عــبر البحر الأحمر إلى شرقي أفريقية، وكان يؤم هذه الجماعة

أحدهم الشيخ خوجلي بن عبدالرحمن أن يسأل الله ليشفيها فقرأ بعض الآيات على ماء فسقوه لها فكتبت لها العافية، ومن بعدها يروى ابنه أن الإعياء كان بادياً على الشيخ خوجلي الذي قال: "أنا غلبان كنا أنا وملك الموت نتنازع في روح بنت عبيد فتركها لي"!!! وغير ذلك من طيران الشيخ من مكان إلى مكان ...!!، ص٧٩.

ويعلق الدكتور حسن أحمد محمود في كتابه (الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا) على تفشي وسيطرة الصوفية على السودان بقوله: "وإذا كانت الصوفية في ذلك الوقت قد انحدرت إلى مستوى الخرافة والشعوذة فذلك لقلة حظ السودان من المدارس الثقافـية الراقية أو الطبقة الواعية من الفقهاء الذين في مكنتهم أن يحاربوا الخرافة، وأن يجنبوا الإسلام في السودان ماوقع فيه، فقد أصبح الصوفي يلعب دوراً شبيهاً بدور الساحر في المجتمع الوثني القديم"، ص٣٤٤، وقد أصاب ولاشك وقد بين القرآن الكريم هذا الأمر بياناً شافياً.

قال تعالى : {ولاتدع من دون الله مالاينفعك ولايضرك فإن فعلت فإنك اذاً من الظالمين} [يونس: الآية ١٠٦].

وقال تعالى : {وإن يمسسك الله بضر فلاكاشف له إلا هو، وإن يمسسك بخير فهو على كل شيء قدير} [الأنعام: الآية ١٧].

وقال تعالى : {ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطاناً فهو له قرين، وإنهم ليصدونهم عن السبيل ويحسبون أنهم مهتدون} [الزخرف: الآية ٣٦].

الشـــيخ ابراهـــيم أبـــو زرباي الذي أخذ طريقه إلى مدينة هرر حوالي سنة ١٤٣٠م (٨٣٤هـ) وتمكن بمعاونة إخوانه تحويل عدد كبير من الأفارقة إلى الإسلام..."[١] ولعل القرب الجغرافي للحبشـــة مـــن الجزيرة العربية وارتياد العرب لها في الجاهلية والإســـلام كســـوق تجاريـــة هامة، واتخاذ البحر الأحمر جسراً احتشـــدت فـــيه عشـــرات السفن ذهاباً وإياباً للضفتين الشرقية والغربية تنقل السلع ومعها المؤثرات والعادات والتقاليد، ومعها الدعـــاة والعلماء والحجاج. ولن نعدو الحقيقة إذا قلنا أن أرض الحبشـــة عرفـــت الإسلام قبل كثير من مناطق الجزيرة العربية أثـــناء هجـــرة الصـــحابة لهـــا في السنة الخامسة من البعثة، وازدهـــرت العلاقات التجارية في العهود التالية لعهد الراشدين مع الأحباش فتغلغل الإسلام في تلك الديار، كما ساهم في توطد الإســـلام فـــي الحبشة قيام إمارات إسلامية عربية، وظلت هذه الإمارات والمراكز مراكز لنشر الثقافة العربية والإسلامية، ومما ســـاهم فـــي تطورها وفود العلماء والفقهاء من مكة والمدينة ودمشق وبغداد والقاهرة والقيروان وفاس وغيرها حتى ظهرت مـــدن ذات شأن علمي في شرقي أفريقية مثل زيلع ومقديشيو وبراوة ومركة، وممبسة، ومالندي، وكلوة، وسوفالا[٢].

---

(١) عبدالشافي غنيم عبدالقادر: البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية، ص٨٠-٨٧.

(٢) غيثان: الهجرات العربية وإنتشار الإسلام في بلاد شرق أفريقية في العصور الوسطى، بحوث في التاريخ والحضارة، ج٢، ص٢٨-٣٥.

ومــن الهجــرات العربية التي تركت أثراً على الإسلام في الحبشة هجرة جماعة من قريش من الحجاز من ذرية عقيل بن أبــي طالب[1]، الذين أقاموا في إيفات فقاموا بالتجارة والدعوة إلــى الإســلام بــل وأسسوا حكومة عربية استمرت إلى القرن الثامــن الهجــري، واتخــذوا مــن مدينة جبرتة بمنطقة إيفات عاصــمة لهم. كما تمكن جماعة من بني مخزوم من قريش من تأسيس أول إمارة إسلامية في إقليم شوا بالحبشة (٢٨٣ــ٢٨٨ هـــ)[2].

ولعل بطء انتشار الإسلام في السودان والحبشة يعود لبطء حــركة الاخــتلاط بيــن القــبائل العربية وأهالي البلاد، كما أن الهجرات العربية لم تتخذ طابعاً عسكرياً جهادياً في دخولها هذه البلاد إنما كانت في غالبها هجرات سلمية تنساب إلى هذه البلاد شــرقاً وغرباً شمالا وجنوباً، واحتاجت إلى عامل الوقت لتظهر آثارهــا الإســلامية العربية، ولكن ما إن شارف القرن التاسع الهجري على الأفول حتى دخلت أعداد كبيرة من سكان السودان والحبشة الاصليين في الإسلام[3].

---

(١) أحمد الحفني القنائي: الجواهر الحسان في تاريخ الحبشان، الطبعة الأولى، ١٣٢١، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر، ص١٦.

(٢) محمد الطيب بن محمد بن يوسف اليوسف: إثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ - ١٩٩٦م، المكتبة المكية، مكة المكرمة، ج٢، ص١٩-٢٠.

(٣) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص٢٩٦.

وأدى انتشار الإسلام إلى انتشار اللغة العربية كلغة للحديث والمخاطـبة والمكاتـبة وقد دخلت اللغة العربية إلى مصر مع الفاتحيـن العـرب الـذي توطدوا في مصر وكانت مصر أكثر الـبلدان الأفريقـية تأثـراً باللغة العربية وتقبلاً لها وقد كانت الوثائق الإسلامية الأولى من أوراق البردي تكتب بالإغريقية ثم تكتب باللغتين العربية والإغريقية، ولما تم تعريب الدواوين في عهـد الخلـيفة الأموي عبدالملك بن مروان أصبحت لاتكتب إلا باللغـة العربية، في حدود العام ٩٠هـ فأصبحت اللغة العربية اللغة الرسمية للحكومة في مصر ثم بدأت تضعف اللغة القبطية وتختفي من الساحة المصرية حتى دخلت اللغة العربية الكنيسة القبطـية، وأصبحت تتلى بها صلوات النصارى الأقباط. وما أن شـارف القـرن الرابع الهجري على التمام حتى أصبحت اللغة العربـية لغـة المصـريين جمـيعاً عـرباً وأقـباطاً مسلمين ونصارى[١].

واتخذت مصر موقعها المتميز ودورها الرائد في الحضارة الإسـلامية، ويقـول ضـرار صالح ضرار "كانت أرض الكنانة مصـنعاً ضخماً لتعريب العناصر الأفريقية ونشر الإسلام بينهم. وكانـت السـودان هو البحيرة التي تنبع منها أعداد كبيرة من الأفارقـة من شتى أنحاء القارة للرحيل إلى مصر، والاستيطان بها والعمل في جيوش الدولة العربية الإسلامية"[٢].

أمـا في بلاد البجة فكان انتشار اللغة العربية يسير ببطء شـديد، بـل إن اللغـة العربية تأثرت باللغات المحلية في تلك الديـار، وقد يعود ذلك إلى عدم تركز الجهود الدعوية والثقافية من العرب في تلك المناطق، إلا أن اختلاط العرب بالبجة ساهم فـي نشـر لغـة العرب بينهم، وخاصة في المناطق الحضرية الواقعـة علـى طـريق القوافـل مثل صيحة وهجر والنمامس وغـيرها، وطغى استخدام البجة لأسماء عربية من بداية القرن

---

(١) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص١٠٤-١٠٦.
(٢) هجرة القبائل العربية إلى وادي النيل مصر والسودان، ص٦١٦.

الثالـــث الهجـــري، وظهـــرت مدن بجاوية تحمل أسماء عربية كسواكن وعيذاب وصيحة وهجر، كما أن مناطق التعدين حملت أســـماء عربـــية، وكذلك الآبار والمراسي بل حتى ملوك البجة تســـموا باســـماء عربية، فذاك ابن حوقل[1] يذكر أن لهم ملك مســـلم يتكلم بالعربية. وقد وجدت آثار وحفريات في بلاد البجة تحمل التواريخ الهجرية والأسماء العربية[2].

كذلـــك الحـــال في الحبشة فقد ساعد تغلغل القبائل العربية فـــيها واخـــتلاطهم بأهلها بالمصاهرة على انتشار اللغة العربية والإســـلام وتأثرت قبائل متعددة في شرقي أفريقية مثل الأمهرة والدناقل والأتريين والأحباش والصوماليين، كما ساهمت الحركة الـــتجارية فـــي انتشـــار اللغـــة العربية في الحبشة والبحيرات وماجاورهـــا، وقـــد امـــتدت طـــرق القوافل التجارية إلى داخل أثيوبـــيا، وساهمت قبائل عربية مثل ربيعة وقحطان والأزد في انتشـــار الإسلام واللغة العربية. على أن قمة مجد اللغة العربية في الحبشة ارتبط بقيام الإمارات الإسلامية في تلك النواحي، فقد كانت اللغة العربية هي اللغة الرسمية السائدة فيها[3].

---

(١) صورة الأرض: ص٥٧.

(٢) ربيع محمد القمر حاج: إنتشار الإسلام في بلاد البجة، ص١٥٦-١٦٠.

(٣) غيثان: الإسلام واللغة العربية في دول الطراز الإسلامي، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، ج٢، ص١٠٣-١١١.

٣- دور القبائل العربية في التجارة والسياسة:

وقـــد سبقت الإشارة إلى جوانب من هذا الدور في مواضع متفرقة في الفصل الثاني عند الحديث عن التجارة الشرقية عبر ثغــور الــبحر الأحمر الشرقية والغربية مع شرق آسيا وشرق أفريقــيا، وعند الحديث فيما سبق من صفحات عن دور القبائل فـــي نشر الإسلام واللغة العربية فقد كان للتجارة دور هام في ذلك.

وقـــد ازدهــرت التجارة في مصر منذ الفتح الإسلامي لها على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه والفاتحين العرب، كما أن حكــام مصــر فـــي العصــور المختلفة اهتموا كثيراً بالبحر الأحمــر، فأصــلحوا الطــرق الصــحراوية التي تمر بها قوافل الــتجارة بيــن البحر الأحمر والنيل، كما عنوا بإقامة الحاميات فــيها، وحفروا الآبار على طول تلك الطرق، واهتموا بالقضاء علــى القراصــنة فـــي البحر الأحمر وازدحمت صحراء عيذاب بالــرحلات الــتجارية، ورحلات حجاج بيت الله وتسابق التجار العرب في الغدو والآصال على ارتياد الموانئ الشرقية والغربية للــبحر الاحمر بتجارتهم منطلقين شرقاً إلى الصين والهند وإلى شــرق أفريقــية فكان البحر الأحمر شرياناً حيوياً للتجارة بين الشرق والغرب، وتميزت مصر بموقعها الجغرافي التجاري الذي ربــط بيــن أوروبــا وآســيا وأفريقيا(١). وتحكم العرب خاصة والمسلمين عامة في تجارة البحر الأحمر(٢).

---

(١) سيدة إسماعيل كاشف: البحر الأحمر والفتح العربي لمصر، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ص١٠٠-١٠٤.

(٢) حسنين محمد ربيع: البحر الأحمر في العصر الأيوبي، المرجع السابق، ص١٠٥.

وانعكست هذه التجارة على مصر ازدهاراً ورخاءً، فقامت في مدنها منذ الفتح الإسلامي الأسواق، وتطورت كثيراً، وقد اختط عمرو بن العاص للخليفة عمر بن الخطاب داراً عند المسجد الجامع إلا أن الخليفة أمره أن يجعلها سوقاً للمسلمين. ووجدت أسواق متنوعة مثل سوق العيارين، للعطارين والبزازين، وسوق الفاميين للجزارين والبقالين والشوايين، وسوق الطباخين ويجمع الصيارف والخبازين والحلوانيين. وفي العهد العبيدي الفاطمي ظهرت أسواق كبيرة، مثل سوق الشرايحيين في القاهرة وسوق أمير الجيوش، وسوق القماحين، وسوق المحاربين، وفي عهد الأيوبيين ظهرت أسواق منها سوق المهامزيين، وسوق السلاح، وسوق باب الفتوح وغيرها، وفي الإسكندرية وجدت أسواق كثيرة متخصصة حتى وجد حي خاص لبيع التوابل، وسمي بشارع الفلفل، وفي دمياط فقد استوطنها كثير من التجار وأصحاب الأموال، وكذلك صعيد مصر من أشهر أسواقه منفلوط والأسيوطية وقوص واسنا واسوان، وعرفت مصر منشأت تجارية متعددة مثل القياسر والتي تتكون من مجموعة من المباني العامة بها حوانيت ومصانع ومخازن، وأحيانا مساكن وبها كذلك أروقة، وعرفت منذ العهد الأموي، كذلك وجدت الخانات وهي المباني الضخمة التي تحتوي على مجموعة من الحوانيت الكبيرة والصغيرة ومستودعات البضائع، وكذلك الفنادق وهي بناء ضخم مربع الشكل على شكل حصن أدواره العليا للتجار والسفلى لتخزين البضائع، وكذلك أنشئت الوكالات التي تشبه الفنادق في نظامها، ولم تقتصر إقامتها على الحكومة بل أنشأها بعض كبار التجار، وأنشئت المتاجر لخزن بعض السلع(١).

---

(١) القوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص١٨٣ـ٢٠٥.

وبالــرغم مــن أن القبائل العربية احتكرت في بدء دخولها مصـــر الخدمة في الجيش الإسلامي، وتولت المناصب الادارية والعســكرية، وتــنال العطاء من بيت المال إلا أنه وفي العصر العباسي عندما انقطع العطاء عن العرب، اضطر كثير منهم إلى الــتوجه إلـــى الــزراعة والتجارة، ونزحوا إلى ريف مصر[1]، وخاصة بعد توارد الأخبار عن المعادن والذهب في جنوب مصر وبــلاد الــبجة شــرقي السودان. وتحدث الجغرافيون والرحالة المســلمون عن أرض المعادن وتبر الذهب والزمرد في جنوب مصر من أسواق (بلاد النوبة) شمالاً إلى مصوع ببلاد الحبشة جنوباً، وتركزت هذه المناطق وهذه الثروات في شرقي السودان وماعُـرف بــبلاد البجة فيذكر اليعقوبي (٢٨٤هـ) أن من أراد المعادن والتبر خرج من أسواق إلى الضيقة والبويب والبيضية، وبيت ابن زياد، ثم عذيفر ثم جبل الاحمر ثم جبل البياض، وقبر أبــي مسعود، ووادي العلاقي، مشيراً إلى أن رواد هذه المواقع هم طلاب تجارة الذهب والمعادن من العرب وغيرهم وأشار إلى أن أغلب ساكني العلاقي من قبيلة ربيعة ويعمل معهم في تجارة الذهــب عبيد لهم من أهالي البلاد، كما ذكر منازل جهينة وبلي فــي تلــك البقاع وممارستهم لهذه التجارة، وعن طريق ميناء عيذاب في بلاد البجة ينقل التبر والعاج في المراكب إلى أماكن شتى[2]. كما أشار إلى مواضع المعادن والزمرد في بلاد البجة، المسعودي[3] وابن حوقل[4].

---

(١) حسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص١٠٣.
(٢) كتاب البلدان: الملحق بكتاب الاعلاق النفسية لابن رستة، ص٣٣٤.
(٣) مروج الذهب، ج٢، ص٢٠ و ٢٤.
(٤) صورة الأرض: ص١٦٢.

كمـــا تحـــدث عـــن هـــذه المواضع وانتشار العرب فيها الإدريســـي (ت٥٦٠هـــ)[١]، إلا أن هذه المعادن لم تكن سهلة المـــنال للقبائل العربية، فقد قاتلت البجة دون أراضيها كثيراً بل هاجمـــت حـــدود الدولة الإسلامية في أسوان قتلاً وسلباً ونهباً، لـــيس هـــذا بدافع الحرص على استثمار المعادن بقدر ما كان دفاعاً عن أراضيهم ومراعيهم فقد كانوا بدواً رعاة أبل حتى أن إبلهـــم تشـــتهر بنجابتها وإقبال العرب على شرائها. ومن تلك الحـــروب التـــي وقعت بين العـــرب والبجاة حتى تمكن العرب علـــى إثرها من دخول تلك الأراضي واستثمار معادنها وتبرها، عـــندما هاجم البجاة وأهل النوبة مصر في الأعوام التي سبقت عـــام ٣١هـــ، فاضطر المسلمون للدفاع عن أنفسهم لوقف هذه الهجمات، وتقدموا في بلاد النوبة والبجة بقيادة عبدالله بن سعد بـــن أبـــي السرح في حملة ثانية حتى توغل إلى دنقلا من بلاد الـــنوبة وجرت معركة قوية لم تكد تحسم إلا بالمنجنيق فاضطر الـــبجة إلـــى طلـــب الصلح، وعُقدت معاهدة "البقط" وهي تعني الالـــتزامات المتبادلة ومايتبعها من مدفوعات، واتفق الطرفان علـــى أن يدفع النوبة أربعمائة من أواسط رقيقهم كل عام على أن يتســـلموا مقـــابل ذلـــك سلعاً غذائية وثياباً، والأهم في هذه المعـــاهدة الحـــرية التجارية للمسلمين في بلاد النوبة دون أن يتعرضـــوا لأذى[٢]. ووقعـــت عـــدة حروب ومعارك بين البجة والعـــرب فـــي عـــدة فـــترات، ففي العهد العباسي وفي خلافة المأمون سنة ٢١٦هـــ كانت نتيجة هذه الحرب أن اندفع العرب باتجاه مناجم الذهب في وادي العلاقي كما قاموا بشراء أراضي زراعـــية في بلاد النوبة، إلا أن وصول ربيعة باعداد كبيرة إلى تلـــك الديـــار عـــبر البحر الأحمر قادمين من اليمامة بنجد إلى شـــرقي السودان كان في خلافة المتوكل العباسي، وإثر حروب مـــتعددة مـــع الـــبجة حـــتى عـــام ٢٣٢هـــ دانوا بعدها للحكم

(١) نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، ج١، ص٤٠.
(٢) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص٢٧.

الإسلامي فتدفقت جماعات كبيرة من قبيلة ربيعة[1]، ويذكر المسعودي أنه في سنة ٣٣٢هـ كان صاحب المعدن أبو مروان بشر بن إسحاق، وهو من ربيعة[2]. وكان بأسوان بعد كنز الدولة وهم خليط من الحدارب وربيعة، وأبناء كنز الدولة قاتلوا النوبة وملوكها ثم اندمجوا فيها[3]. وأصبح معدنا الذهب والزمرد من أهم السلع التجارية التي يصدرها التجار إلى خارج بلاد البجة، وأدت وفرته إلى ازدهار النشاط التجاري، واستفاد التجار العرب من الأوضاع المستقرة في المنطقة خاصة في خلافة المتوكل العباسي حتى بلغ مايصل بغداد من الذهب والزمرد والفضة خمس مايتم استخراجه من وادي العلاقي. وأصبحت مصر التي كانت تشرف على تلك التجارة منافساً قوياً لبغداد في ضرب العملة، وأصبحت العملة المضروبة في بغداد أقل قيمة من نظيرتها المصرية فأنشئت في مصر عدة دور لسك العملة منها دار في صعيد مصر بقوص، ولهذه المدينة أهميتها لأنها تقع على الطريق التجاري الهام الذي يربط بين عيذاب والموانيء البجاوية الأخرى، وقربها من مركز التعدين في وادي العلاقي؛ وشجع الولاة التجار والقبائل العربية على تطوير وتوسيع أعمالهم في مجال التعدين فانتشرت الدنانير الذهبية، والحلي والجواهر الذهبية، والمصاحف المذهبة والسيوف والملابس الفاخرة والعمائم والأواني النحاسية والسروج

---

(١) ابن حوقل: صورة الارض، ص٥٣، وانظر: ضرار صالح ضرار، هجرة القبائل العربية، ص١٠٠-١٢٠، وانظر: يوسف فضل حسن: المصدر السابق، ص٣٦.

(٢) مروج الذهب ومعادن الجوهر، ج٢، ص٢٠.

(٣) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان، ص٣٤.

وبلغ ثراء بعض التجار حداً فاحشاً من الذهب(١)، ومع الذهب كان معدن الزمرد في بلاد البجة أيضاً، ويصف المسعودي أنواعه بالقول أن "النوع الأول منها يعرف بالمر وهو أجودها وأغلاها ثمناً، وهو شديد الخضرة كثير الماء .. والنوع الثاني يدعى بالبحري .. والنوع الثالث يعرف بالمغربي .. والنوع الرابع هو المسمى بالأصم.."(٢). إلا أن تجارة العرب لم تقتصر على استثمار المعادن بل هناك من تاجر في جلب المواد الغذائية والثياب والخزف وريش النعام والعاج والماشية والرقيق، بل أصبحت تجارة الرقيق من التجارات الهامة لدى العرب في الجزيرة العربية وفي أراضي أفريقيا وفي مدن وعواصم الدولة الإسلامية التي تطلب الرقيق السوداني. وكان الرقيق فئتين فئة من النساء تتخذ كجواري وحاضنات وخدماً، ومن الرجال كخدم وعمال، وفئة اتخذت كجند، ومثال ذلك ما جرى في مصر في عهد أحمد بن طولون الذي اتخذ من هؤلاء مايقدر بـ ٤٠ ألفاً في جيشه، وتزايد هذا الجند في عهد الإخشيدين والعبيديين وكان التجار العرب يعتمدون على التجار من أبناء هذه البلاد لجلب الرقيق(٣).

---

(١) ربيع حاج: إنتشار الإسلام في بلاد البجة، ص٢٨٤-٢٨٧.
(٢) مروج الذهب، ج٢، ص٢٤.
(٣) يوسف فضل حسن: تاريخ السودان، ص٣٦.

وراجت تجارة أخرى قادها العرب هي إبل البجة التي وصفت بنجابتها وجودتها وخاصة التي عرفت باسم "الجمال البختية" نسبة إلى قرية بختة من قرى البجة ويصفها الإدريسي بقوله: "وإلى هذه القرية تُنسب الجمال البختية وليس يوجد على وجه الأرض جمال أحسن منها ولا أصبر على السير ولا أسرع خطا، وهي بديار مصر معروفة بذلك"[١].

وقد أشار إلى هذه التجارة ابن بطوطة (ت٧٧١ أو ٧٧٩ هـ) في رحلته بقوله: "ثم ركبنا من جدة في مركب يسمونه الجلبة، وكان لرشيد الدين الألفي اليمني الحبشي الأصل، وركب الشريف منصور بن أبي نمي في جلبة أخرى ورغب مني أن أكون معه فلم أفعل لكونه كان معه في جلبته الجمال فخفت من ذلك ولم أكن ركبت البحر قبلها ..."[٢].

وسيطر العرب على التجارة في الحبشة خاصة الجزء الشرقي منها على السواحل الإرتيرية والصومالية حتى عزلت الحبشة النصرانية عن العالم الخارجي خاصة، وقد مد المسلمون نشاطهم إلى ميناء زولا الثغر الوحيد لتجارة الحبشة على البحر الأحمر ولقى التجار العرب في الحبشة تقبلاً وترحيباً من سكان البلاد، وكانت منطقة القرن الإفريقي تشتهر بالأخشاب والتوابل والبن والعاج والجلود، بل إن انتشار الإسلام في تلك البقاع يعود الفضل فيه بعد الله عز وجل للتجار، وللنشاط التجاري الكبير الذي صاحب النشاط الدعوي الإسلامي في شرقي أفريقية، وسيطر التجار العرب على طرق القوافل الداخلية في تلك البلاد مما انعكس أثره على الإسلام فدخل منطقة جوبا أقصى منطقة داخلية جنوبية[٣].

---

(١) نزهة المشتاق، ج١، ص٤٧.
(٢) تحفة النظار، ج٢، ص٩٨.
(٣) غيثان: الهجرات العربية إلى ساحل شرقي أفريقية، بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، ج٢، ص٦٩-٧٤.

وتمثل نشاط القبائل العربية السياسي في ثلاثة أدوار هامة:

(١) ــ فتح مصر

(٢) ــ الصـــراعات والمواجهات العسكرية مع حكومات مصر. (من العهد الأموي إلى العهد المملوكي).

(٣) ــ إقامـــة الإمـــارات الإسلامية في شرقي أفريقية (القرن الإفريقي والسودان).

<u>(١) ــ فتح مصر</u>

فُتحـــت مصر على يد عمرو بن العاص رضي الله عنه في خلافـــة عمر بن الخطاب رضي الله عنه سنة ١٦هــ في شهر ربيع الأول[١]، وكان برفقته من القبائل العربية ٣٥٠٠ ثم ألحقه عمر بن الخطاب بالزبير بن العوام بعشرة آلاف وقيل اثنا عشر ألف من العرب. واختط الزبير، بمصر الإسكندرية خطتين[٢]، ثم اختطـــت قبائل العرب حول مدينة الفسطاط في سنة ٢٠هــ، ثم اتســـعوا في البلد فاختطوا على النيل واختطت قبائل العرب في المواضـــع المنســـوبة إلـــى كل قبيلة، وبنى عمرو بن العاص مســـجده ودار الإمارة وجعل الأسواق محيطة بالمسجد، وجعل لكل قبيلة محرساً وعريفاً[٣].

---

(١) ابن كثير: البداية والنهاية: ترتيب وتهذيب محمد بن صامل السلمي، خلافة عمر بن الخطاب، ص٧٩.

(٢) أحمد بن يحى البلادي: فتوح البلدان، تحقيق رضوان محمد رضوان، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٤٠٣هـ، ص١٥-١٦.

(٣) اليعقوبي: البلدان: ص٣٣٠.

(٢) ــ الصــراعات والمواجهــات العسكرية مع حكومات مصر

امــتدت العصبية القبلية التي ثارت في الشام بين السبئية والقيســية في العهد الأموي إلى مصر، والتي كانت من عوامل زوال حكم بني أمية، ففي عهد مروان بن محمد آخر خلفاء بني أمــية وقفــت القبائل السبئية في مصر ضد بني أمية فبعث لهم الخلــيفة الأمــوي والــياً قيسياً هو حوثرة به سهيل الباهلي(١) ودخــل مصــر بعــرب من أهل الشام وتمكن من القضاء على الثائريــن وقتلهم عام ١٢٨هــ(٢). وزاد وضع العرب سوءاً في عهــد المعتصــم بالله العباسي عندما أسقطهم من ديوان مصر وقطــع عنهم العطاء، فثارت ثائرة العرب من لخم وجذام بقيادة يحيى بن الوزير الجروي، فكلف المعتصم كيدر واليًا على مصر إلا أنــه توفــي قــبل القضاء على الثائرين العرب، وتولى ابنه المظفر ولاية مصر، وتمكن من القضاء على ثورة العرب وأخذ يحــى أســيراً وضــعف شأن العرب، وكثرت الأتراك في جيش الدولة العباسية(٣).

---

(١) حوثرة بن سهيل الباهلي، قائد أموي ممن ولي مصر، كان بدوياً قحاً كما يصفه الزركلي، وفصيح اللسان، وسفاكا للدماء، ولي مصر سنة ١٢٨، وقتله السفاح العباسي، انظر الاعلام، ج٢، ص٢٨٨.

(٢)أبو المحاسن:النجوم الزاهرة،ج١،ص٢٩،وانظر عبدالمجيدعابدين:البيان والإعراب، ص١٠٢.

(٣) أبو المحاسن: المصدر السابق، ج٢، ص٢٢٣، وانظر عبدالمجيد عابدين، المرجع السابق، ص١٠٤.

وفــي خلافــة المــتوكل العباسي (٢٣٢ــ٢٤٧هــ) كانت هجــرة قبــيلة ربــيعة مــن نجد عبر البحر الأحمر إلى شرق السودان (وادي العلاقي) كما سبقت الإشارة[١] إلى ذلك، وتمثل دورهم السياسي في التصدي لغارات البجة على مناطق الصعيد الأعلــى ذات الأكــثرية المســلمة[٢]. والمشاركة في الحملات العســكرية، ومن ثم إقامة إمارة عربية لهم في أرض السودان الشرقي، وقد سبقت الإشارة في دور العرب التجاري إلى بعض مــاوقع من حروب بين العرب والبجة منذ عهد الراشدين حتى العهد العباسي، فقد تمكن المأمون العباسي عام (٢١٦هــ) الحد من شرور وأذى البجة على بلاد المسلمين وغاراتهم المتواصلة علــيها. وكانت لقائده عبدالله الجهم أو عبيد بن الجهم معاهدة معهــم، خاصة وأن الإسلام لم ينتشر بينهم كثيراً ولم يضبطوا كثــيراً مــن شرائعه[٣]. وساهمت هذه المعاهدة في فتح الباب للقبائل العربية في استثمار المعادن في بلاد البجة، إلا أن البجة ماكــانوا ليســتكينوا فترة حتى يعاودوا ثوراتهم وغاراتهم على بــلاد المسلمين، فكان ذلك في خلافة المتوكل العباسي[٤]. وألح المسلمون على الخليفة العباسي بالشكوى من أذى البجة وكانت ربيعة قد تدافعت إلى بلاد البجة في تلك السنين، فسير المتوكل قائداً اسمه محمد بن عبدالله القمي من ولد أبي موسى الأشعري عــام ٢٤١هــ، وأمده بالمال والسلاح، وكان جيشه من القبائل العربية من ربيعة ومضر واليمن ثلاثة آلاف رجل، والتقى بملك الــبجة علــى بابا ومعه مائتي ألف من البجة، واتصف القمي بالمهــارة والحــنكة الحربــية وأحسن إعداد جيشه، وكان معه

(١) اليعقوبي: البلدان: ص٣٣٣، والمسعودي: مروج الذهب، ج٢، ص ٢٠.
(٢) المقريزي: البيان والإعراب، ص٤٤.
(٣) عبدالمجيد عابدين، البيان والإعراب، صص١٠٦.
(٤) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٣.

حسك[١] الحديد واجراس كثيرة، وطبول زنجية ضخمة وأسلحة جـيدة، وسار بمحاذاة ساحل البحر الأحمر ليتلقى الإمدادات من المـؤن التي حُملت له في سبع سفن أبحرت من القلزم ورست قريباً من عيذاب محملة بالمواد الغذائية، وبتلقيه المؤن ارتفعت معـنويات جيشـه رغـم فارق العدد بين الطرفين، وبدأ رجاله يلقـون في الساحة في طريق البجة بحسك الحديد الذي سيكون معوقاً لهم ويضر بأخفاف الإبل التي كانت تقدر بثمانين الفاً من النجب.

ولجأ إلى حيلة حربية برفعة كتبٍ في طوامير كتان بالذهب وجعلها بخيط جليل على الأسنة، ونادى عند طلوع الشمس هذه كتـب أمير المؤمنين اليكم معاشر البجه، وهم يشاهدون الأمر، فأستحسنوه، وتوجهوا إليه لاستطلاع الأمر وبينما هم كذلك أمر القمـي بضـرب الطـبول الزنجية التي كانت معه وأمر الخيالة بـالهجوم وقد ربط حول اعناق خيل رجاله الأجراس بهدف بث الذعر في إبل البجه، وكان له ما أراد فهاجت الإبل وولت مدبرة تجاه الداخل وتطأ في طريقها من يعترضها، وتمكن جيش القمي مـن ملاحقـتهم وضـربهم بالسيوف حتى حلت بهم الهزيمة، وقضي الأمر واستسلم ملكهم علي بابا طالباً الصلح، ونقل علي بابـا إلى بغداد للقاء المتوكل الذي أحسن استقباله وخلع عليه، وتم الاتفاق على أن تترك الحرية الكاملة للمسلمين في استثمار المعدن واستخراج الذهب في بلاد البجه دون أن يعترضهم أحد من البجاة، ونَجَمَ عن حملة القمي بمن رافقه من القبائل العربية وعلـى رأسـها ربيعه استقرار العرب في تلك الديار[٢]. إلا أن

(١) الحسك: مايعمل من الحديد على مثاله، وهو من آلات العسكر. انظر الرازي: مختار الصحاح، ص٥٧. ومن المرجح أنها نوع من السلاسل والكلاليب التي تعوق حركة جيش العدو.

(٢) ابن حوقل: صورة الأرض، ص٥٣، وضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص١١١-١١٧.

القمـــي هذا قتل على يد كبير ربيعة ويدعى أشهب ربيعه أو هو يزيد بن بشر اغتيالاً[١].

ولــم تقــف غارات البجه عند هذا الحد بل عاودت البجه غاراتهــا علــى بلاد المسلمين في مصر من بعد عام ٢٥٥هــ فنهــبوا وقتلوا، وفعلوا ذلك عدة مرات، فتصدى لهم رجل من قــريش من بداية سيطرة الطولونيين على مصر، وذلك الرجل هــو أبــو عبد الرحمن عبدالحميد بن عبدالعزيز بن عبدالله بن عمــر بن الخطاب، ودخل بلاد البجاة فنهبها وقتل فيهم فأكثر، وسبى عدداً لايحصى منهم، وتابع عليهم الغارات حتى أدوا إليه الجــزية ويصــف ابــن الأثــير خروج العمري بأنه غضب لله وللمســلمين، حتى قوى أمره واشتدت شوكته فما كان من ابن طولــون إلا أن تصدى للعمري خشية قيام إمارة عربية أو نفوذ عربــي يقضي على نفوذ الأتراك في مصر، فأرسل له جيشاً إلا أن العمــري طلب من قائد جيش ابن طولون أن يبين للأمير أن العمــري خــرج طلباً للجهاد ولم يخرج للفساد، ولم يتأذى به مسلمٌ ولا ذميٌ إلا أن قائد الجيش رفض، وقاتل العمري، فتمكن العمــري مــن هزيمته وتزايد نشاط العمري في شرق السودان وبلاد النوبة جنوب مصر، ودخل في عدة صراعات مسلحة كان الانتصار حليفه في كثير منها وكاد أن يقيم له إمارة لولا دخوله فــي صــراعات متعددة مع القبائل العربية التي استوطنت تلك الديــار، وبعــد فترة هجم عليه غلامان له وقتلاه غدراً وحملاً رأسه إلى أحمد بن طولون، فلما حضرا عنده سألهما عن سبب قتله فقالا: أردنا التقرب إليك بذلك فقتلهما، وأمر برأس العمري فغســل وكفــن ودفــن عــام ٢٥٩هــ[٢]، إلا أن موت العمري وانتهاء محاولاته لبناء إمارة عربية في بلاد النوبة والبجه في

---

(١) ابن حوقل: المصدر السابق، ص٥٤، ضرار: المرجع السابق، ص ١١٧.

(٢) الكامل في التاريخ، ج٥، ص٣٦٩-٣٧٠، وانظر: عبدالمجيد عابدين، البيان والإعراب، ص١٢٠.

شـــمال السودان وشرقه أراح كثيراً ابن طولون والنوبة والبجة وربيعة[١]. وتواصل دور ربيعة السياسي، وتمكنت من تأسيس إمارة عربية لها في العهد العبيدي "الفاطمي" متخذة من أسوان عاصـــمة لها وأقرهم الحاكم الفاطمي "العبيدي" الحاكم بأمر الله على إمارتهم وأطلق على أميرهم لقب "كنز الدولة" وتوارث هذا اللقـــب أبـــناؤه من بعده، خاصة بعد مساعدتهم للفاطميين في القبض على أبي ركوة الأندلسي، وهو رجل أموي يدعي الوليد بـــن هشام بن عبدالملك بن عبدالرحمن سعى إلى بناء دولة له فـــي مصر، ورغم نجاح أولى حروبه مع الفاطميين إلا أنه هُزم فـــي عـــدة معـــارك مع الفاطميين وهرب إلى بلاد النوبة فدلت ربـــيعة على موقعه، فقبض عليه الفاطميون وقتلوه[٢]. واستمر أبناء كنز الدولة يتوارثون الإمارة واللقب حتى كان آخرهم قُتل علـــى يد الأيوبيين عام ٥٧٠هـ[٣]. وكما دعم العبيديون إمارة ربـــيعة شجعوا هجرة بني هلال وبني سُليم من الجزيرة العربية إلى مصر الذين كانوا عوناً للقرامطة في البحرين[٤].

وقـــد تغلب بنو سليم على البحرين بدعوة الشيعة[٥]، فلما تغلـــب بـــنو الأصـــفر علـــى البحرين في سنة ٣٧٨هـ باسم العباســـيين وأخـــرجوا منها بني سليم، رأى العبيديون الفرصة سانحة لتشجيع هذه القبيلة وقبيلة بني هلال بالاتجاه إلى مصر للاستعانة بهم على خصومهم، إلا أنهم أكثروا الشغب في مصر، فشجعهم الفاطميون على الهجرة إلى بلاد المغرب لمحاربة ابن بـــاديس واتـــباعه خصوم العبيدين بالقيروان والمهدية من بلاد

---

(١) ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص١٣٤.
(٢) المقريزي: البيان والإعراب، ص٤٤-٤٦، ص١٢٤، وانظر ضرار صالح ضرار، المرجع السابق، ص١٤٤-١٤٦.
(٣) المقريزي: البيان والإعراب، ص٤٦. ولمزيد من التفاصيل عن إمارة ربيعة في السودان، انظر ضرار صالح ضرار: المرجع السابق، ص ٩٦، ومابعدها.
(٤) عبدالمجيد عابدين: البيان والإعراب، ص١١٦، ص١٢٦-١٢٧.
(٥) الأنصاري: بين التاريخ والآثار، ص٥٠.

المغرب، وقد كان المعز بن باديس قد أعلن انفصاله عن الفاطميين وخلع طاعتهم، لذا عزم الفاطميون على تسيير بني هلال وحلفائهم لقتال المعز، وكان ذلك في العام ٤٤٢هـ. وقد توسع ابن خلدون في الحديث عن دور بني هلال وبني سليم السياسي والعسكري والاجتماعي في بلاد المغرب(١). وكذلك اصطدم الفاطميون ببني قرة من جذام الذي سكنوا البحيرة من مصر الذين ساندوا أبا ركوة الأندلسي عام ٣٩٧هـ، إلا أن قضاء الفاطميين عليه جعل بني قرة يتفرقون عنه، ولكنهم عادوا إلى الشغب، فهاجمهم الفاطميون مستعينين بقبائل عربية أخرى مثل طئ وكلب، فهُزم بنو قرة عام ٤٤٣هـ وانسحبوا إلى الصعيد واستقروا في قرية في مديرية أسيوط(٢).

وفي العهد الأيوبي والمملوكي الذي اتصف بالطابع التركي وتزايد الأعاجم وسيطرتهم على مقاليد الأمور في مصر والشام اتخذت القبائل العربية دورين هامين أحدهما خارجي تمثل في المشاركة في الجهاد ضد الصليبيين والمغول والدفاع عن حدود مصر بخاصة والدولة الإسلامية بعامة. وآخر داخلي تمثل في صراعات عسكرية عنيفة مع الأيوبيين بشكل أقل ومع المماليك بشكل أكبر وأكثر حتى قضى على سلطان القبائل ومكانتها في مصر. ففي حروب صلاح الدين (٥٦٤-٥٨٩هـ) مع الصليبيين تمثل دور العرب في عدة مواقع منها ففي عام ٥٦٩ هـ من شهر ذو الحجة هاجم ملك صقلية وليم الثاني الإسكندرية بحرياً، وهاجم الصليبيون المدينة وحاصروها، فاضطر أهلها للدفاع عن أنفسهم وبرز فيهم أبناء القبائل العربية من لخم وجذام وكندة والأزد وخزاعة وكانوا يسكنون أحياء الإسكندرية مثل كوم الدكة وبركة جذام والبراكل وحارة الأزدي وشارع الحضارمة، وأبي قير شرقي الإسكندرية، ووصل جيش صلاح الدين وساهم في طرد المعتدين من الاسكندرية

---

(١) تاريخ ابن خلدون: ج٦، ص١٨-٦٠.

(٢) عبدالمجيد عابدين: البيان والإعراب، ص١١٦-١١٧.

ومـــتابعة فلولهم[1]. وأثناء هجوم الفرنج على دمياط عام ٦١٥ هـــ بـــرز دور القبائل العربية فأمر الملك الكامل الأيوبي والي الغربـــية أن يجمع العربان، ويشيد المقريزي بدور العرب بأنهم كـــان يتخطفون الفرنج في كل ليلة مما أثار الرعب فيهم؛ حتى وصـــل بهـــم الأمر أنهم يتخطفونهم نهاراً فيأخذون الخيمة بمن فـــيها[2]. وفي عام ٦٤٧هـــ أثناء حملة لويس التاسع[3] على دمـــياط أظهر العرب بطولات وأعمالاً فدائية، وأخذوا يتخطفون جـــنود الأفرنج ويأسرونهم[4]. كذلك توالى دور القبائل العربية الجهـــادي في عهد المماليك، وخير مثال على ذلك معركة عين جالوت التاريخية ضد المغول عام ٦٥٨هـــ فعندما نادى منادي الجهاد للمشاركة في حرب المغول اجتمعت قبائل العرب من لخم وجذام وسنبس، وبرز عرب الشرقية والغربية لموقعهما القريب مـــن أرض المعركة[5]. واستمرت مشاركات العرب في حروب المماليك مع المغول والصليبيين حتى كانت نهاية دولة المماليك عـــام ٩٢٣هـــ عندما شارك العرب في معركة الريدانية ضد العثمانيـــين[6]، وانتهـــت المعـــركة بدخـــول مصر تحت الحكم العثماني.

(١) المقريزي: السلوك، ج١، ص١٦٤، وانظر محمود السيد: تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، ١٩٩٨م، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية، ص٨٠.

(٢) المقريزي: السلوك، ج١، ص٣١٣، ومحمود السيد: المصدر السابق، ص٨٨.

(٣) لويس التاسع: أحد ملوك فرنسا وقائد الحملتين الصليبيتين السابعة والثامنة، أسر في معركة المنصورة، ١٢٥٠م، وتوفي بالطاعون في تونس. انظر المنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الثامنة والعشرون، ص ٥٠١.

(٤) المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٤٠، محمود السيد: تاريخ القبائل العربية، ص٩١.

(٥) المقريزي: السلوك، ج، ص٥١٣-٥٢٠، محمود السيد، تاريخ القبائل العربية، ص٩٩.

(٦) محمود السيد: المرجع السابق، ص١٠٥-١١٠.

إلا أن هــذا الدور الجهادي لم يمنع الاصطدام المسلح بين العــرب والأيوبييــن والمماليك، من ذلك عندما هاجم الأيوبيون بنــي الكــنز من ربيعة في جنوب مصر وهزموهم، فاضطر بنو ربــيعة إلــى الانســحاب إلى داخل السودان، وتوالت هجمات الأيوبيين على أسوان حتى خربوها عام ٨٠٦هـ وذلك لما يراه الأيوبيين من تشيع ربيعة للفاطميين[١].

وكانــت الــثورات والصراعات العربية مع المماليك أقوى وأشــد عنفاً، وقد كان العرب يرون أنهم أحق بالبلاد من هؤلاء المماليــك المجلوبــون إلى بلادهم، ولكن وطأة المماليك كانت علــيهم حادة، واشتد العداء بين الطرفين وفقدت الثقة بينهما، وأصــدر المماليــك الأوامــر تلو الأوامر بمحاصرة العرب وأن لايُمكــنوا من ركوب الخيل ولا اقتنائها ومن خالف من العربان ذلــك المرسوم الشريف ضربت عنقه وأرهق بالبطش[٢]. فكانت أول ثــورة ضد حكم المماليك قام بها رجل قرشي من آل جعفر الطيار ويسمون الجعافرة الأشراف، وهو الشريف حصن الدين ثعلــب بــن الأمير الكبير بن نجم الدين بن الأمير الشريف فخر الديــن اسماعيل بن حصن الدولة مجد العرب، وأخذ يردد "نحن أصــحاب البلاد، والتفت حوله مجموعات عربية مختلفة ومنع الأجــناد وتناول الخراج، وكان ذلك سنة ٦٥١هــ، وتم الالتقاء بناحــية دهروط صربان؛ واقتتل الفريقان؛ فكانت معركة كبيرة انتهــت بانتصار المماليك فأوقعوا بالعربان قتلاً وسبياً لحريمهم وقتلاً لرجالهم، حتى قتلوا زعيمهم، وتفرق أمرهم[٣].

(١) عبدالمجيد عابدين: البيان والإعراب، ص١٢٥.
(٢) محمود السيد: تاريخ القبائل العربية، ص١٢٥.
(٣) المقريزي: السلوك، ج١، ص٤٧٩-٤٨٠.

وكان من نتائج هذه السياسة العنيفة ضد العرب أن تفرق شمل العرب في مصر وخمدت ثوراتهم؛ فاختلطوا بالمصريين حتى لايعرفون حتى أصبح قبطيٌ أميراً على قبيلة عرب جذام، وعانى أمراء العرب وشيوخهم من المماليك الكثير من العنت والجور والتعسف، فكان المماليك يستولون على ثروات العرب وممتلكاتهم دون مبرر يذكر[١]. إلا أن الثورات لم تنقطع نهائياً، وكانت أغلبها ينطلق من أسيوط ومنفلوط بالصعيد، ففي عام ٦٩٨هـ شكل مجموعات من العربان حلفاً كان ميدان معاركه منفلوط وأسيوط حتى تمكن المماليك من القضاء على هذه الثورة بعد ثلاث سنوات[٢].

وقامت حركة لجهينة بقيادة محمد بن واصل العركي الذي يلقب بالأحدب ثورة كبيرة استمرت مايزيد على خمس سنوات (٧٤٩ـ٧٥٤هـ) وأعلن نفسه أميراً وأحاط نفسه بالعرب، وهاجمه المماليك في عام ٧٥٤هـ، وتصدى لهم بجيش قوام رجاله عشرة آلاف فارس سوى الراجلة، ووقعت عدة معارك حامية قتل فيها عدد كبير من الطرفين المملوكي والعركي والجهني وانتهت بهزيمة العركيين والعرب الذين معه، ففروا هاربين إلى بلاد السودان[٣]. حتى من تحالف مع المماليك من العرب لم يأمن جانبهم، فكان ذلك حال بني هلال الذين كانت لهم نزاعات مع العركيين من جهينة، ولما دخل العركيون في حرب مع المماليك دعا المماليك بني هلال لمناصرتهم في هذه الحروب ضد العركيين، ولكن ذلك لم يكن حبل النجاة لهم من المماليك الذي كادوا لهم بحيلة وجمعوا من بني هلال أربعمائة فارس بسلاحهم، فجردهم المماليك من السلاح وانهالوا عليهم

(١) محمود السيد: تاريخ القبائل العربية، ص١٣٣.
(٢) عبدالمجيد عابدين: البيان والإعراب، ص١٢٨.
(٣) المقريزي: السلوك، ج٤، ص١٨٣، وعبدالمجيد عابدين: المرجع السابق، ص١٣٠.

قــتلاً حتى أفنوهم[١]. وتوالت ثورات عربية محدودة في مناطق مختلفة من مصر وشمال السودان لأسباب متنوعة على رأسها الأسباب الاقتصادية السيئة للعرب، وكانت تنتهي بالقمع الشديد من المماليك حتى نهاية العهد المملوكي عام ٩٢٣هـ على يد العثمانيين[٢].

(١) عبدالمجيد عابدين: المرجع السابق، ص١٣٠، وضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص١٨٥.

(٢) محمود السيد: تاريخ القبائل العربية، ص١٣٩، ومابعدها.

(٣) ــ إقامــة الإمــارات الإســلامية في شرقي أفريقية (القرن الإفريقي والسودان):

قامت سبع إمارات وسلطنات إسلامية في القرن الإفريقي، سُـميت بدول الطراز الإسلامي لأنها شكلت مايشبه الطراز على ساحل البحر الأحمر المحاذي لبلاد اليمن، ودخلت منذ نشأتها في أواخر القرن السابع الهجري في صراع مع النصارى الأحباش وكذلك البرتغاليين فيما بعد وبدأت هذه الإمارات في التساقط منذ منتصف القرن العاشر الهجري في عهد الدولة العثمانية.

ولعلنا نتساءل ما أهم أسباب قيام هذه الإمارات، وما علاقتها بالحجاز وهي محاذية للساحل اليمني؟

ونذكر أن من أهم عوامل نشأة هذه الإمارات في القرن الإفريقي:

١ ــ الهجرات العربية المتواصلة إلى إفريقيا عامة، والشرق منها خاصة.

٢ ــ البعد عن قلب الأحداث في الولايات الإسلامية الكبيرة مثل العراق والشام ومصر.

٣ ــ انتشار اللغة العربية والدين الإسلامي بين سكانها.

٤ ــ وفرة الموارد التجارية التي دفعت بالعرب للتوطن في هذه البلاد وتكوين ممالك وإمارات لحمايتها واستثمارها.

ومما يلفت النظر أن المصادر والمراجع التي تحدثت عن هذه الإمارات لم تذكر أسماء أو تواريخ محددة لنشأة هذه الإمارات الإسلامية.

أما علاقة إمارات ساحل القرن الإفريقي بالحجاز فيتمثل في عدة جوانب منها:

١ ـ الجانب السياسي: فقد ذكرت مصادر هذه الإمارات أن لبعض عرب الحجاز وخاصة قريش أدوار هامة في نشأة وتأسيس هذه الإمارات.

٢ ـ الجانب التجاري: حيث كان لعرب الحجاز علاقات تجارية هامة أيضاً بل وسيطروا على طرق القوافل التجارية إلى تلك الإمارات، إلى جانب إخوتهم باقي عرب الجزيرة.

وقد سبق إيضاح ذلك في دور العرب في نشر اللغة العربية والإسلام، وحركة التجارة.

وكانت قد سبقت الإمارات السبع لفترة زمنية مبكرة سلطنة "شوا" داخل الهضبة الأثيوبية وفي الجزء الشرقي منها حيث موقع (أديس أبابا المعاصرة) عام ٨٩٦م (٢٨٣هـ)، وأنشأها جماعة من بني مخزوم من قريش، والتي قيل أنها عاشت قرابة أربعة قرون، وعلى أنقاضها قامت أولى دور الطراز "سلطنة أوفاف أو إيفات"(١).

<u>١ ـ سلطنة أوفات أو إيفات:</u>

ويقال لها جبره بفتح الجيم والباء الموحدة والراء المهملة ثم هاء في الآخر والنسبة إليها جبرتي، وموقعها بين الاقليم الأول وخط الاستواء، ويقدرها أبو الفداء بأنها من حيث الطول سبع وخمسون درجة والعرض ثمان درجات مشيراً إلى أنها من أكبر مدن الحبشة. وهي بقراها عامرة آهله بالسكان وهي أقرب إلى الديار المصرية والسواحل المسامتة لليمن، بل هي أوسع الممالك السبع أرضاً وعسكراً، وتحكمت في الطريق التجاري الذي يربط الداخل بميناء زيلع، وقد أسس هذه السلطنة رجال من قريش من بني عبد الدار وقيل من بني هاشم من ذرية عقيل بن أبي طالب، وقدموا من الحجاز واستوطنوا أوفات،

---

(١) عبدالشافي غنيم: البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية، ص٩٠، وانظر ناود: العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي، ص٩٤.

وحكموهـــا فيما بعد وأول حاكم لها يقال له (عمرو أو يشمع)، ولـــم يعلم تاريخ هذه السلطنة إلا في حوالي (٧٠٠هــ) ولكنهم يخضعون لملك الحبشة النصراني، مثل باقي إمارات الطراز[١].

٢ ــ سلطنة دوارو:

بفـــتح الـــدال المهملــــة وواو ثم ألف وراء مهملة وواو، وطولهـــا خمســـة أيام وعرضها يومان وتقع في إقليم سيدمو وكانـــت تمـــتد بين هوامش وأعالي نهر "وأبي شبيلي" المنطقة المعروفة باسم "آتو" شمال بالي ورغم هذه المساحة الضيقة إلا أن بها جيشاً كبيراً يعدل جيش أوفات السابقة الذكر، ولاتختلف هـــذه الإمارة عن سابقتها فأهلها مسلمون يتبعون مذهب الإمام أبي حنيفة النعمان، ومعاملاتها التجارية بالمبادلة[٢].

---

(١) أبو الفداء: تقويم البلدن، مكتبة المثنى ـ بغداد، ومؤسسة الخانجي بمصر، ص١٦٠ـ١٦١، المقريزي: رسائل المقريزي: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام، تحقيق رمضان البدري وأحمد مصطفى قاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، دار الحديث، القاهرة، ص٢٣٥. وانظر: الأمير شكيب أرسلان: حاضر العالم الإسلامي، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٣م، دار الفكر، المجلد الثاني، الجزء الثالث، ص٨٣. وناود: العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي، ص٩٤ـ٩٥، ومحمد الطيب بن محمد بن يوسف اليوسف: إثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ، ج٢، ص٢٨، وعبدالشافي غنيم: البحر الأحمر طريق للدعوة الإسلامية، ص٩١، وغيثان: الإسلام واللغة العربية في دول الطراز خلال العصور الوسطى، سبق ذكره، ص٩٦، وحسن محمود: الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص٤٠٩.

(٢) رسائل المقريزي: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص٢٣٥، الأمير شكيب أرسلان: المرجع السابق، ص٨٣، ناود: المرجع السابق، ص٩٦، محمد الطيب: المرجع السابق، ج٢، ص٢٨ـ٢٩، غيثان: المرجع السابق، ص٩٩.

٣ ـ سلطنة أرابيني:

طولها أربعة أيام وعرضها كذلك، وعسكرها يقارب عشرة آلاف فارس أما الراجلة فكثير. وأهلها مسلمون أحناف[١].

٤ ـ سلطنة هدية:

بالهـــاء والدال والمهملة والياء المثناة التحتية ثم هاء في الآخـــر، وتقع بين الأقليم الأول وبين خط الاستواء، ويقدر طول مملكتها ثمانية أيام وعرضها تسعة أيام. وهي أقوى السلطنات السبع وأكثرها عدداً وعدة، وبالرغم من أن حكامها مسلمون إلا أن أغلـــب ســـكانها من الوثنيين. وتشتهر هذه السلطنة بتجارة الخصيان[٢].

٥ ـ سلطنة شرخا:

بفتح الشين المعجمة وسكون الراء المهملة وخاء ثم ألف وهي مدينة تلي هدية، وطول مملكتها ثلاثة أيام وعرضها أربعة أيـــام، ويقدر عدد جيشها بثلاثة آلاف فارس، ورجالة الضعف، وسكانها أحناف[٣].

---

(١) رسائل المقريزي: المصدر السابق، ص٢٣٥، وشكيب أرسلان، المرجع السابق، ص٨٣، ومحمد الطيب: المرجع السابق، ج٢، ص٢٩، وغيثان: المرجع السابق، ص٩٩.

(٢) أبو الفداء: المصدر السابق، ص١٦٠-١٦١، رسائل المقريزي، المرجع السابق، ص٢٣٥، شكيب أرسلان: المرجع السابق، المجلد الثاني، ص٨٣، غيثان: المرجع السابق، ص٩٧، ناود: المرجع السابق، ص٩٦، وعبدالشافي غنيم: المرجع السابق، ص٩٢، ومحمد الطيب، المرجع السابق، ص٢٩.

(٣) رسائل المقريزي: الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة، ص٢٣٦، شكيب أرسلان: المرجع السابق، نفس الصفحة، غيثان: المرجع السابق، ص٩٩، محمد الطيب: المرجع السابق، ص٣٠، وناود: المرجع السابق، ص٩٧.

٦ ــ سلطنة بالي:

تلـــى شرخا السابقة ولكنها أكثر خصباً وأطيب سكناً وأبرد هواء. ويحدها شمالاً نهر وأبي شبيلي، وسكانها أحناف[١].

٧ ــ سلطنة دارة:

تلي سلطنة بالي السابق ذكرها، ولكن هذه السلطنة أضعف الإمـــارات السبع وأقلها خيلاً ورجالاً وعسكرها لايزيد على ألف فارس وراجل[٢].

ويجـــدر بالملاحظـــة أن اشـــتداد الصـــراع بيـــن الممالك الإســـلامية وملـــوك الأحـــباش النصارى والبرتغاليين ومن ثم القضـــاء علـــى هذه الممالك الاسلامية يخرج عن فترة البحث ليدخل في العهد العثماني من منتصف القرن العاشر الهجري.

وفي أواخر القرن التاسع والقرن العاشر الهجريين ظهرت في السودان إمارات أو سلطنات إسلامية عربية، وكانت أهمها ســـلطنة الفونـــج أو الفنج أو سلطنة سنار أو السلطنة الزرقاء التـــي قامـــت فـــي العـــام ٩١٠هـــ على يد جماعة من العرب يذكـــرون أنهـــم يعودون بنسبهم إلى بني أمية، وخرجوا بقيادة زعـــيمهم عمـــارة دنقـــس وسيطروا على الجزء الشمالي من السودان الشرقي، وامتد نفوذهم من مدينة مشو بجانب الشلال الثالـــث حتى جنوب عاصمتهم سنار الواقعة على النيل الأزرق، وشـــملت ســـلطنتهم أجـــزاء كبـــيرة من بلاد البجة في الشرق

(١) رسائل المقريزي: المرجع السابق، ص٢٣٦، شكيب أرسلان: نفس المرجع، نفس الصفحة، ناود: المرجع السابق، ص٩٧، غيثان: المرجع السابق، ص٩٧، محمد الطيب، المرجع السابق، ص٣٠.

(٢) رسائل المقريزي: المرجع السابق، ص٢٣٦، شكيب أرسلان: المرجع السابق، المجلد الثاني، ص٨٤، غيثان: المرجع السابق، ص ٩٨، (ولكن يلاحظ على الدكتور غيثان جريس أنه خلط بين دارة ودوارو، وتحدث عن دوارو باسم دارة والعكس هو الصحيح)، وناود: المرجع السابق، ص٩٦، ومحمد الطيب: المرجع السابق، ص٣١.

وكردفان في الغرب، واستمرت دولتهم حتى قضى عليها الحكم العثماني عام ١٢٣٧هـ[١]. الموافق لعام ١٨٢١م.

وقد سبقتها سلطنة الفور أو "دارفور" في أقصى الجزء الغربي من السودان، وسكانها أفارقة زنوج، وهاجرت إليهم في فترات مختلفة بعض العشائر البربرية من شمال أفريقيا وبلاد المغرب، وكان يحكمها ملك سوداني أفريقي، حتى ظهر في منتصف القرن التاسع الهجري رجل عباسي قرشي من تونس أسمه أحمد سفيان المعقور الذي أصبح مقرباً من الملك السوداني وتزوج ابنته الوحيدة وأنجب منها ابنا أسماه سليمان وبوفاة والده، وجده لأمه أصبح سليمان أول ملوك الغور العرب الذين يعود نسبهم إلى العباسيين، عام ٨٤٨هـ واستمرت هذه السلطنة حتى استولت عليها الحكومة المصرية عام ١٨٩٨م (١٣١٦هـ)[٢].

---

(١) ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص٣٤٨، ويوسف فضل حسن: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ - ١٩٧٢م، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ص٤٣، وانظر حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص ٣١١-٣١٢.

(٢) ضرار صالح ضرار: هجرة القبائل العربية، ص٥٨٨-٥٩٢، وانظر يوسف فضل: مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، ص٧٩-٨٤، وانظر حسن محمود، الإسلام والثقافة العربية في أفريقيا، ص٣٢٣.

ثانياً ــ رحلة الحج عبر الثغور:

١) ــ أهم الثغور على الساحل الإفريقي للبحر الأحمر التي يرتادها الحجاج، ورأى الرحالة العرب فيها.

١ ــ القلزم (السويس):

القلـــزم بالضم ثم السكون ثم زاي مضمومة، وميم. والقلزمة ابتلاع الشيء.

وهو ميناء قديم يقع على الطرف الشمالي للبحر الأحمر، ويبعد مســـافة نصف كيلو شمالي مدينة السويس الحالية، وظهرت أهميته بعــد الفتح الاسلامي لمصر فأصبح ميناء مصر الرئيسي في البحر الأحمـــر، كمـــا زادت أهميتها بعد حفر خليج أمير المؤمنين عمر بن الخطـــاب رضـــي الله عنه الواصل بين الفسطاط والقلزم، وتبوأ هذا الـــثغر مكانـــة كبـــيرة حتى منتصف القرن الخامس الهجري عندما هجرت البلدة وشملها الخراب، وحلت محلها السويس، فيذكر ياقوت أنها كانت في زمانه خراباً، وحل محله السويس، وتولت هذه المدينة الولـــيدة نفـــس المهمة من الدور التجاري إلى الدور الديني في نقل حجاج بيت الله إلى الديار المقدسة في الحجاز(١).

(١) الحموي: معجم البلدان: ج٤، ٣٨٧ـ٣٨٨، وانظر اليعقوبي: البلدان، ص٣٤٠، والاصطخري، المسالك والممالك، ص٣٠، وابن حوقل: صورة الأرض، ص٤٧، ←والقوصي: تجارة مصر في البحر الأحمر، ص٤٠، والعبيدي: التجارة والملاحة في البحر الأحمر في عصر المماليك، رسالة ماجستير، ص١٧٥.

ومـــا بين القلزم وعيذاب يرد ذكر مينائي القصير والطور كمرفأين صغيرين ولم يكونا بأهمية القلزم وعيذاب.

٢ ــ عيذاب:

بالفتح ثم السكون وذال معجمة وآخره باء موحدة[١].

ويـــتحدث عنها ناصر خسرو في رحلته عام ٤٤٢هـ في عهد (الخليفة الفاطمي العبيدي المستنصر) بأن بها مسجد جامع وســكانها لايزيدون على خمسمائة نفس ذاكراً أنها تتبع سلطان مصــر، وهــي مركــز تجاري مزدهر من مراكز جمع الخراج الســلطاني يؤخذ من السفن القادمة إليها من الحبشة وزنجبار واليمــن، ويصــف أهلها البجة بالبداوة والوحشية، ولايدينون بديــن[٢]! إلا أنهم في رأيه لايسرقون ولايغيرون على القوافل، كما تحدث عن سمات جمال البجة، وكذلك نوع السمك في بحر عيذاب[٣].

وفــي العهــد الأيوبــي يتحدث عنها ابن جُبير في رحلته بــتاريخ ٥٧٩هــ، ويصفها بأنها أحفل مراسي الدنيا بسبب أن مراكــب الهند واليمن تحط فيها وتقلع منها إضافة إلى مراكب الحجــاج الصـــادرة والواردة، بالرغم أنها مدينة تقع في طرف صــحراء لا نبات فيها، ولا يؤكل فيها شيء إلا مجلوب، ويعمل أهلهــا على نقل الحجاج براً من وإلى عيذاب، وبحراً إلى الديار المقدسة. مشيراً إلى أن أهلها لايدينون بدين سوى مايظهرونه من ترديد كلمة التوحيد إظهاراً للإسلام![٤].

---

(١) ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص١٧١.

(٢) إذا كانوا يقولون كلمة التوحيد ويعترفون بالإسلام، فلايقال أنهم لايدينون بدين وإنما يقال لايعرفون من الدين الحق غير كلمة الشهادة.

(٣) سفرنامة: ص١٣١.

(٤) رحلة ابن جُبير، ص٤٥.

ولايختلف كثيراً وصف الرحالة التجيبي (ت ٧٣٠هـ)[١] وكذلك ابن بطوطة في رحلته (ت ٧٧١هـ)[٢]. ويذكر المقريزي (ت ٨٤٦هـ) أن حجاج مصر والمغرب أقاموا زيادة على ٢٠٠ سنة يعبرون بحر عيذاب إلى جدة، وكذلك تجار الهند واليمن والحبشة. مبنياً بدايتها باتجاه الحجاج والتجار إليها كميناء هام من عهد الخليفة العبيدي المستنصر بالله حتى عهد السلطان المملوكي الظاهر ركن الدين بيبرس (٦٥٩-٦٧٨هـ) والذي استخدم الطريق البري عبر سيناء لقوافل الحجاج سنة ٦٦٦ هـ، ومن ثم بدأ يتلاشى أمر عيذاب حتى سنة ٧٦٠هـ[٣].

وقد تعرضت عيذاب للغزو الصليبي في عام ٥٧٨، وتعرض الحجاج والتجار للقتل والسلب والنهب على أيدي الصليبيين الغزاة ومنها عبروا إلى الحجاز، حتى أدركتهم الجيوش الأيوبية وتمكنت من القضاء عليهم قبل وصولهم إلى مدينة المصطفى محمد صلى الله عليه وآله وسلم وبعد اتخاذ طور سيناء طريقاً للحاج المصري والمغربي أخذت عيذاب في الاندثار والزوال حتى غزاها ملك نوبي يدعي داود سنة ٧٦٠ هـ وقتل أهلها وأسر أعيانها، وضرب دورها[٤]. إلا أنها استمرت ميناءاً بحرياً عادياً حتى زمن ابن إياس، وتبع انهيار هذا الميناء إنهيار الموانئ المقابلة له على النيل، فهجرت عيذاب لتندثر نهائياً في القرن العاشر الهجري، ويتلاشى طريقها التجاري ويتحول عنها التجار والحجاج[٥].

---

(١) مستفاد الرحلة والاغتراب: ص٢٠٥.
(٢) تحفة النظار، ص٤٢.
(٣) المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، ج١، ص٢٠٢.
(٤) محمد صالح ضرار: تاريخ السودان (البحر الأحمر - إقليم البجة)، ص ١٤٦-١٥٣.
(٥) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة ومحطاتها بين الشرق والغرب، ص ١٤٣-١٤٤.

٣ ــ سواكن :

تقــع على بعد ٣٤٩ ميلاً جنوب عيذاب على ساحل البحر الأحمــر فــي بــلاد السودان[١]، وترفأ إليها السفن القادمة من جُــدة[٢]، وبــرزت أهميتها بعد بدء تضعضع دور ميناء عيذاب الــتجاري من القرن الثامن الهجري، ويهتم ميناؤها بنقل تجارة الحبشة والنوبة، وتصلها بحراً سفن الحبشة، وبراً قوافل النوبة محملة بالرقيق والشمع والعسل وقد ورد ذكرها في عدة حوادث أثــناء الصراع التجاري بين عدن وجدة في العصر المملوكي، فسوء المعاملة التي يتعرض لها التجار في عدن أو جدة تدفعهم للتوجه إلى سواكن[٣].

ويصــفها ابــن بطوطة بأنها لايوجد بها ماء ولازرع ولا شــجر، والماء يجلب إليها في القوارب وفيها صهاريج يجتمع بهــا مــاء المطــر، وبها لحوم النعام والغزلان وحمر الوحش والمعــزى، والألــبان والســمن وتجلــب هذه المنتجات وكذلك الحبــوب إلى مكــة، وكان سلطانها حين وصوله إليها الشريف زيد بن أبي نمي[٤]، وصارت إليه من قبل البجاة فإنهم أخواله، ومن عسكره البجاة وعرب جهينة[٥].

---

(١) محمد صالح ضرار: تاريخ سواكن والبحر الأحمر، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، الدار السودانية للكتب، الخرطوم، ص٢٣.
(٢) ياقوت: معجم البلدان، ج٣، ص٢٧٦.
(٣) نعيم زكي فهمي: طرق التجارة، ص١٤١.
(٤) هو زيد بن أبي نمي محمد بن أبي سعد حسن بن علي بن قتادة الحسني المكي، يكنى أبا الحارث، ويذكر الفاسي في العقد الثمين، ج٤، ص١٥٣ أنه لايعلم هل هو زيد الأكبر أم زيد الأصغر وأنه يملك سواكن، أما عزالدين عبدالعزيز فهد في غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج٢، ص٤٢، فإنه يشير إلى أن الاثنان من أبناء أبي نمي، والأكبر قتله بعض العرب.
(٥) تحفة النظار في غرائب الأمصار، المجلد الثاني، ص١٠٠-١٠١.

٢ ـ رحلة الحاج المصري [*1]

قــال تعــالى: {وأذن فــي النــاس بالحج يأتوك رجالاً وعلــى كــل ضامر يأتين من كل فج عميق ليشهدوا منافع لهم ويذكــروا اسم الله في أيام معدودات على ما رزقهم من بهيمة الأنعام فكلوا منها واطعموا البائس الفقير}[2].

تنطلق رحلة الحاج المصري إلى الحجاز من الفسطاط ثم القاهرة فيما بعد[3]، ويتجمع الحجاج في بركة الحاج أو "الجب" "جــب عميرة" وتقع إلى الشمال الشرقي من القاهرة، ثم تليها محطــة البويب وهي مضيق بين جبلين صغيرين به تل رملي مستطيل، وتقدر المسافة بينها وبين بركة الحاج بــ١٥كم أو ثــلاث ساعات، ويصل الحاج إلى عجرود وهي إلى الغرب من الســويس على مسافة ٢٠كم تقريباً، وتتبع عجرود السويس

(*1) من أهم مصادر طريق الحاج المصري: الجزيري: عبدالقادر بن محمد بن عبدالقادر الأنصاري: درر الفرائد المنظمة في أخبار الحاج وطريق مكة المعظمة، تحقيق حمد الجاسر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، منشورات دار اليمامة، الرياض، ج٢، ص١٣٠٣ـ١٤٢٧ (عن منازل ومحطات طريق الحاج المصري ومسافاتها ومقاساتها وأبعادها بالتفصيل، ويرجع ذلك لشغل الجزيري سنة ٩٤٤ منصب كاتب ديوان الحج، كما شغله أبوه قبله منذ مطلع القرن العاشر الهجري، فكانت له معرفة مفصلة بالطريق) وانظر: كتاب المناسك وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة المنسوب للحربي، تحقيق حمد الجاسر، دار اليمامة، ١٤٢٠هـ، (وهي طبعة جديدة بعد تعديل نسبة الكتاب إلى القاضي وكيع). ص٣٩٩ـ ص٤٠٢. وانظر كذلك: ابن خرداذبه المسالك والممالك، ص١١٩، وابن قدامه: نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، ص١٩٠ ، وانظر علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص٦٥ـ٦٦. وسيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، ص١٠٤ـ١٤٤، وآمنة حسين محمد علي جلال: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراة غير منشورة، جامعة أم القرى، ١٤٠٧هـ، ص٢٣.

(٢) سورة الحج: آية ٢٧ ، ٢٨.

(٣) المقريزي: السلوك: ج٣، ص٢٨٠، حوادث سنة ٧٤٠.

حالـــياً[1] مـــع العلم أن مسير الحاج المتجه إلى سيناء لايمر بمدينة السويس، متخذا ممراً بشمالها يدعى بــجسر السويس ومنه يُعبر إلى سيناء، ومن جسر السويس إلى نخل، وتنطلق المســيرة المــباركة بعــد الجسر بمصب وادي الحاج مروراً بالنواطــير الــثلاثة وهي عبارة عن ثلاثة أعمدة من الحجارة بيــن كــل منها مسافة ساعة ونصف، ويتواصل المسير حتى يصل إلى مفرق وادي الحاج، وبعد المفرق يطلق على الوادي وادي الحــيطان لإحاطــة الجــبال به ومنه صعوداً إلى شرفة الحاج بقدر ساعة ونصف من المفرق السابق ومن ثم هبوطاً إلـــى ســهل التيه، ويتواصل المسير من مفرق الحيطان إلى وادي الســحيمي بعد مروره بوادي الاغيدة، ثم يلتقي بوادي النتــيلة ووادي أبو جذل حتى الوصول إلى نخل وهي من أهم محطــات الحاج المصري عبر شبه جزيرة سيناء والتي تبعد عــن القاهرة بمسافة ٢٧٤كم، ومن نخل إلى العقبة ١١٧كم، ويســير مــنها الحاج إلى العقبة على مراحل، ويواصل الحاج طــريقه نحو الشرق بميل قليل نحو الجنوب الشرقي حتى يصل إلـــى وادي رحــية "المشاش"، حتى يمر بجنوب جبال الحمراء الواقعــة فـــي جنوب شرقي سيناء، وشمال نقب العقبة، وهذا النقــب يعد أصعب مراحل طريق الحاج المصري، ويطلق عليها رأس النقب وله عدة قمم ومرتفعات مثل جبل الشنانة وجبل أبو جــدة وجــبل الردادي، وقد جهد الحكام في هذه العقبات حفراً ونقــباً ليسهل طريق الحاج، ويدل على صعوبته ووعورته أنه مــتعرج شديد الانحدار فرأس الطريق عند المفرق بالقرب من نهايـــة العقبة يرتفع بما يقدر بنحو ٦٢٠م عن نقطة المرشش ونقب العقبة يبعد عن مدينة العقبة بنحو ٢٢كم.

ويتواصــل الســير صــعوداً مـــن نخــل الجبل مع وادي المحســرات، حــتى وادي المصري منه إلى قنطرة ومنها إلى مـــنطقة مقعــد الباشــا، ثم إلى منطقة رجم الدرك، حتى وادي

(١) سيد عبدالمجيد: المرجع السابق، ص١٠٦.

القريقـــرة حتى جبل المسان ومنه الى المفرق، وبذلك تم عبور نقـــب العقـــبة، فيستخدم الحاج طريق شاطئ العقبة ماراً ببلدة "المرشـــرش" أم الرشراش على رأس الخليج قاطعاً وادي عربه حـــتى يصل إلى مدينة "أيلة" "العقبة" ثم يتواصل المسير ساحلاً حـــتى بلـــدة حقل الواقعة على الشاطئ الشرقي لخليج العقبة، وتقع هذه البلدة في وادي المبرك، ومن حقل نحو الشرق بقليل وصولاً إلى جبل جنوب حقل هو ظهر الحمار، ويستمر الطريق فـــي وادي أم جرفيـــن مـــاراً بين عدة جبال حتى يصل إلى بئر مجيفل، ومنه إلى الشرف أو شرفة وهي مرتفعات جبلية جنوب شـــرقي حقل وتبعد عنها ٤٥كم، ويقدر ارتفاعها بنحو ١٧٦٣م ومن هذه المنطقة الوعرة يسير الطريق من مجرى وادي عفال (مغائـــر شعيب مدين ــ البدع) ويقدر طوله ١٩٠كم نزولاً من الشرف[١].

(١) سيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية، ص١٢٥.

وقد كان للحاج المصري في الفترة الإسلامية المبكرة بعد خروجهم من مَدْين طريقين: أحدهما داخلي والآخر بمحاذاة الساحل، فأما الطريق الذي يبتعد عن الساحل فيتوجه جنوباً بشرق ماراً على شغب، ثم بدا مروراً بعدد من المنازل حتى يتمكن من الوصول إلى وادي القُرَى ملتقياً بذلك في السقيا (الخشيبة) بطريق الحاج الشامي ليسيرا إلى المدينة المنورة وقد كان هذا الطريق الأكثر استخداماً خلال القرنين الهجريين الأول والثاني، ومن القرن الثالث كُثر استخدام الطريق الساحلي، حتى أهمل نهائياً الطريق الداخلي[1].

ويتواصل الطريق الساحلي بعد مدين إلى عينونا ماراً بطريق شرمة وتريم والنبك (المويلح) ووادي الغال (وادي القسطل) وضباء، والأزلم، وبركة عنتر، والوجه، وبين النهدي. ووادي العرجا، وبركة أكرى وبئر القروي، والحوراء[2] وينبع البحر[3]، إلى المدينة ويسمى الطريق المنطلق من الحوار إلى ينبع الفرع الساحلي ويمر ببئر قتير ويواصل سيره نحو الجنوب ويمر بوادي خماس ثم جبل البوانة ثم يمر بوادي نبط قرب مصبه في البحر الأحمر، ويمر بجبل جربول شمال شرم الخور، ويتجه شرقاً ماراً بوادي كمال، وفي شمال شرم ينبع يميل نحو الجنوب الشرقي ليصل ينبع البحر سيراً على السهل الساحلي[4]، مع العلم أن الجار[1] كانت أيضاً

---

(١) علي إبراهيم غبان: الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٩٣م، ص٢٠٩، وللمؤلف بحوث ودراسات آثارية هامة على منازل هذا الطريق وبعض مدن وموانئ شمال المملكة على ساحل البحر الأحمر. (موانئ شمال الحجاز)، ص ٢١٩-٢٥٩.

(٢) علي غبان: الآثار الإسلامية، المصدر السابق، ص٢١٥.

(٣) وكذلك ينبع النخل من محطات طريق الحاج المصري الذي يستريح في العشيرة، انظر الجزيري: درر الفرائد، ج٢، ص١٤١٤.

(٤) سيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية، ص١٤١.

طـريقاً للحـاج المصـري في الفترات المبكرة حتى كان العهد الأيوبـي الـذي ظهر في عهده ميناء ينبع بشكل بارز. ويتجه الطـريق إلـى جـنوب شـرقي ينبع البحر حتى يصل إلى آبار المسـيحلى ثـم إلـى آبار سعيد عبر وادي الصفراء، حتى بئر عباس بوادي الصفراء، ثم المسيجيد فيخرج من وادي الصفراء باتجـاه الشرق إلى بئر الروحاء إلى الشمال الشرقي حتى يصل المدينة المنورة.

ومـن بـدر إلى رابغ، فخليص، فعسفان، ومنها إلى وادي فاطمـة (مـر الظهران). "الجموم" ومنها إلى سرف إلى التنعيم ومـنه إلـى وادي الزاهر، وذي طوى ويسير الحاج إلى وادي الأبطح حيث يتفرق الحجاج بنواحي مكة شرفها الله[٢].

وقد انقطع هذا الطريق فترة من الزمن وهي أواخر القرن الخامس الهجري في عهد العبيديين أو ماسمي بالشدة العظمى حيـث عجـز العبيديون عن دفع نفقات الطريق وتأمين سبله، وكذلـك بسبب احتلال الصليبيين لأيله "العقبة" أهم محطات هذا الطـريق ومدخلـه الوحـيد إلى الحجاز، وتحول طريق الحاج المصري إلى عيذاب ومنها إلى جدة، والذي استمر قرابة ٢٠٠ عـام حـتى عـاد الطريق البري الساحلي مرة أخرى في عهد السـلطان المملوكـي الظاهـر بيبرس في سنة ٦٦٦ أو ٦٦٧ هـ[٣].

(١) الحربي أو القاضي وكيع: المناسك أو كتاب الطريق: ص٤٠٢، وابن خرداذبه، المسالك والممالك، ص١٤٩، وابن قدامة، ص٦٥.
(٢) آمنة جلال: طرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراة سبق ذكرها، ص٦٦-٧١.
(٣) علي غبان: الآثار الإسلامية، سبق ذكره، ص٢١٢.

ـ رحلة الحاج المصري (القاهرة ـ عيذاب ـ جدة)[1]

وتبدأ الرحلة من ميناء الفسطاط جنوبي القاهرة عبر نهر النيل حتى الوصول إلى أسكر على الضفة الشرقية للنيل ومنها إلى منية ابن الخصيب وتستغرق الرحلة إليها عبر النيل خمسة أيام، ثم يتجه الطريق النهري إلى أنصف، ثم إلى مرسى جبل المقلة أو المقلا، ويقع بالشط الشرقي للنيل، ويمثل نصف الطريق إلى قوص، ومنه إلى مدينة منفلوط وتقع على الشاطئ الغربي لنهر النيل، ثم إلى مدينة أسيوط على الشاطئ الغربي لنهر النيل، وهي من أهم مدن الصعيد ومنها إلى بلدة أبي تيح، وتمر السفن بمدينة أخميم من مدن الصعيد ومنها إلى البلينا على الشاطئ الغربي للنيل، ومنها إلى الشاطي الشرقي لنهر النيل إلى بلدة وشنا، ومنها إلى قنا من المدن الهامة بصعيد مصر ثم يتجه الطريق إلى قوص حيث المحطة النهائية عبر النيل وهي مدينة كبيرة وهامة وملتقى حجاج مصر والمغرب، ومنها يبتدئ الطريق البري إلى عيذاب على البحر الأحمر عبر صحراء مصر الشرقية من الشمال الغربي إلى الجنوب الشرقي لتقطع صحراء عيذاب من قوص إلى جنوب رأس بغدادي على ساحل البحر الأحمر، فتسير الرحلة بموازة ساحل البحر حتى تصل إلى عيذاب، بمقدار ١٧ يوماً، وهي رحلة برية شاقة لقلة المياة، وقسوة سكان تلك القفار وهم البجاة الذين اتصفوا بالقسوة والغلظة، وتحدث عن أخلاقهم وسوء معاملتهم كثير من الرحالة الذين عبروا هذا الطريق ممن سبقت الإشارة إلى آرائهم أمثال ناصر خسرو، وابن جبير، والتجيبي، وابن بطوطة، وغيرهم.

---

(١) ابن جبير: الرحلة، ص٣٢ـ٥٢، وسيد عبدالمجيد بكر: الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص١٤٩ـ١٥٩.

ويـنطلق الركب من قوص إلى المبرز ويجتمع فيها الحاج لشـراء جميع حاجاتهم استعدادًا لرحلة برية شاقة، تليها رحلة بحرية شاقة أيضا فيبدأون من المبرز إلى مكان يسمى الحاجر، ومـنه إلى اللقيطة، ومنها إلى وادي دندان، ويتواصل المسير الشاق إلى منطقة المحدث ثم الميراد، ويمر الحاج بوادي منيح، ووادي الشـلول، ثم ينتقل إلى ماء يدعى الدغيج، وينزل بمكان يسـمى الجهندي، وهو منهل للحاج، ومنه إلى منطقة الحريفاء ثم إلى دنقاش وبها ماء كثير ثم إلى منطقة شعتان وبها بئر أم قـيور، ويواصل الحاج طريقه غربي سواحل البحر الأحمر نحو الجنوب حتى يصل إلى منطقة أمتان ويوجد بها بئر ماء عذب، ويـرتحل مـنها إلـى منطقة حميثرة، ومنها إلى منطقة سلا، وتعـترض قافلة الحاج بعض مرتفعات البحر الأحمر، وتتواصل المسـيرة إلـى مكـان يعرف بمجاج وهو مورد ماء ومنه إلى الحسـا وإلـى شهاب حتى منطقة العشراء، ومنها إلى منطقة الخبيـب بالقرب من عيذاب، حتى تصل القافلة إلى عيذاب على سـاحل البحر الأحمر، وينتقل الحاج المصري والمغربي خاصة والإفريقي بعامـة عبر هذا الميناء إلى ميناء جدة بحراً. ومن جدة إلى القرين "بحرة" ومنها إلى مكة المكرمة(١).

(١) ناصر خسرو: سفرنامة، ص١٢٧-١٣٥، وانظر ابن جبير: في رحلته، ص٣٢-٤٩، وسيد عبدالمجيد بكر، الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، ص١٤٩-١٦٤، وانظر خرائط الطريق ص٣٩٥-٣٩٦.

٣ ـ رحلة الحاج المغربي:

للبحث في أهم مراحل ومنازل الحاج المغربي إلى الديار المصرية ليستكمل الرحلة مع أخيه الحاج المصري إلى الديار المقدسة اطلعت على عدد من الرحلات المغربية المشهورة[١] إلى أرض الحجاز ومما يلاحظ أن الحج إلى مكة كان سبباً هاماً في تميز الرحلات الأندلسية والمغاربية، ممادفع بالمغاربة والأندلسيين لأن يهتموا بتدوين رحلاتهم، كما ساهم تحسن وسائل النقل البحري وبناء السفن لدى المغاربة والأندلسيين في ازدهار هذه الرحلات، وتفوقهم في علم الجغرافية وتحديد المواقع والبلدان، واستثمار معرفتهم بالبوصلة البحرية. كما أن معرفة المغاربة الجيدة بمفاوز ومجاهل أفريقيا، دفعهم إلى الارتحال والتنقل.

ولعل من أشهر الرحلات المغربية الحجازية رحلة أبي الحسن محمد بن ابن جبير ٥٤٠ ـ ٦١٤،ورحلة ابن سعيد المغربي ٦٠٥ ـ ٦٨٥ (النفحة المسكية في الرحلة المكية) ورحلة العبدرى ٦٨٨هـ، ورحلة أبي عبيد الله بن رشيد ٦٥٨ ـ ٧١١، ورحلة البلوي في القرن الثامن الهجري ، ورحلة ابن بطوطة (ت٧٧٩هـ) ، ورحلة أبي العباس أحمد بن الحسن بن قنفد القسطنطيني المتوفي (٨٠٩هـ) ورحلة العياشي (ت ١٠٩٠هـ)، إلى غير ذلك.

---

(١) رحلة بن جبير، ورحلة العبدري، ورحلة ابن بطوطة، ورحلة البلوي.

وتفـوق المغاربـة في أدب الرحلات برز في رحلاتهم إلى الحجاز، ولعل مرد ذلك هو الحنين إلى مهابط الوحي والتنزيل، وأداء فريضـة الحج، والاتصال بعلماء المسلمين في الحرمين الشريفين وفي مصر والشام[1].

وبالـرغم مـن أن رحلـة الحج المصري تميزت بالتنظيم والترتيب والإشراف والإدارة المباشرة من حكام مصر بتعيينهم أميراً للحج وخروج ركب منظم تنظيماً متكاملاً، واشتهار الركب المغربي بخروجه جماعات صغيرة للحج، إلا أن ذلك لايعني أنه لـم تكن هناك رحلات حجيج منظمة، فقد ظهرت هذه الرحلات المنظمة في ركب أبي محمد صالح المتوفى (٦٣١هـ)، وشرح عـن تلـك الرحلة الكانوني في كتابه (اسفى وما إليه) بل أن اتـباعه كـانوا يبنون المنازل للحجاج في طريقهم الطويل التي تبـتدئ بـبلاد حاحة بالمغرب الأقصى إلى الإسكندرية، والعمل على بناء مراكز إيواء للحجاج المغاربة. وقد اتخذ المغاربة عدة طـرق للحجـيج مـنها طـريق صحراوي عبر سجلماسة[2]، وطريقين آخرين، بحري وساحلي[3].

وكـان الحجـاج المغاربـة يلقون معاملة حسنة من حكام مصـر، فقد ذكر ابن جبير أن صلاح الدين الأيوبي جعل مسجد

---

(١) السائح: العلامة الحسن: محقق كتاب: (تاج المفرق في تحلية علماء المشرق:خالد بن عيسى البلوي)، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة، ج١، ص٨٠ـ٩٠.

(٢) سجلماسة: في صحراء المغرب، على نهر زيزن من أعظم مدن المغرب، وتقع على طرف الصحراء، ويقصدها الكثير، بها القصور والعمارات وقد بنيت في سنة ١٤٠هـ وأسسها مدرار بن عبدالله، وبها كان قيام الدعوة العبيدية. ولمزيد التفاصيل انظر الحميري: الروض المعطار، ص٣٠٦. وتقع جنوب المغرب الحالية وهي مهد دولة الأشراف العلوية، المنجد في اللغة والأعلام، ص٢٩٧.

(٣) السائح: العلامة الحسن: محقق رحلة البلوي: المصدر السابق، ص ٨٣.

ابن طولون مأوى الغرباء من المغاربة يسكنونه ويحلقّون فيه، وأجرى عليهم الأرزاق في كل شهر[١]. وسهل حكام مصر المماليك أداء الفريضة للحجاج المغاربة وباقي مناطق افريقيا عبر الأراضي المصرية إلى الحجاز ففي عام ٧٦٤هـ حج سلطان المغرب عبد الرحيم في محمل كبير[٢].

كما قدم حجيج مغربي إلى مصر عام ٧٨٨ وبرفقه هدية قيمة من الخيول المغربية من سلطان تونس ورسالة إلى السلطان المملوكي برقوق، فاهتم بهم السلطان وجهزهم للحج وأوصى بهم أمراء المحمل المصري، بل أثناء عودتهم أرسل معهم هدية للسلطان الحفصي[٣].

ويخرج الحاج الأندلسي للبحر من مدن الأندلس الجنوبية مثل غرناطة[٤] عبر البحر المتوسط إما إلى مدن المغرب الأقصى أو المغرب الأوسط كالجزائر ومنها إلى تونس ومدن ليبيا إلى مصر، أو عبر البحر مباشرة إلى الإسكندرية الميناء المصري على البحر المتوسط ومنها براً إلى القاهرة ويمر الحاج الأندلسي في البحر بعدة جزر وحصون منها للروم ومنها للمسلمين ومن ذلك رحلة ابن جبير عام ٥٧٨هـ التي انطلقت من غرناطة إلى جيان، فحصن بقتداف وحصن قبرة، إلى مدينة إستجه وحصن أشونة، وشلبر، إلى حصن أركش إلى قرية القشمة إلى جزيرة طريف[٥]، وعبر البحر المتوسط

---

(١) الرحلة، ص٢٦.

(٢) الرشيدي: حسن الصفا والابتهاج بذكر من ولي إمارة الحاج، تحقيق، ليلى عبداللطيف أحمد، ١٩٨٠م، مكتبة الخانجي بمصر، ص١٣٦.

(٣) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص٦٧.

(٤) غرناطة: معناها رمانة بلسان عجم الأندلس، وسميت بذلك لحسنها، وهي أقدم مدن كورة البيرة من أعمال الأندلس. انظر ياقوت: ج٤، ص ١٩٥.

(٥) مجموعة مواقع وقرى جنوب الأندلس.

وعلى ظهر مراكب للروم إلى قصر معمورة(١)، وإلى سبتة(٢) على الساحل المغربي، ومواصلاً السير بحراً إلى الأسكندرية مروراً بعدة جزر منها جزيرة ميورقة، وجزيرة منورقة، وجزيرة سردانية، وجزيرة أقريطش(٣) حتى الاسكندرية(٤)، والتي ينتقل منها ابن جبير إلى دمنهور مجتازاً النيل إلى قرية بصا، وقرية برمه، وطنطا، وقليوب والمنيا فالقاهرة، ومن القاهرة إلى جنوب مصر "الصعيد" إلى قوص، وهي ملتقى حجاج مصر والمغرب العابرين طريق عيذاب جدة(٥).

إلا أن رحلة العبدري عام ٦٨٨هـ أكثر توضيحاً لطريق الحاج المغربي، فقد انطلق الرحالة المغربي أبو عبد الله محمد بن محمد بن علي بن أحمد بن مسعود العبدري الحيحي من بلاده حاحه بالمغرب الأقصى، ومنها إلى أنسا من أعلى بلاد السوس الأقصى(٦)، متجهاً قبلة عبر صحراء

---

(١) قصر معمورة: حصن كبير بينه وبين سبتة اثنا عشر ميلا، ويقع على الساحل المغربي على البحر المتوسط، وتنطلق منه المراكب مسافرة إلى الأندلس. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص٤٧٦.

(٢) سبتة: تقع على الساحل المغربي على البحر المتوسط، ويحيط بها الماء من ثلاث جهات إلا من جهة الغرب، ولمزيد من التفاصيل انظر: الحميري: الروض المعطار، ص٣٠٣. وهي الآن تخضع للاحتلال الأسباني.

(٣) تلك مجموعة جزر في عرض البحر المتوسط.

(٤) الإسكندرية: ميناء مصري هام على ساحل البحر المتوسط بناه الاسكندر.

(٥) رحلة ابن جبير: ص٧-٤١.

(٦) السوس الأقصى: أقصى بلاد المغرب، مدينة كبيرة، وأهلها أخلاط، بها يصنع السكر، وتضم مدن عديدة، ويشقها نهر كبير يصب في المحيط، وذات فواكه وحبوب كثيرة. انظر: الحميري: الروض المعطار، ص٣٢٩.

المغرب الشرقية، حتى يصل إلى تلمسان[١] ومنها إلى مليانة[٢]، ومنها إلى الجزائر[٣]، وإلى بجاية[٤]، وبني رار ثم إلى ميلة[٥]، ثم إلى مدينة قسنطينة[٦]، ومنها إلى مدينة قابس[٧]، وقطع البرية بين قابس وطرابلس[٨]، كما قطع البرية من طرابلس إلى

---

(١) تلمسان: بكسرتين، وسكون الميم، ويقال أيضاً تنمسان بالنون، وهي بالمغرب، وهما مدينتان متجاورتان مسورتان، إحداهما قديمة والأخرى حديثة، والأخيرة اختطها الملثمون ملوك المغرب. ياقوت: ج ٢، ص٤٤، والآن هي مدينة جزائرية، وقد ازدهرت في عهد المرابطين.

(٢) مليانة: بالكسر على السكون، مدينة في آخر أفريقية، وهي مدينة رومية قديمة. انظر ياقوت: ج٥، ص١٩٦، وهي الآن مدينة جزائرية مركز دائرة بولاية الشليف، وبها جامع أثري، انظر المنجد، ص٥٤٦.

(٣) الجزائر: مدينة ساحلية على ساحل البحر المتوسط وعاصمة الجمهورية الجزائرية، تعتبر من عواصم بني حماد بن زيري بن منهاد الصنهاجي كما تعرف بجزائر بني فرغاي. انظر ياقوت: البلدان، ج٢، ص١٣٢.

(٤) بجاية: ميناء جزائري على البحر المتوسط بولاية سطيف، المنجد، ص١١٣.

(٥) ميلة: أو الميلية مدينة جزائرية، مركز دائرة في ولاية قسنطينة على الوادي الكبير.

(٦) قسنطينة: في شمال شرقي الجزائر، ويصفها ياقوت نقلاً عن البكري أنها مدينة أزلية كبيرة آهلة ذات حصانة ومنعة ليس يعرف أحصن منها. انظر معجم البلدان، ج٤، ص٣٤٩.

(٧) قابس: مرفأ تونسي على خليج قابس على البحر المتوسط، المنجد، ص٤٣٠. ويصفها البكري: بأنها مدينة جليلة مسورة بالصخر ذات حصن حصين وأرباض وفنادق وجامع وحمامات كثيرة، وساحلها مرفأ للسفن، وحولها قبائل من البربر. انظر ياقوت: معجم البلدان، ج٤، ص ٢٨٩.

(٨) طرابلس الغرب: عاصمة ليبيا الحالية وميناء على البحر المتوسط، المنجد، ص٣٥٦. غزاها عمرو بن العاص رضي الله عنه سنة٣٠هـ تملكها عنوة. ياقوت،ج٤، ص٢٥.

سـرت[١]، ثـم إلي برقة[٢]، وعبر البرية إلى الأسكندرية (التي تشـكل محطة هامة للحاج المغربي والأندلسي ثم الوصول إلى القاهرة[٣].

أما رحلتا ابن بطوطه (شمس الدين أبي عبد الله محمد بن عـبد الله اللواتي الطنجي) والبلوي (أبو البقاء خالد بن عيسى) فكانتا في زمن متقارب، فبينما وصل ابن بطوطة إلى مكة للمرة الثانـية عام ٧٣٢هـ وصلها البلوي سنة ٧٣٧هـ، وفي هذه السـنة كـان ابـن بطوطة يتنقل في الهند، وقد عَبرَ الرحالتين طريقاً واحداً من أفريقيا إلى تونس، حيث انطلقا معاً عن طريق تلمسـان ومليـانة والجزائـر وبجايـة وقسـنطينة وبونة[٤] وتونس[٥]، إلا أنهما افترقا ليسافر البلوي إلى الإسكندرية بحراً عـن طـريق جزيرة قوسرة[٦] فمالطة[٧] فاقريطش[١] فجزيرة

---

(١) سرت: في معجم البلدان بضم أوله وسكون ثانيه، وهي مدينة على ساحل البحر الرومي بين برقة وطرابلس الغرب، ياقوت، ج٣، ص٢٠٦. وفي العصر الحاضر تلفظ بكسر السين، وهي مرفأ ليبي على خليج سرت أو سدرة على البحر المتوسط. المنجد، ص٢٩٨.

(٢) برقة: شبه جزيرة بليبيا شرقي خليج سرت من مدنها بنغازي وطبرق، ودرنة، البيضاء، المرج أو برقة قديماً. المنجد، ص١٢١.

(٣) الرحلة المغربية: تحقيق محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٨٨م، ص٧-١٥٢.

(٤) بونة: أو العناب أهل العناب النخل الطويل، وهي مدينة على مقربة من قسطنطينة، العلامة الحسن السائح، تاج المفرق في تحلية علماء المشرق للبلوي، مصدر سبق ذكره، ج١، ص١٢٣.

(٥) تونس: عاصمة تونس الحالية على ساجل البحر المتوسط. عمرت على انقاض مدينة قريبة منها قرطاجة أو قرطاجنة الفينيقية، لمزيد من التفاصيل، ياقوت، ج٢، ص٦٠.

(٦) قوسرة: أو قوصرة جزيرة ايطالية تقع بين تونس وصقلية، المنجد، ص١٣٧.

(٧) مالطة: جزيرة في البحر المتوسط جنوب صقلية، وهي الآن دولة، المنجد، ص٥١٤.

أشـغرباطة[٢] فقـبرص[٣] فالاسكندرية، بينما يتابع ابن بطوطه طـريق سوسة[٤] فصفاقس[٥]، واتفق الرحالتان في وصف منار الاسكندرية وعمود السواري بها[٦].

وكـان ملتقى الحاج المصري والحاج المغربي في القاهرة وقـوص وكذلك أيلة "العقبة" حيث يلتقون أيضاً بالحاج الشامي إلى الديار المقدسة.

ولعـل قـوة حكـام مصر وحسن تنظيمهم لركب الحجيج وتوفـير الأمـن لهم دفعت بالحاج المغربي والحاج الشامي إلى مـرافقة الركـب المصري في أيلة "العقبة" إلى الحجاز والعودة معه إلى أيلة أيضاً[٧].

بعـد الـتعرف على طريق الحاج المصري والمغربي إلى الديـار المقدسـة وامتداداً للحديث عن الحج يجدر الإشارة إلى إمـرة الحـاج وما التحق بها فيما بعد من المحمل وتعدد هذه

---

(١) أقريطش: جزيرة في بحر المغرب يقابلها من بر إفريقيا لوبيا وهي جزيرة كبيرة فيها مدن وقرى وينسب إليها جماعة من العلماء، فتحها جنادة بن أبي أمية، سنة ٥٤هـ، ياقوت: ج١، ص٢٣٦. وهي جزيرة كريت اليونانية الحالية في البحر المتوسط وعاصمتها خاندا، المنجد، ص٤٦٢.

(٢) أشغرابطة: إحدى جزر الروم على مقربة من قبرص: تاج المفرق، ج ١، ص١٢٢.

(٣) قبرص: أو قبرس جزيرة في شرق البحر المتوسط تبعد ٦٥ كم عن تركيا الحالية، و٨٥ كم عن سورية. المنجد، ص٤٣٣.

(٤) سوسة: ميناءاً تونسي على خليج الحمامات، ومركز ولاية، أسسها الفينقيون، ازدهرت في عهد الأغالبة، وبها آثار رومانية وإسلامية. المنجد، ص٣١٥.

(٥) صفاقس: ميناء تونسي على خليج قابس، ومرز ولاية، ازدهرت في عهد الأغالبة. المنجد، ص٣٤٦.

(٦) تاج المفرج في تحلية علماء المشرق: ج١، ص٥٥ ـ ٥٧، سبق ذكره.

(٧) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص٩٨.

المحـــامل تـــبعاً للتقسيم السياسي وذلك لما لكليهما من ارتباط وثيق بطريق الحاج وكسوة الكعبة الشريفة وعمارة الحرمين.

٤ ـــ إمارة قافلة الحج:

هي سنة استنها المصطفى محمد بن عبدالله صلى الله عليه وآله وسلم، ففي العام التاسع من الهجرة النبوية أرسل أبا بكر الصـــديق رضي الله عنه أميراً على الحج إلى مكة، وفي حجة الـــوداع كـــان هو صلى الله عليه وآله وسلم أمير الحج وقائد المســـلمين ومعلمهـــم ومرشـــدهم. وتوالى الخلفاء بعد وفاته يـــتولون هم بأنفسهم إمرة الحج أو ينيبون عنهم من يثقون به من كبار رجال دولتهم.

وغالباً مايكون أمير مكة أو المدينة هو أمير الحج، ثم بعد تعـــدد الـــدول الإســـلامية صـــارت تحـــرص كل دولة على تعييـــن أمـــيرٍ لقافلة الحـــج من دمشق أو بغداد أو القاهرة أو اليمـــن، ثـــم أخيراً المحمل الرومي بعد ظهور الدولة العثمانية. ويكـــون أمـــير الحـــج العـــام حسب نفوذ أحد هذه الدول في الحجاز، ولم تكـــن هـــذه الإمـــارة مهمـــة سهلـــة لما

يتعرض له ركب الحاج من متاعب وأخطار متعددة من جوع أو عطش أو أمراض أو موت لهم أو لدوابهم، وما يتعرض له طرق الحج من قطاع الطرق، وما قد يحصل من اصطدامات عسكرية من أمراء المناطق وشيوخ القبائل التي يمر بها الحجيج حتى يصل مكة والمدينة سواء في الذهاب أو الإياب وغالب هذه المهام والأحوال ظهرت بعد تفكك الوحدة السياسية للأمة والتسيب الأمني الذي طرأ على الجزيرة العربية منذ القرن الرابع الهجري. لذا لا تناط هذه المهمة إلا بمن يثق الخليفة أو السلطان بقدرته على التصدي لمثل هذه المصاعب وماشابهها(١).

وتطورت هذه المهمة مع الأيام لتتخذ نظاماً معيناً وترتيبات متعددة وواجبات محددة يتولاها أمير الحاج، ولعل من أهم ما أورده الجزيري نقلاً عن الإمام النووي في منسكه وعن الماوردي في الأحكام السلطانية من مهام أمير الحج مايلي:

١ ــ جمع الناس في مسيرهم ونزولهم حتى لايتفرقوا فيخاف عليهم التواني والتغرير.

٢ ــ ترتيبهم في المسير والنزول بإعطاء كل طائفة منهم مقاداً حتى يعرف كل منهم مقاده إذا سار، ويألف مكانه إذا نزل فلا يتنازعون فيه ولايضلون.

٣ ــ أن يرفق بهم في المسير حتى لايعجز عنه ضعيفهم ولايضل عنه منقطعهم.

٤ ــ أن يسلك بهم أوضح الطرق وأخصبها ويتجنب أجدبها وأوعرها.

٥ ــ أن يرتاد لهم المياه إذا انقطعت والمراعي إذا قلت.

---

(١) الجزيري: دور الفرائد، ج١، ص٢١٧، وانظر ابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة، ج٢، ص٢٩٥، ابن هشام: السيرة النبوية، ج٤، ص١٣٩.

٦ ــ أن يحرســـهم إذا نزلوا ويحوطهم إذا رحلوا حتى لايختلط بهم ذاعر[١] ولايطمع فيهم متلصص.

٧ ــ أن يمـــنع عنهم من يصدهم عن المسير ويدفع عنهم من يحصـــرهم عـــن الحـــج بقتال إن قدر عليه أو ببذل مال إن أجاب الحجيج إليه.

٨ ــ أن يصلح بين المتشاجرين ويتوسط بين المتنازعين.

٩ ــ أن يُقـــوِّم زائغهـــم ويؤدب خائنهم، ولايتجاوز التعزير إلى الحد إلا أن يؤذن له فيستوفيه إذا كان من أهل الاجتهاد.

١٠ــ أن يراعي الوقت حتى يأمن فوات الحج، ولايلجئهم ضيقه إلـــى الحـــث في السير، فإذا وصل الميقات أمهلهم للإحرام وإقامة سننه[٢].

٥ ــ المحمل:

هذا وقد ارتبط في وقت متأخر بتاريخ قافلة الحج ماعُرف باســـم "المحمـــل" وما ارتبط به من عادات وتقاليد وربما كانت بدعًـــا محدثة لم تكن ترافق قوافل الحج في الفترات الإسلامية المـــبكرة إنما ظهرت وتطورت مع الأيام في العصور المتأخرة من العهد المملوكي ثم العثماني.

والـــمَحْمِل أو الـــمِحْمَل أو الـــمَحْمَل[٣]، هو هيكل خشبي على شكل الهودج مربع الشكل ذو سقف يأخذ في الارتفاع من الجوانـــب إلـــى الوسط الذي فيه قائم ينتهي بهلال وفي العادة يســـدل على هذا الهيكل كسوة من الحرير أو من غيره ويوضع

---

(١) ذاعر: الذاعر: الخبيث، المنجد ، ص٢٣٥.

(٢) الجزيري:درر الفرائد،ج١،ص٢٢٧ـ٢٥٥،وانظر إبراهيم رفعت:مرآة الحرمين، ج٢، ص٢٩٨.

(٣) عنقاوي: عبدالله عقيل: المحمل ـ نشأته وآراء المؤرخين فيه، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الثاني، السنة الثانية، ١٣٩١/١٣٩٢هـ، ١٩٧١/١٩٧٢م، ص٣٢٤.

على ظهر جمل[١]، ويصاحب القافلة من مصر ومن الشام ومن العــراق وكذلــك مــن اليمــن. ويحمل هذا المحمل الهدايا الى الحرميــن الشــريفين من الخلفاء والسلاطين والأمراء[٢] وكذا كسوة الكعبة. واختلف المؤرخون في نشأة هذا المحمل وتاريخ ظهوره فذكر البتنوني ان تاريخه يبتدئ من سنة ٦٤٥هــ، وأنه هــو الهــودج الذي ركبت فيه شجرة الدر[٣] تريد الحج، وصار بعدها سنوياً يسير أمام قافلة الحج[٤].

ونقــل هــذا الــرأي وســار عليه كثير من المؤرخين من المستشــرقين وغــيرهم، بينما يفند هذا الرأي عبدالله عنقاوي بقوله:

١ ــ أن جميع المصادر المعاصرة للعهد المملوكي، بل وجميع المصــادر التــي كتبت خلال القرون السابقة للقرن التاسع

---

(١) إبراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج٢، ص٣٠٤، وانظر العنقاوي: المحمل، سبق ذكره، ص٣٢٤.

(٢) الجزيري: درر الفرائد، ج١، ص٤١٢، إبراهيم رفعت: المصدر السابق، ص٣٠٦. انظر: البتنوني: الرحلة الحجازية، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، الطائف، ص١٤٠.

(٣) شجرة الدر الصالحية: أم خليل، كانت من جواري الملك الصالح نجم الدين أيوب، فأعتقها وتزوجها، ويسميها سبط ابن الجوزي "شجر الدر" ولما توفي الملك الصالح سنة ٦٤٧هـ بالمنصورة، أخفت خبر موته، وفي العاشر من صفر سنة ٦٤٨ أعلنت نفسها ملكة، ولم يدم ملكها سوى (٨٠) يوما فقط وقد خطب باسمها على المنابر، وضرب اسمها على السكة. وقد عظم على المسلمين في زمانها تولى امرأة الحكم، وأنشأ العز بن عبدالسلام مقامة ذكر فيها ابتلاء الله المسلمين في مصر بولاية امرأة عليهم، وعارضها حكام الشام، وأرسل الخليفة العباسي المستعصم بالله إلى مصر منكرا ومتهما: "إن كانت الرجال قد عدمت من عندكم فأعلمونا حتى نسير لكم رجلاً، انظر ابن دقماق: الجوهر الثمين في سير الملوك والسلاطين: تحقيق محمد كمال الدين عزالدين علي، ج٢، ص٤٤ـ٤٦، وانظر: الزركلي: الاعلام، ج٣، ص ١٥٨.

(٤) الرحلة الحجازية، المصدر السابق، ص١٤٠.

عشر الميلادي (الثالث عشر الهجري)، خصوصاً تلك التي ألّفت للحديث عمنّ حج من الملوك والسلاطين والامراء والاعيان لم تشر بتاتاً إلى أن الملكة شجرة الدر قد قامت بأداء الحج أو صحبت قافلة الحج إلى مكة سواء أثناء حكمها أو قبله أو بعده.

٢ ـ وهذه الحقيقة يمكن أن تدحض علاقة هودج شجرة الدر بالمحمل بسهولة، وهي أن شجرة الدر اعتلت عرش مصر في آخر يوم من المحرم سنة ٦٤٨هـ بعد مقتل السلطان المعظم تورانشاه، واعتزلت العرش في آخر يوم من ربيع الآخر من نفس العام، أي أن مدة حكمها لم تتجاوز ثلاثة أشهر، وكما هو معروف لايمكن بأي حال أن يكون هناك حج خلال الثلاثة أشهر المذكورة التي حكمت خلالها.

٣ ـ وعلى أي حال فالمؤرخ ابن تغري بردي يخبرنا في كتابه "النجوم الزاهرة" أن قافلتي الحج المصري والشامي لم تخرجا من القاهرة أو دمشق في سنة ٦٤٨هـ، وهي السنة التي حكمت أولها شجرة الدر)[١].

بينما يرى ابراهيم رفعت أن أول من أحدث المحامل الحجاج بن يوسف الثقفي نقلاً عن كتاب الكنز المدفون للسيوطي[٢]، إلا أن حمد الجاسر يفند هذا الرأي وينكره[٣].

---

(١) المحمل ـ نشأته وآراء المؤرخين فيه، ص٣٢٧.

(٢) مرآة الحرمين: ج٢، ص٣٠٤.

(٣) هامش درر الفرائد للجزيري، ج١، ص٤١٢، حيث يرى الجاسر أن كتاب "الكنز المدفون مملوء بالخرافات" ومؤلفه يُدعى يونس المالكي، وليس السيوطي كما ينسب إليه خطأ.

وينفـــي العنقاوي ما أورده المستشرقون من فكرة قداسة المحمل عند بعض المسلمين ومقارنتها بقداسة التابوت عند بني إســـرائيل، لأن تقديـــس الهياكل والقبور وماشابهها تعتبر من المحـــرمات عـــند المســـلمين، ويرى أن من يقدس المحمل لا لقداســـته في واقع الأمر وإنما لجهل منه بأمر الدين مشيراً إلى أن هـــذه القداسة ظهرت في العصور المتأخرة وبعد زوال دولة المماليك[1].

وقد صدق العنقاوي فيما ذهب إليه من أن البدع والخرافات حـــول المحمل هي من جهل العامة لكن مع الأسف سكت عنها الخاصـــة تهاوناً وتفريطاً حتى صار ذلك تقليداً متبعاً مما يدفع بالعامة دفعاً إلى التعلق بهذا الحيوان الأعجم، والهيكل الخشبي المحمـــول علـــى ظهـــره، ففي ذهابه يتمسح به الناس بدعوى حصـــول البركة وعند عودته يُذبح الجمل فيتخطف الناس لحمه متدافعين اعتقاداً منهم البركة والشفاء من الأمراض. بل وصل الأمر ببعض السلاطين إلى أن فرضوا على أمراء المناطق التي يمر بها جمل المحمل تقبيل خفه في أرض الحجاز حتى أعفاهم من ذلك السلطان جقمق في سنة ٨٤٣هـ[2]. كل ذلك يبين لنا فداحـــة هـــذه البدعة التي أضرت وشوهت تاريخ قافلة الحج، ونقل الكسوة والهدايا للحرمين ليستا بالضرورة تحتاج إلى هذه التنظـــيمات والمبـــتدعات، فمـــا خرج أهل هذه القافلة إلا لأداء شعيرة من شعائر الإسلام، وهي الركن الخامس "شعيرة الحج".

---

(١) المحمل: ص٣٣٢.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٤، ص١٤٥، وانظر عبدالعزيز بن فهد: غاية المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، ج٢، ص ٤١٥، وانظر: البتنوني: الرحلة الحجازية، ص١٤١-١٤٦.

قـــال الله تعـــالى في كتابه الكريم {وأذن في الناس بالحج يـــأتوك رجـــالاً وعلـــى كـــل ضامر يأتين من كل فج عميق * ليشـــهدوا مـــنافع لهم ويذكروا اسم الله في أيام معلومات على مـــارزقهم من بهيمة الأنعام، فكلوا منها وأطعموا البائس الفقير * ثم ليقضوا تفثهم وليوفوا نذورهم وليطوفوا بالبيت العتيق * ذلـــك ومـــن يعظم حُرُمات الله فهو خير له عند ربه وأحلت لكم الأنعام إلا ما يتلى عليكم فاجتنبوا الرجس من الأوثان واجتنبوا قـــول الـــزور * حـــنفاء لله غير مشركين به، ومن يشرك بالله فكأنمـــا خـــر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح في مكـــان ســـحيق}[١] فالله يأمر الحجاج أن يكونوا حنفاء لله غير مائليـــن عن توحيده وأن يجتنبوا الرجس من الأوثان ويجتنبوا قول الزور وعمل الفواحش.

---

(١) سورة الحج: من آية رقم ٢٧ ـ ٣١.

ثالــثاً) ــ نقــل المــؤن لعمــارة الحرمين الشريفين وكسوة الكعبة:

وقد كان للسلاطين والأمراء في مصر إسهامات في عمارة الحرميــن الشريفين وكانت المؤن والعمال المهرة والمهندسون يجلبون من هناك مع المؤن والمواد الخام لندرة العمال المهرة فــي أرض الحجــاز، وهذه المؤن تجلب عبر الثغور الحجازية غالــباً وقــد تُجلــب عــن طــريق البر عبر صحراء السويس وفلســطين وشــمال الحجاز. وقد شارك طريق الحاج الشامي واليمني في هاتين المهمتين في بعض فترات من التاريخ.

وكانــت أول مؤن تنقل لعمارة المسجد الحرام ما جرى في عهد الوليد بن عبدالملك الأموي عام ٩١هــ، فهو أول من أتى بالأســاطين الــرخام من مصر، والشام، ونقلها من هناك على العجل، وسقف المسجد بالخشب الساج الهندي الذي ينقل بحراً من بلاده إلى ثغور الحجاز(١).

كذلك فعل الخليفة العباسي أبو جعفر المنصور في توسعته التي تعد الزيادة الخامسة في الحرم المكي عام ١٣٧هــ عندما نقل أساطين الرخام إلى المسجد الحرام(٢).

ولعــل الأمــر يكــون أكثر وضوحاً لدور طريق الحاج في عمــارة الحرم المكي في خلافة المهدي العباسي عام (١٦٠ ــ ١٦٤هــــ) عــندما أمر هذا الخليفة بنقل الأساطين الرخام من الشام ومصر، فحملت بحراً إلى ميناء الشعيبة الحجازي المكي، وحملــت تلك الأساطين على العربات ذات العجل إلى مكة، وقد

---

(١)الأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٧٢، الفاسي: شفاء الغرام، ج ١ ،ص ٤١٠ ، باسلامة: حسين عبدالله، تاريخ عمارة المسجد الحرام، الكتاب العربي السعودي، تهامة، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، ١٩٨٠م، ص٢٣.

(٢)الأزرقي، المصدر السابق، ج٢ ص٧٣، باسلامة: المرجع السابق، ص٢٦.

كانـــت الأعمدة ثقيلة حيث يقدر الواحد منها بنحو مائة قنطار، والمسافة بين مكة وساحلها لاتقل عن ٧٠ كيلا[١].

ويقـــدر باســـلامة مـــا صـــرفه الخليفة المهدي على نقل الاســـطوانات الـــرخام من مصر والشام، وما صرف على جلب خشب الساج قيمة ونقلا من الهند إلى مكة، بحسب قوة أدوات الـــنقل وقدرتهـــا في ذلك الزمان براً وبحراً، إضافة إلى أجور المهندســـين والعمـــال والمـــؤن والزخرفة مايزيد على مليوني ديـــنار[٢]. بل ويؤكد أن نقل الأساطين من مصر إلى مكة لم يتم إلا للولـــيد، وأبي جعفر، والمهدي، ولم يتحقق لمن بعدهم حتى ســـلاطين المماليـــك الذين ملكوا مصر، مع أن أدوات النقل في زمـــانهم أرقـــى وأعظـــم ممـــا كانت عليه في العهدين الأموي والعباسي[٣].

ورغم اقتصار جهود المماليك في الحرمين وبالذات الحرم المكـــي على الترميم والتجديد والتحسين إلا أن ذلك لايقلل مما بذلـــوه علـــى عمـــارة الحرمين الشريفين من الأموال الكثيرة والعـــناية والاهـــتمام خاصة عندما يتعرض الحرمان الشريفان لحـــريق أو سيول وأمطار وصواعق تسبب تلفيات كبيرة أحياناً فـــي بعـــض أجـــزائه، فيـــندفع السلاطين والأمراء في الإنشاء والتعمـــير وبعـــث المـــؤن والـــرجال المختصين من كل حدب وصوب، ساعدهم في ذلك ما توفر لدولتهم من الأموال الطائلة، ورغبتهم في الثواب والأجر، مع شعورهم بالمسؤلية في حماية الدين والحرمين الشريفين[٤].

(١) والأزرقي: أخبار مكة، ج٢، ص٧٦، ويذكر الأزرقي: أن الأساطين أنزلت بجدة. و باسلامة: تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٣٠

(٢) تاريخ عمارة المسجد الحرام، ص٥٠.

(٣) المرجع السابق، ص٧٤.

(٤) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص١١٥.

ومما تجدر الإشارة إليه أنه لم تجر للحرمين الشريفين عمارة أو توسعة أو زيادة ملحوظة على يد الفاطميين والأيوبيين، وذلك بحسب ما اطلعت عليه من مصادر ومراجع فاطمية وأيوبية، وكذلك مصادر ومراجع عمارة الحرمين الشريفين المكية والمدنية. ولعل ذلك مرده إلى عدة أمور منها:

١ ـ استمرار الدور العباسي الرائد في التعمير والترميم والتحسين للحرمين انطلاقاً من بغداد حتى سقوط الخلافة العباسية عام ٦٥٦هـ. رغم ضعف الخلافة العباسية عما كانت عليه في خلافة المنصور والمهدي.

٢ ـ انشغال الفاطميين "العبيديين" في مصر بتثبيت قواعد دولتهم سياسياً ومذهبياً.

٣ ـ انشغال الأيوبيين بالصراع مع الصليبيين.

ومما وافق العهدين الفاطمي والأيوبي من تعمير وترميم للحرمين الشريفين على يد العباسيين اقتصر جله على الحرم النبوي من خلافة المقتفي بالله العباسي، وكان ذلك في عهد والي المدينة قاسم بن مهنا الحسيني في عام ٥٤٨هـ، وكذلك في خلافة المستضيء بالله العباسي عام ٥٦٦هـ، وفي خلافة الناصر، وما قام به نور الدين زنكي عام ٥٥٧هـ، واستمرت أعمال الإصلاح من قبل الخلفاء العباسيين حتى خلافة المستعصم بالله، وابتدأت العمارة في عهده عام ٦٥٥هـ وتوقفت بسقوط بغداد في يد التتار عام ٦٥٦هـ(١).

(١) مصطفى: صالح لمعي: المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، بيروت، ١٩٨١م، دار النهضة، ص٧٨-٧٩.

فـأكمل هـذه المهمـة الجلـيلة سلاطين المماليك، فتولى السـلطان نورالديـن بن عزالدين أيبك الصالحي (٦٥٥ـ٦٥٧ هـ) استكمال عمارة أو ترميم الخليفة العباسي المستعصم بالله للحـرم المدني النبوي التي جرت بسبب الحريق الذي شب في مسـجد رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، في رمضان عام ٦٥٤هـ[١].

وبـرز دور السـلاطين المماليك فـي الترميم والتجديد والتحسـين والإضـافة فـي الحرم النبوي على صاحبه أفضل الصـلاة وأتـم التسـليم لمـا تعرض له من تلفيات جراء عدة حرائق.

ويذكـر السمهودي وصول الآلات من مصر في عهد الملك المنصـور نورالديـن وكذلك وصول آلات وأخشاب من صاحب اليمن، وهو الملك المظفر شمس الدين يوسف بن منصور عمر بن علي بن رسول[٢].

وانـتقل عـبر طريق الحاج المصري براً وبحراً حتى زيت القـناديل التـي يُضـاء بها الحرمين الشريفين، حيث يذكر ابن النجار (ت٦٤١) مانصه (وفي يومنا هذا يصل الزيت من مصر مـن وقـف هـناك ومقداره سبع وعشرون قنطاراً بالمصري، والقـنطار مائة وثلاثين رطلاً، ويصل معه مائة وستون شمعة بيضاء وكبار وصغار، وعلبة فيها مائة مثقال ند[٣]).

---

(١)مصطفى: صالح لمعي: المدينة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ص٧٩.

(٢) وفاء الوفاء، ج٢، ص٦٠٤.

(٣) الدرة الثمينة في تاريخ المدينة: تحقيق محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م ـ ١٤١٦هـ، مكتبة الثقافة الدينية، ص١٨٤.

وتوالت الآلات والمؤن والصناع تعبر بحر الحجاز وبره للوصول إلى الحرمين الشريفين، ففي عهد الظاهر بيبرس جهز الأخشاب والحديد والرصاص، ومن الصناع ثلاثة وخمسين صانعاً، ومايمونهم بل أنفق عليهم قبل سفرهم، وأرسل معهم الأمير جمال الدين محسن الصالحي لعمارة الحرم المدني النبوي(١).

ويتضح دور ثغور الحجاز في عمارة السلطان قايتباي، فقد كان يُكلف أمير جدة بتولي أمر العمارة في الحرم النبوي(٢).

كما فوضت العمارة للجناب الشمسي بن الزمن وكان بجدة، فوصل للمدينة بصحبة شاد جدة عام ٨٨١هـ وأحضر معه جماعة من أرباب الصنائع(٣). وبعد حريق رمضان عام ٨٨٦ هـ الذي كان بسبب رعد قصف منارة المسجد النبوي وقتل المؤذن وعدد من ساكني المسجد واحتراق جزء كبير من المسجد، وصل الخبر إلى السلطان المملوكي قايتباي، فبادر في ترميم المسجد النبوي لما رأى في ذلك من مزيد التشريف والإكرام، وقد كانت تجري بمكة بعض العمارة للخدمات والمرافق للمسجد الحرام أوقفها. وأمر الأمير سنقر الجمالي بالتوجه للمدينة وأرسل له مايزيد على مائة صانع من البنائين والنجارين والدهانين والحجارين والنحاتين والحدادين والمرخمين، وكثير من الحمير والجمال، وتوالى وصول الآلات والمؤن حتى كثرت في الطور وينبع والمدينة النبوية(٤).

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، ج٢، ص٦٠٤.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٦٠٥.
(٣) المصدر السابق، ج٢، ص٦١٨.
(٤) السمهودي: وفاء الوفاء، ج٢، ص٦٣٩.

ولم تنقطع المؤن والآلات والرجال، فكلف السلطان الجناب العالي الخواجكي الشمسي شمس الدين بن الزمن، وأرسل معه مائتي جمل ومائة حمار، وأزيد من ثلثمائة من الصناع وغيرهم مـــن الحمالين والمبيضين والسباكين والجباسين، حتى صارت أحمال المؤن متواصلة قل أن تنقطع براً وبحراً[1].

وفـــي عام ٨٨٩هـــ وصل مجموعة من الدهانين بعث بهم السـلطان المملوكي من مصر لاستبدال دهان النيلة باللازورد، وجهز معهم أساقيل لهذا الأمر، ولم يكتفي بذلك بل أرسل رجلاً من خاصته بأحمال من كتب العلوم الشرعية لتوقف في المدينة على طلبة العلم، وكذلك أحمال كثيرة من الحب والدقيق والقدور الـنحاس، وماتـبقي مــن آلات العمـــارة مما أعد في المراكب السلطانية إلى ينبع[2].

---

(١) السمهودي: وفاء الوفاء، ج٢، ص٦٤٠.
(٢) المصدر السابق، ج٢، ص٦٤٥.

ـ كسوة الكعبة:

فـيما يلي نص هام للرحالة الفارسي ناصر خسرو[١] عن طـريق الكسوة، وكان ذلك عام ٤٣٩هـ في خلافة المستنصر العبـيدي (٤٢٧ـ٤٨٧هـ): (وقد أرسلت الكسوة عن طريق بحر القلزم، وقد رافقت الكسوة وذهبت إلى مكة. غادرت القافلة المكلفـة بإيصـال الكسوة من مصر في غرة شهر ذي القعدة، وكنـت مع القافلة. وصلنا إلى بحر القلزم، وركبنا الباخرة وبعد خمسـة عشر يوما وصلنا إلى ميناء الجار على ساحل الحجاز، ومن "الجار" اتجهنا إلى المدينة فوصلنا بعد أربعة أيام).

يتضـح مـن ذلك النص طريق رحلة الكسوة البحري من مصـر، إضـافة إلى الطريق البري برفقة الحاج المصري ومن رافقـه علـى طـريقه، مـنذ العهد العبيدي حتى نهاية العصر المملوكـي، مـع بعض التعديلات من الجار إلى ينبع في العهد الأيوبي. وارتبطت رحلة الكسوة برحلة الحاج والمحمل ارتباطاً وثـيقاً وكانت الاحتياطات لحماية قافلة الحج هدفه الرئيسي هو حراسـة كسـوة الكعـبة وإيصالها سالمة إلى الديار المقدسة، وتطورت رحلة الكسوة وهدايا الحرمين من جمل واحد إلى عدة جمـال زادت عـن عشرين جملا في العهد المملوكي، ويرافقها عـدد مـن الحراس والفراشين والحمالين والأئمة والمؤذنون، ويشـرف علـيها الأمراء والقضاة والشهود وموظفوا الديوان والامـناء، ويقفوا أثر هذا المحمل الحجاج، وكلٌ منهم يحرص على الاقتراب من هذا المحمل بزعم التبرك بالكسوة ومجاورتها حتى تصل إلى مكة المكرمة[٢].

---

(١) سفرنامة: ص١١٩.

(٢) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص٩٩.

ولنا أن نتساءل ما نوع كسوة الكعبة على مدى التاريخ؟

ذكر عدد من المؤرخين أن الكعبة كُسيت أنواعاً متعددة من الكسى منها الخصف، والمعافر، والملا، والوصائل، والعصب قبل الاسلام، وقيل أن أول من كساها تُبعّ الحميري، وذكر أنه كساها المسوح والأنطاع، وكُسيت الحبرات اليمانية، وقد كساها الرسول صلى الله عليه وآله وسلم في الإسلام الثياب اليمانية، وكساها عمر وعثمان رضي الله عنهما القباطي من مصر(١).

كما كُسيت الكعبة الديباج الأبيض والأحمر الخراساني، ومن الديباج الأبيض كساها الحاكم العبيدي، وكذلك المستنصر العبيدي.

كما كُسيت الديباج الأصفر من الهند أهداه السلطان محمود بن سبكتكين عام ٤٦٦هـ "وكُسيت في عهد الخليفة الناصر العباسي كسوة خضراء، وأيضاً كسوة سوداء، واستمرت تُكسى بالكسوة السوداء، وفي عام ٨١٠هـ أضيف إلى الجانب الشرقي من الكسوة جامات منقوشة بالحرير الأبيض واستمرت على ذلك حتى عام ٨١٩هـ فجعلت جامات منقوشة بالحرير الأبيض تحت الطراز إلى أسفل الكسوة في كل شقة من الجانب الشرقي، واستمرت هذه الجامات حتى أزيلت واستبدلت بجامات سود في عام ٨٢٥هـ، وكان يُكتب في هذه الجامات عبارة "لا إله إلا الله محمد رسول الله" بالبياض. وفي الكسوة أيضاً طراز

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٢٣٨، وانظر الأزرقي: أخبار مكة، ص٢٤٩-٢٥٥، وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين: ج١، ص٢٨١، والبتنوني: الرحلة الحجازية، ص١٣٥، وباسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة عمارتها وكسوتها وسدانتها، تهامة، الكتاب العربي السعودي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، ص٢٤٤-٢٥٠. (والقباطي ثوب رقيق أبيض منسوب إلى قبط مصر، أما الوصائل فهي ثياب حمراء مخططة يمانية، كذلك الحبرات جمع حبرة وهي ثياب يمانية، أيضاً العصب برود يمنية يُعصب غزلها أي يُجمع ويشد، والأنماط نوع من البسط واحدها نمط).

مـــن حريـــر أصـــفر، وفي هذا الطراز كُتبت آيات من كتاب الله الكـــريم[1]. وكانت لمصر الريادة في حياكة ونسج كسوة الكعبة حـــتى القرن الرابع عشر الهجري، فمن عهد رسول الله صلى الله علـــيه وآله وسلم وخلفائه الراشدين ومن أتى بعدهم كانت تكســـى الكعـــبة بالقباطي الذي يحاك وينسج في مصر، وكانت تحـــاك الكسوة العباسية بمدينة تنيس المصرية التي كانت ثغراً لمصر في شمال دمياط حتى هدمها الملك الكامل عام ٦٢٤هـــ لكـــثرة غـــارات الصَـــليبيين عليها، ولاتزال أطلال هذه المدينة موجودة بالقرب من مدينة المطرية (دقهلية)[2].

وبالرغم من تداول الملوك والأمراء والسلاطين على كسوة الكعـــبة مـــن ديارهم من اليمن وخراسان والهند إلا أنها تعود لتـــنطلق مـــن مصر، فقد أوقف السلطان عام ٧٤٣هـــ الصالح اســـماعيل بـــن الناصـــر قلاوون قرية "بيسوس" وتوالى إيقاف القـــرى علـــى كسوة الكعبة إضافة إلى بيسوس سندبيس وأبي الغيط من قرى القليوبية[3] يصرف ريعها على إنتاج الكسوة.

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٢٤١-٢٤٣، وإبراهيم رفعت: مرآة الحرمين: ج١، ص٢٨٢، وباسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص٢٥٥-٢٦١.

(٢) البتوني: الرحلة الحجازية، ص١٣٥.

(٣) باسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة،ص ٢٥٨، وانظر ابراهيم رفعت، مرآة الحرمين، ص٢٨٤. مع ملاحظة أن هذه الأوقاف ليست لكسوة الكعبة فقط بل للكسوات الأخرى ككسوة الحجرة النبوية التي يرقد فيها المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم.

وفي العهد العبيدي الفاطمي اختلف في أول من بدأ بإرسال الكسوة إلى مكة من حكام العبيديين، ويذكر المقريزي أن المعز الفاطمي الذي كانت خلافته لمصر من عام (٣٤١ـ٣٦٥هـ) أعد بالفعل ماسمي شمسة أو شمسية، تشبه الشمس ولها اثنا عشر ذراع بهدف تعليقها على وجه الكعبة، إلا أنه لم يبعث بها، وسبقه العباسيون إلى إرسال كسوة للكعبة[1]. إلا أن الذي ثبت أنه أرسل كسوة للكعبة من العبيديين هو العزيزبالله (٣٦٥ ـ٣٨٦هـ) في عام (٣٨١هـ) في إمارة أبي الفتوح الحسن بن جعفر بن محمد الحسني لمكة وكساها بالخلعة البيضاء[2]. وتوالى إرسال حكام مصر العبيديين الكسوة في كل عام إلى مكة، إلا أنها لم تصفوا لهم، فقد شاركهم آخرون في إرسال الكسوة، ومن ذلك علي بن محمد الصليحي حاكم اليمن الذي يوالي الفاطميين، فقد وصل إلى مكة عام ٤٥٥هـ وملكها وفعل فيها أفعالاً حسنة، وكسا البيت ثياباً بيضاً حريراً صيفا، وأظهر العدل والاحسان في أهل مكة[3]. وفي عام ٤٦٦هـ قام أبو النصر إبراهيم بن محمد بن علي الإستراباذي[4] بكسوة البيت ثياباً بيضا من عمل الهند، كما كُسيت الكعبة في نفس العام من صاحب الهند السلطان محمود بن سبكتكين، وقد ظفر بها نظام الملك وزير السلطان ملك شاه السلجوقي فأرسل بها إلى مكة،

---

(١) اتعاظ الحنفاء، ج١، ص١٤٠ ـ ١٤١.

(٢) ابن فهد: إتحاف الورى بأخبار أم القرى، ج٢، ٤٢١هـ.

(٣) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٢، ص٤٦٨، وانظر: أبو المحاسن: النجوم الزاهرة: ج٥، ص٥٨.

(٤) أبو النصر إبراهيم بن محمد الاسترابادي: قدم مكة سنة ٦٤٦هـ وصنع فيها وبظاهرها مظاهر حسنه، وقام بتعمير مسجد عائشة رضي الله عنها بالتنعيم ويذكر الفاسي أن اسمه مكتوب في حجر بجدار المسجد الشامي، كما ذكر أنه أنفق ثلاثة ألف ديناراً فيما تهدم من المسجد الحرام وأجرى الماء من عرفات إلى مكة في ← قنوات كانت قد عملتها زبيدة وكسي البيت. انظر العقد الثمين، ج٣، ص١٦٤، وابن فهد، إتحاف الورى، ج٢، ص٤٧٥.

وجعلـــت فوق الكعبة التي كساها لها أبو النصر الإستراباذي[1]. وفـــي عـــام ٥٣٢ كســـا الكسوة تاجر فارسي يدعى أبا القاسم رامشت عندما لم تصل لها كسوة من الخليفة[2].

وفـــي عام ٥٦٤هـــ استقرت الأمور للسلطان صلاح الدين الأيوبي رحمه الله في مصر، وبالرغم من أعماله الجليلية تجاه الحرميـــن بفرض الأمن ومنع المكوس وإرسال المؤن الغذائية بأنواعها، إلا أن المؤرخين لم يذكروا أنه أرسل كسوة أو شارك فـــي عمارة الحرمين، وقد أشرت فيما سبق أن سبب ذلك لعله انشغال الأيوبيون بالحروب الصليبية. إلا أن إبراهيم حلمي يرى ســـبباً آخـــر هو انصراف المؤرخين عن تسجيل وإثبات إرسال كســـوة الكعـــبة من لدن السلاطين الأيوبيين وانشغالهم بالحدث الجلـــل وهو الغزو الصليبي لبلاد المسلمين وتزايد خطره عاماً بعد عام حتى هدد الحجاز نفسها[3].

---

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٢٤١، وابن فهد: المصدر السابق، ج٢ ، ص٤٧٥، وباسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص٢٥٩، وابراهيم رفعت: مرآة الحرمين، ج١، ص٢٨٣.

(٢) الفاسي: العقد الثمين، ج٤، ص٨٧، وابن فهد: المصدر السابق، ج٢، ص٥٠٥، وابراهيم رفعت: المصدر السابق، ص٢٨٣.

(٣) كسوة الكعبة المشرّفة وفنون الحجاج، كتاب اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، العدد٣٢٠، شوال ١٤١١هـ، مايو ١٩٩١م، ص٦٨. ويمكن أيضاً تفسير عدم إرسال الايوبيين الكسوة والمشاركة في العمارة لكونهم تابعين للخلافة العباسية ولم يدخلوا معها في تنافس، فاكتفوا بما قامت به ولم يزاحموها في هذا الميدان.

إلا أن الـــدور العباسي الذي لم ينقطع في عمارة الحرمين حتى سقوط الخلافة العباسية في بغداد عام ٦٥٦هـ، لم ينقطع فـــي كسوة الكعبة، فقد كسا الخليفة العباسي الناصر لدين الله (٥٧٥ـ٦٢٢هـ) الكعبة الديباج الأخضر ثم الأسود[١]. وفي عام ٦٥٩هـــ حج الملك المظفر يوسف بن المنصور صاحب اليمن برفقـــته الكثير من الصدقات في البر والبحر، بل كان يسير في الـــبر والمراكـــب تســـير في البحر مسايرة له حتى قارب مكة، وكســـا الكعـــبة من داخلها، ولم يسبقه ملك بالكسوة بعد خلفاء بنـــي العـــباس، وأخـــذ يكســـوها عدة سنوات مع حكام مصر المماليـــك، وتعلـــق كســـوته بعد سفر الحاج المصري مراعاة لسلطان مصر[٢]. ويرجح الباز أن خروج المحمل اليمني بكسوة الكعـــبة كـــان فـــي عام ٦٥٩هـــ، في محمل رسمي إلى الحرم خاصـــة وأن الملـــك الرسولي صعد الموقف يوم عرفة بعلم[٣]. ومن المرجح أن السلطان الرسولي مرت قافلته البحرية بثغرين مـــن ثغـــور الحجـــاز وهما السرين وجُدة، خاصة إذا ماتذكرنا ماســـبق تبـــيانه فـــي الفصـــل الثاني من العلاقة الوثيقة بين الرسوليين حكام اليمن وأمراء السرين الأشراف راجح بن قتادة وأبناؤه التي وصلت إلى المشاركات الحربية ضد الأيوبيين وضد أمراء مكة، والهدايا والهبات التي كان يبعثها ملوك اليمن لحاكم الســـرين. كما أن جُدة المحطة البحرية الأخيرة لكل قافلة حجاج بحرية قادمة لمكة المكرمة.

(١) الفاسي: شفاء الغرام، ج١، ص٢٤١، وباسلامة: تاريخ الكعبة المعظمة، ص٢٥٨.

(٢) الفاسي: العقد الثمين،ج٦، ص٢٥٣، وابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٨٣ـ٨٤.

(٣) عبدالكريم علي باز: المحمل اليمني في عهد بني رسول، مجلة العصور، المجلد السابع، الجزء الأول، ١٩٩٢م، ص١١.

قبــيل هــذا العــام، وتحديــداً عام ٦٤٨هــ قامت الدولة المملوكــية، إلا أن أول كسوة تصل من سلاطين المماليك كانت عــام ٦٦١هــــ من الظاهر بيبرس[١]، وذلك اكتفاءً منهم بدور الخلافــة العباسية لكن بعد سقوط الخلافة في بغداد تم إحياؤها بمصر قام المماليك بهذا العمل، وهم بذلك يقطعون الطريق على الرســوليين ليثبــتوا الحــق في كسوة الكعبة من مصر مركز الخلافــة وحامية الحرمين الشريفين حتى أصبحت الكسوة من مصــراً أمــراً مقــرراً وتقلــيداً جارياً في عهد المماليك وكذلك العثمانيين من بعدهم، وسبقت الإشارة إلى الأوقاف التي أوقفت مــن أراضــي مصــر على نفقة كسوة الكعبة في عهد الصالح إسماعيل بن الناصر، وأصبحت الكسوة مظهراً من مظاهر القوة والــنفوذ السياســي لدى المماليك، ولم يجيزوا لحكام اليمن أو لغــيرهم بكسوة الكعبة إلا في حالة ضعفهم، فلا توضع الكسوة اليمانــية إلا بعــد نــزوح الحــاج المصــري أو تحت الكسوة المصــرية، حتى وصل الأمر إلى الاصطدام العسكري عام ٧٥١ هــ مع الرسوليين عندما هُزم الجيش اليمني بمكة واقتيد الملك اليمنــي إلــى مصر ولم يطلق سراحه إلا بعد دفع فدية وتعهده بالولاء للسلطان المملوكي. كذلك استمرت مقاومة المماليك لكل من يريد كسوة الكعبة سواهم، وأصبحت الكسوة تمثل لهم رمزاً سياسياً إضافة إلى مكانتها الدينية[٢].

(١) ابن فهد: إتحاف الورى، ج٣، ص٨٧.
(٢) علي السليمان: العلاقات الحجازية المصرية، ص١٠٦ ـ ١١٣.

الخـــــاتمة :

الحمـــد لله الـــذي بنعمـــته تتم الصالحات، وبقدرته تجري السـفن العابـرات والصلاة والسلام على هادي الأمة ومعلمها محمد بن عبدالله نبي الرحمات عليه وآله مزيد الصلوات

أما بعد :

ففـــي نهايـــة هذه الرحلة البحرية التي تجولت من خلالها علـــى شـــواطئ الحجاز الزاهية الثرية وتنفست نسمات الحجاز الـــندية. حري بي بعد أن وفقني الله عز وجل من الانتهاء من هـــذه الدراســـة التاريخـــية أن أعـــرض في ختامها جملة من الاستخلاصات وهي كالتالي:

١ ـــ خلـــص البحث في الفصل الأول إلى تحديد مناسب لحدود الحجاز التاريخية المتفق عليها بين المؤرخين والجغرافيين والفقهـــاء القدامى والمحدثين. برغم التفاوت بين الأوضاع السياســـية والجغرافية.(حيث يمتد الحجاز من شمال ميناء أيلـــة " العقـــبة " شـــمالاً إلى جنوب ميناء السرين جنوباً ، ويحـــده غـــرباً الـــبحر الأحمـــر ، ومن الشرق بالقرب من الحناكية)

٢ ـــ أظهـــر الفصل الثاني من الدراسة مدى الوحدة الجغرافية التي تربط الثغور الحجازية على ساحل البحر الأحمر.

٣ ـــ أبرز البحث في الفصل الثالث الدور الرائد للعرب في التجارة والملاحـــة، إذا مـــا أحسن استثمار إمكانات موانئ البحر الأحمر الشرقية والغربية على السواء.

٤ ـــ من خلال الفصل الرابع :

أ) ـــ تجلـــى دور عـــرب الحجـــاز الاجتماعي والثقافي في وادي النـــيل وشـــرق أفريقية عندما هاجروا إلى هذه الديار.

ب) ـ إضافة إلى كون رحلة الحج فريضة وركناً من أركان دينـنا الحنـيف، فقد بثت هذه الرحلة في نفوس أبناء الأمـة مشـاعر جياشـة تضـطرب اضطراب الأمواج وتتدفق إنتاجاً أدبياً وتاريخياً وجغرافياً غزيراً تمثل في كثـير مـن الـرحلات إلـى الحجـاز الأبي ،وازدهار المصـنفات والـدروس وحلقـات العلـم في الحرمين الشريفين.

جـ) ـ لم تقتصر ثغور الحجاز على أن تكون جسوراً أو معابر لحجاج بيت الله الحرام وزوار مسجد نبي الإسلام عليه الصلاة والسلام، بل كانت جسوراً ومعابر لعمارة الحرمين الشريفين وهداياه وكسوة كعبته المشرفة.

٥ ـ أظهرت الدراسة بصفة عامة أهمية العامل البشري في نمو الميناء أو نبوله واندثاره وأثر الصراعات السياسية والعسكرية بجلاء على الموانـئ سـلباً، والعكس صحيح فاستقرار الأوضاع يساهم بشكل مباشر في نمو الموانئ وازدهارها.

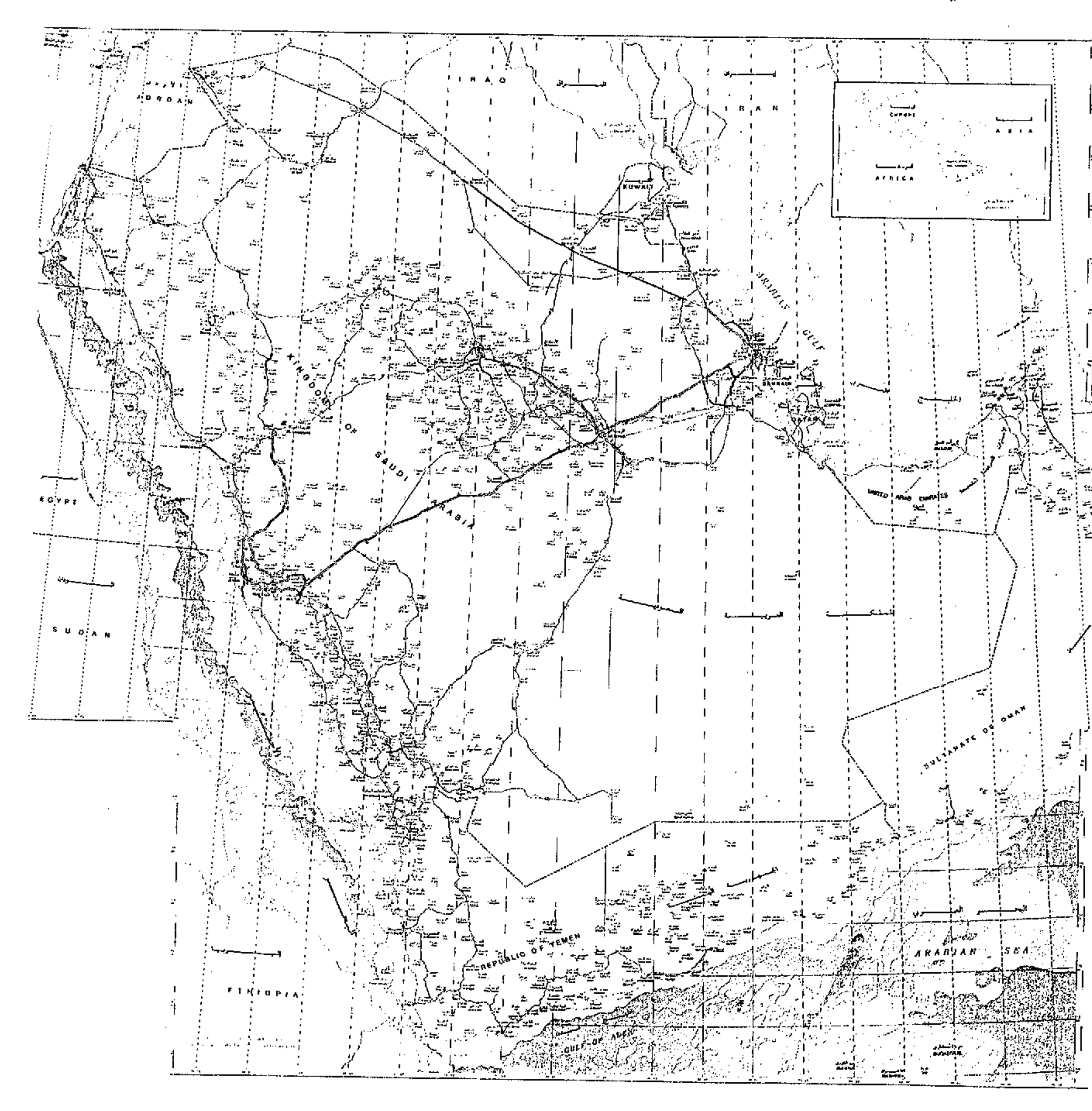
٦ ـ أبـرزت الدراسة ظاهرة التذبذب وتفاوت القيمة والشهرة في الـتجارة والملاحة التي عاشتها الموانئ الحجازية من حين إلى آخـر، فهي تارة مزدهرة مشتهرة وتارة منحصرة أو مندثرة، ويعود كل ذلك للأوضاع السياسية والاجتماعية.

٧ ـ خلصـت الدراسـة إجمـالاً إلى أهمية موانئ الحجاز خاصة وموانـئ الـبحر الأحمـر بشـاطئيه الشرقي والغربي عامة، وضـرورة الاهـتمام بهـا حاضراً ومستقبلاً ووضع الدراسات والأبحـاث، واتخـاذ الإجـراءات الحاسمة لحماية هذا البحر، والعمـل الجاد على تنمية الملاحة العربية الإسلامية، وتأسيس صـناعة بحـرية تعود بالخير والفائدة على أبناء البلاد المطلة على البحر الأحمر.

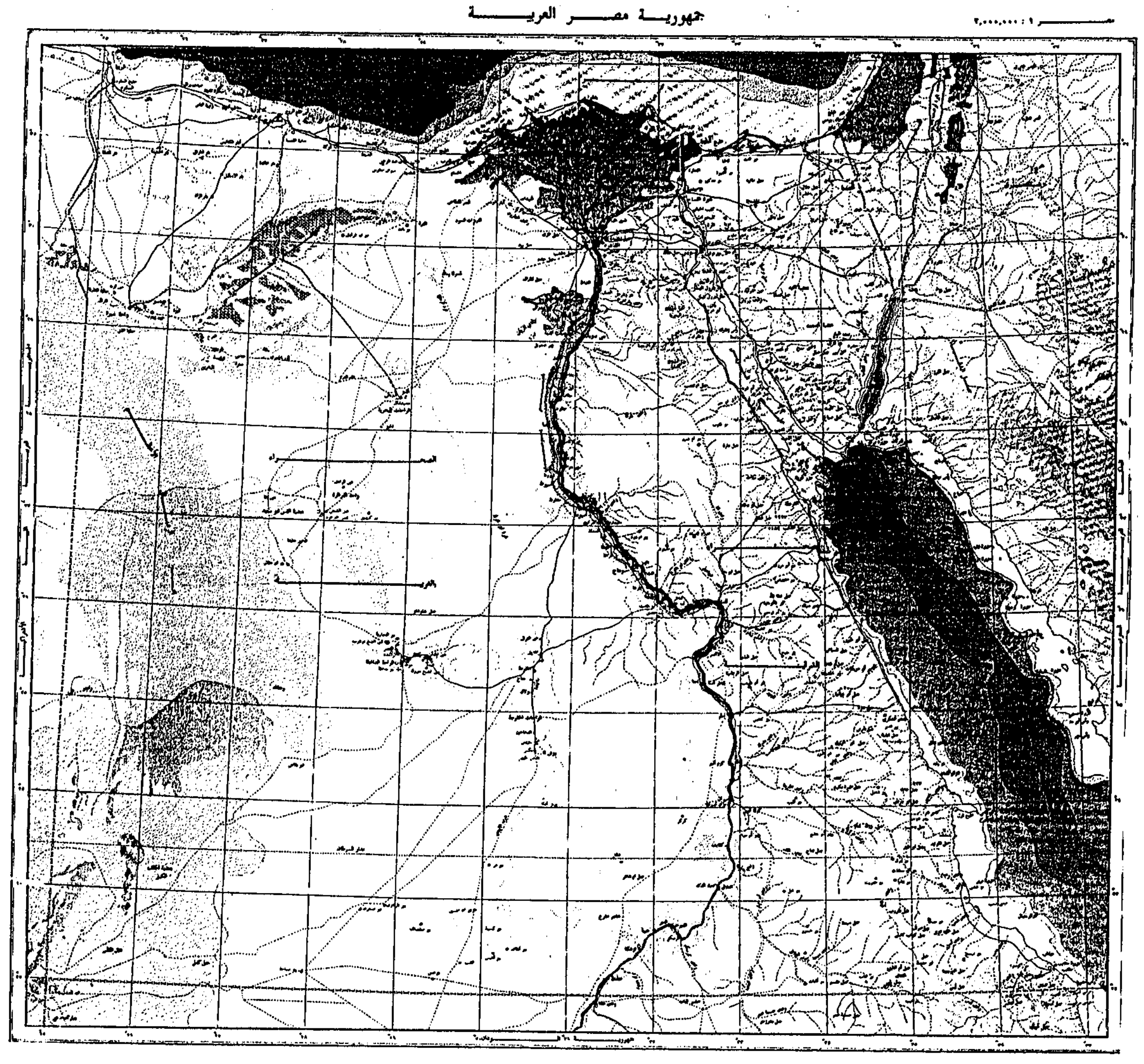
قـال الله تعالى: {دعواهم فيه سُبحانك اللهـم وتحيتهـم فيها سلامٌ وآخر دعـواهم أن الحمد لله رب العالمين}
[سـورة يونس، آية رقم ١٠].

... ملاحق ... »

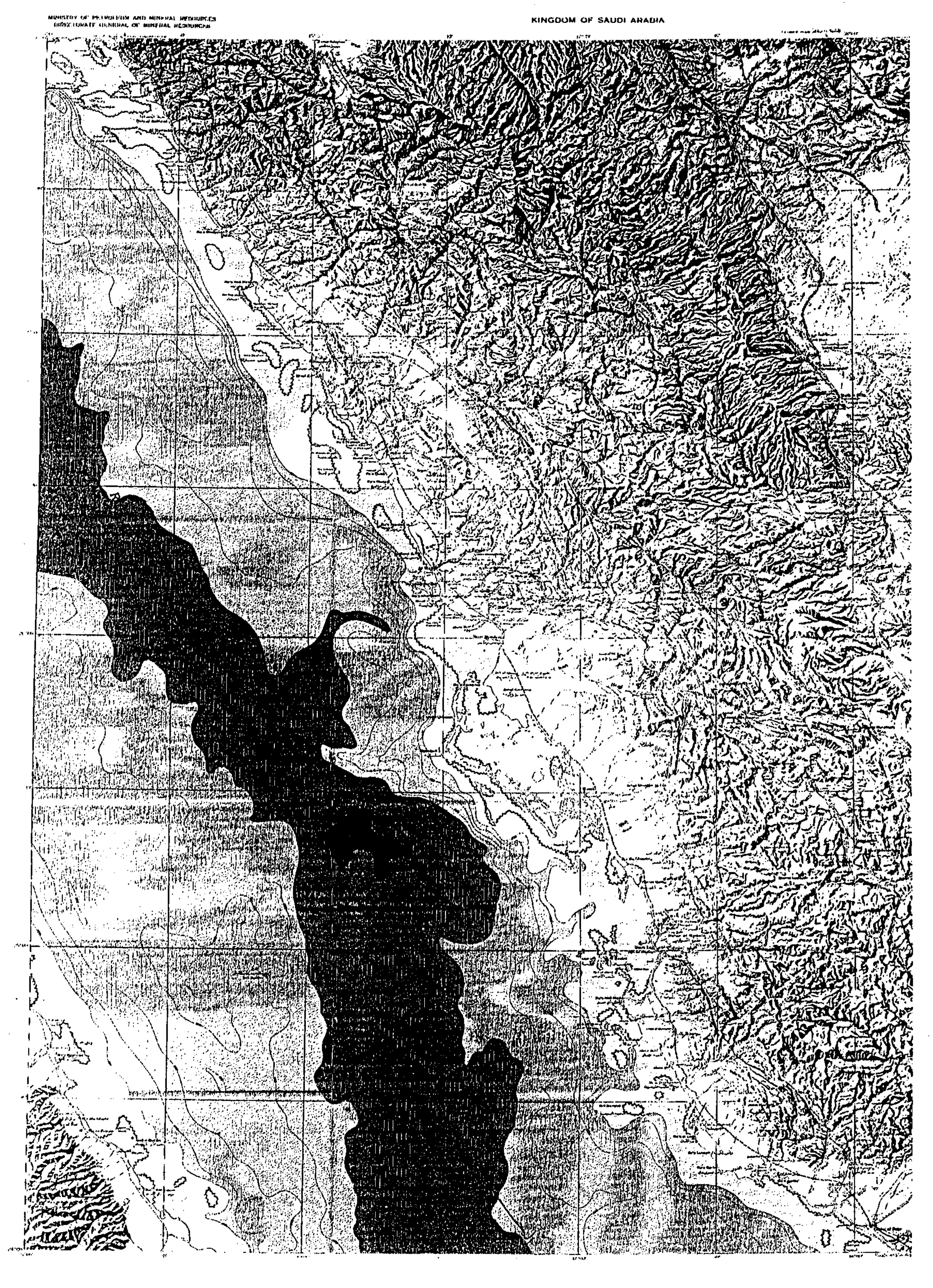
الخرائط والصور



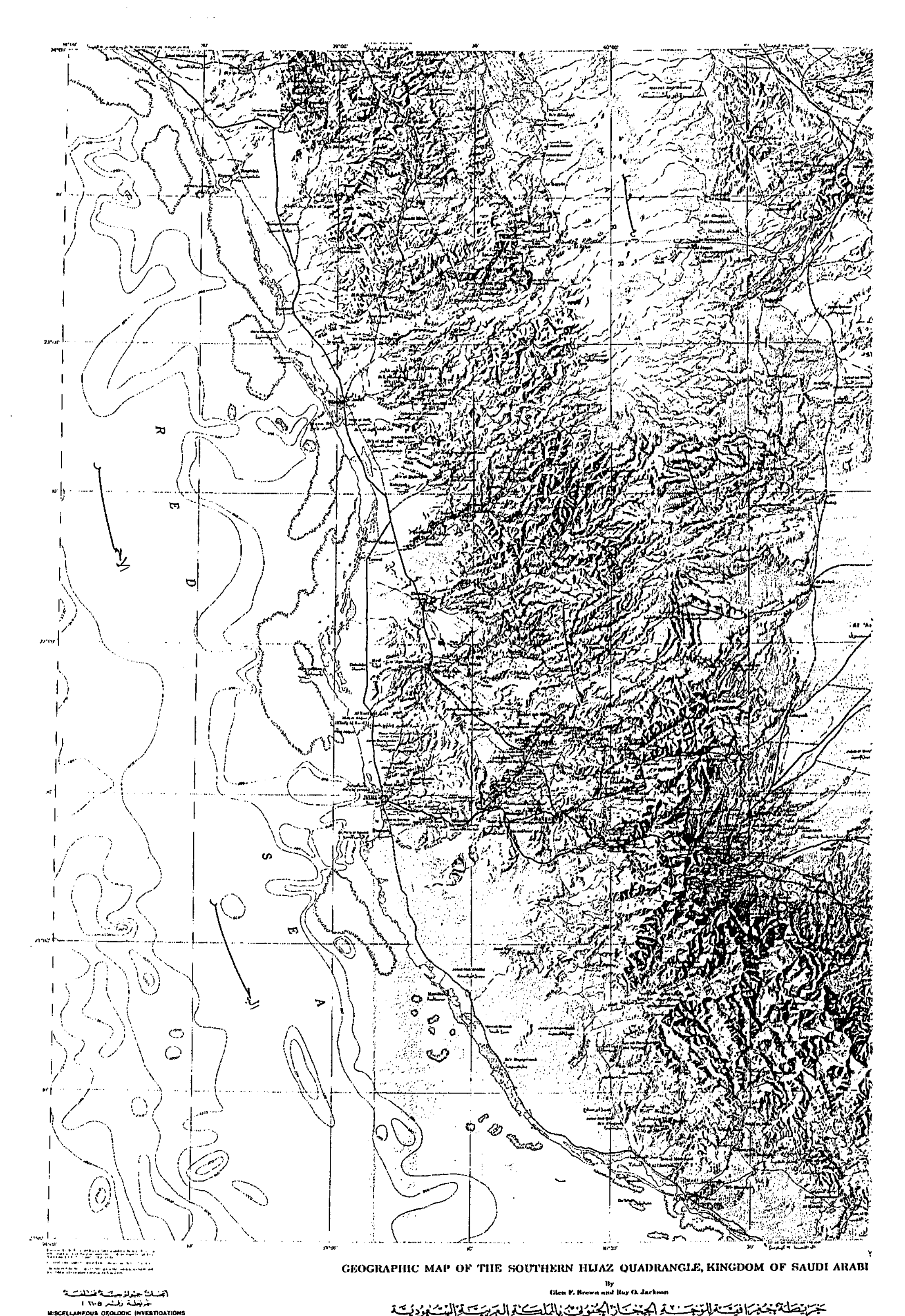
خارطة طرق المواصلات١:٣٠٠٠،٠٠٠،وزارة المواصلات ، طبعت بإدارة المساحة العسكرية بوزارة الدفاع ، الطبعة الأولى ، عام ١٤١١هـ ، المملكة العربية السعودية.(نسخة مصغرة "مقاس A4").



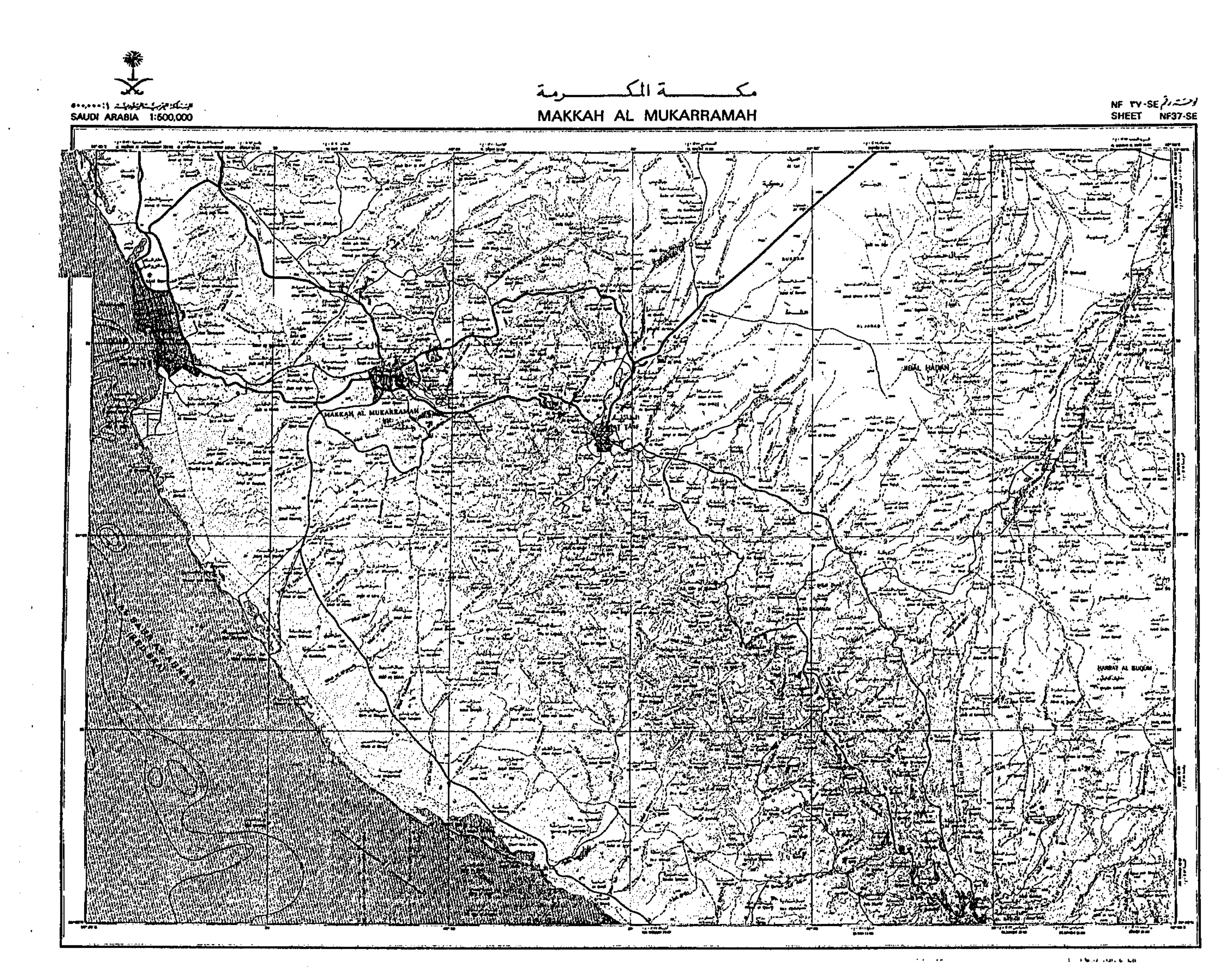
خريطة جمهورية مصر العربية، ١:٢،٠٠٠،٠٠٠، الهيئة العامة للمســاحة المصرية.



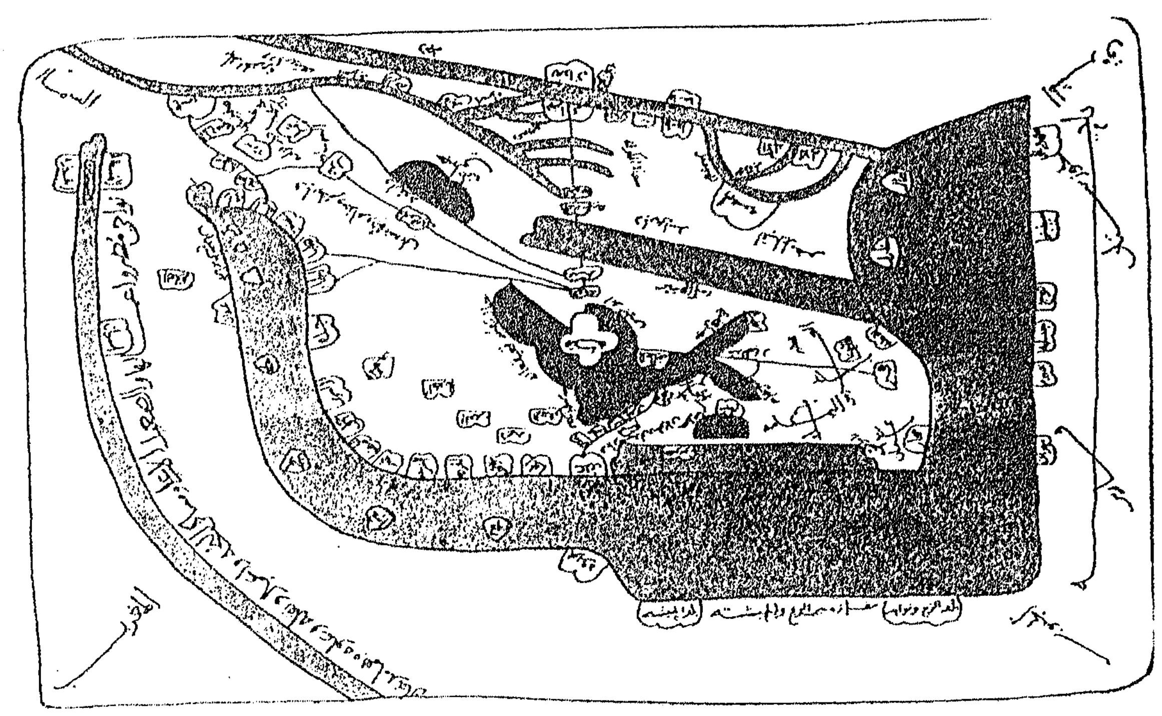
لوحة الحجاز الشمالي الغربي ، أبحاث جيولوجية ، خريطـــــة رقــــم ج م ـــ٢٠٤ب (GM-204B) ، وزارة البترول والثروة المعدنية، الرياض .



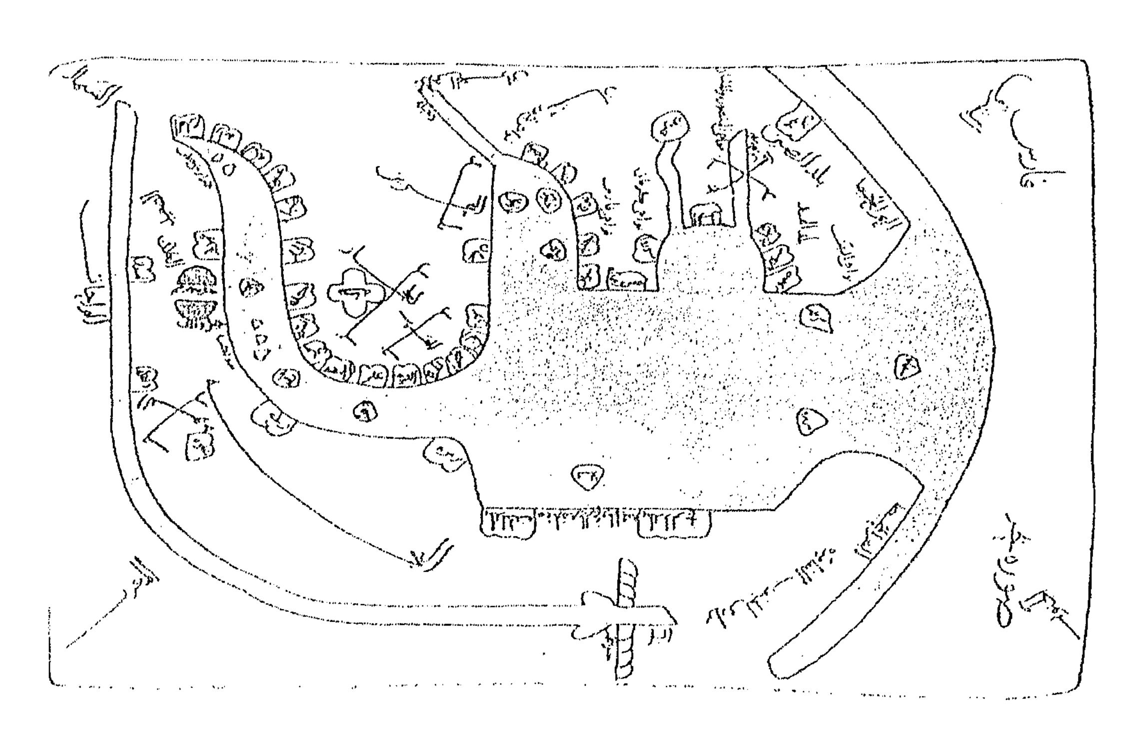
لوحة الحجاز الجنوبي ، أبحاث جيولوجية ، خريطة رقم I-C10B، وزارة البترول والثروة المعدنية ، الرياض .



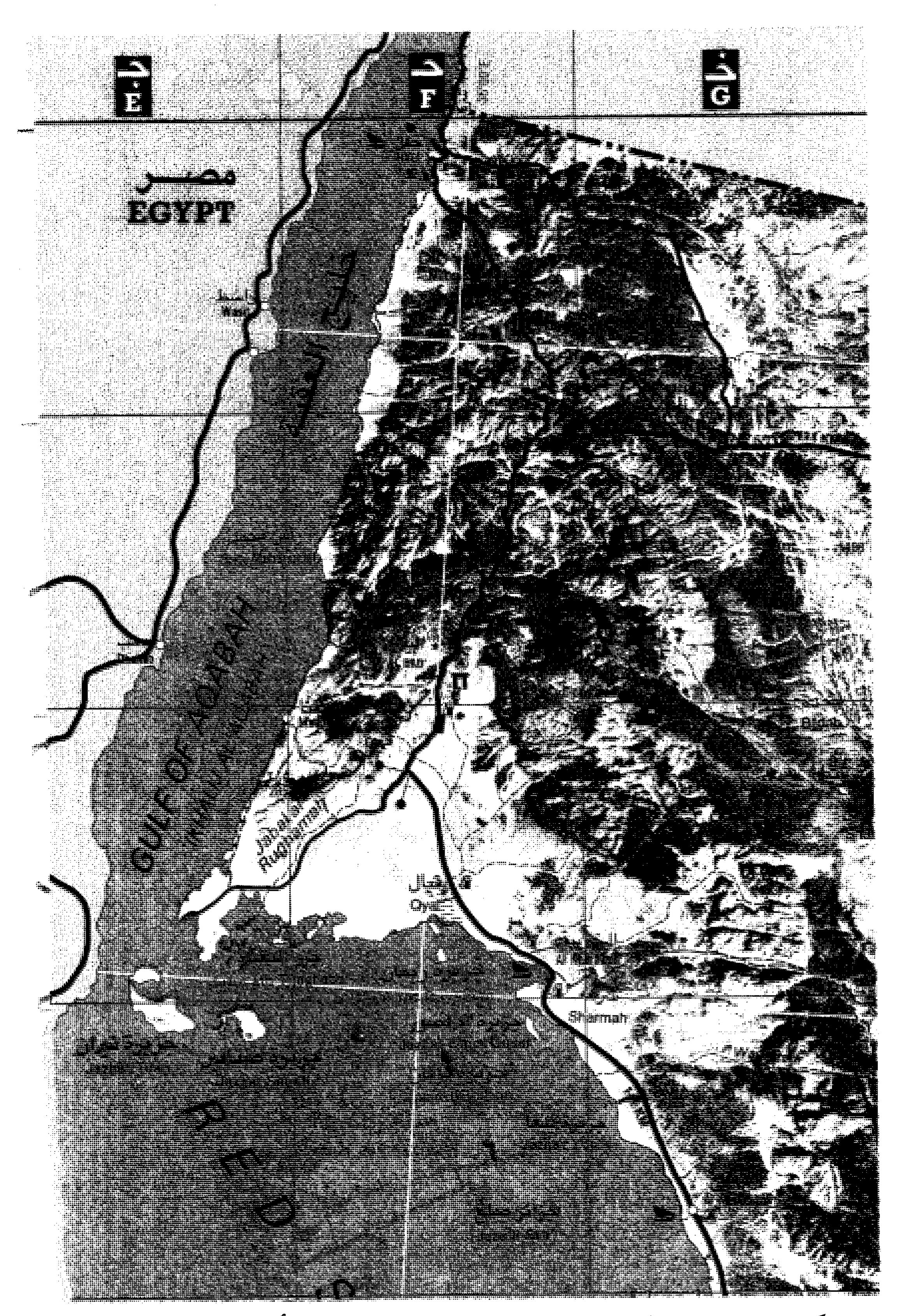
خارطة تخطيطية (مكة المكرمة) ١:٥٠٠،٠٠٠ ، لوحة رقم NG37-SE ،طبعت عام١٤١١هـ، وزارة البترول والثروة المعدنية ــ الرياض .



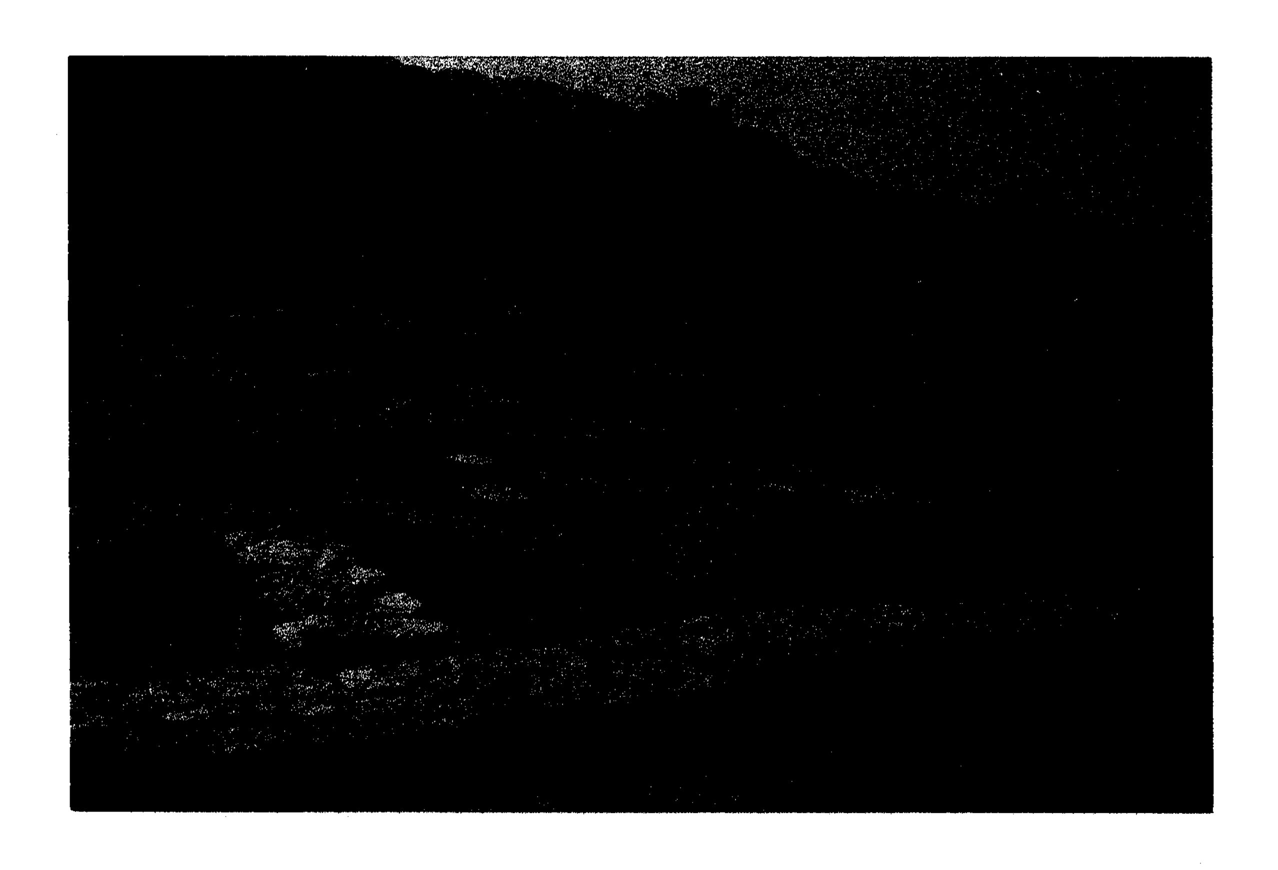
ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٢٠(تمثل الخريطة جزيرة العرب)



ابن حوقل : صورة الأرض ، ص٤٥ .

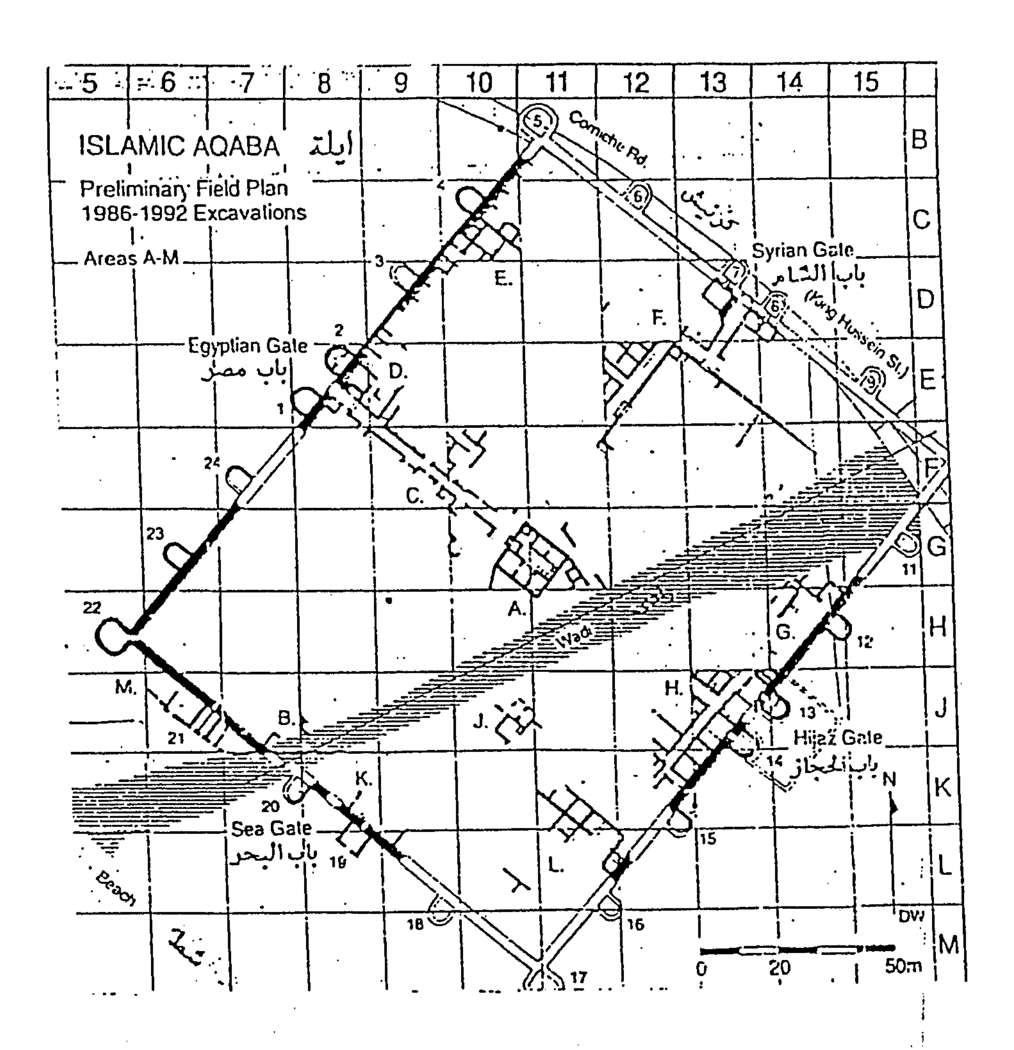


زكي فارسي :دليل الطرق السياحية ، الطبعة الأولى ، ١٤١٥هـ خريطة خليج العقبة ، رقم ب ١.



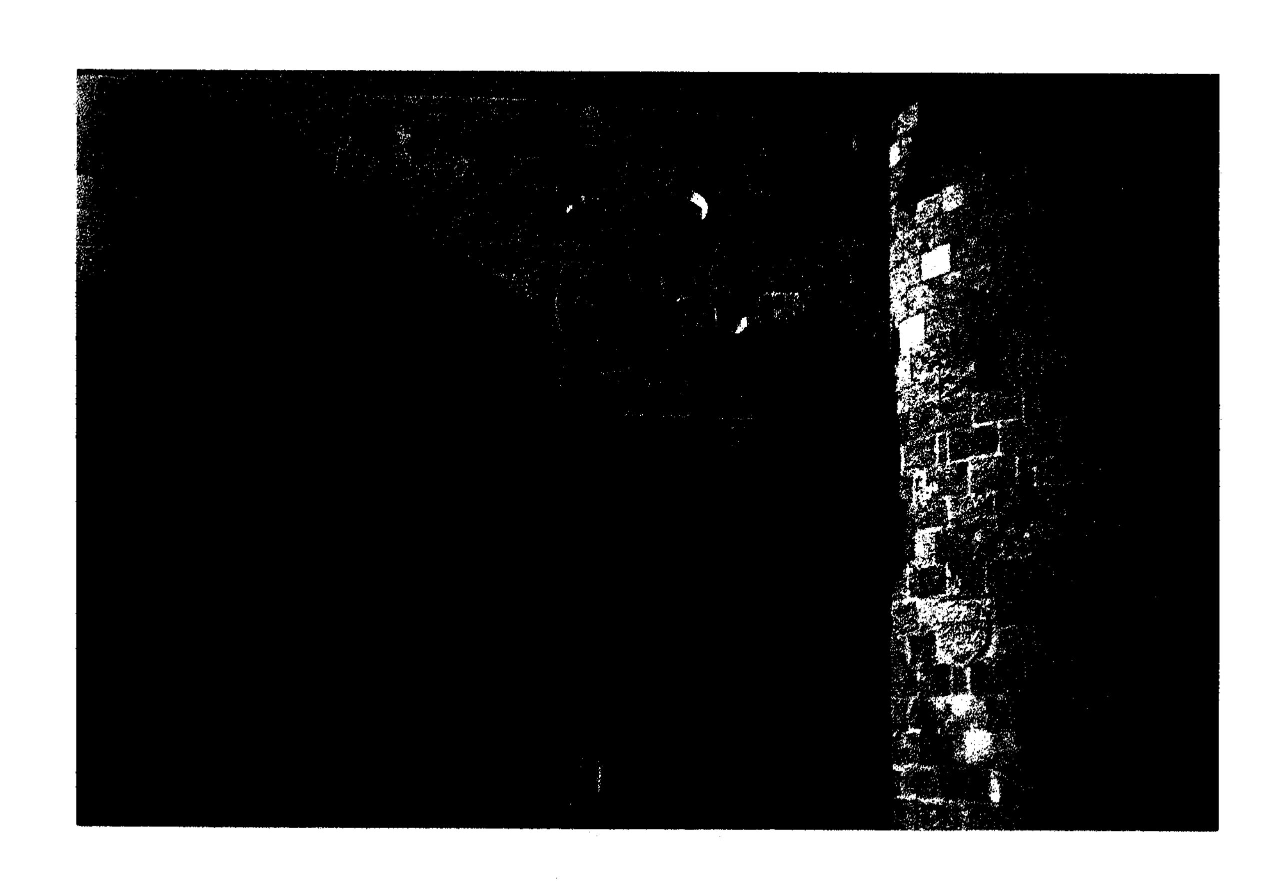


بقايا آثار مدينة أيلة الإسلامية داخل مدينة العقبة ، قام الباحث بتصويرها فتوغرفياً بتاريخ ٦/٤/١٤٢٠هـ-١٩/٧/١٩٩٩م.

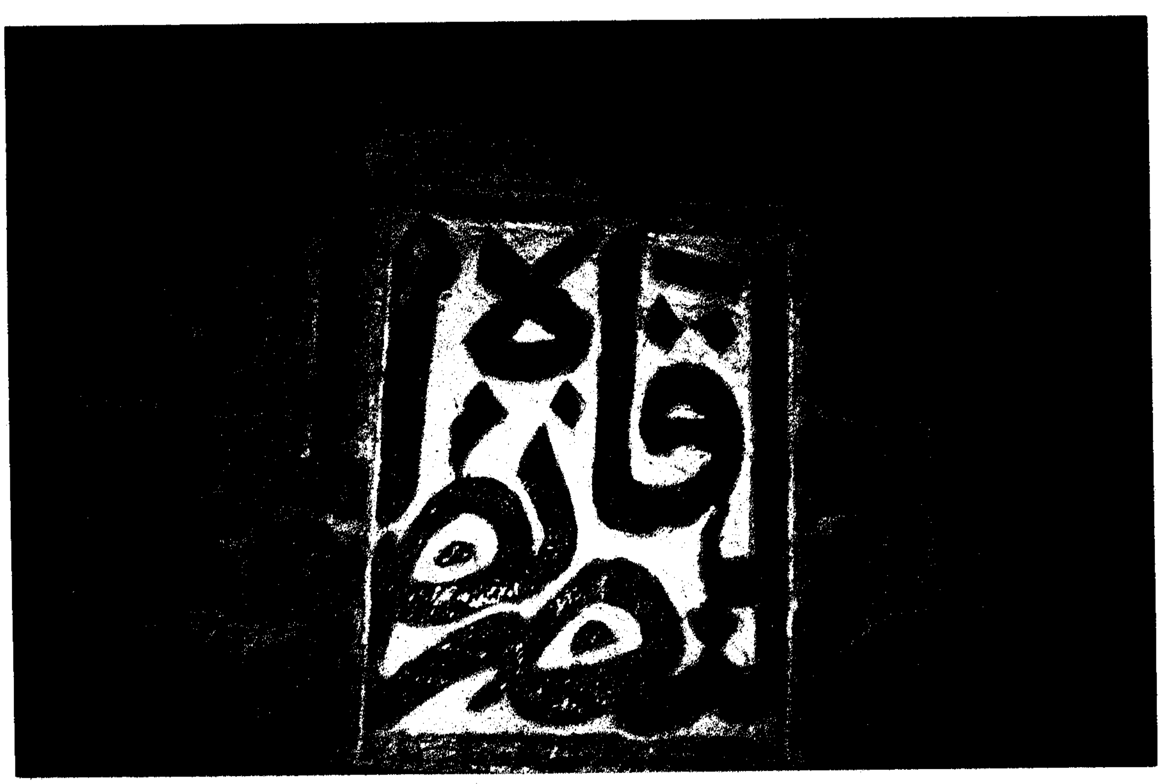


العناصر المعمارية التي تم الكشف عنها في مدينة أيلة حتى نهاية موسم ١٩٩٢. (Whitcomb,1993 A: 12)

رائد الشرع : مدينة أيلة وتخطيطاها في الفترة الإسلامية المبكرة ، رسـالة ماجستير ، ص١٢٧.



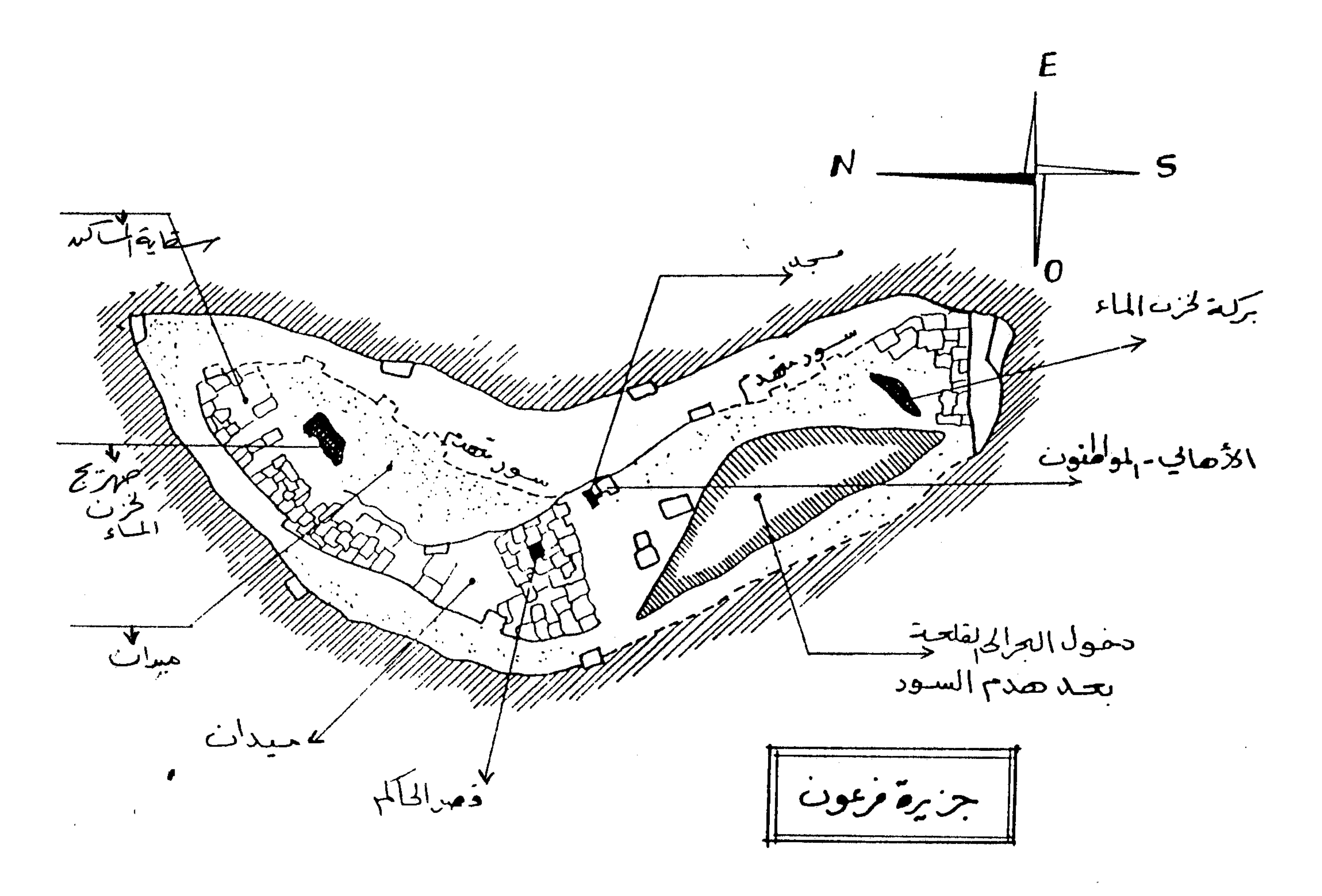
واجهة القلعة المملوكية بالعقبة ، وصورت بتاريخ ١٤٢٠/٤/٦هـ



صورة نص عند مدخل القلعة باسم السلطان (قانصوة الغوري)



صورة بئر داخل القلعة المملوكية



↑

تقع هذه الجزيرة في خليج العقبة جنوب طابا بمسافة ١٢ كم إلى الجنوب الغربي من مدينة العقبة، وتبعد ٢٥٠م عن ساحل سيناء.

SAUDI ARABIA 1:500,000

ينبع

YANBU'

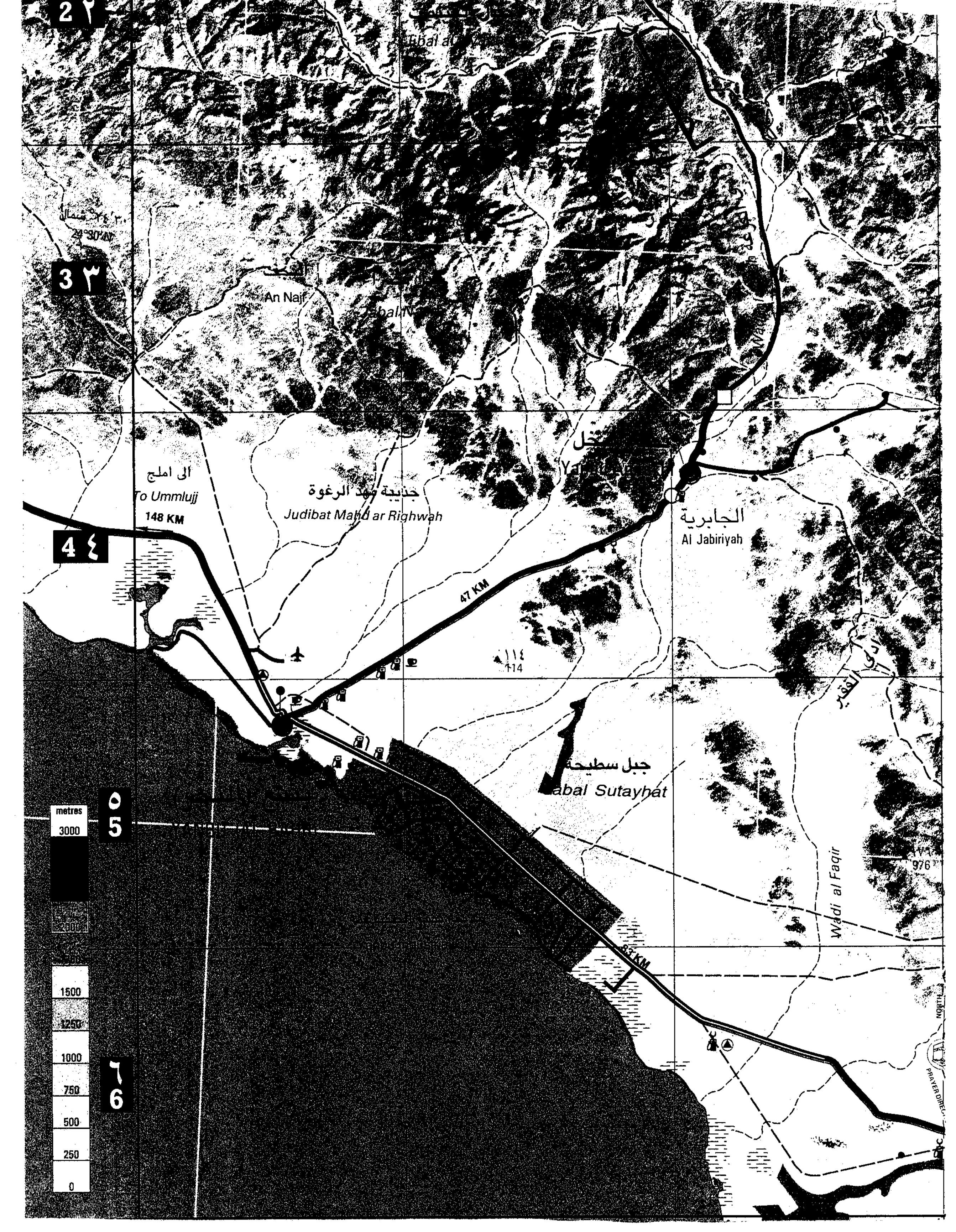
SHEET NG 37 - SW

AL BAHR AL AHMAR

(RED SEA)

YANBU'

خارطة تخطيطية (ينبع) ،١:٥٠٠،٠٠٠ ،لوحة رقم NG 37-SW ، طبعت عام١٤٠٤هـ، وزارة البترول والثروة المعدنية ، الرياض .



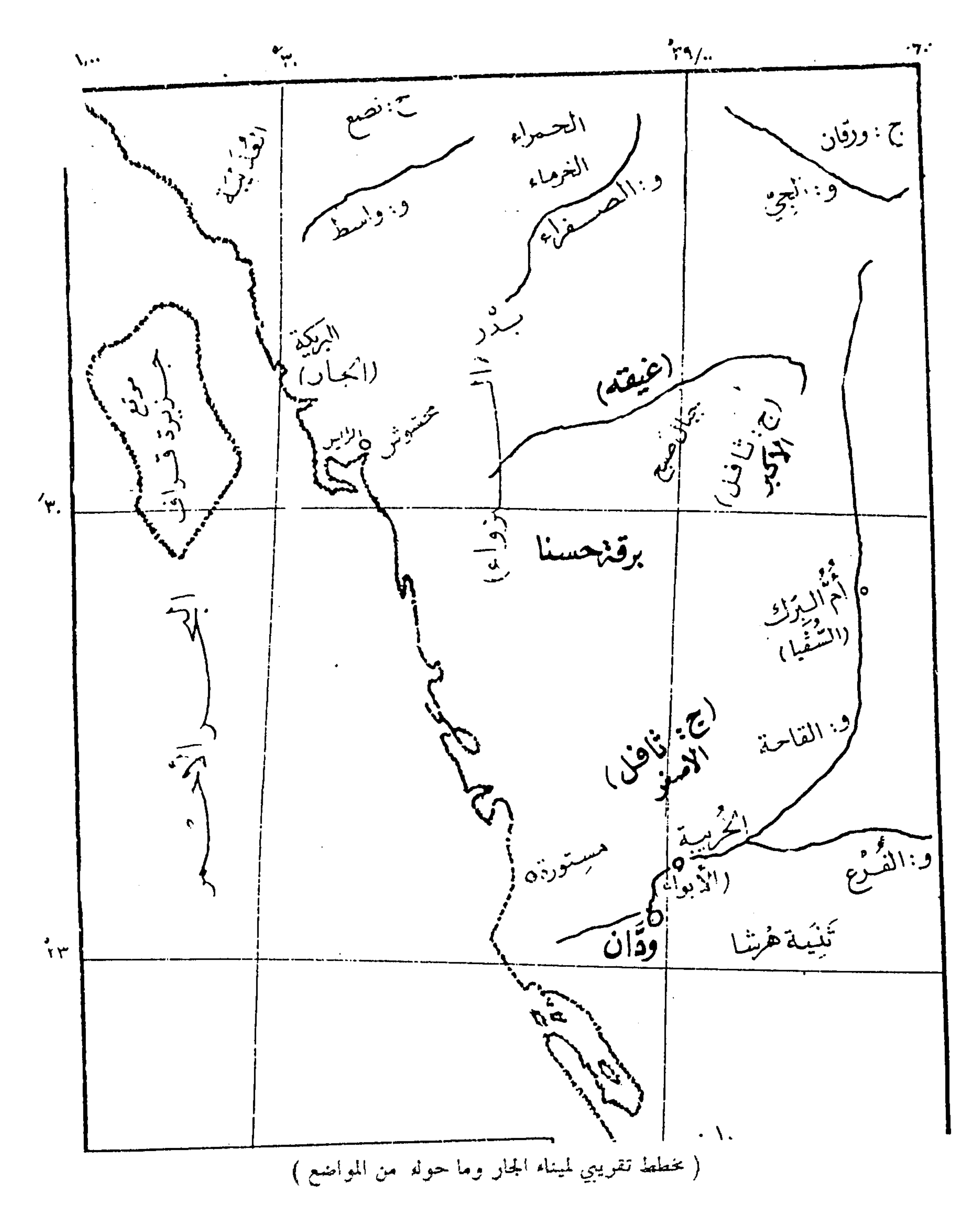
زكي فارسي :دليل الطرق السياحية ، خريطة ينبع ، رقم ب ١٢.



تظهر في الصورة قرية العلقمية بينبع التي انطلق منها الشريف قتادة ليحكم مكة (مؤسس الطبقة الرابعة من الأشراف أمراء مكة من القرن السادس إلى القرن الرابع عشر الهجري).
وخلف القرية يظهر جبل رضوى الشهير.



بقايا آثار ما يُزعم أنه مسجد العشيرة بينبع بالقريّة (قرية الأشراف) .
صورت بتاريخ ١٤٢٠/٣/٢٧هـ.



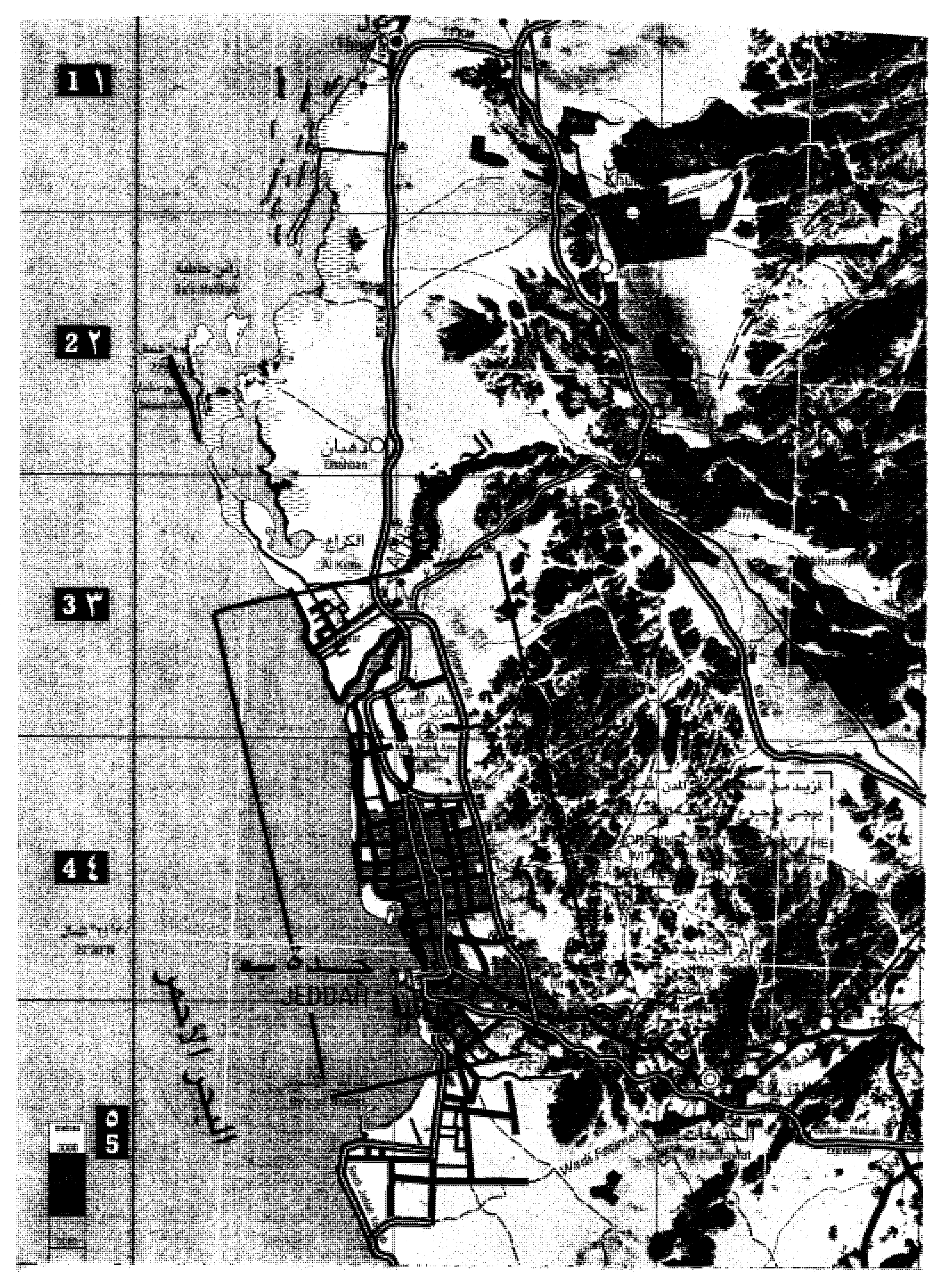
(مخطط تقريبي لميناء الجار وما حوله من المواضع)

خريطة توضح موقع ميناء الجار على ساحل بحر الحجاز ، من عمل ،حمد الجاسر ، في شمال غرب الجزيرة ، ص١٩٣، مع تعديلات لعاتق بن غيث البلادي ، معجم معالم الحجاز ، ج٢ ، ص١٠٧.

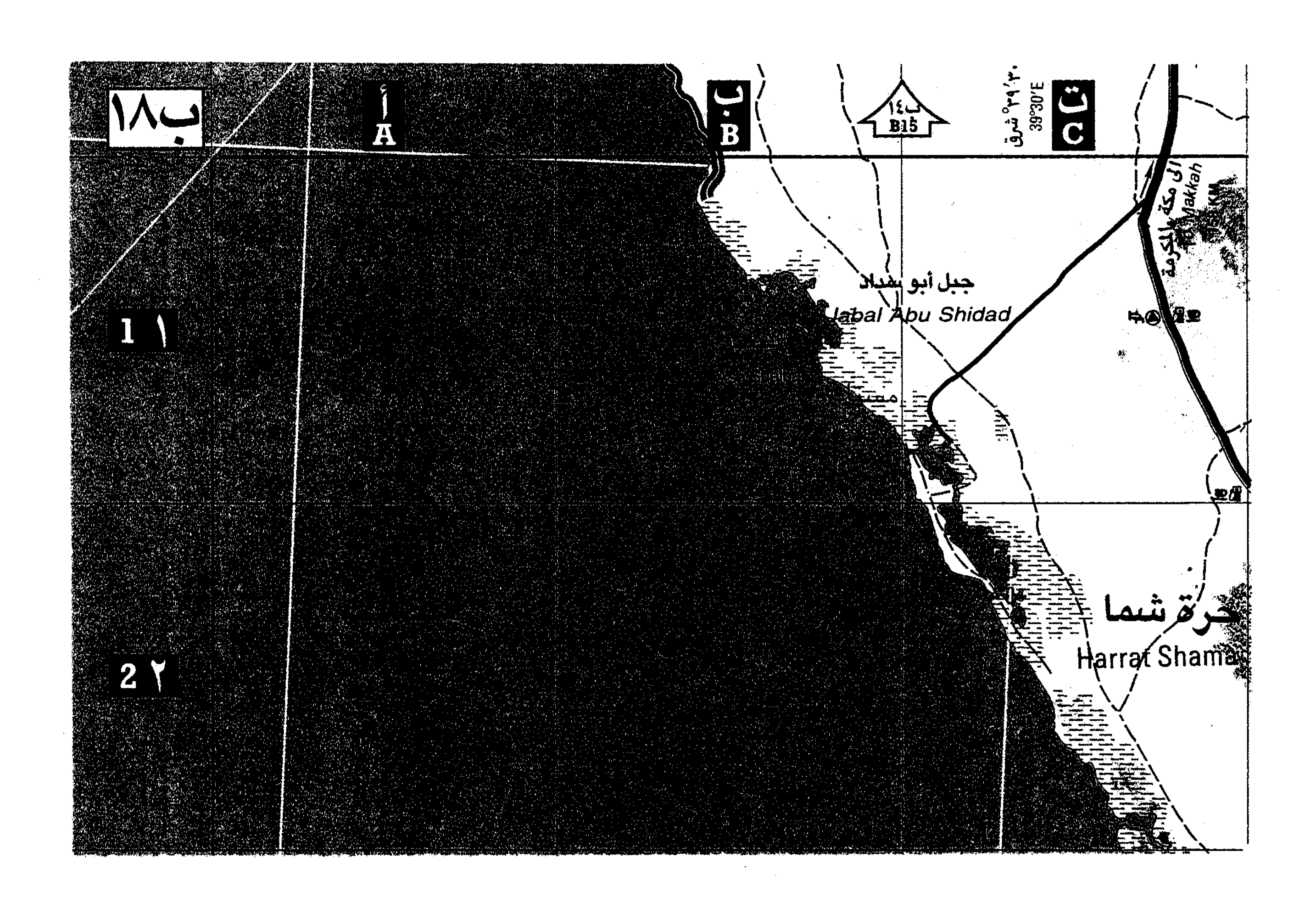


جزء من الهضبة (التلة) التي يُرجح أنها جزء من مدينة الجار الإسـلامية ، ويظهر السياج الحديدي والبحر، في شرم البريكة جنوب ينبع .

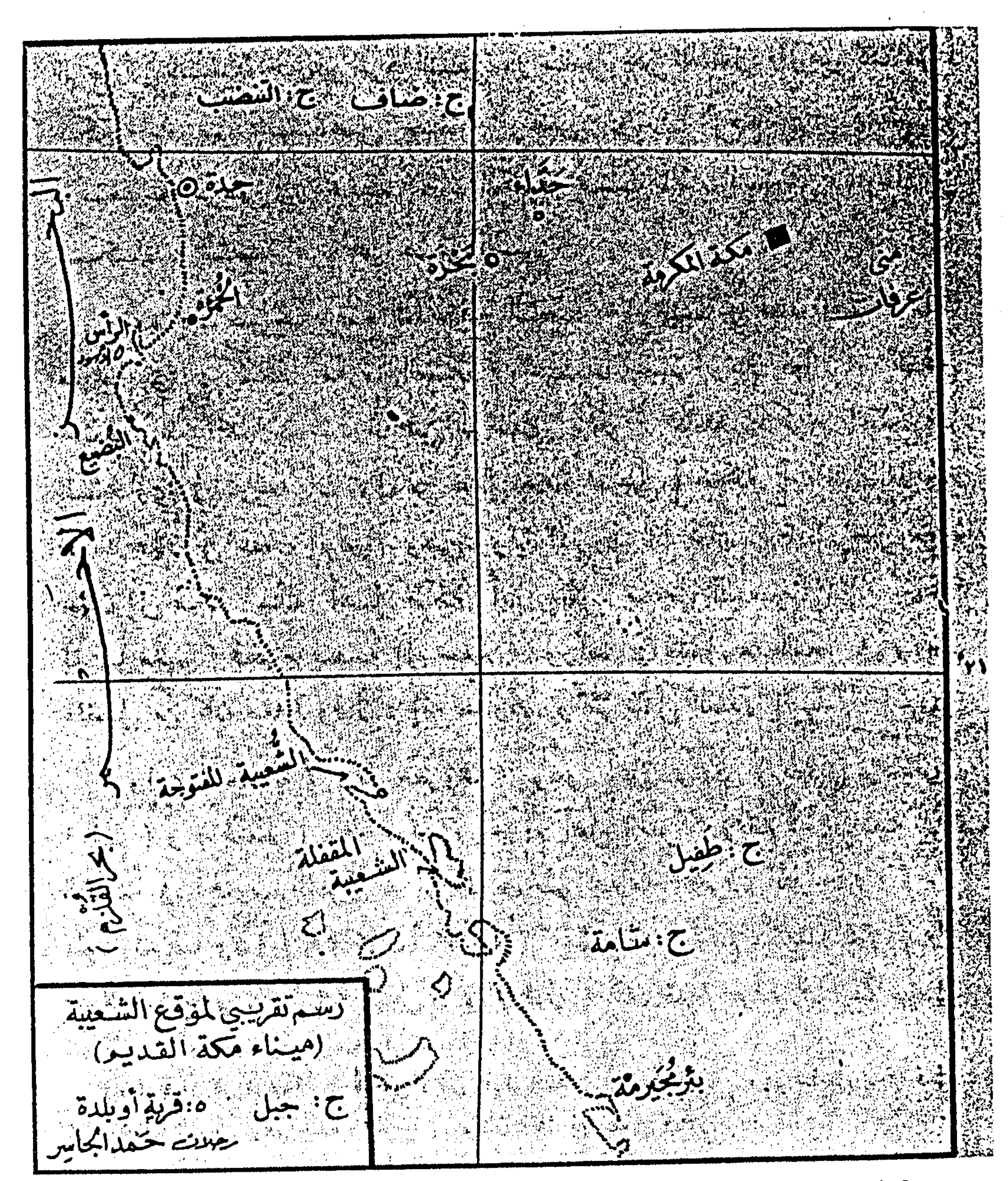
التقطت الصورة بتاريخ ٢٨/٣/١٤٢٠هـ.



زكي فارسي ،دليل الطرق السياحية ، خريطة جدة رقم ب ١٤ .

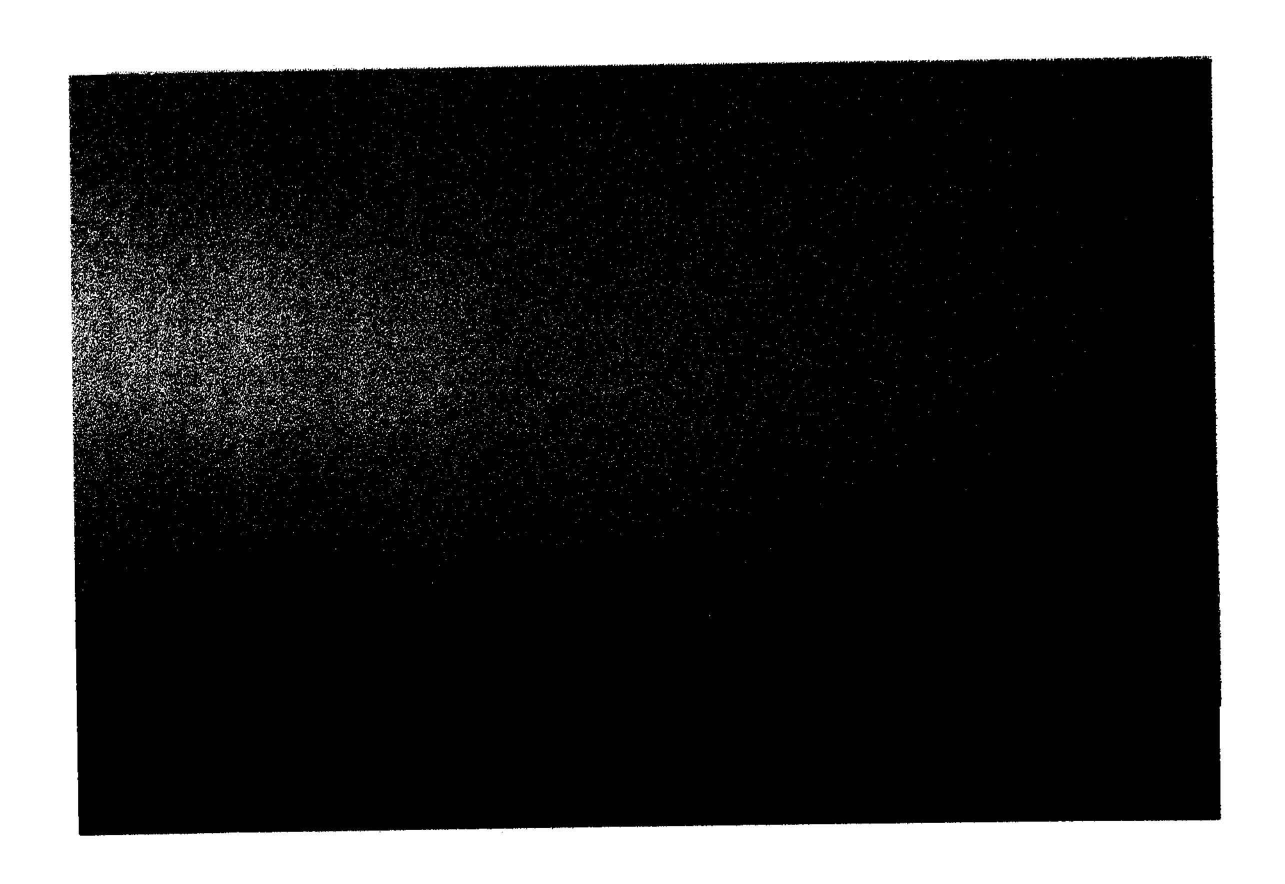


زكي فارسي: خريطة الشعيبـــــــــــــــة رقم ب ١٨.

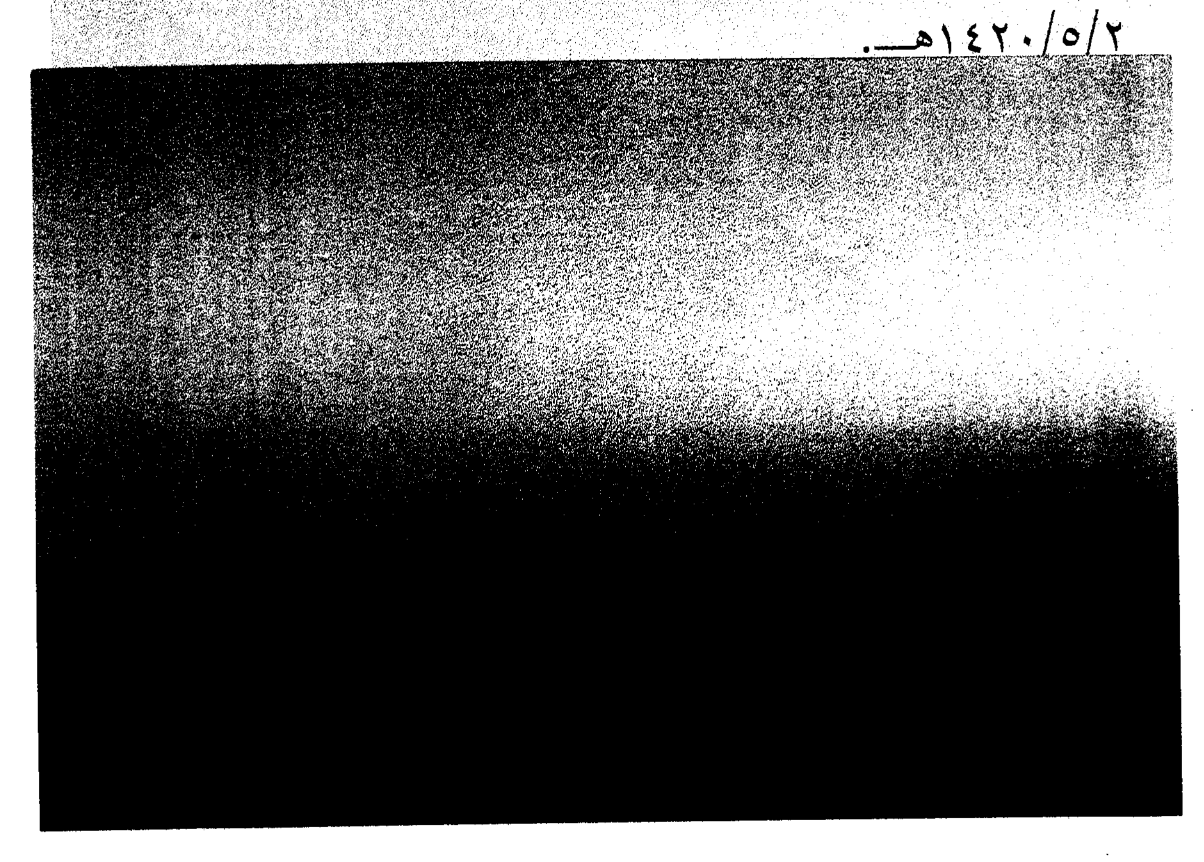


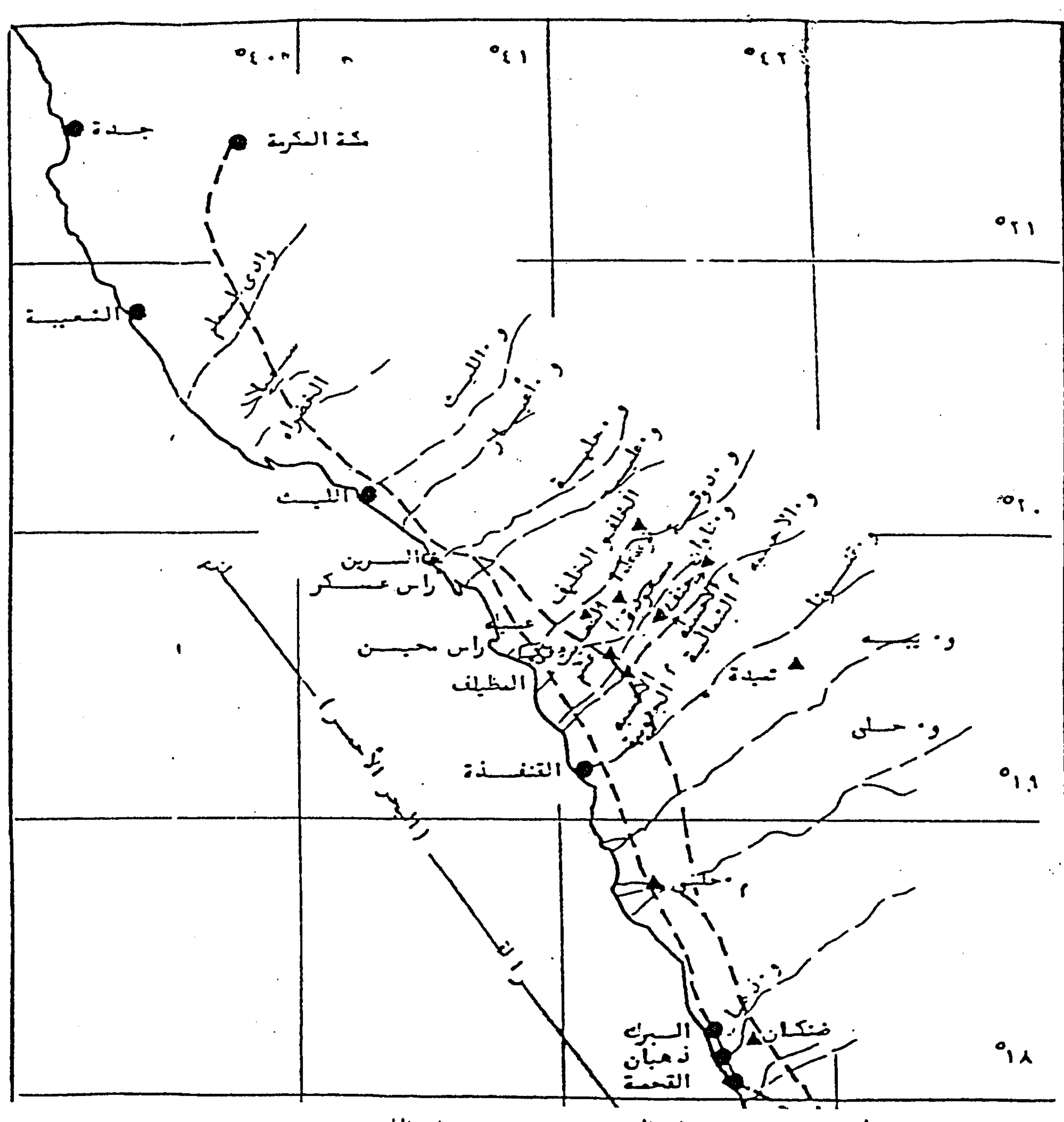
مخطط تقريبي يوضح موقع الشعيبة بالنسبة الى بعض الأمكنة المعروفة

حمد الجاسر ، في شمال غرب المملكة ، ص ١٧٦.



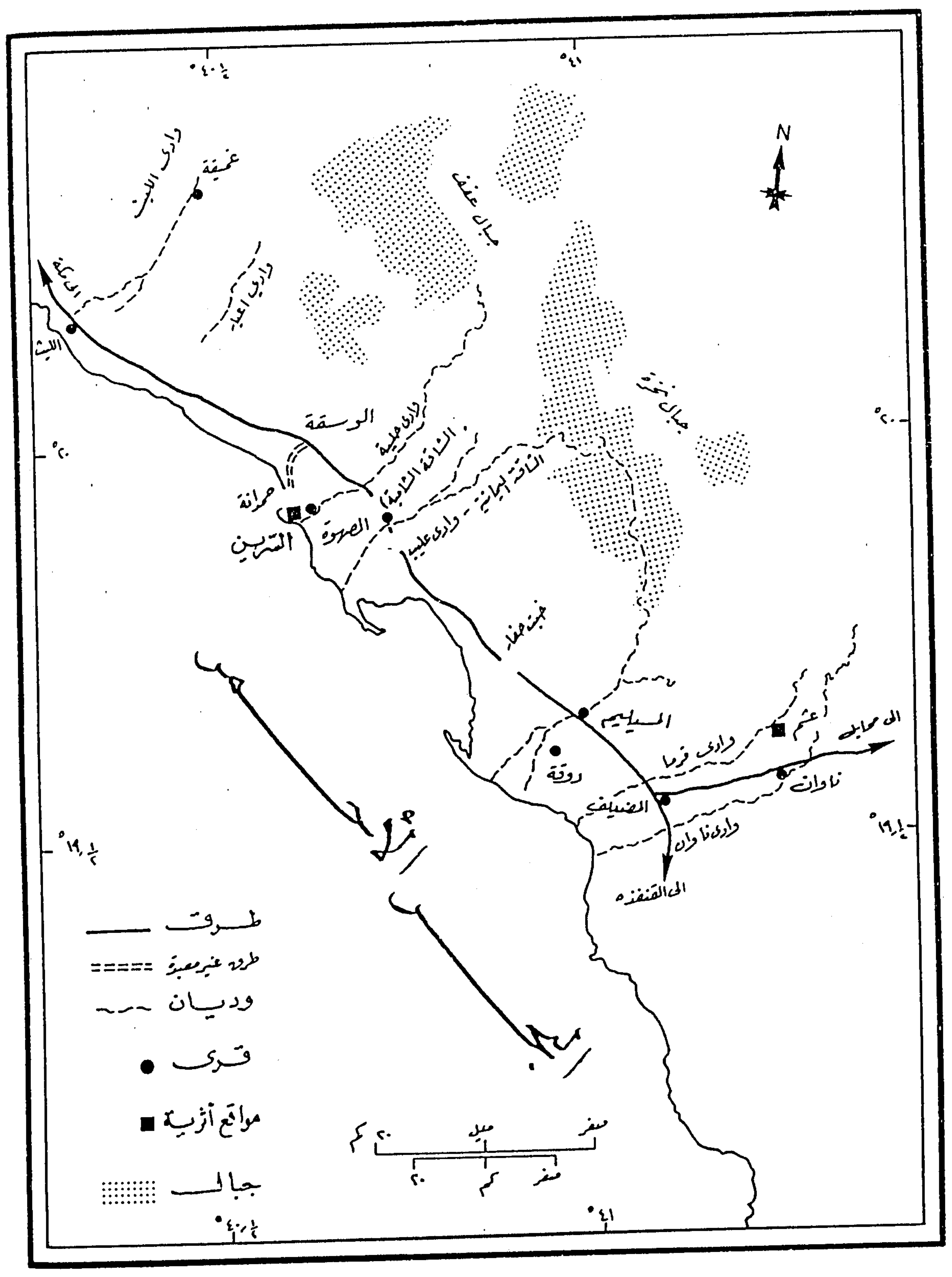
تظهر في الصورة أعلاه الشعيبة المفتوحة ، وفي الصورة التي تليها الشـــعيبة المسدودة (المقفلة) ، وتم التقاط المنظرين قبيل غـــروب يـــوم الجمعـــة ١٤٢٠/٥/٢هـــ.





خريطة تبين موقع ميناء السرين جنوب ميناء الليث.

الفقيه : مدينة السرين الأثرية ، ص٧ .

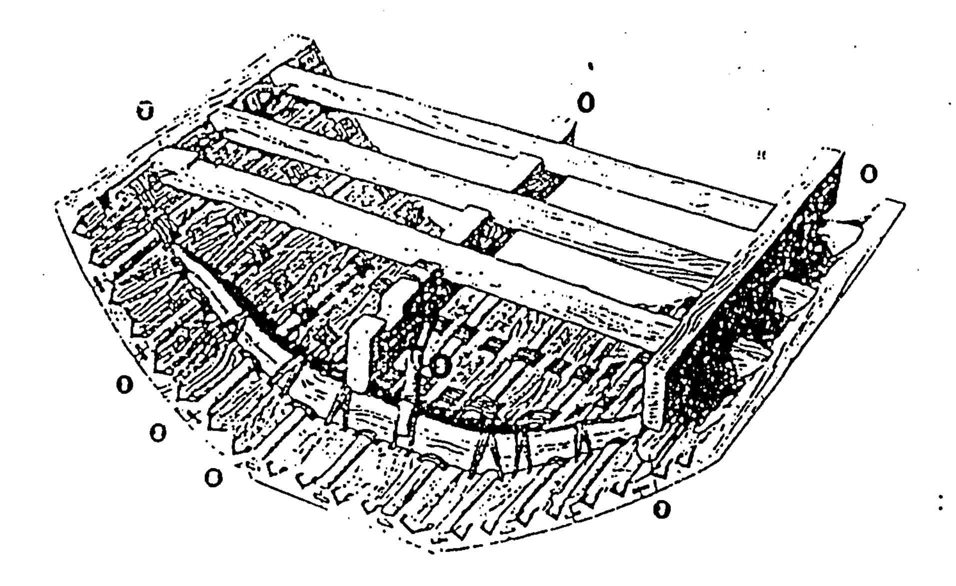


خريطة توضح موقع السّرين .

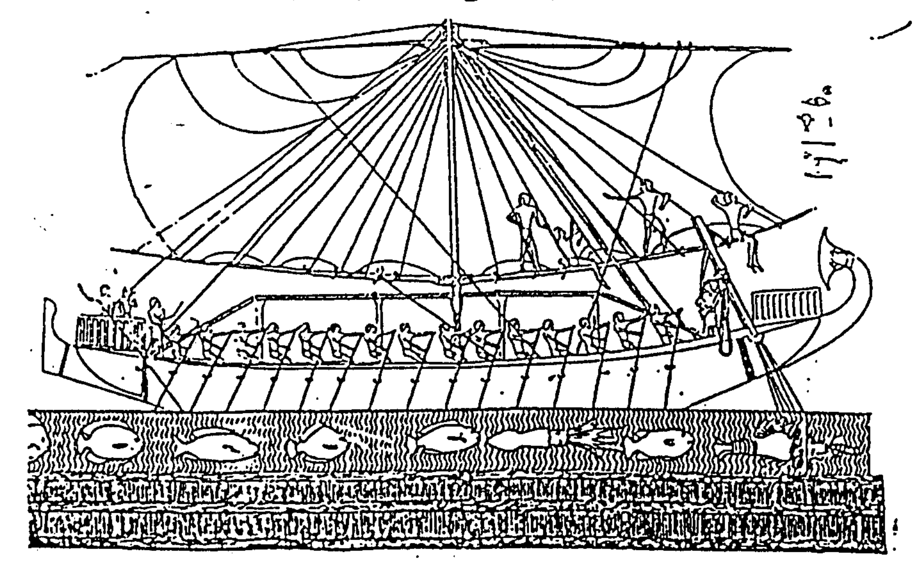
الزيلعي : حاكم السرين (راجح بن قتادة) ، ص٣٠ .



آثار مدينة السرين محاطة بسياج حديدي وتُرى في الصورة غرفة الحــارس الحكومي .(التقطت الصورة بتاريخ ٨/٥/١٤٢٠هـــ) .



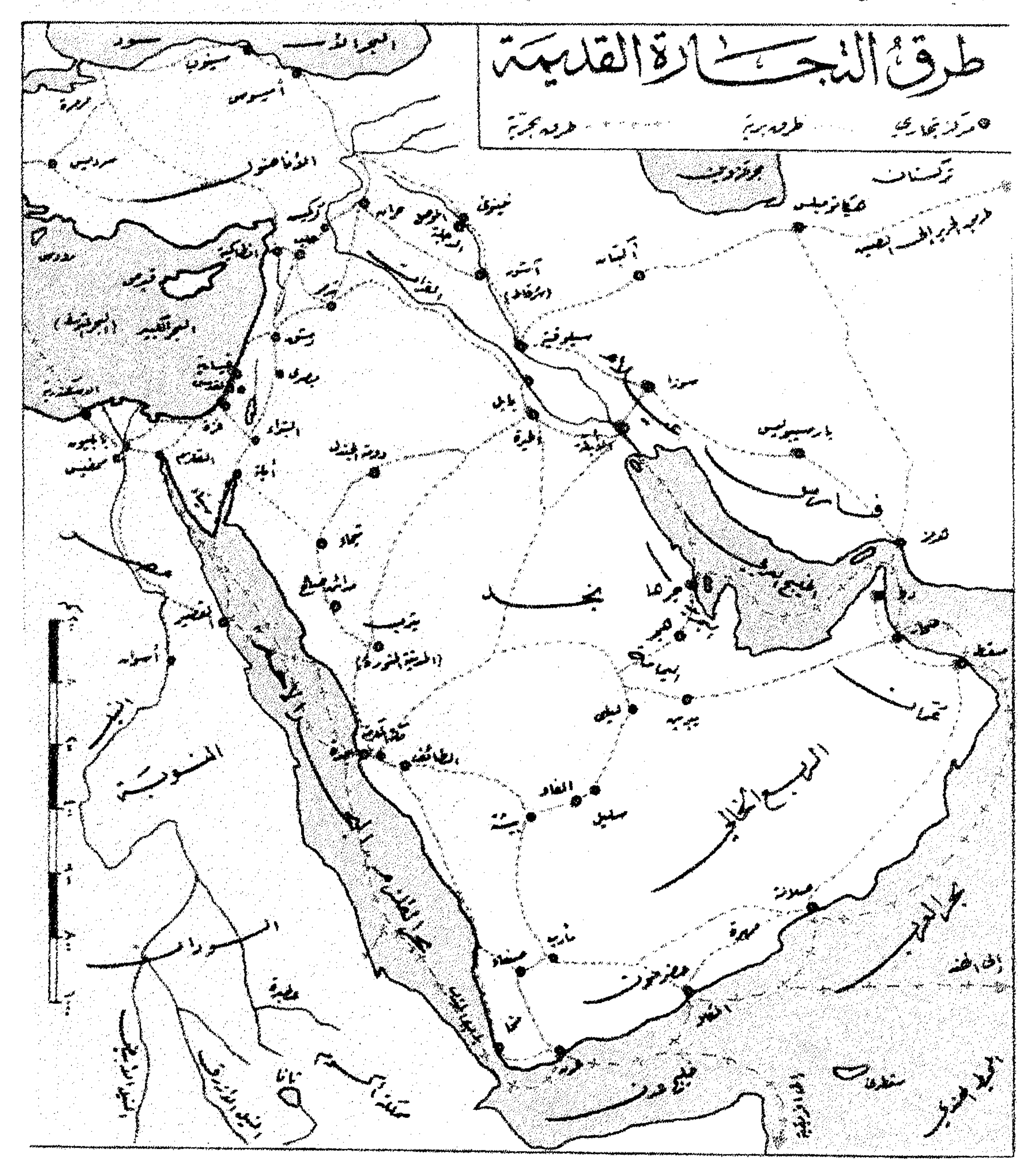
قطاع فى بدن سفينة خوفو الخيطية يوضح طريقة "خياطة" الألواح بالحبال "والثقوب السحرية" التى تدخل فيها الحبال.



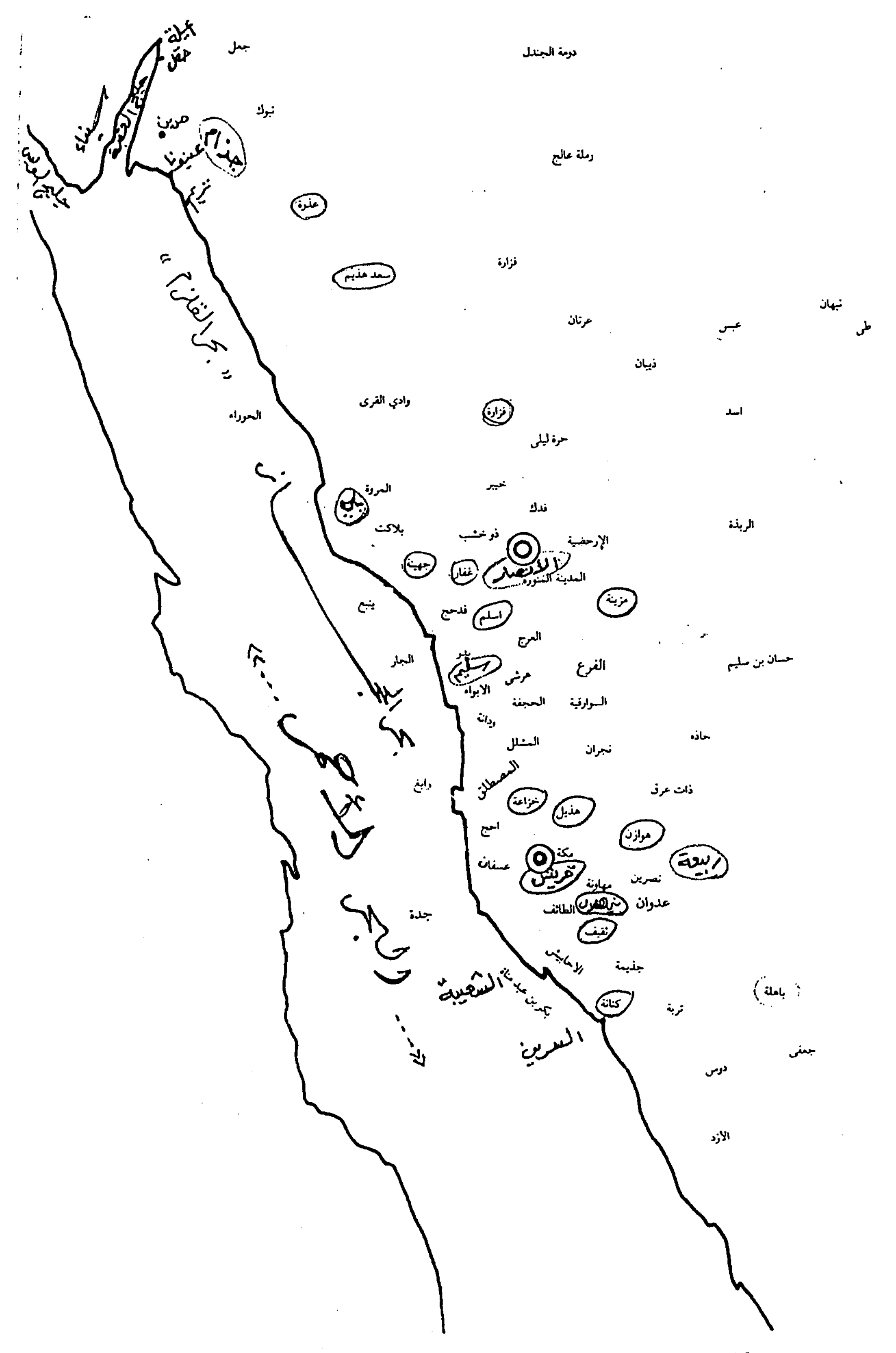
احدى سفن البحر الأحمر الخيطية

رسم تقريبي للسفن الخيطية التي عبرت بحر الحجاز في العصور الوسطى.

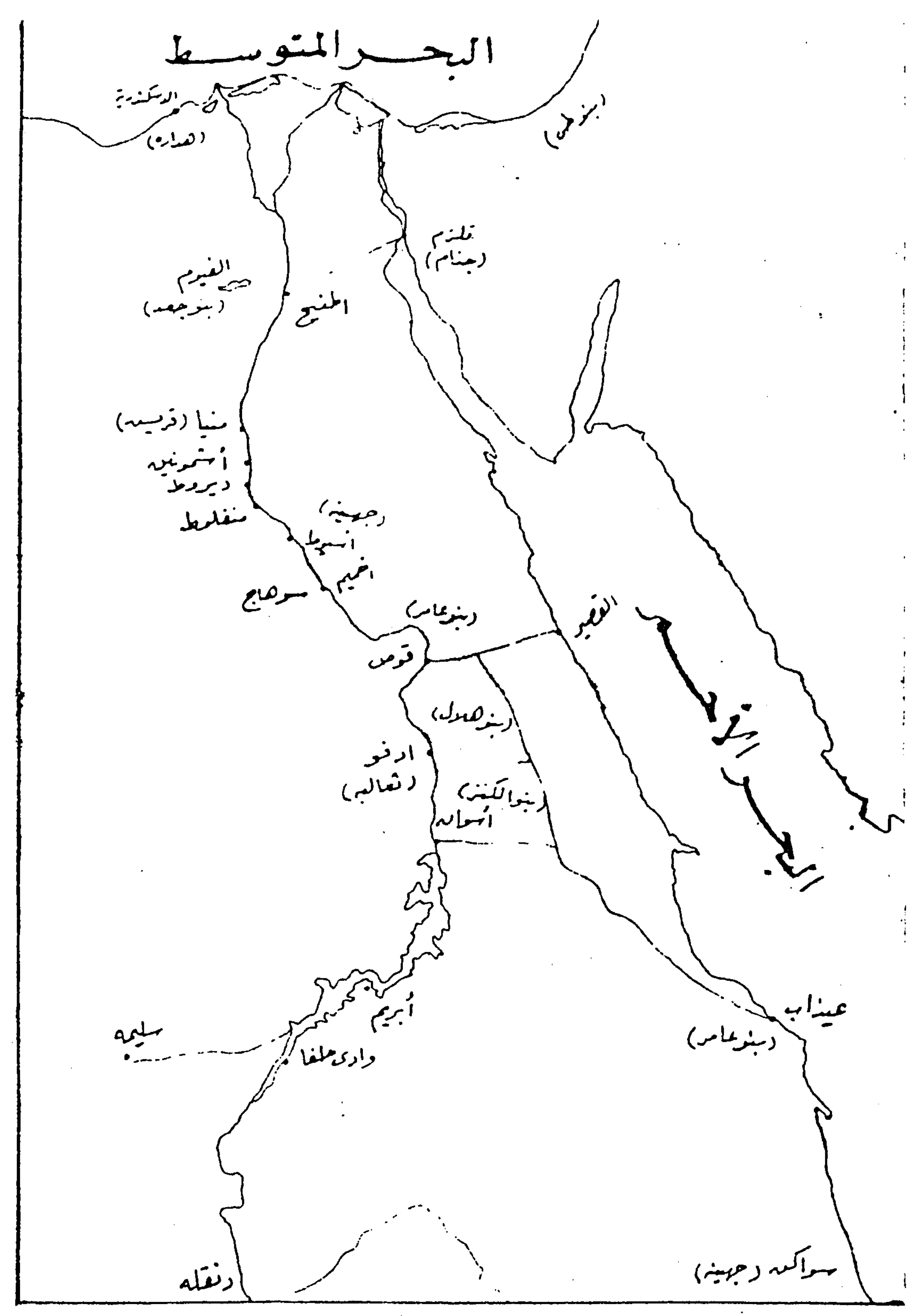
- عبد المنعم عبد الحليم سيد : الأصول المصرية القديمة للسفن الإسلامية في البحر الأحمر ، ص٨٤ .



شوقي أبو خليل: أطلس التاريخ العربي الإسلامي ، الطبعة الرابعة ، ١٤١٦ـ١٩٩٦ ، دار الفكر ، دمشق .ص٢٨ .

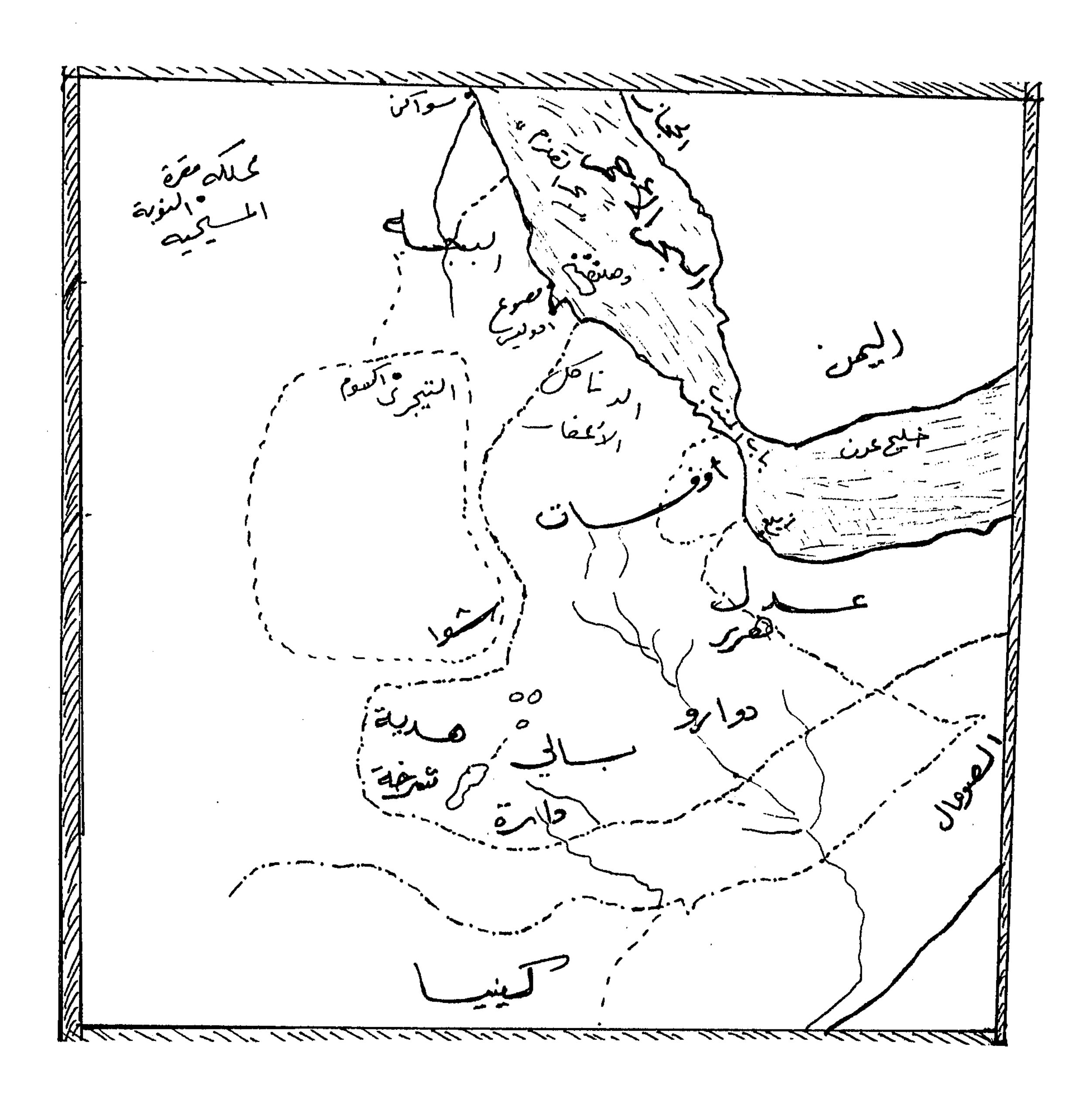


- صالح العلي : الحجاز في صدر الإسلام ، ص١٩٠ (تمثل الخريطة مواطن أبرز قبـــائل الحجاز) " مع تعديلات وإضافات للباحث " .



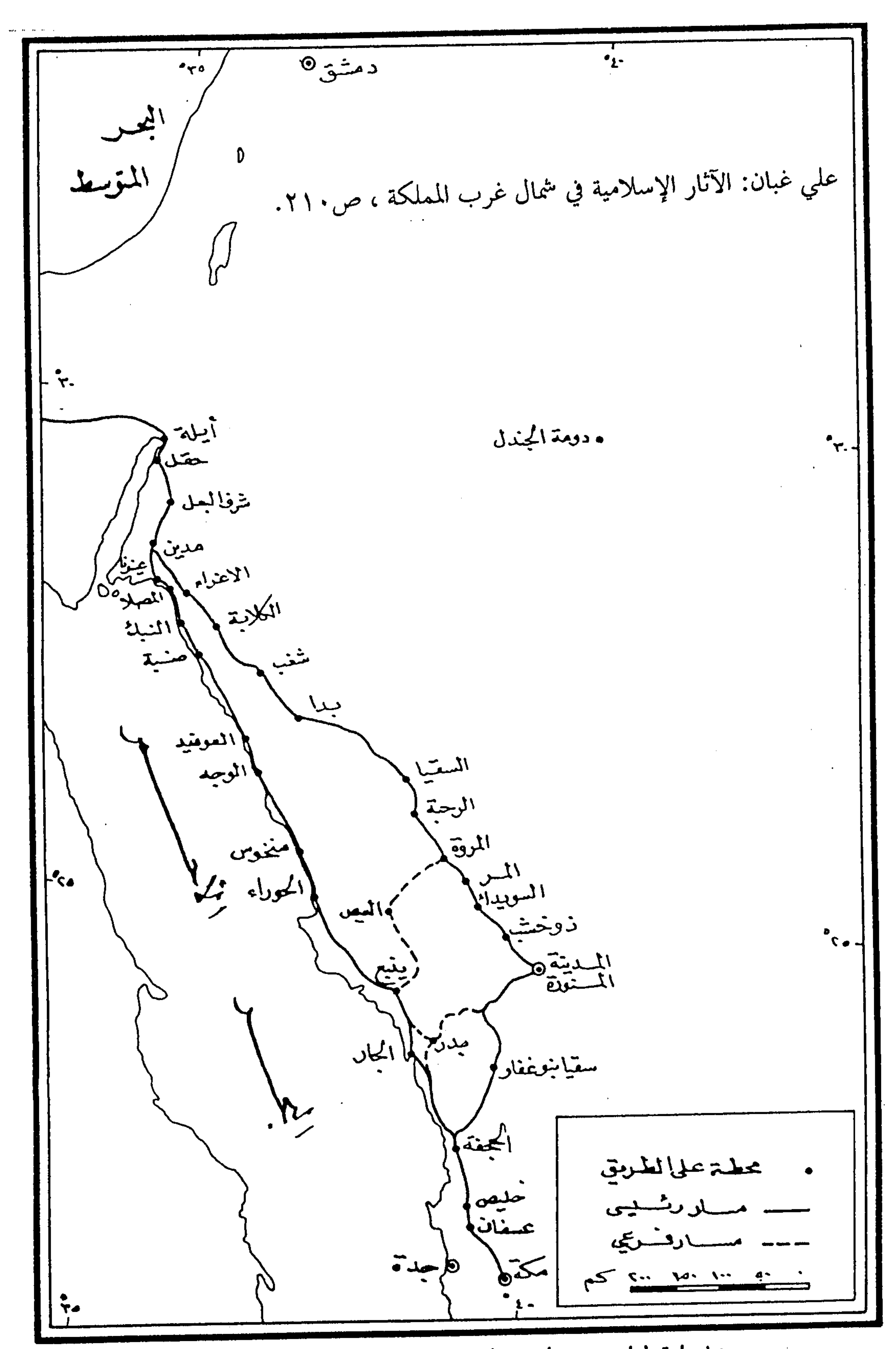
العناصر السكانية فى وادى النيل فى بداية عصر دولة المماليك

-السيد عبد العزيز السالم : البحـــر الأحمـــر في التـــاريخ الإســـلامي ، ص٢٥٩.(تمثل الخريطة مواطن بعض القبائل العربية في وادي النيل).

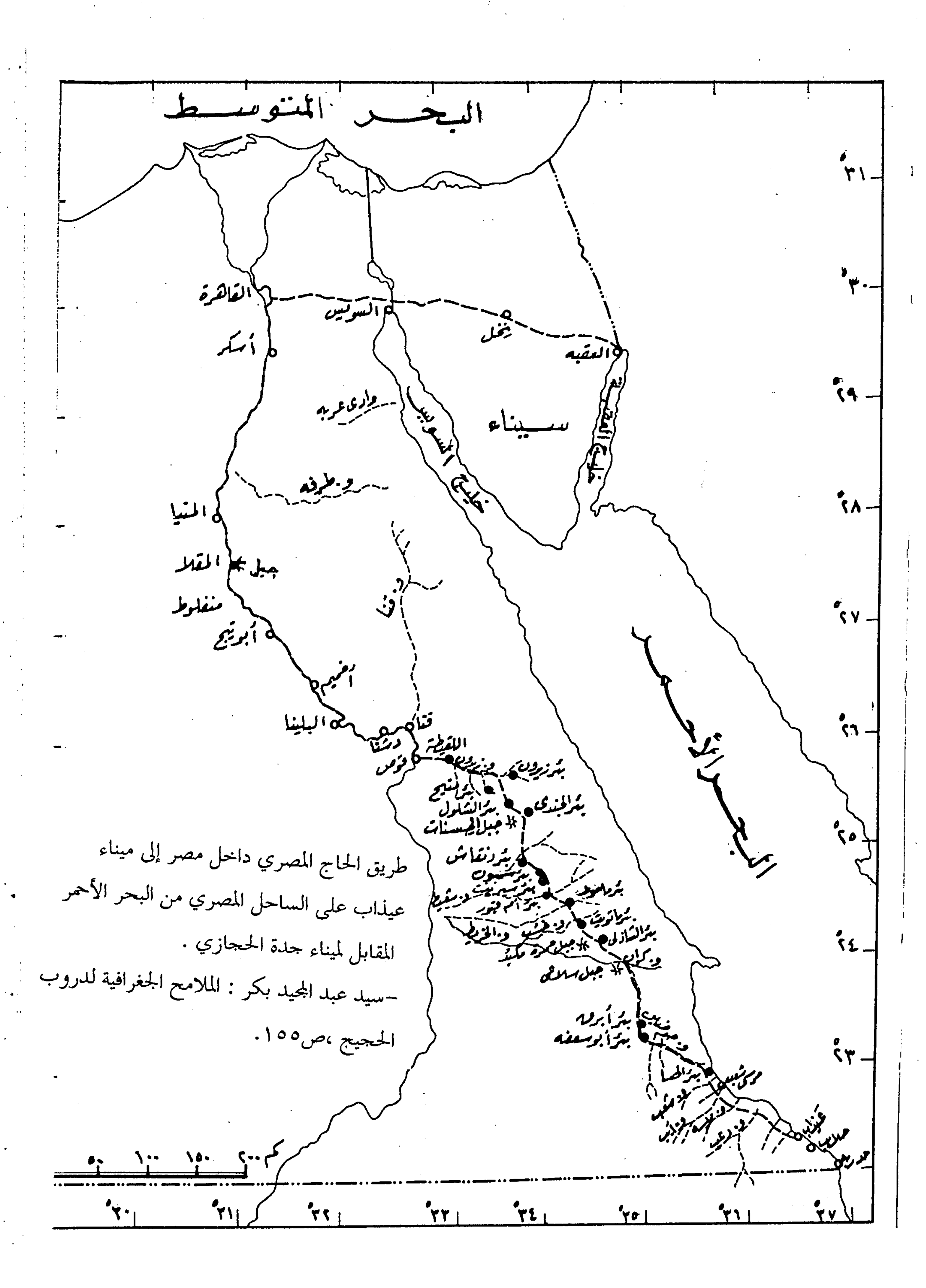


-تمثل الخريطة مواقع بعض دول الطراز الإسلامي بالقرن الإفريقي.

-ناود : العروبة والإسلام بالقرن الإفريقـــي ،ص٩ . مـــع تعديـــلات للباحث.



خارطة لطريقي الحج المصري الساحلي والداخلي خلال العصور: الأموي والعباسي والفاطمي.



طريق الحاج المصري داخل مصر إلى ميناء عيذاب على الساحل المصري من البحر الأحمر المقابل لميناء جدة الحجازي .
–سيد عبد المجيد بكر : الملامح الجغرافية لدروب الحجيج ،ص١٥٥.

ثبت المصادر والمراجع[1]

أولاً : المصادر:

١ ـ القرآن الكريم

ـــ ابن الأثير:

عزالدين علي بن أبي الكرم محمد بن محمد بن عبدالكريم بن عبدالواحد الشيباني الجزري: (ت٦٣٠هـ).

٢ ـ الكامل في التاريخ، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣ م، دار الكتاب العربي، بيروت.

ـــ الإدريسي:

أبــي عــبدالله محمد بن عبدالله بن إدريس الحموي الحسني المعروف (بالشريف الإدريسي): (ت ٥٦٠هـ).

٣ ـ نزهة المشتاق في اختراق الآفاق، الطبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ ـ ١٩٨٩م، عالم الكتب، بيروت.

ـــ الأزرقي:

أبي الوليد محمد بن عبدالله بن أحمد: (ت ٢٤٤هـ).

٤ ـ أخبار مكة وماجاء فيها من الآثار، تحقيق رشدي الصالح ملحــس، الطبعة الرابعة، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، مطابع دار الثقافة، مكة المكرمة.

ـــ الإصطخري:

أبو إسحاق ابراهيم بن محمد: (ت ٣٤٠هـ).

٥ ـ المســالك والممــالك، تحقــيق محمــد جابــر الحسيني، الجمهورية العربية المتحدة، وزارة الثقافة والإرشاد القومي، ١٣٨١هـ ـ ١٩٦١م.

(١) جرى ترتيب المصادر والمراجع على عدم اعتبار الملحقات (ابن،وأبو، وأل التعريف)

ـــ ابن إياس:
محمد بن أحمد الحنفي : (ت ٩٣٠هـ).
٦ ـ بدائـع الزهور في وقائع الدهور، تحقيق محمد مصطفى، الطبعة الثانية، ١٣٨٣هـ ـ ١٩٦٣م، القاهرة.
ـــ البخاري:
محمد بن إسماعيل الجعفي: (ت ٢٥٦هـ).
٧ ـ الجامع الصحيح، مراجعة وضبط الشيخ محمد علي قطب، والشيخ هشام البخاري، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، المكتبة العصرية، بيروت.
ـــ ابن بطوطة:
محمد بن عبدالله اللواتي الطنجي: (ت ٧٧٩هـ).
٨ ـ تحفـة الـنظار فـي غرائـب الأمصار وعجائب الأسفار، تحقـيق: عـبدالهادي الـتازي، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، مطبوعات أكاديمية المملكة المغربية، سلسلة "التراث".
ـــ البكري:
أبي عبيد عبدالله بن عبدالعزيز الأندلسي: (ت ٤٨٧هـ).
٩ ـ معجـم ماسـتعجم من أسماء البلاد والمواضع، تحقيق: مصـطفى السـقا، الطـبعة الأولى، ١٣٦٤هـ ـ ١٩٤٥م، القاهرة.
ـــ البلاذري:
أحمد بن يحيى : (ت ٢٧٩هـ).
١٠ ـ فـتوح البلدان، تحقيق: رضوان محمد رضوان، ١٤٠٣هـ، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـــ البلوي:
خالد بن عيسى: (ت بعد ٧٦٥هـ).
١١ ـ تـاج المفرق في تحلية علماء المشرق، تحقيق: العلامة الحسن السائح، طبع اللجنة المشتركة لنشر التراث الإسلامي بين المملكة المغربية ودولة الإمارات العربية المتحدة.

ـــ التبريزي :
الخطيب أبي زكريا يحي بن علي: (ت ٥٠٢هـ).
١٢ ـ شـرح القصـائد العشـر، ضـبطه وصححه عبدالسلام الحوفـي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـــ التجيبي:
القاسم بن يوسف التجيبي السبتي : (ت ٧٣٠هـ).
١٣ ـ مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب بـ ليبيا، ١٩٧٥م.
ـــ ابن تغري بردي:
أبو المحاسن يوسف : (ت ٨٧٤هـ).
١٤ ـ الـنجوم الزاهـرة في ملوك مصر والقاهرة، المؤسسة المصرية للتأليف والترجمة والطباعة والنشر، مصر.
ـــ ابن تيمية:
أحمد بن عبدالحليم الحراني : (ت ٧٢٨هـ).
١٥ ـ اقتضاء الصراط المستقيم، مطبعة الحكومة، ١٣٨٩هـ، مكة المكرمة.
ـــ ابن جبير:
محمد بن أحمد بن جبير الكناني، الأندلسي : (ت ٦١٤هـ).
١٦ ـ رحلة ابن جبير، دار صادر، بيروت.
ـــ الجزيري:
عـبدالقادر بـن محمد بن عبدالقادر الأنصاري : (توفي بعد ٩٧٦هـ).
١٧ ـ درر الفـرائد المـنظمة فـي أخـبار الحج وطريق مكة المعظمة، تحقيق: حمد الجاسر، الطبعة الأولى، ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، منشورات دار اليمامة، الرياض.

ـــ ابن الجوزي:
عبدالرحمن بن محمد بن علي : (٥٩٧هـ).
١٨ ـ مثـير الغـرام الساكن إلى أشرف الأماكن، تحقيق: أبو عـبدالله محمد حسن إسماعيل، الطبعة الأولى، ١٤١٦هـ ـ ١٩٩٦م، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـــ ابن حجر:
أحمد بن علي العسقلاني : (ت ٨٥٢هـ).
١٩ ـ تهذيب التهذيب، دار صادر، بيروت.
ـــ الحربي:
إبراهيم بن إسحاق بن إبراهيم : (ت ٢٨٥هـ).
٢٠ ـ كـتاب "المناسـك" وأماكن طرق الحج ومعالم الجزيرة (المنسـوب له)، تحقيق: حمد الجاسر، من مطبوعات مجلة "العرب" الرياض، دار اليمامة، ١٤٢٠هـ.
ـــ الحفني:
أحمد الحفني القنائي.
٢١ ـ الجواهـر الحسـان في تاريخ الحبشان، الطبعة الأولى، ١٣٢١هـ، المطبعة الكبرى الأميرية، بولاق، مصر.

ـــ الحميري:
محمد بن عبدالمنعم : (ت ٧٢٧، وورد ٩٠٠هـ).
٢٢ ـ الـروض المعطـار فـي خبر الأقطار، تحقيق: احسان عباس، الطبعة الثانية، ١٩٨٤م، مكتبة لبنان، بيروت.
ـــ ابن حوقل:
محمد بن علي الموصلي : (ت ٣٦٧هـ).
٢٣ ـ كـتاب صـورة الأرض، الطـبعة الثانية، القسم الأول، مطبعة بريل، ليدن، ١٩٣٨م.

ـــ ابن خرداذبة:
أبـــي القاســـم عبيدالله بن عبدالله : (المتوفى في حدود سنة ٣٠٠هــ).
٢٤ ـ المسالك والممالك، مكتبة المثنى ببغداد.
ـــ خسرو:
ناصر : (ت ٤٨١هــ).
٢٥ ـ ســـفرنامة، ترجمة: خالد البدلي، الطبعة الأولى، ١٤٠٣ هــ ـ ١٩٨٣م، جامعة الملك سعود.
ـــ الخطيب البغدادي:
أبي بكر أحمد بن علي بن ثابت : (ت ٤٦٣هــ).
٢٦ ـ تاريخ بغداد، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـــ ابن خلدون:
عبدالرحمن بن محمد : (ت ٨٠٨هــ).
٢٧ ـ تـــاريخ ابـــن خلـــدون (ديوان المبتدأ والخبر في تاريخ العـــرب والـــبربر، ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، تحقيق خليل شحادة، الطبعة الأولى، ١٤٠١هــ ـ ١٩٨١م، دار الفكر، بيروت.
ـــ دحلان:
أحمد زيني : (ت ١٣٠٤هــ).
٢٨ ـ خلاصـــة الكـــلام فـــي بيان أمراء البلد الحرام، الطبعة الأولى، ١٣٠٥هــ، المطبعة الخيرية، مصر.
ـــ ابن دقماق:
إبراهيم بن محمد أيدمر العلائي : (ت ٨٠٩هــ).
٢٩ ـ الجوهـــر الثميـــن في سير الملوك والسلاطين، تحقيق: محمـــد كمال الدين عزالدين علي، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هــ ـ ١٩٨٥م، عالم الكتب.

ـــ الرازي:
الإمام محمد بن أبي بكر بن عبدالقادر : (ت ٦٦٦هـ).
٣٠ ـ مختار الصحاح، ١٩٨٧م، مكتبة لبنان، بيروت.
ـــ ابن رُسْته:
أبي علي أحمد بن عمر : (ت بعد ٢٩٠هـ).
٣١ ـ كتاب الأعلاق النفيسة، المجلد السابع، طبع في مدينة ليدن في هولندا، بريل، ١٨٩١م.
ـــ الرشيدي:
أحمد : (١١٧٨هـ).
٣٢ ـ حسن الصفا والإبتهاج بذكر من ولي إمرة الحاج، تحقيق ليلى عبداللطيف أحمد، ١٩٨٠م، مكتبة الخانجي بمصر.
ـــ ابن سعد:
محمد بن سعد بن منيع : (ت ٢٣٠هـ).
٣٣ ـ الطبقات الكبرى، دار صادر، بيروت.

ـــ السُّلَمي:
عرّام بن الأصبَغ : (توفي في القرن الثالث الهجري).
٣٤ ـ كتاب أسماء جبال تهامة وسكانها، تحقيق: عبدالسلام محمد هارون، الطبعة الأولى، ١٣٧٣هـ، مطبعة أمين عبدالرحمن بالقاهرة.
ـــ السمعاني:
أبي سعد عبدالكريم بن محمد بن منصور التميمي : (ت ٥٦٢ هـ).
٣٥ ـ الأنساب، تقديم وتعليق عبدالله عمر البارودي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، دار الفكر، بيروت.

ـــ السمهودي:
نورالدين علي بن أحمد المصري: (ت ٩١١هـ).
٣٦ ـ وفـــاء الوفاء بأخبار دار المصطفى، تحقيق: محمد محي الدين عبدالحميد، الطبعة الرابعة، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، دار إحياء التراث العربي، بيروت، لبنان.

ـــ السنجاري:
علي تاج الدين بن تقي الدين : (ت ١١٢٥هـ).
٣٧ ـ منائح الكرم في تاريخ مكة والبيت وولاة الحرم، تحقيق: جمـــيل المصري وآخرون، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ، معهد الـــبحوث العلمية وإحياء التراث الإسلامي، جامعة أم القرى، مكة.

ـــ السويدي:
محمد أمين العباسي البغدادي : (ت ١٢٤٦هـ).
٣٨ ـ ســبائك الذهب في معرفة قبائل العرب، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، مكتبة دار حراء، جُدة.

ـــ الشافعي:
محمد بن أدريس : (ت ٢٠٤هـ).
٣٩ ـ الأم، تصـحيح: محمـــد زهـــري النجار، الطبعة الثانية، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، دار المعرفة، بيروت.

ـــ أبو شامة:
عبدالرحمن بن إسماعيل المقدسي الشافعي : (ت٦٦٥هـ).
٤٠ ـ الروضـــتين فـــي أخـــبار الدولتين النورية والصلاحية، تحقـــيق: إبراهيم الزيبق، الطبعة الأولى، ١٩٩٧م، مؤسسة الرسالة، بيروت.

٤١ ـ تـــراجم رجـــال القرنيـــن الســـادس والسابع، المعروف بـــــ(الذيـــل على الروضتين)، تحقيق: محمد زاهد الكوثري، والســـيد عزت عطار الحسيني، الطبعة الثانية، ١٩٧٤م، دار الجيل، بيروت.

ـــ ابن شاهين:
غرس الدين خليل الظاهري : (ت ٦٦٥هـ).
٤٢ ـ زبـدة كشـف الممالك وبيان الطرق والمسالك، تحقيق بولس راويس، باريس، المطبعة الجمهورية، ١٩٨٤م.
ـــ الطبري:
أبو جعفر محمد بن جرير : (ت ٣١٠هـ).
٤٣ ـ تـاريخ الأمـم والملـوك، الطبعة الثانية، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، دار الكتب العلمية، بيروت.
ـــ ابن الطقطقا، أو الطقطقي:
محمد بن علي بن طباطبا : (ت ٧٠٩هـ).
٤٤ ـ الفخـري فـي الآداب السـلطانية، والـدول الإسلامية، ١٣٨٦هـ ـ ١٩٦٦هـ، دار صادر، بيروت.
ـــ ابن أبي عاصم:
أبي بكر عمر : (ت ٢٨٧هـ).
٤٥ ـ السـنة، تحقـيق: محمـد ناصر الدين الألباني، المكتب الإسلامي، بيروت.
ـــ العباسي:
أحمد عبدالحميد : (من أهالي القرن العاشر الهجري).
٤٦ ـ عمـدة الأخبار في مدينة المختار، تحقيق: الشيخ محمد الطيـب الأنصـاري، طـبعه للمـرة الثانية أسعد درابزوني الحسيني.
ـــ العبدري:
محمـد بـن محمـد الحيحي : (كانت رحلته إلى الحجاز في النصف الثاني من القرن السابع الهجري).
٤٧ ـ رحلـة العـبدري، المسـماة "الرحلة المغربية"، تحقيق: محمد الفاسي، جامعة محمد الخامس، الرباط، ١٩٦٨م.

ـــ العصامي:
عبدالملك بن حسين : (ت ١١٠١هـ).
٤٨ ـ سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ١٣٧٩ هـ، المطبعة السلفية، القاهرة.
ـــ عمارة اليمني:
نجم الدين الحكمي : (ت ٥٦٩هـ).
٤٩ ـ تاريخ اليمن (المسمى المفيد في أخبار صنعاء وزبيد ...)، تحقيق: محمد بن علي الأكوع الحوالي، الطبعة الثانية، ١٣٩٦هـ ـ ١٩٧٦م، مطبعة السعادة، القاهرة.
ـــ ابن عنبة:
جمال الدين أحمد بن علي الحسني : (ت ٧٤٨هـ).
٥٠ ـ عمدة الطالب في أنساب آل أبي طالب، دار مكتبة الحياة، بيروت، لبنان.
ـــ عياض:
ابن موسى القاضي اليحصبي : (ت ٥٤٤هـ).
٥١ ـ الشفا بتعريف حقوق المصطفى، تحقيق: علي محمد البجاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٧م، المكتبة العصرية، بيروت.
ـــ الفاسي:
تقي الدين محمد بن أحمد الحسني المكي : (ت ٨٣٢هـ).
٥٢ ـ العقد الثمين في تاريخ البلد الأمين، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، دار الكتب العلمية، بيروت ـ لبنان.
٥٣ ـ شفاء الغرام بأخبار البلد الحرام، المشرف على التحقيق: سعيد عبدالفتاح، الطبعة الأولى، ١٤١٧هـ، مكتبة نزار الباز، مكة المكرمة.

ـــ الفاكهي:
أبو عبدالله محمد بن إسحاق : (ت ٢٨٥هـ).
٥٤ ـ تـاريخ مكـة أو (أخـبار مكـة)، تحقيق: عبدالملك بن دهيش، الطبعة الثانية، ١٤١٤هـ، دار خضر، بيروت.
ـــ أبو الفدا:
الملك المؤيد إسماعيل، صاحب حماة (ت ٧٣٢هـ).
٥٥ ـ تقويـم البلدان، مكتبة المثنى، بغداد، ومؤسسة الخانجي بمصر.
ـــ الفراهيدي:
الخليل بن أحمد : (ت ١٧٠هـ).
٥٦ ـ العيـن، تحقيق: مهدي المخزومي وإبراهيم السامرائي، ١٩٨م، دار الرشـيد للنشـر، الجمهورية العراقية ـ وزارة الثقافة والإعلام، سلسلة المعاجم والفهارس.
ـــ ابن فرج:
عبدالقادر بن أحمد بن فرج الجُدي : (ت ١٠١٠هـ).
٥٧ ـ السـلاح والعـدة فـي تـاريخ جُدة، تحقيق: مصطفى الحـدري، الطـبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٨م، دار ابن كثير، دمشق، مكتبة دار التراث، المدينة.
ـــ ابن فهد:
عزالديـن عبدالعزيز بن عمر بن محمد بن فهد : (ت ٩٢٢ هـ).
٥٨ ـ غايـة المرام بأخبار سلطنة البلد الحرام، تحقيق: فهيم محمـد شلتوت، الطبعة الأولى، ١٤٠٦هـ، ١٩٨٦م، جامعة أم القرى، مركز البحث العلمي وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة، مكة.
ـــ ابن فهد:
النجم عمر بن محمد بن فهد القرشي المكي: (ت٨٨٥هـ).
٥٩ ـ إتحـاف الـورى بأخـبار أم القرى، تحقيق فهيم محمد شـلتوت، جامعـة أم القـرى، مركـز البحث وإحياء التراث الإسلامي، كلية الشريعة، مكة.

— الفيروز آبادي:
محمد بن يعقوب: (ت ٨١٧هـ).
٦٠ – المغانم المطابة في معالم طابة، قسم المواضع، تحقيق: حمد الجاسر، الطبعة الأولى، ١٣٨٩هـ – ١٩٦٩م، دار اليمامة، الرياض.
٦١ – القاموس المحيط، القاهرة، دار المأمون، ١٩٣٨م.

— الفيومي:
أحمد بن محمد : (ت ٧٧٠هـ).
٦٢ – المصباح المنير، المكتبة العلمية، بيروت.
— قدامة:
قدامة بن جعفر الكاتب البغدادي : (ت ٣٢٢٠هـ).
٦٣ – نبذ من كتاب الخراج وصنعة الكتابة، الملحق بكتاب المسالك والممالك لابن خرداذبه، مكتبة المثنى ببغداد.
— القطبي:
عبدالكريم بن محب الدين القطبي : (ت ١٠١٤هـ).
٦٤ – إعلام العلماء الأعلام ببناء المسجد الحرام، تعليق: أحمد محمد جمال وآخرون، الطبعة الثانية، ١٤٠٧هـ، ١٩٨٧م، دار الرفاعي، الرياض.
— القطبي:
قطب الدين النهروالي : (ت ٩٩٠هـ).
٦٥ – الإعلام بأعلام بيت الله الحرام، على هامش كتاب (خلاصة الكلام في بيان أمراء البلد الحرام) للدحلان، الطبعة الأولى، ١٣٠٥هـ، المطبعة الخيرية، مصر.
— ابن القيم:
محمد بن أبي بكر الزرعي : (ت ٧٥١هـ).
٦٦ – المنار المنيف في معرفة الحديث الصحيح والضعيف، تحقيق: عبدالفتاح أبو غدة، الطبعة الأولى، ١٣٩٠هـ، مكتب المطبوعات الإسلامية، حلب.

ـــ ابن كثير:
أبو الفدا إسماعيل بن عمر : (ت ٧٧٤هـ).
٦٧ ـ تفسير القرآن العظيم، الطبعة الأولى، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، دار الفكر، دمشق.
ـــ الكندي:
أبو عمر محمد بن يوسف : (ت ٣٥٠هـ).
٦٨ ـ الولاة وكتاب القضاة، تحقيق: رفن كست، مطبعة الأب اليسوعيين، بيروت، ١٩٠٨هـ، ومكتبة المثنى ببغداد.
ـــ ابن ماجد:
شهاب الدين أحمد بن ماجد ابن أبي الركائب النجدي : (ت ٩٣٦هـ تقريباً).
٦٩ ـ كتاب الفوائد في أصول علم البحر والقواعد (العلوم البحرية عند العرب)، تحقيق: إبراهيم خوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية، بدمشق، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧١م.
ـــ ابن ماكولا:
أبو نصر علي بن هبة الله : (ت ٤٨٥هـ).
٧٠ ـ الإكمال في رفع الارتياب عن المؤتلف والمختلف في الأسماء والكنى والأنساب.
ـــ مالك:
الإمام مالك بن أنس بن مالك الأصبحي : (ت ١٧٩هـ).
٧١ ـ المدونة الكبرى، دار صادر، بيروت.
ـــ ابن المجاور:
يوسف بن يعقوب بن محمد : (ت ٦٩١هـ).
٧٢ ـ صفة بلاد اليمن ومكة وبعض الحجاز، المسماة "تاريخ المستبصر"، تحقيق: اوسكر لوفزين، طبع في ليدن، ١٩٥١م.
ـــ محمد بن سليمان: (من أهل القرن الثامن الهجري).
٧٣ ـ مفاخرة بين مكة المكرمة والمدينة المنورة، تحقيق: محمد الششتاوي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، دار الآفاق العربية، القاهرة.

ـــ المسعودي:
علي بن الحسين بن علي المسعودي : (ت ٣٤٦هـ).
٧٤ ـ مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق: قاسم الشماعي الرفاعي، الطبعة الأولى، ١٤٠٨هـ ـ ١٩٨٩م، دار القلم، بيروت.
ـــ مسلم:
مسلم بن الحجاج القشيري : (ت ٢٦١هـ).
٧٥ ـ صحيح مسلم، بشرح النووي: حققه: عصام الصباطي وآخرون، دار الحديث، القاهرة.
ـــ المقريزي:
تقي الدين أحمد بن علي : (ت ٨٤٦هـ).
٧٦ ـ السلوك في معرفة دول الملوك، تحقيق: محمد عبدالقادر عطا، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، دار الكتب العلمية، بيروت.
٧٧ ـ البيان والإعراب عما بأرض مصر من الأعراب، تحقيق: عبدالمجيد عابدين، الطبعة الأولى، ١٩٦١، عالم الكتب، القاهرة.
٧٨ ـ المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار، مؤسسة الحلبي وشركاه، القاهرة.
٧٩ ـ إتعاظ الحنفاء بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفاء، جـ١، تحقيق: جمال الدين الشيال، القاهرة، ١٩٦٧م، جـ٢، جـ٣، تحقيق: محمد حلمي أحمد، القاهرة، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م.
٨٠ ـ الإلمام بأخبار من بأرض الحبشة من ملوك الإسلام (رسائل المقريزي)، تحقيق: رمضان البدري وأحمد مصطفى قاسم، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٨م، دار الحديث، القاهرة.

ـــ المنذري:
زكي الدين عبدالعظيم بن عبدالقوي (ت ٦٥٦هـ)
٨١ـ مختصر صحيح مسلم، تحقيق، محمد ناصر الدين الألباني، الطبعة الأولى، ١٣٨٨هـ ـ ١٩٦٩م، الدار الكويتية.
ـــ ابن منظور:
جمال الدين محمد بن مكرم بن منظور الإفريقي:(ت ٧١١ هـ).
٨٢ ـ لسان العرب، الطبعة الأولى، دار صادر، بيروت.
ـــ المهري:
سليمان بن أحمد بن سليمان : (ت ٩٦١هـ).
٨٣ ـ العمدة المهرية في ضبط العلوم البحرية، تحقيق: إبراهيم خوري، مطبوعات مجمع اللغة العربية بدمشق، ١٣٩٠هـ ـ ١٩٧٠م.
ـــ ابن النجار:
محمد بن محمود بن الحسن : (ت ٦٤٣هـ).
٨٤ ـ الدرة الثمينة في تاريخ المدينة، تحقيق: محمد زينهم محمد عزب، الطبعة الأولى، ١٩٩٥م ـ ١٤١٦هـ، مكتبة الثقافة الدينية.
ـــ ابن هشام:
عبدالملك الحميري : (ت ٢١٨هـ).
٨٥ ـ السيرة النبوية، تحقيق: طه عبدالرؤوف سعد، ١٩٧٥م، دار الجيل، بيروت.

ـــ الهمداني:
الحسن بن أحمد بن يعقوب: (ت ٣٣٤هـ).
٨٦ ـ صفة جزيرة العرب، تحقيق: محمد بن علي الأكوع، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، مكتبة الإرشاد، صنعاء.

ـــ ياقوت:
أبوعبدالله ياقوت الحموي البغدادي الرومي: (ت ٦٢٦هـ).
٨٧ ـ معجـم الـبلدان، ١٣٩٧هــ ـ ١٩٧٧م، دار صادر، بيروت.

ـــ اليعقوبي:
أحمد بن واضح الكاتب : (ت ٢٨٤هـ).
٨٨ ـ كـتاب الـبلدان، الملحـق بكتاب الاعلاق النفسية لابن رسته، المجلد السابع، طبع في مدينة ليدن المحروسة بمطبع بريل، ١٨٩١م.
٨٩ ـ تاريخ اليعقوبي، دار صادر، بيروت.

ثانياً : المراجع:

ـــ أحمد، أحمد رمضان

٩٠ ـ شبه جزيرة سيناء، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م.

ـ الألباني، محمد ناصر الدين بن نوح نجاتي (ت ١٤٢٠هـ)

٩١ ـ مختصر صحيح البخاري، ج١، الطبعة الخامسة، ١٤٠٦ هـ ـ ١٩٨٦م، المكتب الإسلامي. ج٢، الطبعة الثالثة، ١٤١٣هـ، دار ابن القيم، الدمام.

ـــ الأنصاري، عبدالقدوس

٩٢ ـ موسوعة تاريخ مدينة جدة، المجلد الأول، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨٠م، مطابع الروضة بجدة.

٩٣ ـ بين التاريخ والآثار، الطبعة الثالثة، ١٣٩٧هـ ـ ١٩٧٧م، جدة، مطابع الروضة.

ـــ باسلامة، حسين عبدالله

٩٤ ـ تاريخ عمارة المسجد الحرام، الكتاب العربي السعودي، الطبعة الثالثة، ١٤٠٠هـ، تهامة.

٩٥ ـ تاريخ الكعبة المعظمة (عمارتها وكسوتها وسدانتها)، الكتاب العربي السعودي، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ، تهامة.

ـــ باشا، أيوب صبري

٩٦ ـ مرآة جزيرة العرب، ترجمة وتعليق، أحمد فؤاد متولي والصفصافي أحمد المرسي، الطبعة الأولى، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، دار الآفاق العربية.

ـــ البتنوني، محمد لبيب

٩٧ ـ الرحلة الحجازية، الطبعة الثالثة، مكتبة المعارف، الطائف.

ـ البري، عبدالله خورشيد

٩٨ـ القبائل العربية في مصر في القرون الثلاثة الأولى للهجرة، ١٩٦٧م، دار الكتاب العربي للطباعة والنشر.

ـ بكر، سيد عبدالمجيد

٩٩ـ الملامح الجغرافية لدروب الحجيج، الطبعة الأولى، ١٤٠١هـ ـ ١٩٨١م، الكتاب الجامعي، تهامة، جدة.

- أبوبكر، علي الشيخ أحمد
١٠٠- معالم الهجرتين إلى أرض الحبشة، الطبعة الأولى، ١٤١٣هـ - ١٩٩٣م، مكتبة التوبة، الرياض.
- البلادي، عاتق بن غيث
١٠١- معجم معالم الحجاز، عشرة أجزاء (يختلف تاريخ الطبعة الأولى لكل جزء، فالجزء الأول تاريخ طبعته الأولى، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨م، والعاشر تاريخ طبعته الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م، دار مكة، مكة).
١٠٢- معجم قبائل الحجاز، الطبعة الثانية، ١٤٠٣هـ - ١٩٨٣م، دار مكة.
١٠٣- بين مكة وحضرموت، الطبعة الأولى، ١٤٠٢هـ - ١٩٨٢م، دار مكة.
١٠٤- بين مكة واليمن، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤ م، دار مكة.
- الجاسر، حمد بن محمد (ت ١٤٢١هـ).
١٠٥- شمال غرب الجزيرة، الطبعة الثانية، ١٤٠١هـ - ١٩٨١م، دار اليمامة، الرياض.
١٠٦- بلاد ينبع، دار اليمامة، الرياض.
- جرادات، وليد محمد (الرائد).
١٠٧- الأهمية الاستراتيجية للبحر الأحمر بين الماضي والحاضر، دار الثقافة، الدوحة.

ـــ حسن، يوسف فضل (دكتور)
١٠٨ـ دراسات في تاريخ السودان، الطبعة الأولى، ١٩٧٥م، دار التأليف والترجمة والنشر، جامعة الخرطوم.
١٠٩ـ مقدمة في تاريخ الممالك الإسلامية في السودان الشرقي، الطبعة الثانية، ١٣٩٢هـ ـ ١٩٧٢م، الدار السودانية للكتب، الخرطوم.
ـــ حلمي، إبراهيم
١١٠ـ كسوة الكعبة المشرفة وفنون الحجاج، كتاب اليوم، مؤسسة أخبار اليوم، العدد ٣٢٠، شوال ١٤١١هـ ـ ١٩٩١م.
ـــ حمزة، فؤاد بن أمين بن علي
١١١ـ قلب جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٣٨٨هـ، مكتبة النصر الحديثة، الرياض.

ـــ الحموي، محمد ياسين
١١٢ـ تاريخ الأسطول العربي، مطبعة الترقي، دمشق.
ـــ حميدة، عبدالرحمن (دكتور)
١١٣ـ أعلام الجغرافيين العرب، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، دار الفكر، دمشق.
ـــ الخطيب، عبدالكريم محمود
١١٤ـ تاريخ ينبع، الطبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، مطابع الشرق الأوسط، الرياض.
ـــ الراجحي، عبدالعزيز بن فيصل
١١٥ـ لذة العيش في فضائل قريش، الطبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
ـــ رفعت، إبراهيم
١١٦ـ مرآة الحرمين، مكتبة الثقافة الدينية، القاهرة.

ـــ الرويثي، محمد أحمد (دكتور)
١١٧ـ الموانــئ السعودية على البحر الأحمر، الطبعة الثالثة، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، دارة الواحة العربية.
١١٨ـ الـتطور المكانــي والتاريخــي لموانــئ شبه الجزيرة العربـية، الطـبعة الأولـى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٤م، المدينة المنورة.
ـــ الزركلي، خير الدين
١١٩ـ الأعـلام، الطـبعة الـرابعة عشرة،١٩٩٩م، دار العلم للملايين، بيروت.
ـــ أبو زيد، بكر بن عبدالله
١٢٠ـ خصـائص جزيرة العرب، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، دار ابن الجوزي.

ـــ السالم، السيد عبدالعزيز (دكتور)
١٢١ـ البحر الأحمر في التاريخ الإسلامي، ١٩٩٣م، مؤسسة شباب الجامعة.
ـــ السباعي، أحمد
١٢٢ـ تـاريخ مكـة، الطبعة السادسة، ١٤٠٤هـ، نادي مكة الثقافي الأدبي.
ـــ سرور، محمد جمال الدين (دكتور)
١٢٣ـ النفوذ الفاطمي في جزيرة العرب، دار الفكر العربي.
ـــ السلطان، عبدالله عبدالمحسن (دكتور)
١٢٤ـ الـبحر الأحمـر والصـراع العربي الإسرائيلي، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، مركز دراسات الوحدة العربية، بيروت.

ـــ السلمي، محمد بن صامل (دكتور)
١٢٥ـ (خلافة عمر بن الخطاب) في كتاب البداية والنهاية لابن كثير (ترتيب وتهذيب)، الطبعة الأولى، ١٩١٨م، دار الوطن، الرياض.
١٢٦ـ منهج كتابة التاريخ الإسلامي مع دراسة لتطور التدوين ومناهج المؤرخين حتى نهاية القرن الثالث الهجري، الطبعة الثانية، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، دار الرسالة العلمية.
ـــ السليمان، علي بن حسين (دكتور)
١٢٧ـ العلاقات الحجازية المصرية زمن سلاطين المماليك، ١٣٩٣هـ ـ ١٩٧٣م، الشركة المتحدة للنشر، القاهرة.
١٢٨ـــ النشاط التجاري أواخر العصور الوسطي، الطبعة الأولى، مكتبة الأنجلو المصرية.
ـــ سنوك، المستشرق: ك. سنوك هورخرونيه
١٢٩ـ صفحات من تاريخ مكة المركة، ترجمة علي عودة الشيخ، وآخرون، ١٤١٩هـ ـ ١٩٩٩م، دارة الملك عبدالعزيز (بمناسبة مرور مائة عام على تأسيس المملكة).
ـــ السيد، محمود (دكتور)
١٣٠ـ تاريخ القبائل العربية في عصر الدولتين الأيوبية والمملوكية، ١٩٩٨م، مؤسسة شباب الجامعة، الاسكندرية.
١٣١ـــ الشريف، أحمد إبراهيم (دكتور)
ـــ دور الحجاز في الحياة السياسية العامة في القرنين الأول والثاني للهجرة، دار الفكر العربي.
ـــ شكيب، الأمير شكيب أرسلان
١٣٢ـ حاضر العالم الإسلامي، المجلد الثاني، الجزء الثالث، الطبعة الرابعة، ١٣٩٤هـ ـ ١٩٧٣م، دار الفكر.

ـــ شهاب، حسن صالح
١٣٣ـ فـن الملاحـة عـند العرب، الطبعة الأولى، ١٩٨٢م، الناشـر مركز الدراسات والبحوث اليمني، صنعاء، طبعة دار العودة، بيروت.
ـــ الصابوني، محمد علي
١٣٤ـ صفوة التفاسير، الطبعة الرابعة، ١٤٠٢هـ ـ ١٩٨١ م، دار القرآن الكريم، بيروت.
ـــ ضرار، ضرار صالح
١٣٥ـ هجـرة القـبائل العربـية إلـى وادي النـيل (مصـر والسـودان)، الطبعة الأولى، ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٧م، مكتبة التوبة، الرياض.
ـــ ضرار، محمد صالح
١٣٦ـ تاريخ السودان (البحر الأحمر ـ إقليم البجة)، ١٩٦٥م، مكتبة الحياة، بيروت.
١٣٧ـ تـاريخ سواكن والبحر الأحمر، الطبعة الأولى، ١٤٠١ هـ ـ ١٩٨١م، الدار السودانية للكتب، الخرطوم.
ـــ عاشور، سعيد عبدالفتاح (دكتور)
١٣٨ـ الحـركة الصـليبية، الطـبعة الثالثة، ١٩٧٨م، مكتبة الأنجلو المصرية.
ـــ عبدالباقي، محمد فؤاد
١٣٩ـ اللؤلـؤ والمـرجان فـيما اتفق عليه الشيخان، الناشر المكتبة الإسلامية، توزيع دار الباز، مكة المكرمة.

ـــ عبدالعليم، أنور (دكتور)
١٤٠ــ الملاحة وعلوم البحار عند العرب، عالم المعرفة، المحرم/صفر ١٣٩٩هـ ــ يناير (كانون ثاني)، ١٩٧٩م، الكويت.
١٤١ــ ثروات من البحار، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٧٧م.
ـــ العلي، صالح (دكتور)
١٤٢ــ الحجاز في صدر الإسلام، الطبعة الأولى، ١٤١٠هـ ــ ١٩٩٠م، مؤسسة الرسالة، بيروت.
ـــ غبّان، علي بن إبراهيم (دكتور)
١٤٣ــ الآثار الإسلامية في شمال غرب المملكة، الكتاب الثاني، الطبعة الأولى، ١٤١٤هـ ــ ١٩٩٣م.

ـــ غوانمة، يوسف حسن درويش (دكتور)
١٤٤ــ أيلة (العقبة) والبحر الأحمر وأهميتها التاريخية والاستراتيجية، الطبعة الأولى، ١٩٨٤م، دار هشام، أربد.
١٤٥ــ التاريخ الحضاري لشرقي الأردن في العصر المملوكي، الطبعة الثانية، ١٩٨٢م، دار الفكر، عمان.
١٤٦ــ إمارة الكرك الأيوبية، الطبعة الثانية، ١٤٠٢هـ ــ ١٩٨٢م، دار الفكر، عمان.

ـــ غيثان، بن علي بن جريس (دكتور)
١٤٧ــ بحوث في التاريخ والحضارة الإسلامية، جزأين، الجزء الأول، ١٤١٣هـ ــ ١٩٩٣م، دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، والجزء الثاني، دار السماح للطباعة والنشر، الإسكندرية.

ـــ الفقيه، حسن إبراهيم
١٤٨ــ مدينـــة الســـرين الأثرية، الطبعة الأولى، ١٤١٣هــ ــ ١٩٩٢م.
ـــ فهمي، نعيم زكي (دكتور)
١٤٩ــ طـــرق التجارة الدولية ومحطاتها بين الشرق والغرب، ١٣٩٣هـــ ــ ١٩٧٣م، الهيـئة المصـــرية العامة للكتاب، القاهرة.
ـــ القثامي، حمود بن ضاوي
١٥٠ــ الآثار في شمال الحجاز، ج١، معجم المواضع والقبائل والحكومـــات، ج٢، ١٣٩٦هـــ ــ ١٩٧٦م، مطابع الهيئة المصرية العامة للكتاب.
ـــ القحطاني، راشد سعد راشد
١٥١ــ أوقاف السلطان الأشرف شعبان على الحرمين، ١٤١٤ هــ ــ ١٩٩٤م، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
ـــ قطب، سيد بن قطب بن إبراهيم (ت ١٩٦٧م)
١٥٢ــ فـــي ظلال القرآن،الطبعة العاشرة،١٤٠٢هــ ــ ١٩٨٢ م،دار الشروق.
ـــ القوصي، عطية (دكتور)
١٥٣ــ تجـــارة مصـــر في البحر الأحمر منذ فجر الإسلام حتى سقوط الخلافة العباسية، دار النهضة العربية.
ـــ كحالة، عمر رضا
١٥٤ــ جغرافية شبة جزيرة العرب، راجعه، أحمد علي، الطبعة الثانية، ١٣٨٤هــ ــ ١٩٦٤م، مكتبة النهضة الحديثة، مكة.

ـــ لومبارد، موريس
١٥٥ـ الجغرافـية التاريخـية للعـالم الإسلامي خلال القرون الأربعـة الأولـى، تـرجمة: عبدالرحمن حميدة، دار الفكر، دمشق.
ـــ مالكي، سليمان عبدالغني (دكتور)
١٥٦ـ بـلاد الحجـاز مـنذ بدايـة عهد الأشراف حتى سقوط الخلافـة العباسـية فـي بغـداد، ١٤٠٣هــ ـ ١٩٨٣م، مطبوعات دارة الملك عبدالعزيز، الرياض.
ـــ ماهر، سعاد (دكتورة)
١٥٧ـ الـبحرية فـي مصر الإسلامية وآثارها الباقية، الطبعة الثانية، ١٣٩٩هـ ـ ١٩٧٩م، دار المجمع العلمي، جُدة.
ـــ محمد، عبدالغني عبدالرحمن
١٥٨ـ مكـة أم القرى .. لماذا؟ الطبعة الأولى، ١٤١١هـ ـ ١٩٩٠م، دار الفكر العربي، القاهرة.
ـــ محمود، حسن أحمد (دكتور)
١٥٩ـ الإسـلام والثقافة العربية في أفريقيا، دار الفكر العربي، القاهرة.
ـــ مصطفى، صالح لمعي
١٦٠ـ المديـنة المنورة تطورها العمراني وتراثها المعماري، ١٩٨١م، دار النهضة، بيروت.
ـــ مصيلحي، محي الدين محمد (دكتور)
١٦١ـ الوجـود العربـي الأفريقي في جزر البحر الأحمر عبر التاريخ، ١٩٩١م، مكتبة الأنجلو المصرية.
ـــ معلوف، لويس، وآخرون
١٦٢ـ المـنجد في اللغة والأعلام، الطبعة الثامنة والعشرون، دار المشرق، بيروت.
ـــ مورتيل، ريتشارد (دكتور)
١٦٣ـ الأحـوال السياسـية والاقتصـادية بمكـة في العصر المملوكـي، الطـبعة الأولى، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، عمادة شؤون المكتبات ـ جامعة الملك سعود، الرياض.

١٦٤ــ موســوعة العلوم الإسلامية والعلماء المسلمين، حققها وراجعهــا مجموعــة من العلماء، مكتبة المعارف ، بيروت، الناشر، دار ومطابع المستقبل، القاهرة، مطابع روز اليوسف.
ــــ ناود، محمد سعيد
١٦٥ــ العروبة والإسلام بالقرن الإفريقي.
ــــ نخبة من المتخصصين بجامعة الإسكندرية
١٦٦ــ تاريخ البحرية المصرية، ١٩٧٣م، جامعة الإسكندرية، جمهورية مصر العربية.
ــــ النخيلي، درويش
١٦٧ــ السُفن الإسلامية على حروف المعجم، ١٩٧٤م، جامعة الإسكندرية.
ــــ نواب، عواطف محمد يوسف
١٦٨ــ الــرحلات المغربية والأندلسية مصدر من مصادر تاريخ الحجاز في القرنين السابع والثامن الهجريين، ١٤١٧هــ ــ ١٩٩٦م، مطبوعات مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض.
ــــ اليوزبكي، توفيق
١٦٩ــ تــاريخ تجــارة مصــر البحرية في العصر المملوكي، ١٣٩٥هــ ــ ١٩٧٥م، جامعة الموصل، مؤسسة دار الكتب.
ــــ اليوسف، محمد الطيب محمد بن يوسف
١٧٠ــ إثيوبيا والعروبة والإسلام عبر التاريخ، الطبعة الأولى، ١٤١٦هــ ــ ١٩٩٦م، المكتبة المكية، مكة.

ثالثاً : الرسائل العلمية التي لم تُطبع :

ـــ بكري، محمد طه صلاح
١٧١ـ الحجاز (٨٥٩ـ٩٢٣هـ)، رسالة ماجستير، ١٤١٠هـ ـ ١٩٩٠م، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة.
ـــ جلال، آمنة حسين
١٧٢ـ طـرق الحج ومرافقه في الحجاز في العصر المملوكي، رسالة دكتوراه، ١٤٠٧هـ، كلية الشريعة، جامعة أم القرى، مكة
ـــ حاج، ربيع محمد القمر
١٧٣ـ انتشار الإسلام في بلاد البجة، رسالة دكتوراة، ١٤١٨ هـ، قسم التاريخ، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.
ـــ راجح، حمدي محمد
١٧٤ـ المحاولـة الصـليبية لغـزو الحجاز، رسالة ماجستير، ١٤٠٥هـ ـ ١٩٨٥م، قسـم الـتاريخ، جامعـة الملـك عبدالعزيز، جدة.
ـــ الزهراني، عائض محمد عائض
١٧٥ـ الحجـاز فـي عهـد الشريف حسن بن عجلان، رسالة ماجستير، ١٤١٢هـ، قسم التاريخ، جامعة الملك عبدالعزيز، جدة.
ـــ آل سويلم، ابتسام بنت عبدالمحسن
١٧٦ـ الحـياة الاقتصـادية والاجتماعـية في الحجاز من قيام الدولـة العباسية حتى منتصف القرن الرابع الهجري، رسالة ماجستير، ١٤٠٤هـ ـ ١٩٨٤م، قسم التاريخ، جامعة الملك سعود، الرياض.

ـــ الشرع، رائد رزق محمد
١٧٧ـ مديـنة أيلـة وتخطيطاتها في الفترة الإسلامية المبكرة "دراسـة معماريـة مقارنة"، رسالة ماجستير، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، جامعة اليرموك، الأردن.

ـــ العبيدي، عبدالعزيز بن راشد
١٧٨ـ التجارة والملاحة في البحر الأحمر في عصر المماليك، رسالة ماجستير، ١٤٠٠هـ ـ ١٩٨٠م، جامعة الإمام محمد بن سعود، الرياض.

رابعاً : الدوريات والندوات:

ـــ إبراهيم، أحمد
١٧٩ـ المناخ، (جدة عروس البحر الأحمر تقدم وحضارة)، إصدار أمانة مدينة جُدة، الدار العربية للموسوعات، القاهرة، ص٦٧.
ـــ الأنصاري، عبدالقدوس
١٨٠ـ رحلة إلى الجار، مجلة المنهل، جمادي الأولى، ١٣٩١ هـ ـ ١٩٧١م، السنة السابعة والثلاثون، الجزء الخامس، ص٤٤٨ـ٤٩٥.
ـــ باز، عبدالكريم علي
١٨١ـ المحمل اليمني في عهد بني رسول، مجلة العصور، المجلد السابع، الجزء الأول، ١٩٩٢م، ص١١.
ـــ برج، محمد عبدالرحمن (دكتور)
١٨٢ـ البحر الأحمر عبر التاريخ، ندوة البحر الأحمر (المملكة العربية السعودية، وزارة الخارجية، معهد الدراسات الدبلوماسية، (عُقدت في الفترة من ١٤٠٥/٨/١٤هـ إلى ١٤٠٥/٨/١٧هـ، الموافق ١٩٨٥/٥/٤م إلى ١٩٨٥/٥/٧م، وطبع الكتاب في ربيع الأول ١٤٠٦هـ)، ص٢١ـ٣٢.
ـ البكر، راشد
١٨٣ـ حجم التبادل التجاري بين المملكة ودول البحر الأحمر، ندوة البحر الأحمر، ص٦٠ـ٨٢.
ـــ تشونغ، علي لي تشين
١٨٤ـ آثار العرب ومآثرهم في الصين عبر التاريخ، المجلة العربية للثقافة، السنة التاسعة عشرة ـ العدد الثامن والثلاثون ـ ذوالحجة، ١٤٢٠هـ، مارس (آذار) ٢٠٠٠م، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، ص١٥٢.

ـــ حسن، يوسف فضل (دكتور)
١٨٥ـ الصراع حول البحر الأحمر منذ أقدم العصور حتى القرن الثامــن عشــر، مجلة دارة الملك عبدالعزيز، الرياض، العدد الثالــث، السنة الثامنة، ربيع ثاني، جمادي الأولى والآخرة، ١٤٠٣هــ ـ ١٩٨٣م، ص١١٠.

ـــ الحضراوي، أحمد بن محمد بن أحمد : (ت ١٣٢٧هــ)
١٨٦ـ الجواهــر المعدة في فضـــائل جـــدة، مجلة العرب، ج٥و٦ س١٣ (ذوالقعدة والحجة ١٣٩٨هــ)، ص٤٠٤، ج٧ و٨ س١٣ (محــرم وصفر ١٣٩٩هــ)، ص٥٤٣، ج٩و١٠ س١٣ (الربيعان ١٣٩٩هــ)، ص٦٧١، ج١١و١٢، س١٣ (جماديان ١٣٩٩هــ)، ص١٢١.

ـــ حور، محمد
١٨٧ـ العــرب والصــين تاريخ وفن وروابط، المجلة العربية للــثقافة، الســنة التاســعة عشرة، العدد الثامن والثلاثون، ذوالحجة، ١٤٢٠هــ، المنظمة والثقافة والعلوم، ص٩٧.

ـ ربيع، حسنين (دكتور)
١٨٨ـ الــبحر الأحمــر فــي العصر الأيوبي، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، (سمنار الدراسات العليا للتاريخ الحديث، جامعة عين شمس، أبحاث الأسبوع العلمي الثالث، ١٠ ـ ١٥ مارس ١٩٧٩م، إشراف الاستاذ الدكتور أحمد عزت عبدالكريم، القاهرة، ١٩٨٠م)، ص١٠٤ـــ١٠٥.

ـــ الزهراني، ضيف الله بن يحي (دكتور)
١٨٩ـ الجــار ميــناء ومدينة، دورية اتحاد المؤرخين العرب (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هــ ـ ١٩٩٣م، ص٢٥١.

ـــ الزيلعي، أحمد بن عمر (دكتور)
١٩٠ـ ميناء السرين (بحث منشور) في مجلة (اتحاد المؤرخين العرب)، القاهرة، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٤م، (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ص١٧٦.
١٩١ـ أضواء جديدة على الأسرة الموسوية من خلال ثلاثة نقوش كوفية من موقع السرين الأثري، مجلة العصور، المجلد السادس، ج١، ١٩٩١، ص١٦٩ـ١٨٩.
١٩٢ـ حاكم السرين (راجح بن قتادة) ودوره في العلاقات المصرية واليمنية في مكة، مجلة العصور، المجلد الأول، الجزء الأول، ١٩٨٦م، ص٢١ـ٢٤.
ـــ زيمين، الرئيس جيانج رئيس جمهورية الصين الشعبية
١٩٣ـ (العلاقات السعودية الصينية، والعلاقات الصينية العربية) من كلمة الرئيس الصيني في مكتبة الملك عبدالعزيز العامة بالرياض، جريدة الرياض، العدد (١١٤٥٤٤)، الأربعاء ٢٥ رجب ١٤٢٠هـ ـ ٣ نوفمبر ١٩٩٩م.

ـــ سيد، عبدالمنعم عبدالحليم (دكتور)
١٩٤ـ الأصول المصرية القديمة للسفن الإسلامية في البحر الأحمر، دورية اتحاد المؤرخين العرب، (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ص٦٩.
ـــ الشامي، أحمد عبدالحميد (دكتور)
١٩٥ـ العرب وصناعة السفن، دورية اتحاد المؤرخين العرب (الحضارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ص١٣٦.
١٩٦ـ العلاقات التجارية بين إقليم الخليج العرب والسواحل الغربية للهند في العصور الوسطى، دورية اتحاد المؤرخين العرب، (إقليم الخليج على مر العصور)، القاهرة، ١٤١٧هـ ـ ١٩٩٦م، ص١٠٧.

ـــ الشريف، أحمد إبراهيم
١٩٧ـ الحجاز قبيل ظهور الإسلام، دراسات تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث (الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين)، الجزء الأول، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، جامعة الملك سعود، الرياض، ص١٩.
ـ صالح، محمد أمين
١٩٨ـ تجارة البحر الأحمر في عصر المماليك الجراكسة، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة، ص١٥٩ ـ ١٧٩.
ـــ صواف، فائق بكر صواف، ومصطفى محمد رمضان
١٩٩ـ أهمية ثغر جُدة في النصف الأول من القرن العاشر الهجري، مجلة الدارة، العدد الثاني، السنة السادسة، ربيع الأول، ١٤٠١هـ ـ يناير ١٩٨١م، الرياض، ص٢٠٠.

ـــ الطيب، عبدالله (دكتور)
٢٠٠ـ هجرة الحبشة وما وراءها من نبأ، دراسات في تاريخ الجزيرة العربية، الكتاب الثالث (الجزيرة العربية في عصر الرسول والخلفاء الراشدين)، الجزء الأول، ١٤١٠هـ ـ ١٩٨٩م، جامعة الملك سعود، الرياض، ص٩٥.
ـــ عامر، حمزة إبراهيم
٢٠١ـ موقع مدينة جدة وطبيعية أرضها، (جدة عروس البحر الأحمر تقدم وحضارة) إصدار أمانة مدينة جدة، الدار العربية للموسوعات، القاهرة، ص٦٥.
ـ عبدالقادر، عبدالشافي غنيم (دكتور)
٢٠٢ـ البحر الأحمر طريقاً للدعوة الإسلامية، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة الدولية المعاصرة، ص٧١ـ٩٢٢.

ـــ عبدالله، علي رضا
٢٠٣ـ جـدة علـى لسان رسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسـلم، (لاتكـذب علـيه مـتعمدا صلى الله عليه وعلى آله وسلم)، جريدة المدينة، عدد رقم (١٣٠٦٤)، تاريخ ٨/١٠/١٤١٩هـ.
ـ العرفج، ناصر عبدالعزيز (دكتور)
٢٠٤ـ أهمـية الممـرات المائية في البحر الأحمر، ندوة البحر الأحمر، ص٣٣ـ٥٨.
ـــ عنقاوي، عبدالله عقيل
٢٠٥ـ المحمـل ـ نشـأته وآراء المؤرخيـن فيه، مجلة كلية الآداب، جامعة الرياض، المجلد الثاني، السنة الثانية، ١٣٩١ ـ١٣٩٢هـ/١٩٧١ـ١٩٧٢م، ص٣٢٤.
ـــ غبان، علي بن إبراهيم (دكتور)
٢٠٦ـ مراكـز الاستيطان بشمال الحجاز، الدارة، العدد الثاني، السـنة العشرون، محرم وصفر وربيع أول، ١٤١٥هـ، ص ٧١.
ـــ غيثان، بن علي بن جريس (دكتور)
٢٠٧ـ البحر في كتب التراث الإسلامي، دورية اتحاد المؤرخين العـرب (الحضـارة الإسلامية وعالم البحار)، ١٤١٤هـ ـ ١٩٩٣م، ص٩٤.
ـــ الفاخري، سوسن
٢٠٨ـ "أيلة"، مجلة آثار الأردنية، العدد الثاني، أيلول ١٩٩٨م، عمان، الأردن، ص٥٤.
ـــ قناوي، محمد
٢٠٩ـ "المديـنة في رحاب الآثار النبوية بالمسجد الحسيني"، جريدة المدينة، العدد (١٣٠٨٣)، السبت ٢٧/١٠/١٤١٩هـ والعدد (١٣٠٨٦)، الثلاثاء ٣٠/١٠/١٤١٩هـ.

ـ كاشف، سيدة إسماعيل
٢١٠ـ البحر الأحمر والفتح العربي لمصر، البحر الأحمر في التاريخ والسياسة، ص٩٣ـ١٠٤.
ـــ كريم، عبدالكريم (دكتور)
٢١١ـ بلاد الحجاز في المخطوطات المغربية المدونة خلال القرنين الحادي عشر والثاني عشر للهجرة، مجلة التاريخ العربي، الصادرة عن جمعية المؤرخين المغاربة، العدد الخامس، شتاء ١٤١٨هـ ـ ١٩٩٨م، ص١٠٥.
ـ مدني، محمد عمر (دكتور)
٢١٢ـ البحر الأحمر واتفاقية الأمم المتحدة لقانون البحار، ندوة البحر الأحمر، ص١٦١ـ١٨٦.

ـ خامساً : الخرائط

١ـ خريطة جزيرة العرب، ١ : ٢,٠٠٠,٠٠٠، وزارة البترول والثروة المعدنية، المساحة الجوية، الرياض، طبعة عام ١٤٠٣هـ ـ ١٩٨٣م، المملكة العربية السعودية.

٢ـ خارطة طرق المواصلات، ١ : ٣,٠٠٠,٠٠٠، وزارة المواصلات، طبعت بإدارة المساحة العسكرية بوزارة الدفاع، الطبعة الأولى، عام ١٤١٤هـ، المملكة العربية السعودية.

٣ـ خارطة تخطيطية، ١ : ٥٠٠,٠٠٠، لوحة رقم NF 37-SE، طبعت عام ١٤١١هـ (مكة المكرمة)، وزارة البترول والثروة المعدنية ـ الرياض.

٤ـ خارطة تخطيطية (ينبع)، ١ : ٥٠٠,٠٠٠، لوحة رقم NG 37-SW، طبعت عام، ١٤٠٤هـ، وزارة البترول والثروة المعدنية ـ الرياض.

٥ـ لوحة الحجاز الشمالي الغربي، أبحاث جيولوجية، خريطة رقم ج م ـ ٢٠٤ب (GM-204B)، وزارة البترول والثروة المعدنية، الرياض.

٦ ـ لوحة الحجاز الجنوبي، أبحاث جيولوجية، خريطة رقم I-C10B، وزارة البترول والثروة المعدنية، الرياض.

٧ ـ خريطة المملكة العربية السعودية، ١ : ٤,٠٠٠,٠٠٠، وزارة الإعلام بالمملكة العربية السعودية.

٨ ـ خريطة جمهورية مصر العربية، ١ : ٢,٠٠٠,٠٠٠، الهيئة العامة للمساحة المصرية.

ـ خرائط زكي فارسي، المملكة العربية السعودية، دليل الطرق السياحية، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ ـ ١٩٩٥م.

٩ ـ خريطة ينبع، رقم ب ١٢.

١٠ـ خريطة جدة، رقم ب ١٤.

١١ ــ خريطة الشعيبة، رقم ب ١٨.

١٢ ــ خريطة خليج العقبة، رقم ب ١.

١٣ ــ خريطة من ينبع إلى ضبا، رقم ٢٢.

فهرس الموضوعات

الفصل الأول
(الحجاز والبحر الأحمر)

الفصل الثاني
(نشأة الثغور الحجازية)

الفصل الثالث

(الملاحة وصناعة السفن، وأنواعها بالبحر الأحمر)

الفصل الرابع

(الهجرات العربية ورحلة الحج وعمارة الحرمين عبر الثغور)